
ديوان الوقف الشيعي
المركز الوطني لعلوم القرآن والتراث الإقرائي ✿ سلسلة الإصدارات العلمية (١٨)
مدخل
إلى تفسير
الميزان
تأليف
د. علي رمضان الأوسي



مدخل إلى تفسير الميزان

تأليف

د. علي رمضان الأوسي

ديوان الوقف الشيعي
المركز الوطني لعلوم القرآن
والتراث الإقرائي

سلسلة الإصدارات العلمية
(١٨)

مدخل إلى تفسير الميزان

تأليف
د. علي رمضان الأوسي

بغداد
١٤٣٣ هـ - ٢٠١١م

الطبعة الأولى - بغداد
١٤٣٣هـ - ٢٠١١م

ديوان الوقف الشيعي
المركز الوطني لعلوم القرآن
بغداد - العراق

اسم الكتاب .... مدخل إلى تفسير الميزان

المؤلف .... د. علي رمضان الأوسي

الناشر .... المركز الوطني لعلوم القرآن

الطبعة .... الأولى

المطبعة .... مطبعة النماء

تاريخ الطبع .... ١٤٣٣هـ - ٢٠١١م

التصميم والإخراج الفني .... خضر عباس زغير

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٥٠٠ لسنة ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على النبيّ الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين المنتجبين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ....

وبعد....

فإنّي أحمد الله حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا كما يحب ويرضى وكما ينبغي لعظيم شأنه وجلال سلطانه وجبروت عظمته ، أحمده وأشكره واستغفره وأتوب إليه ، ثم استعين به وأتوكل عليه لما ألهمنا من سوابغ آلائه وفيض رحمته ، فجعلنا ممن يتشرفون في خدمة كتابه والسعي في نشر علومه وأنواره ، والاتكاء عليه ، والاستشفاف منه ، وتذوق حلاوة هديه ، فله الحمد دائمًا أبدًا ما دامت السموات والأرض ، وله الحمد كلما ذكره ذاكر أو غفل عن ذكره غافل...

عن رسول الله(ص)(ما أنعم الله عز وجل على عبد بعد الإيمان بالله أفضل من العلم بكتاب الله، والمعرفة بتأويله ، ومن جعل الله له من ذلك حظًا ثم ظن أن أحدًا لم يفعل به ما فعل به وقد فضل عليه فقد حقر نعمة الله عليه) ، نعم إنه القرآن الكريم ، ولقد التمسنا لنا منه منهجا في هذه الفانية ، وعقدنا العزم على أن نسير ونوغل فيه لا نحيد ولا نتردد ، ولما كان تكليفنا وبما منّ الله علينا أن نكون ممن يهيئ للمؤمنين سبل العبادة سواء المساجد وما فيها ومن فيها ، ومن سعى إليها ودور العبادة الأخرى ، وكذلك المراقد المطهرة للأئمة الهداة عدل القرآن وامتداد سيد الأنام النبيّ الخاتم ذي الخلق العظيم والرحمة المهداة للعالمين ، وما أنزل عليه من آيات ربه الخالدة ، عهد الله إلى خلقه الذي من تمسك به نجى ومن تخلف عنه هلك ، المنقاد إليه قاده إلى الجنة ، ومن تخلف عنه ساقه إلى النار، فإننا في ديوان الوقف الشيعي ومن هدي رسول الله(ص) والأئمة الهداة ، وهدي المرجعية الرشيدة في النجف الأشرف على مشرفها التحية والسلام ، إذ اتخذنا من هدي هذه السواطع طرقا ومنهجا في خدمة ثوابت الدين ، وقد يسر الله لنا بناء وترميم آلاف المساجد ودور العبادة وقبلها المراقد المطهرة ، وقد بذلنا في ذلك الوسع وتجاوزنا عظيم المحن ولم ندخر جدًا ولا جهدًا في سبيل تحقيق هذه الغايات النبيلة ، وكذلك كان من أول ما اعتنينا به وعنينا هو الشأن القرآني على جميع المستويات و بالاتجاهات كافة فقد أولينا للحفظ اهتمامًا خاصًا ، وكذلك التلاوة والبحث القرآني عبر أساليب متنوعة . فقد أنشأنا المراكز القرآنية والمعاهد والكليات والمدارس بمختلف مستوياتها ، وأقمنا المسابقات الوطنية وعلى مستوى المحافظات ، وكذلك شاركنا بقوة وفعالية في المسابقات الدولية في كل فنون القرآن الكريم وكانت النتائج تعكس مقدار اهتمام أهل العراق بكتاب ربهم تبارك وتعالى واتبعنا كذلك وسائل أخرى كالصحف القرآنية والمجلات الرائدة الصادرة عن الديوان في البحث القرآني المتخصص، وكذلك عبر إذاعة الديوان وفضائيته التي خصصت للقرآن الكريم الحظ الأوفر، وكذلك خط المصحف الشريف بأنامل عراقية ولأول مرة في العراق على المستوى الرسمي ، ومن وسائل الاهتمام الأخرى التي اعتمدناها هي طباعة الكتب القرآنية التخصصية ونشرها في أوسع بقعة مكننا الله سبحانه أن نصل إليها ، وما هذا الكتاب القيم الذي بين يدي القارئ الكريم إلاّ واحدًا من الثمار اليانعة التي نضعها بين يدي أصحاب الاختصاص سعيًا منّا لنشر المعرفة القرآنية ، وقد جرى ذلك كله بعد عرض جميع النتاجات القرآنية على لجنة علمية متخصصة تشذب وتصوب وتوصي بنشر البحوث والدراسات على مختلف فروعها سواء في مجلة (والقلم) القرآنية ، أو صحيفة (قطوف) ، أو نشر الدراسات على مستوى الكتب ، أو في بقية الوسائل التي نعتمدها ، وفي هذا الصدد فأني أحيّي الجهود المخلصة بدءًا بتولد الفكرة أو تدويننا ومعالجتها بحثا ، ووصولها بين يدي اللجنة العلمية أحيي كل من بذل جهدًا في مسيرة القرآن الكريم ، وفي مسيرة ديواننا المبارك ، لكل العاملين شكري وتقديري وامتناني ، وأسأل الباري جل وعلى أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين...



صالح محمد الحيدري

رئيس ديوان الوقف الشيعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وصلّى الله على النبيِّ المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ...

وبعد..

فبين يدي القارئ الكريم إصدار جديد عن ديوان الوقف الشيعي المركز الوطني لعلوم القرآن والتراث الإقرائي وهو كتاب(مدخل في تفسير الميزان للدكتور علي رمضان الأوسي) . وقد اطلعت عليه اللجنة العلمية في المركز ورفعت التوصية لسماحة السيد صالح الحيدري رئيس الديوان المحترم حيث أوصت بطباعته لما وجدت فيه من دقائق العلم النافع وأصالة البحث الجامع والفائدة الجمة المتوخاة ، ويعدُّ هذا الكتاب من الكتب القيمة التي دلت على تفسير مميز في عصرنا الحديث وهو تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي رحمه الله ، الذي يعد من نفائس التفاسير وأجودها ، فأخذت من معينها وصاغت من لآلئها وسنا برقها بأحرف من نور ، كان فيض العلم دواتها ، وحسن السجية مسارها ، ودقة الموضوع دثارها ، حتى أصبح الميزان ميزانًا للتفاسير الحديثة يعرف بعرضهن عليه غثها من سمينها ، وزبدها من معينها ، تفسير اختصر ، فما أخل ، وتوسع فلم يطنب ، نحتت كلماته علمًا ، وصيغت ألفاظه فهما ، فما فرط وما أفرط ، ولعله وفق لذلك الخير كله ما بين تحقيق وتوفيق فطوبى للطباطبائي ميزانه ، وأثني على الأوسي مدخله ... ولا بد من الإشارة إلى ما ينهض به مركز علوم القرآن من عبء مسؤولية عظيمة ، تلك التي تتعامل مع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فكيف لنا ونحن المقصرون أن نكون بمستوى نشر رسالة الله تبارك وتعالى ، وكيف للناقص أن يحمل وطأة الكامل ، فإذا وفقنا فهو من سعد حظنا ، وإن كانت الأخرى فهو من شرور أنفسنا ، وحسبنا أننا بذلنا الجهد ، وواصلنا الليل بالنهار ، وهجرنا الأهل والأحبة ، وطوينا الكشح عن ما همَّ غيرنا ، وشمرنا عن السواعد ، وضيقنا الحيازيم ، وعظظنا على النواجذ ، لأننا نعي قدرنا ، ونفهم مرادنا ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، شكري وتقديري لجميع من أسهم في إنجاز هذا الكتاب من لجان علمية وإدارية وفنية ، وشكري لجميع أقسام مركز علوم القران بأقسامه كافة، سواء في مجلة والقلم القرآنية ، أو صحيفة قطوف ، أو معهد علوم القرآن ، أو شعب القراء والمجودين والحفظة ، ودورات حفظ القرآن الكريم للنساء ، ودورات القراءات القرآنية العشر والمكتبة التخصصية ، والمكتبة السمعية المرئية ، وكذلك لإذاعة اليقين وفضائية كربلاء ، ولكل عمل مخلص جاد في دوائر ديوان الوقف الشيعي ، والشكر موصول لسماحة السيد صالح الحيدري رئيس ديوان الوقف الشيعي على عظيم اهتمامه بالشأن القراني وإلى فضاءات أكثر رحابة بإذن الله . والحمد له تبارك وتعالى ، والصلاة على خير خلقه محمد بن عبد الله وعلى آاله الأطهار ، وصحبه المنتجبين الأخيار وسلم تسليمًا كثيرًا.

عادل الكناني

مدير المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على رسول الله خاتم الأنبياء وعلى أهل بيته الأبرار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرًا، وبعد،

لا يخفى على جميع المسلمين ولا سيما أتباع مدرسة أهل البيت؛ لما لتفسير (الميزان) للسيد محمد حسين الطباطبائي من أهمية كبيرة في الدرس التفسيري الحديث، فهو يكاد يكون من أفضل التفاسير العلمية في العصر الحالي، إن لم يكن أفضلها، إذ يتناول تفسير القرآن الكريم من وجهة نظر علمية معاصرة تعتمد الحداثة أساسًا في معالجة كثير من القضايا والمسائل القرآنية بشكل منطقي وفلسفي يذكر فيها آراء المذاهب الإسلامية جميعًا، فضلاً على إيراده آراء المفسرين القدامى والمحدثين والإفادة منها في منهجه التفسيري.

واستمرارًا لمنهج ديوان الوقف الشيعي - المركز الوطني لعلوم القرآن على إصدار كل ما هو جديد وذو قيمة علمية كبيرة، وبدعم لا محدود من لدن سماحة السيد صالح الحيدري رئيس الديوان في نشر الكتب العلمية التي تخدم القرآن الكريم وعلومه. نضع اليوم بين يدي القارئ الكريم كتاب (مدخل إلى تفسير الميزان) لمؤلفه الدكتور علي الأوسي، وهو ضمن إصدارات المركز الوطني لعلوم القرآن تحت تسلسل (١٨).

وهذا الكتاب كان قد طبع طبعة أولى بعنوان (الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان) لمؤلفه (علي الأوسي) في الجمهورية الإيرانية الإسلامية / معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي عام ١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ، مطبعة سبهر - طهران. وكان مؤلف الكتاب الدكتور علي الأوسي قد طلب من سماحة السيد رئيس ديوان الوقف الشيعي السيد صالح الحيدري إعادة طبع كتابه مرة ثانية تحت عنوان (مدخل إلى تفسير الميزان)، أحال سماحة السيد الحيدري الكتاب إلى المركز الوطني لعلوم القرآن الكريم والتراث الإقرائي في الديوان، ثم قام مدير المركز الأستاذ عادل الكناني بإحالة الكتاب إلى اللجنة العلمية في المركز الوطني لعلوم القرآن لإبداء رأيها العلمي فيه، فرأت اللجنة أن يعاد طبع الكتاب لما له من أهمية علمية كبيرة في إثراء المكتبة الإسلامية، وبوصفه كتابًا قد سلط الضوء على تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي.

جاء الكتاب في ثلاثة أبواب وخاتمة، ففي الباب الأول: تناول المؤلف عصر الطباطبائي وحياته وثقافته؛ وهو على ثلاثة فصول، وأما الباب الثاني: فقد تكلم فيه على منهج الطباطبائي في التفسير، ووزعه على ثلاثة فصول، وأمّا الباب الثالث: فقد تكلم فيه على جملة من علوم القرآن والعقائد في الميزان و جاء على فصلين، تناول الأول منهما موقف الطباطبائي من موضوعات في علوم القرآن، وتناول الثاني الطباطبائي وعقائد الإمامية. نأمل أن يلقى هذا الكتاب القبول والاستحسان من لدن القارئ الكريم، والحمد لله رب العالمين.

أ.د. فاخر جبر مطر

رئيس اللجنة العلمية


بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله الهادي الأمين ، وعلى آله الطيبين وصحبه المنتجبين .

لقد حظي القرآن الكريم بالعناية البالغة من قبل المسلمين منذ عصر النزول ، فتلقوه بالحفظ وتطبيق ما يرد في نصوصه من أحكام ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يكشف لهم ما استغلق من آياته المباركة ، ويوضح ما أجمل من معانيه ، وهذا من دواعي النبوة باعتباره المرشد الأول والأمين على وحيه . وما أثر عن الرسول عليه الصلاة والسلام في تفسير القرآن الكريم إنما كان أساس التفسير في نشأته الأولى ، إضافة إلى ما أفاده المسلمون فيما بعد من اللغة وأسباب النزول وغيرها في بيان الآيات ، وإن كان لأفهام المسلمين الأوائل أثر في الكشف عن معاني الآيات ؛ إلا أن التفسير بالرأي استقام عوده ، وتعددت أنماطه من خلال تأثر المسلمين بما كان يجري من تطورات وأحداث ، كما كان للاتجاهات والتيارات الفكرية _ التي حصلت قديما _ أثرها البين في دفع حركة التفسير وتشعب روافده . وقد ظهرت محاولات كثيرة في التفسير نأت عن الصواب . وتنكبت أصول التفسير ، وتلون التفسير _ بالرأي _ بألوان عديدة : منها اللون المذهبي ، والكلامي ، والفلسفي والصوفي ، وغيرها . وأخذ التفسير يسير ضمن هذين الاتجاهين (المأثور والرأي) وبقيت محاولات من تأخر من المفسرين محاكاة وصدى لقدامى المفسرين . يقول الدكتور محمد حسين الذهبي :((نجد متقدمي المفسرين قد توسعوا في التفسير إلى حد كبير ، جعل من جاء بعدهم من المفسرين لا يلقون عنتا ، ولا يجدون مشقة في محاولاتهم لفهم كتاب الله ، وتدوين ما دونوا من كتب في التفسير ، فمنهم من أخذ كلام غيره وزاد عليه ، ومنهم من اختصر . ومنهم من علق الحواشي وتتبع كلام من سبقه تارة بالكشف عن المراد ، وأخرى بالتفنيد والاعتراض ، ومع ذلك فاتجاهات التفسير ، وتعدد طرائقه وألوانه لم تزل على ما كانت عليه ، متشعبة متكاثرة))[1] .

وهذا ما حصل في حقبة الركود التي مر بها الفكر الإسلامي عموما .

أمّا بعد عصر النهضة الحديثة التي امتد أثرها إلى التفسير نفسه بوصفه أنسب الحقول العلمية التي تنعكس عليه مقتضيات التطور الحضاري ، سواء في

---

١ ـ انظر : التفسير والمفسرون : ١٤٩/١.

مجال تجلية آفاق النص القرآني ، أو في مجال تصدي المفسرين للدفاع عن الإسلام أمام افتراءات أعدائه ، نزع التفسير نزعة اجتماعية كان الجانب الإصلاحي فيها واضحا في ضوء التطورات الحضارية التي حصلت حديثا ، حيث يحاول المفسر أن يلتمس التوافق بين النص القرآني ومقتضيات العصر الحديث في شتى المجالات . كما أصبح للاتجاه الأدبي أثر واضح في التفسير الحديث . وازدادت الدعوة إلى الأخذ بالتفسير الموضوعي ، كما أن محاولات الشيخ أمين الخولي وتلامذته على طريق التفسير البياني للقرآن الكريم أسهمت إلى حدٍّ مَا في إظهار المعاني القرآنية بتطبيق المنهج الأدبي في التفسير ، واعتماده على المعجم القرآني لألفاظ الكتاب الكريم . وفي أجواء التفسير تعالت صيحة نحو تفسير علمي يحاول المفسر فيه التوفيق بين نصوص الكتاب والإنجازات العلمية الحديثة . وكان على رأس هذا الاتجاه الشيخ الطنطاوي جوهري في تفسيره (الجواهر) .

ومن خلال هذا العرض السريع نجد أن التفسير قد مرّ بمراحل عديدة تأثر فيها بما كان يجري من أفكار وأحداث ، وبحثنا هذا يتناول محاولة تفسيرية يعيش صاحبها عصرنا الحديث بما فيه من أفكار وثقافات وتطلعات حضارية جديدة . وقد أفاد الطباطبائي صاحب تفسير الميزان من مناهج قدامى المفسرين مراعيا ما حصل من جديد في عالم التفسير الحديث وهو حق سيجليه البحث ، ويكشف عن مقدار الجدة في منهجه . وهذا مما أسهم في اختيار بحثي الموسوم بـ : ((الطباطبائي ومنهجه في تفسيره : الميزان)) .

وقد أسهمت عدة عوامل في صياغة الدوافع التي حفزتني لاختيار هذا البحث والخوض فيه ؛ أجملها على النحو الآتي :

١ـ الروح المعتدلة والنظرة المتزنة لدى صاحب هذا التفسير . فهو أمين في عرضه لآراء الفرق الأخرى والمذاهب الإسلامية ، ويمتاز بالموضوعية في نقد الآراء ، ولا يعني هذا انسلاخه من مذهبه الإمامي ؛ لأن المذهب شيء ، وما ينطوي عليه التعصب شيء آخر . فالطباطبائي إلى جانب اهتمامه بإبراز وجهة نظر الإمامية في جملة المسائل ـ سواء الفقهية منها أو العقائدية ـ فإنه لم يستهجن آراء الفرق الأخرى ، وإنما يعزز بحثه بالدليل ، ويشغل نفسه بنقد الآراء وعرض ما يراه مناسبا للكتاب والسياق ، ولو استدعاه الأمر أحيانا إلى رفض أو تضعيف مرويات منسوبة إلى أئمة مذهبه .

٢ـ جمع المفسر إلى جانب الأنماط التفسيرية السائدة لدى قدامى المفسرين أمورًا ، مما أثارته النهضة الحديثة في التفسير ، فكان يتصدى لما يثيره أعداء الإسلام من شبهات ، وما يضللون به من تشويه للمفاهيم الإسلامية ، بروح



اجتماعية واعية على أساس من القرآن الكريم وفهم واع لنصوصه الكريمة ، وتشهد بذلك عشرات الأبحاث المفهرس لها في أواخر أجزاء (الميزان) . وقد دفعني ذلك إلى تلمس مقدار أخذه وتناوله لمناهج القدامى والمحدثين من المفسرين .

٣ـ يتمتع المفسر بمكانة علمية رفيعة في التدرج العلمي لدى الإمامية الاثني عشرية والمعروف بنظام (الحوزة) فهو مجتهد له قابلية استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية ويمثل تفسيره (الميزان) ذروة المحاولات التفسيرية المعاصرة لدى الإمامية ، مما شجعني على إبراز هذا التفسير للوقوف على مدى التطور في التفسير عند الإمامية بعد كل هذه التطورات والأحداث في عالمنا الإسلامي .

٤ـ كما أردت أن أسهم في توثيق هذه المحاولة التفسيرية للسيد محمد حسين الطباطبائي بالتاريخ العام للتفسير ، وربطها بالمنحى التطوري لمناهج التفسير عبر مراحله العديدة من خلال التعرف على المناهج المعتمدة في محاولات المفسرين.

والواقع أنه لشرف عظيم أن يعيش الباحث في ظلال القرآن الكريم يستفيد منه ويفيد ؛ فهو الدستور العظيم والكتاب المقدس الذي تنطلق عنه أفهامنا ، وينتظم به سلوكنا ، وتتعزز به وحدتنا ، وكل دراسة فيه أو فيما يتعلق به هي تشريف للدارس ، ونور يضيء له الطريق . فمنه تعالى نستمد العون وهو حسبنا .

أما الصعوبات التي واجهتها في هذا البحث فأهمها أن الميزان بكر لم تتناوله أية دراسة من قريب أو بعيد ، مما جعل البحث يتطلب مني مبادرة علمية جديرا بها أن تتحمل مسؤولية الريادة في الكشف عن منهج تفسيري لم تتناوله الدراسات . ولم تتوفر له أية مقدمات . فاستعنت بالله الذي لا حول لنا بسواه . وبقيت أعيش مع الميزان ليالي وأياما استقرىء منهجه في التفسير منكبا على كل ظاهرة متكررة في صفحات الميزان ، واضعا يدي على كل ما يعرفني بمنهج الرجل .

وأمَّا الصعوبات الأخرى فتتمثل في صعوبة المراسلات بيني وبين المفسر . كما أني لم أوفق للسفر إلى بلد المفسر (إيران) على الرغم من محاولاتي الكثيرة لظروف حالت دون ذلك ، ومن الصعوبات الأخرى ما واجهته في ترجمة بعض آثاره التي كتبها بالفارسية .

وقد وزعت البحث على ثلاثة أبواب وخاتمة :

ففي الباب الأول : تناولت عصر الطباطبائي وحياته وثقافته : وهو على ثلاثة فصول :

في الفصل الأول : تعرضت لبيان عصر الطباطبائي ؛ فشرعت بالتعريف

بدواعي النهضة الحديثة ، ثم نظرة عامة حول إيران حيث يعيش المفسر ، بعد ذلك تناولت الحالة السياسية في إيران منذ بداية هذا القرن الميلادي معرفا بأهم الأحداث السياسية التي كان المفسر على مقربة منها بصفته أحد علماء الدين المبرزين هناك . وأخيرا عرفت ببيئته التي عاش في كنفها (تبريز وقم) ، ثم عرفت بـ (النجف الأشرف) الواقعة في العراق ، مفصلا القول في الأحداث السياسية التي عاشتها هذه المدينة خلال بقائه فيها .

وتناولت في الفصل الثاني : حياته وثقافته ؛ فتكلمت في حياته عن اسمه ونسبه ومولده وألقابه ، وفي ثقافته عن دراسته ومشايخه ورحلاته العلمية وإجازاته بالاجتهاد والرواية ، وأوجه نشاطه العلمي . وتلامذته . وأخيرا تعرضت لبيان آثاره العلمية ، كما ألحقت في هذا الفصل رسالة بريدية مصورة بخط المفسر تكلم فيها عن حياته وثقافته ، وقد أفدت منها الكثير في هذا الفصل .

وفي الفصل الثالث : تكلمت عن المصادر التي اعتمد عليها الطباطبائي في تفسيره (الميزان) وهي :

مصادره التفسيرية وكتب اللغة . ومصادره الحديثية والروائية ، ومصادر متنوعة ضمت (الكتب المقدسة ، ومصادره التاريخية ، والمعارف العامة ، والأعلام ، والجرائد والمجلات) .

وقد فصلت الكلام في مصادره التفسيرية دون غيرها ، لكي أقف على ثقافته التفسيرية وشخصيته العلمية بين آراء المفسرين ومنقولاتهم التي أوردها في (الميزان) وقد عملت جدولا لبيان مصادره الحديثية والروائية في (الأبحاث الروائية للميزان) .

وأما الباب الثاني : فقد تكلمت فيه على منهج الطباطبائي في التفسير ، ووزعته على ثلاثة فصول .

الفصل الأول : نظرة في مناهج المفسرين ، ووصف مجمل للميزان ، تعرضت فيه لبيان أهم هذه المناهج التفسيرية في تاريخ التفسير ، ثم عرضت عرضا وصفيا مجملا للميزان بما في ذلك منهجه التفسيري ، وبعد هذا الفصل وما قبله توطئة في منهج المفسر .

وفي الفصل الثاني : تكلمت على الجانب الأثري في الميزان ، وتناولت فيه تفسير القرآن بالقرآن ، وموارد استخدام المفسر لهذه القاعدة في التفسير ، وبما أن السياق _ على الرغم من اشتماله نظرة عقلية أحيانا _ يعد من القرائن الحالية لفهم النص القرآني ، وأن الآيات تفهم ضمن سياقها فقد تكلمت على السياق وأثره في التفسير مبينا أوجه استعانة المفسر بالسياق في بيان معاني الآيات ، والترجيح بين



الآراء، وغير ذلك. ثم تكلمت على (التفسير بالسنة) ومدى اعتماد المفسر على السنة في بيان معاني الآيات، ثم بينت موقفه من أقوال الصحابة والتابعين، بعد ذلك أوضحت رفضه للإسرائيليات.

وفي الفصل الثالث: تناولت الجانب العقلي في الميزان، وتكلمت فيه على مناقشته لأقوال المفسرين، وإدلائه برأيه، ثم عن نزعته العلمية في التفسير، كموقفه التفسيري من النظريات العلمية الحديثة، وكذلك الجانب الفلسفي في الميزان، ثم تكلمت عن النزعة الاجتماعية في الميزان ثم على موقفه من الغيبيات والمبهمات في القرآن الكريم، وأخيرًا موقفه من التفسير بالباطن.

وأما الباب الثالث: فقد تكلمت فيه عن جملة من علوم القرآن والعقائد في الميزان وقد جاء على فصلين:

ففي الفصل الأول: تناولت جملة من علوم القرآن وبيان موقف الطباطبائي منها وذلك بعد نبذة مختصرة عن علوم القرآن. وعن اختياري لهذه الموضوعات في علوم القرآن التي هي:

((التأويل، والمناسبة، والمكي المدني، وأسباب النزول، والنسخ في القرآن، والقراءات، وآيات الأحكام)).

وفي الفصل الثاني: تعرضت لعقائد الإمامية وموقف الطباطبائي منها منبها على مسلكه التفسيري فيها. ومشيرا إلى آراء أهل السنة وأهل الاعتزال في كثير من هذه العقائد.

وبهذا الجهد المتواضع حاولت الكشف عن المنهج التفسيري للسيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره (الميزان) آملا أن يوفقني الله تعالى لبلوغ الصواب ويجنبني الزلل في بحثٍ يُعدُّ رائدا في هذا المضمار حيث لم أقف على بحث عالج منهج الطباطبائي في التفسير، ولم أدَّعِ الكمال لبحثي هذا فإني إنسان، ومنه تعالى أستمد العون والسداد، وهو ولي التوفيق.

مقدمة الطبعة الثانية

عاصر العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب (تفسير الميزان) فترة غاية في تشكل العقد الفكرية تميزت بالتحديات ومخططات التآمر على وجود هذه الأمة فأثيرت الكثير من الشبهات وكادت أن تعصف بجيل الشباب لولا الصحوة التي أطلقها علماء الأمة ومفكروها في تلك الفترة من العصر الحديث، وقد صب جل اهتماماته الفلسفية والعقائدية والتاريخية وحتى الاجتماعية من خلال مشروعه التفسيري للقرآن الكريم فكان للعلامة منهجه المتميز في الكشف عن معاني الآيات والذي أوصله إلى نتائج ومعطيات تفسيرية شكلت اتجاهه التفسيري وقد برزت فيه اهتماماته الفكرية المتنوعة فجاء (تفسير الميزان) بمضامين اجتماعية لامست واقعنا الحياتي إلى جانب بيان اهتماماته العقدية والتاريخية وملابسات نزول النص وقد اعتمد المفسر القرآن الكريم أساسا في الكشف عن معاني الآيات مؤيدا ذلك بالحديث والرواية، وحاولنا في هذا الكتاب بيان تلك الأسس التي اعتمدها المفسر في تفسير القرآن الكريم كالمعايير اللغوية والسياق والمناسبة وأسباب النزول والمقاصد والغايات التي من خلالها ينظر المفسر الى المحصلة العامة والاتجاه السائد في النص القرآني، هذا الى جانب أهم العلوم القرآنية التي بينها (تفسير الميزان) وكذلك العقائد الإسلامية والعقائد التي حصل فيها جدل بين علماء المسلمين وذلك ما عالجه هذا الكتاب وقد تناول المنهج والاتجاه معا لدى العلامة باستحضار شواهد تفسيرية عديدة من واقع تفسير الميزان على أسس منهجه التفسيري، ومن أبرز خصائص هذا التفسير هو المنحى الاجتماعي لدى المفسر وحرصه الشديد على تناول تلك المفاهيم بجوانبها الاجتماعية ولعل (تفسير الميزان) من أروع ما قدمته المكتبة الإسلامية في هذه المضامين الإسلامية للفرد والمجتمع، ومن هنا يمكن للقارئ أن يقف على أبرز الافكار التي طرحها العلامة في هذا التفسير حول مشروع الوحدة بين المسلمين وذلك من خلال إثاراته المتكررة في تفسير آيات القرآن الكريم حول مفهوم الأمة الواحدة، وهناك معالجات كثيرة تناولها هذا الكتاب في هذا السياق وغيره، فالكتاب هو مدخل الى تفسير الميزان ليهيء القارئ والباحث إلى دخول ميسر في هذا التفسير الواسع للعلامة.

وقد قامت منظمة الإعلام الإسلامي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية مشكورة بطبعه سنة ١٩٨٤م، واليوم يعاد طبعه بعنوان (مدخل إلى تفسير الميزان) من قبل ديوان الوقف الشيعي في العراق الذي حرص مشكورا على تقديمه بهذه الحلة ليتيسر للقراء الدخول الميسر لهذه الموسوعة التفسيرية (الميزان) من خلال هذا الكتاب.

والله المسدد والمستعان.



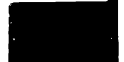
المؤلف



الباب الأول

الطباطبائي

(عصره، حياته، ثقافته)



الفصل الاول

عصره حول النهضة



واجهت أمتنا الإسلامية _ منذ أواخر العصر العباسي _ هزات وانقلابات كثيرة كان لها تأثيرها السلبي في الحياة الاجتماعية والفكرية ، من ذلك قيام دولة السلاجقة ودخولهم بغداد عام ٤٤٧ هـ ، وتهديد الصليبيّن للشام وتسلطهم عليها من سنة ٤٩٢ هـ إلى سنة ٥٨٢ هـ ، ثم ظهور المغول بقيادة جنكيزخان ومن بعده هولاكو وما أفسدوه بتخريب المدن الإسلامية ، وإحراق مكتباتها وقتل أهلها[١] .

وحين أحست أوربا خطر الإسلام الذي نما واتسع سلطانه بدأت بحروبها الصليبية الخبيثة ضد أمتنا الإسلامية عام ٤١٩ هـ ، ١٠٩٨ م استمرت زمنا طويلا . ولم تكن هذه الحروب في جوهرها اعتداءً عسكريا فحسب ، وإنما صحبتها هجمة شاملة في الفكر والسياسية ، وقد برز هذا الجانب بوضوح بعد أن خفّت حدَة العدوان الصليبي المسلّح على الأمة الإسلامية . وقد بدأ الغرب حربا في الفكر والسياسة وغيرها ، وتلونت هذه الحملات بألوان التبشير ، والاستشراق ، والتأليف ، والصحافة ، والمؤسسات المختلفة ، والإرساليات العديدة في ظل النفوذ الأجنبي المسيطر على الدولة العثمانية ، ولئنْ تمثل ذلك الغزو الغربي للعالم الإسلامي أحيانا في دعوات التجزئة ، والتغريب ، والقوميات الضيقة ، والفرعونية ، والفينيقية ، والبربرية ، وغيرها، فإنَّ المقصود بذلك هو الإسلام العظيم باعتباره عاملا ضخما يحول بين الاستعمار ونفوذه الأجنبي ، وبين تحقيق أهدافه في السيطرة الكاملة على معتنقيه [٢]. ومن آثار ذلك التسلط الغربي الخبيث تقسيم

---

١ ـ انظر : أحمد أمين : ظهر الإسلام ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٤ م . ط ٣ ، ١٩٣/٤_١٩٤.

٢ ـ انظر : مصطفى الخالدي وعمر فروخ : الاستعمار والتبشير ، بيروت ، شركة علاء الدين للطباعة ، ١٣٩٠ ه ، ط٤ ، ص ١٤٤_١٢٠ . و: أنور الجندي : الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني ، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٤، ص ١٣_٣٢ . و أنور الجندي : الإسلام في وجه التغريب _ مخططات الاستشراف والتبشير منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة : ١٩٦٥م، ص٧_٨ .

المنطقة الإسلامية بين أمم الغرب ، وإثارة النعرات القومية العنصرية ، والدعوة إلى العلمانية ، وفصل الدين عن الدولة [1].

وقد أثر ذلك الغزو الغربي للشرق كثيراً في انبعاث الفوارق والتناقضات في مرافق عديدة معه أفكار وآراء غريبة عن واقع المسلمين بعد أن كان طابع القرن التاسع عشر في الغرب طابعاً مادياً بحتاً ، فهو لا يؤمن إلاّ بالمادية ، والعلم عنده هو العلم بالمادة ، وعليه فالأخلاق والقيم الدينية في نظرهم أمور اعتبارية لا حقيقة لها ، بل غطّى ذلك الطغيان المادي كل شيء فكل مظهر من مظاهر النفس من أفكار وبواعث هي نتيجة لمادة الجسم ليس إلاّ ، وكل تفسير للكون وأحداثه لم يخرج عن التفسيرات المادية ، وعلى أثر ذلك التناقض بين روحية الشرق والغرب المادي تبلبلت الأفكار وحدثت موجة عارمة وحصل جديد في مرافق عديدة من حياة المسلمين [2].

زد على تلك الملابسات التي كان يعاني منها شرقنا الإسلامي ، المشاكل الكثيرة على مختلف الأصعدة ، فقد كان الشرق يعيش بأساليبه القديمة في الزراعة والصناعة والتجارة ، بينما سبقه الغرب في هذا المضمار فاستخدم الآلات الحديثة ، كما طبق النظريات العلمية المدروسة في هذه المجالات .

١ـ انظر: علي جريشة ومحمد الزيبق : أساليب الغزو الفكري . القاهرة ؛ طبعة الاعتصام ، ١٩٧٧ م ص ٤٧.

٢ ـ لقد نشطت بعد الحرب العالمية الأولى نظريات سياسية كبرى كالنازية والشيوعية ، والديمقراطية ، والاشتراكية . وكانت لكل منها برامج سياسية واجتماعية واقتصادية . وأخذت الخصومات تحتد ، والنزاع يشتد فيما بينها (أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، القاهرة : ١٩٦٥ ، ص ٣٤٨) . كما حصل الانقلاب العلماني على يد كمال أتاتورك ١٩٣٨ م في تركيا الذي كان له أثر بالغ الأسف على نفوس الغيورين من أبناء الأمة الإسلامية فقد استبدلت بالقوانين الإسلامية القوانين الغربية ، واصطبغت الحياة في تركيا بالصبغة العلمانية الماسخة لروح الدين الإسلامي . (كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٦٨ م ، ط٥ ، ص ٦٩٩ _ ٧١٠).

والمشكلة الأخرى هي مشكلة التعليم الذي كان سائراً على النمط القديم على الرغم أن هناك عدة محاولات بذلت وأثمرت في تحديث التعليم لكنها لم تكن كافية في نهوضه إلى المستوى الحديث .

وهناك أيضًا مشكلة الفقر ، فالسواد الأعظم من الشعوب الشرقية فقير ، وفقره يستتبع سوء حالته الصحية وحالته التهذيبية . فالفقر والجهل والمرض عوامل متفاعلة متشابكة في تمزيق المجتمع [1] .

هذه المشاكل وغيرها عانى منها مجتمعنا الإسلامي فضلاً على مساوئ الهيمنة الكافرة ، وتطويق أمانيه ، وأحلامه في سيادة القرآن الكريم . وعليه كان لابد من ظهور معارضة إزاء هذا التهديد السافر للقيم والحقوق ، ولابد من تفكيرٍ بنَّاءٍ ، وأسلوب منظَّمٍ لرأب الصدع ، وتبلور فكرة الإصلاح والإنقاذ في نفوس الغيارى من أبناء الشرق الإسلامي ، ولا نغالي إذا قلنا إن الأمم الشرقية جمعاء مدينةٌ بنهضتها السياسية والفكرية للسيد جمال الدين الأفغاني ، فقد أيقن بخطر السيادة الغربية المنتشرة في الشرق الإسلامي [2]. وقد قامت دعوته الإصلاحية الكبرى على أساس ديني ، اجتماعي ، سياسي ؛ في وقت كان فيه العالم الإسلامي يغط في سبات عميق [3] وهذا ما حمل المستر (تشارلز آدمس) على القول : ((لقد عمت جهود هذا الرجل النابه _ يعني جمال الدين_ البلاد الإسلامية كلها ، والممالك الأوربية ذات الصلات بها ، فأفغانستان وفارس وتركيا ومصر والهند اتصلت به جميعا ، وأحسَّت بأثره القوي الذي هزَّها هزّاً عنيفا)) [4].

---

1 ـ أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث . ص ٣٣٨_٣٤٩.

2 ـ محمود أبو رية ، جمال الدين الأفغاني : تاريخه ورسالته ومبادئه ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ . منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ص٦٥ ، ٢٤٤.

3 ـ المحامي عبد المحسن القصاب : ذكرى الأفغاني في العراق ، بغداد ، مطبعة الرشيد ، ١٣٦٤ هـ . ص٩.

4 ـ تشارلز آدمس : الإسلام والتجديد في مصر ، ترجمة عباس محمود ، القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، ١٣٥٣ هـ ، ص١٤.

وقد أفاد الشيخ محمد عبده كثيراً من السيد جمال الدين مدة اتصاله به ، واستشراق تصوراته النافذة ، فعلى صعيد مصر اتخذ التجديد الإسلامي فيها _ خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر _ بزعامة الشيخ محمد عبده ، صورة حركة معينة تسعى إلى تحرير الدين من أغلال الجمود وتتجه إلى استكمال الإصلاحات التي توفق بينه وبين مطالب الحياة العصرية المعقدة [١] .

نظرة عامة حول موطن المفسر (إيران)

تمتاز إيران _ بلد المفسِّر_ بموقع جغرافي جعل منها جسراً للمواصلات البرية بين منطقة الشرق الأقصى في آسيا ، ومناطق البحر الأبيض المتوسط وأوربا . إذ تحتل إيران جغرافياً القسم الأكبر من الهضبة الآسيوية التي تمتد ما بين حوض نهر السند شرقا ودجلة والفرات غربا ، وكان لهذا الموقع الجغرافي الأثر الكبير على المدنية الإيرانية ، وفي الوقت نفسه جرَّ عليها المصائب والويلات [٢] . يزاد على ذلك خِصْبُ تربتها وغنى جبالها بأنواع المعادن النفيسة ونصف النفيسة ومنها البترول الذي جعل لها أهمية دولية [٣] . أما بالنسبة إلى ثروتها الزراعية فكانت عصب الحياة في إيران لما تدره من أنواع الحبوب والخضروات والفواكه المتنوعة [٤] . وأما عالم الصناعة ، فقد حازت به إيران شهرة قديمة ، ووقفت فيه على قدم ثابتة بين الأمم الحضارية القديمة إذ عرفت بصناعة السجّاد الفاخر ، كما أن

---

[١] ـ تشارلز آدامس : الإسلام والتجديد في مصر ، مقدمة البحث ، ص : ٤.

[٢] ـ انظر دونالد ولبر : إيران : ماضيها وحاضرها ، ترجمة د.عبد المنعم محمد حسنين ، القاهرة . دار مصر للطباعة ١٣٧٧ هـ ، ص٩ ، ١٠٧ ، وانظر دائرة المعارف الحديثة ، أحمد عطية الله ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ط٢ ، ٢٢٥/١.

[٣] ـ انظر : صادق نشأت ومصطفى حجازي : صفحات عن إيران ، القاهرة ، مطبعة مخيمير ، ١٩٦٠ م ، ص٩٦.

[٤] ـ إيران ماضيها وحاضرها ، ص ١٣٧_١٤٢ وصفحات عن إيران : ص ١٠٣_١٠٨.

الصناعات التجميعية أخذت تنمو بشكل سريع في الربع الثاني من القرن العشرين[1].

ومنذ عام ١٩٣٠م توسعت الشركات الأجنبية حتى كان في إيران حوالي مئة شركة أجنبية مسجلة في المدة ما بين ١٩٢٥_١٩٤١م فضلاً على شركات حكومية كثيرة [2] . وبعد الثورة الإسلامية قطعت أيدي الشركات الأجنبية المستغلّة ، واتجّهت الجمهورية الإسلامية نحو الاكتفاء الذّاتي في كل المجالات . ويقوم اقتصاد إيران حاليا على ثروتها البترولية ، وقد بلغ إنتاج البترول الإيراني عام ١٩٦٤م ما جملته (٨٣/٦) مليون طن [3] .وأما التعليم فقد نشأ على الأسلوب القديم ، فضلاً على عدم سدّه للحاجة المتزايدة ونمو السكان والى جنبه كان وما يزال نظام (الحوزة) _ التي سيأتي التعريف بها _ جاريا في الأوساط العلمية الدينية لتنشئته العلماء والمجتهدين والمبلغين . وقد ظهرت بوادر نهضة تعليمية في عهد الأسرة القاجارية [4] ، ففي سنة ١٢٦٦ هـ أنشئت (دار الفنون) التي تعد نواة التعليم الجامعي ، واستمرت في عملها أربعين سنة كاملة ، وكانت تضم أساتذة أوربيين وإيرانيين ، ودُرِّست فيها مختلف العلوم المادية المعاصرة .

كما أنشئت معاهد عليا ، وكثر الاهتمام بتعميم التعليم في القرى والمدن وفي عام ١٩٣١م أُسست جامعة طهران ، وأنشئ المعهد العالي للمعلمين ، وبدأت الثقافة الغربية تتسرب إلى إيران في صورة أوضح ، وأخذت البعوث العلمية تتوافد على جامعات أوربا وأمريكا . وبعد عام ١٩٤١م أقيمت خمس جامعات حديثة فأصبح

---

1 - إيران ماضيها وحاضرها ، ص١٥٨_١٦٢ ، وصفحات عن إيران : ص١٩٨_١١٣.

2 - إيران ماضيها وحاضرها ، ص ١٤٩_١٥٥.

3 - دائرة المعارف الحديثة ٢٢٥/١.

4 - تنتمي هذه الأسرة إلى القبيلة القاجارية ، ومؤسس دولتها (آغا محمد خان) . وقد حكمت إيران من سنة ١٧٩٥م حتى سنة ١٩٢٤ بعد أن قضي على كل من الزنديين والصفويين . (أنظر : إيران ماضيها وحاضرها ص ٩٦ ، وصفحات عن إيران ، ص٨٣).

مجموعها ستاً ، وهي : جامعة طهران ، وتبريز ، وشيراز ، ومشهد ، وأصفهان ، والأهواز ، واتسع نطاق المعاهد التعليمية في إيران بشكل واضح سواء كان التجاري منها أو الزراعي أو الصناعي [1] .

والإيرانيون معروفون باهتمامهم الشديد في كشف غرض الحياة وتقصي حقيقة وجودها ، وذلك لما مرّ على تاريخهم من أفكار شجعت إلى حد كبير على النظر في قوى الخير والشر ، والنور والظلام ، والروح ، والمبادئ الكونية الأخرى أمثال الزرادشتية والمانوية والمزدكية[2] ، ثم جاء الإسلام مشجِّعاً وداعياً إلى التحرر الفكري ، فهذّب ونقى هذا الأصل ، وحث الإنسان على تحري موقعه من هذا الكون العظيم ، والتفكر في نشأته ومآله .

كما عُرِفَ الفرسُ من قديم الزمان بأنهم عنصر قوي ، دقيق الإحساس ، موفق في الميادين الحربية ، متميز في آفاق الفنون . فلا غرابة إذا ما دبت الروح في الأمة الفارسية في مطلع القرن العشرين وقد شهد لهم بذلك تاريخهم الحافل بالمواقف الثورية [3] .

وتدين إيران بالعقيدة الإسلامية ديناً رسمياً للدولة،وقد اعتنقها أكثر من ٩٥% من سكان البلاد منذ أكثرمن ثلاثة عشرقرناً،واستقرت عقيدتهم على مذهب الإمامية [4].

وأمَّا اللغة الفارسية فقد مرت منذ نشأتها بمراحل ثلاث حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن :

---

[1] ـ صفحات عن إيران : ص١٥٠ _ ١٥٦.

[2] ـ إيران ماضيها وحاضرها : ص ١١١ _ ١١٢ ، وصفحات عن إيران : ص١٢٠ _ ١٢٣ .

[3] ـ حسين مؤنس : الشرق الإسلامي والعصر الحديث ، ط١ ، ص ١٥٨.

[4] ـ صفحات عن إيران ص ١٢٦_١٣٤. يقول الشيخ محمد المدني : الشيعة الإمامية الاثنا عشرية الذين يسكنون إيران وغيرها من البلدان الإسلامية يؤمنون بأصول الإسلام كلها ، وهم يلعنون أهل المذاهب المنسوبة إلى الشيعة من الغلاة في شأن علي ، ويتبرؤون منهم ، ويحكمون بكفرهم =ونجاستهم ، ولهم كتبهم في العقائد ، والفقه ، والأصول ، وأسرار الشريعة ، والأخلاق ، والتصوف . مجلة رسالة الإسلام السنة (١١) العدد الرابع ، ص٣٧٣_٣٨٠.

١_ **المرحلة الأولى** : اللغة الفارسية القديمة المعروفة بـ (الأوستائية) .

٢_ **المرحلة الثانية** : اللغة الفهلوية التي ظهرت في أواسط القرن الأول الميلادي .

٣_ **المرحلة الثالثة** : وهي التطور الأخير للغُة الفارسية الحديثة ، وقد نشأت على أثر ظهور فكرة جديدة ترمي إلى ابتكار لغة فارسية حديثة تأخذ من العربية حاجاتها وضروراتها اللغوية وذلك بعد اعتناق الإيرانيين الدين الإسلامي [١] .

وإلى هذا التأثير يشير الدكتور علي عبد الواحد وافي قائلا : ((إن أثر العربية في الفارسية أوسع نطاقا من أثر الفارسية في العربية ، ويظهر هذا الأثر بشكل واضح في المفردات . فلا تكاد الجملة الفارسية تخلو من كلمة عربية أو أكثر)) [٢] .

الحالة السياسية في إيران

حكمت إيران منذ الفتح الإسلامي أسر عديدة ، كان من بينها الأسرة القاجارية التي حكمت من سنة ١٧٩٥ حتى ١٩٢٤م وكان آخرها أسرة بهلوي التي اندحرت بثورة الشعب المسلم وقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩م .

وخلال القرن التاسع عشر خضعت إيران لسيطرة وتغلغل الرأسمال الاستعماري وكان على شكل اتفاقيات اقتصادية وتجارية غي متكافئة كانت إيران هي الخاسرة فيها على الدوام [٣] .

ويجدر بي أن أذكر بأن (ناصر الدين شاه) _ أحد ملوك الأسرة القاجارية _ كان مناوئاً بشكل سافر للحركة التحررية التي كان يدعو إليها جمال الدين الأفغاني ، فبعد أن استدعاه إلى إيران وكان موافقاً على الإجراءات الإصلاحية التي رآها

---

[١] - صفحات عن إيران : ص١١٥_١١٦.

[٢] - د.علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، القاهرة ، دار النهضة ، ط٧ ، ص١٢٩_١٣٠.

[٣] - حربي محمد ، تطور الحركة الوطنية في إيران من سنة ١٨٩٠ حتى سنة ١٩٥٣ . بغداد . ١٩٧٢ . ط١ ، ص : ٦_٧.

جمال الدين في إيران ، غدر به وحاول قتله . وأخيراً أخرجوه على برذون _ دابة _ هزيلة إلى الحدود العراقية الإيرانية [1] .

كما كان لجمال الدين أثر واضح في مسألة (التنباك) وإثارة الغضب على ناصر الدين شاه [2] ، فقد ثار علماء الدين في إيران على الامتياز الذي يعطي لشركة انجليزية حق احتكار التنباك لمدة خمسين عاماً ، وأصدر في عام ١٨٩١م آية الله ميرزا محمد حسن الشيرازي فتواه المشهورة بتحريم تدخين (التنباك) وألغي الامتياز المذكور في عام ١٨٩٢ [3] .

إيران والحرب العالمية الأولى

(١٩١٤ _ ١٩١٧ م)

على الرغم من عدم اشتراك دولة فارس (إيران) في الحرب العالمية الأولى وإعلان حيادها ، فقد أصبحت مسرحا للعمليات العسكرية ، إذ احتل الروس المناطق الشمالية من إيران واحتلت بريطانيا المناطق الجنوبية منها ، واجتاز الأتراك حدود فارس الغربية بعد انتصارهم على القوات البريطانية في كوت العمارة بالعراق متجهين صوب العاصمة طهران للحيلولة دون الاتصال بين البريطانيين والروس بيدّ أنهم ما لبثوا أن انسحبوا بأمرٍ من حكومتهم [4] . وإزاء خطر الاحتلال تشكلت جماعة أطلقت على نفسها اسم (جماعت اجتهاد إسلام) وجعلت من (قم) مقراً لها فضمّتِ الناقمين على الروس والبريطانيين من

---

[1] ـ أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٩٦ _ ٩٧ ينظر : صفحات عن إيران : ص ٨٦.

[2] ـ أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، ص٩٨ . والتنباك : نوع من أنواع التبغ كان شائعا في إيران في القرن التاسع عشر إذ كان يوضع في النارجيلة لتدخينه (د. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ٩٣/٣ _ ٩٤).

[3] ـ انظر تطور الحركة الوطنية في إيران : ص ٧ _ ٩ وتاريخ الأستاذ محمد عبده للشيخ رشيد رضا : ٥٥/١ _ ٥٦ ، ٦٢ ، وصفحات عن إيران ، ص٨٦ ، وكتاب هبة الدين الشهرستاني للسيد محمد مهدي العلوي ، بغداد ، مطبعة الآداب ١٩٤٨ ، ص ٦.

[4] ـ تاريخ الشعوب الإسلامية : ص ٦٨٢.

الإيرانيين . كما اكتسب البترول الإيراني في هذه المرحلة أهمية كبيرة بعد نشوب القتال ، وأصبح هدفا للأطراف المتصارعة . وصفوة القول : أن إيران وجدت نفسها محتلة كُرْهاً ، ولم تعد تتمكن من إحكام سيطرتها على أراضيها.

وبعد الحرب العالمية الأولى انتهزت بريطانيا فرصة إخلاء القوات الروسية للأراضي الإيرانية ؛ فاستولت بدورها على كافة المناطق الإيرانية . ولكن بريطانيا اضطرت إلى توقيع اتفاقٍ ١٩١٩م يقضي باستقلال فارس وسلامة أراضيها ، وتوالت الأحداث ، وتفاقمت قوتها حتى ثار الشعب المسلم على الحكومة المركزية في إيران لشعورهم بالوصاية البريطانية على بلادهم من الناحية الاقتصادية . وتحت وطأة النقمة الجماهيرية ألغي ما بصددها من اتفاق اقتصادي .

وأما الاتحاد السوفيتي فقد تغيرت سياسته تماما بعد انقلاب عام ١٩١٧م ، فألغيت الامتيازات التي كانت قد حصلت عليها روسيا القيصرية ، واعتُرِف لإيران بمكانتها الرسمية وسلطتها على كافة مناطقها ، ولكن على صعيد آخر شجع الاتحاد السوفيتي الحركات الانفصالية في إيران بهدف إتعاب الحكومة الإيرانية ، واستفزاز الوجود البريطاني فيها [١] .

وفي عام ١٩٢١ تمكن رضا خان بهلوي من القيام بانقلاب ، وإسقاط الوزارة وإحلال وزارة السيد ضياء الدين الطباطبائي محلها ، وأصبح رضا خان وزيراً للحربية [٢] .

---

[١] ـ تاريخ إيران السياسي : ص ٢٨_٣٩.

[٢] ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٧٩١_٧٩٢. السيد ضياء الدين الطباطبائي صحفي وطني ثائر . جل أفراد أسرته من العلماء والمتفقهين كان كاتبا ناقدا ورئيس تحرير صحيفة رعد .(تاريخ إيران السياسي ، ص ٤٧) . ويرى بعض الباحثين السياسيين أن أهداف الانقلاب الذي أتى برضا بهلوي إلى الملك هي محل جدل بين المؤرخين فقد قيل إن الانجليز هم الذين حرضوا على هذا الانقلاب .(مجلة السياسة الدولية ، السنة الثانية ، العدد الرابع ، ١٩٦٦ . د.صلاح العقاد في موضوع (السياسة الإيرانية والاستعمار الجديد ، ص٣٠).

ومع هذا التغير الواضح في الحكومة الإيرانية فإن دكتاتورية رضا خان كانت بارزة بوضوح . ومن أول مظاهر هذه الديكتاتورية أن نحى الطباطبائي عن رئاسة الوزارة ونفاه إلى فلسطين[1] .

وفي عام ١٩٢٥م أُعلِنَ إنهاء حكم الأسرة القاجارية [2] واختير رضا خان أول ملك للدولة البهلوية في إيران عام ١٩٢٦ [3] .

وبذلك يكون قد بدأ عهد الأسرة البهلوية التي لم تقلَّ مآسيها عن مآسي الأسرة القاجارية على الشعب الإيراني المسلم . ولم يترك رضا خان زمام المبادرة لأية حركة إسلامية شعبية [4] وقد عمد إلى ممارسة الديكتاتورية وسحق الحركة الشعبية التي نمت منذ الثورة الدستورية في عام ١٩٠٦م وتفتيت معارضتها [5] .

وكان رضا خان معجبا بكمال أتاتورك ، وبالمثاليات الغربية التي اجتاحت العالم آنذاكَ ، فمن خلال سطوته وشدة قسوته في حكمه نفذ إلى أقدس شيء لدى الأمة الإيرانية وهي (الشريعة الإسلامية) فقد أحل القانون المدني المستمدّ من القانون الفرنسي بدلاً من تطبيق الشريعة الإسلامية ، وحدَّ من المدارس الدينية ، واستبدل بها مدارس عصرية ، وأضفى الصبغة الأوربية على سلوك المرأة الإيرانية مبتدئاً بنزع الحجاب في سنة ١٩٣٠م وإلغائه وتحريم ارتدائه . وفي سنة ١٩٣٥م حظر الشاه _ بقرار منه _ على الفتيات والمعلمات وضع الحجاب على وجوههن ، كما حرّم على ضباط الجيش مصاحبة أية فتاة من ذويهم وهي ترتدي الحجاب [6] .

1- تطور الحركة الوطنية في إيران : ص١٥.

2- تاريخ الشعوب الإسلامية : ص٧٩٦.

3- إيران ماضيها وحاضرها : ص١١٧.

4- تاريخ إيران السياسي : ص٧٥_٧٦.

5- تطور الحركة الوطنية : ص١٧.

6- تاريخ الشعوب الإسلامية : ص٧٩٨ وتاريخ إيران السياسي : ص٧٦ ، ٨٥ وانظر : د.محمد حسين هيكل : الشرق الجديد ، القاهرة ، مطبعة مخيمير ، ص ١٢٩.

وعمد كذلك إلى إضعاف مركزية علماء الدين فأفقدهم سيطرتهم على أموال الأوقاف الطائلة ، وصار الزي الديني لا يلبس إلاّ بتصريح خاص ، وأنشئت المكاتب لتسجيل الزواج والطلاق المدنيين ، وألغيت الاحتفالات الدينية [1] .

ومن مظاهر انتزاعه إيران من ماضيها الإسلامي إلغاؤه اسم فارس واختيار اسم إيران رسمياً في سنة ١٩٣٥م وهو الاسم الذي يربط إيران بالجنس الآري ، وبمجدها القديم على العهد الإسلامي [2] .

وفي عهد رضا شاه صودرت حرية الكلام والصحافة ، وأنشأت الدولة إدارة خاصة لتوجيه الرأي العام ، وعلى حد قول _ دونالد ولبر _ أنه وجدت حالة إضعاف للأساس الخلقي ، كما وجد جو شامل من الضعف والإذعان في عهد رضا شاه [3].

إيران والحرب العالمية الثانية

على الرغم من موقف إيران المحايد إزاء الحرب العالمية الثانية ، فقد احتلت من قبل الحليفتين (بريطانيا والاتحاد السوفيتي) باعتبارها أقصر الطرق لإرسال الإمدادات العسكرية لمواجهة الزحف الألماني وانتصاراته المتلاحقة في أعقاب هزائم الجيوش السوفيتية . وفي عام ١٩٤١ أُجبِرَ رضا خان بهلوي على التنازل لابنه محمد رضا عن العرش [4].

وعلى الرغم من دخول إيران الحرب ضد ألمانيا عام ١٩٤٣م دون أيِّ مبرر عسكري أو سياسي لم تتغير الروح التوسعية لكلٍّ من بريطانيا والاتحاد السوفيتي في إيران ، فقد شجعت هاتان الدولتان الحركات الانفصالية في إيران مثل حركة الأكراد ١٩٤٦م ، وحركة أذربيجان الإقليمية . وكانتا بإيعاز من الاتحاد السوفيتي ،

---

[1] ـ إيران ماضيها وحاضرها : ص ١١٩ ، وتاريخ إيران السياسي : ص ٨٩.

[2] ـ مجلة السياسة الدولية ، السنة الثانية ، العدد الرابع ، د.صلاح العقاد ، ص ٣١.

[3] ـ إيران ماضيها وحاضرها : ص ١٢٠.

[4] ـ تاريخ إيران السياسي : ص ٩١_٩٤ ، وإيران ماضيها وحاضرها : ص ١٢٠_١٢٢.

وأما بريطانيا فقد شجعت القبائل البختيارية في الجنوب ، كما أثارت قضية عربستان ؛ وكان ذلك بدافع الهيمنة وبسط النفوذ [1].

وقد عهُدَّت حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية بالنسبة إلى إيران حقبة سباق للحصول على امتيازات بترولية للدول الكبرى . وفي هذه المرحلة أخذت أمريكا تتدخل بشكل فعّال في شؤون إيران ، وقد بدأ يستقطب المعادلة السياسية الدولية آنذاك قطبان هما : أمريكا وروسيا يمثل كلٌّ منهما معسكراً له استراتيجيته الخاصة به ، وانتهى الأمر ببسط أمريكا نفوذها على إيران وانحسار النفوذ الروسي منها بشكل كبير . وقد حاولت الشركة البريطانية للبترول أن تطرح مشروعاً جديدا في سياستها البترولية ، لكن البرلمان الإيراني رفض ما طرحته هذه الشركة من مشروع رامت من ورائه ابتزاز المصالح الوطنية الإيرانية . وتضامناً مع النزعة الإسلامية التحررية قُتِلَ رئيس الوزراء (علي رزم آرا) علي يد حزب (فدائيان إسلام) الذي يتزعمه الزعيم الديني والسياسي (نواب صفوي) وقد بارك آية الله الكاشاني مقتله بقوله : ((إن الرصاصات التي أردَتْ رزم آرا قتيلاً كانت رصاصات مباركة مصحوبة بالتوفيق ، لقد كسبنا معركة البترول ، سيؤمم البترول رغم أنف الخائن المضرج بدمه)) [2] .

وتميز حكم محمد رضا بهلوي بالقوة كحكم أبيه ، وكان يتملَّق سادته المستعمرين ويرضيهم على حساب وطنه حتى يحفظوا له عرشه ، ففي يوم ٥ يونيو ١٩٦٣م نزلت قوات الجيش والبوليس الإيراني إلى الشوارع لمواجهة الشعب الغاضب .

وأطلقت الرصاص على المتظاهرين فسقط مئات الجرحى والقتلى ، وكان الشعب الإيراني يهتف بسقوط الديكتاتورية ، وبقطع كلَ علاقة مع الكيان الصهيوني ، وتحولت طهران إلى ساحة قتال ، فأغلقت المتاجر ومؤسسات الحكومة ، وتركزت

---

[1] ـ مجلة السياسة الدولية : ص ٣٣_٣٥.

[2] ـ تاريخ إيران السياسي : ص١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٥_١٢٨ ، وايران ماضيها وحاضرها : ص١٢٩.



الحماية العسكرية بشكل غريب لحماية الشاه من غضبة الشعب المسلم . وقد بدأت هذه الاضطرابات العنيفة المعادية للشاه على أثر إلقاء القبض على الإمام المفدى آية الله روح الله الموسوي الخميني ، ومساعده تقي فلسفي ونحو عشرين شخصاً من أتباعه . كما هوجمت الإذاعة ومبنى وزارة الاقتصاد ودار جريدة (اطلاعات) الموالية للشاه ، وأخذ كل تجمع عادي يتحول إلى اجتماع سياسي تنبثق عنه مظاهرة ضخمة ، كما خرجت يومها جامعة طهران في مظاهرة كبيرة تأييداً للزعماء الدينيّين ، وأصدر علماء الدين منشوراً يدعو إلى الجهاد والحرب المقدسة ضد نظام حكم الشاه[1] .

وهكذا أخذت الأحداث تتلاحق سراعاً حتى أسقط النظام الملكي البهلوي عام ١٩٧٩ بقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية [2] .

مما تقدم يمكننا أن نتلمس الدور الكبير الذي كان يمثله علماء الدين في هذه الأحداث ، وأثر الروح الإسلامية في الأمة ، كما تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الأحداث كانت تحيط بالمفسِّر وخاصة لو لاحظنا بيئاته الثلاث (تبريز والنجف وقم) التي سيأتي الكلام عنها ، إذ كانت متميزة ومَعروفة بوزنها العلمي ، ومواقفها الجهادية ، وأحداثها السياسية المهمة .

---

[1] - جاد طه : إيران وحتمية التاريخ ، القاهرة ، ص١٢٠_ ١٢١ ، ١٣٧_ ١٤١ ، وانظر : جريدة الأهرام المصرية الصادرة في ٤ يونيو (حزيران) ١٩٧٩ ص٤ ، وجريدة الأخبار المصرية الصادرة في ٤ يونيو (حزيران) ١٩٧٩ ص٢.

[2] - وبهذا الختام تكون قد تحققت نبوءة المصلح الكبير جمال الدين الأفغاني حين قال : ((إن في شعب إيران حيوية كامنة لابد أن تظهر في يوم من الأيام ، وإن في أفراده ذكاء خارقا يؤهله للصعود في معارج التقدم والكمال حينما تتهيأ له الظروف المواتية)) .(انظر كتاب جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني ، ميرزا لطف الله خان ، القاهرة ، المطبعة العربية ، من مقدمة المترجمين صادق نشأت وعبد النعيم محمد حسنين : ص ٢٢).

بيئته

للمفسر بيئات ثلاث تنقّل بينها ، فتبريز مسقط رأسه ، والنجف الأشرف محل إقامته العلمية التي امتدت به عشر سنوات ، وأخيرًا (قم) مركز نشاطه العلمي . وتعد هذه البيئات الثلاث من أكبر المراكز العلمية ، وقد خرَّجت أعداداً كبيرةً من العلماء المجتهدين .

تبريز: تعد أشهر مدن آذربيجان ، وهي مدينة عامرة حسناء ، في وسطها عدة أنهار جارية ، والبساتين محيطة بها ، ويومئذ كانت قرية حتى نزلها الرَّواد الأزدي ، المتغلب على أذربيجان في أيام المتوكل العباسي ، ثم إن الوجناء بن الرَّواد بنى بها هو وإخوته قصوراً ، وحصَّنَها بسور ، فنزلها الناس معه [1].

وكانت تسمى سابقا بمدينة (كادرس) [2] ، ولتبريز أهمية عظيمة في تاريخ إيران فهي تُعدُّ ثانية مدن إيران بعد طهران ، وتتصل بها بخط حديد ينتهي إلى ما وراء الحدود بالأراضي السوفيتية ، كما لها منزلة ممتازة في نظر الإيرانيّين لأنها منبع الحرية والأحرار ، حيث كان أهلها في مقدمة صفوف الأحرار الذين نهضوا لتحرير إيران من بقة الاستبداد ، كما أن دورها لا يُنسى في إقامة الحكومة الدستورية عام ١٩٠٦ ، وعلى المستوى الجامعي الحديث تعد جامعتها الثانية بعد جمعة طهران ، ولها _ منذ القدم _ شهرة فائقة في صناعة الجلود والسجّاد المعروف باسمها في الأسواق العالمية ، كما أنها اشتهرت بجوها الصحي اللطيف وهو سبب تسميتها بتبريز الذي معناه : قاطعة الحُمّى ومزيلة الأمراض .

وقد أنجبت تبريز جماعة من علماء العربية منهم أبو زكريا المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) وتتبعها إدارياً مدينة (أردبيل) الوطن الأول لأجداد الأسرة الصفوية ، ومدينة (مراغة) المشهورة بمرصدها التاريخي الذي شيده

---

[1] ـ الحموي : معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٣/٢.

[2] ـ شاهين مكاريوس : تاريخ إيران ، مصر ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٨ ، ص٥.



خواجة نصير الدين الطوسي في عهد المغول ، كذلك مدينة (رضائية) وفي شمال رضائية مدينة (خوي) [١] .

وتعد تبريز منذ عصر الصفوية إلى يومنا هذا من كُبريات بلدان الشيعة ومراكز العلم ، وفيها مدارس عالية لطلاب العلوم الدينية وقد تخرج فيها جمع كثير من أكابر العلماء خدموا الدين بتآليفهم المطبوعة خير خدمة ، وفيها مطابع حجرية [٢] .

النجف : اسم عربي ومعناه (المنجوف) كالعدد بمعنى المعدود [٣] والنجف والنجفة بالتحريك : مكان لا يعلوه الماء ، مستطيل منقاد ، والجمع نجاف [٤] والنجف بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها ، ويتوسط النجف قبر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) وتعرف بالحضرة العلوية الشريفة [٥] .

وكان الماء المستعمل للشرب وغسل الثياب في النجف ينقل من جدول جيء به من الحيرة ، وكان ينقطع في الصيف بسبب العواصف الرملية ، وفي الشتاء أيضا بسبب المطر الذي يهيل الرمل عليه فيطمه ، وعلى النجف سور عظيم محكم مبني بالجص والآجر ، وإنما بني هذا السور لصدّ هجمات الوهابيّين والغزاة الذين هاجموا النجف مرات عديدة [٦] .

وتمتاز النجف بطابعها العلمي فمن يزرها يجد أعداداً كبيرة من المكتبات والمدارس العلمية والمساجد التي تقام في فيها الدروس العلمية على النمط الحوزوي .

---

[١] - صفحات عن إيران : ص ٢٨ _ ٣٠.

[٢] - محمد مهدي الأصفهاني ، أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة ، النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٨ه ، ط١ ، ٣١٨/٢.

[٣] - موسوعة العتبات المقدسة : ٩/١.

[٤] - الجوهري : الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ، مطبعة دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٤٢٩/٤.

[٥] - انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مطبعة الأميرية ببولاق مصر ، ١٣٠١ هـ ، ط١ ، ٢٣٥/١١ _ ٢٣٦ . والقاموس للفيروز آبادي ، المطبعة الأميرية ببولاق مصر ، ١٣٠١ هـ ، ط٣ ، ١٩١/٣ ، وتاج العروس للزبيدي ، بيروت مطبعة دار صادر ، ١٣٨٦ هـ ، ٢٥١/٦ ، ومعجم البلدان : ٢٧١/٥.

[٦] - رحلات السيد محسن الأمين ، الناشر أحمد رضا ، دار التراث الإسلامي ، ٩٦ _ ٩٧

وقد أُسست الحوزة العلمية في النجف بعد هجرة الشيخ محمد ابن الحسن الطوسي من بغداد إليها عام ٤٤٨ هـ حيث بدأ ينشىء حوزة فتية حوله من أولاده والراغبين في الالتحاق بالدراسات الفقهية من أبناء النجف ومجاوريها[١].

وتعد النجف من أعظم مراكز العلم ، ويرحل إليها الطلاب من جميع البلدان [٢] .

يقول السيد الأستاذ محمد تقي الحكيم : ((النجف هي الجامعة الإسلامية التي مرَّ على تكوينها أكثر من ألف عام ، وهي ما تزال محتفظة بمركزها العلمي ... وإليها وإلى الأزهر في مصر يعود أكبر الفضل في وصل حلقات الثقافة الإسلامية بعضها ببعض ، والاحتفاظ بسلسلتها نقية عبر تلكم العصور المظلمة التي كان الجهل والجمود يتحكّمان في أكثر معاهدها الثقافية)) [٣] .

النجف ما بين ١٩٢٣ _ ١٩٣٣ :

نتعرض هنا للفترة التي عاشها المفسر في النجف الأشرف ، مبينين أهم الأحداث التي خاضت غمارها هذه المدينة ، ففي دراسة أية شخصية ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار المؤثرات البيئية ، ومدى انعكاسها فيها ، ولربما حصلت أحداث لها الصدارة في تاريخ أمةٍ مّا ، أو أنها ميزت تاريخ تلك البيئة التي عاشت في كنفها تلك الشخصية ، فهي _ أي الأحداث _ وإن سبق وقوعها وجود هذه الشخصية فإنها تبقى صدىً مدويا في أجواء بيئته يستلهم منها ويستفيد من ملابساتها ، وعليه فلابد من إلقاء ضوء على أهم تلك الأحداث التي سبقت وجوده، وتركت آثارها أخاديد عميقة في تاريخ تلك الأمة أو هذه البيئة .

---

[١] ـ الشهيد السيد محمد باقر الصدر : المعالم الجديدة للأصول ، النجف ، مطبعة النعمان ، ١٣٨٥ هـ ، ٦٣/١ _ ٦٤.

[٢] ـ محمد مهدي الأصفهاني : أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة ٢٨٨/٢.

[٣] ـ انظر التمهيد والتقدم (للسيد محمد تقي الحكيم) لكتاب النص والاجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين ، مطبعة النجف ، ١٣٧٥ هـ ، ص ٢٠.

فالنجف _ التي أقام فيها مفسرنا سنواته العش هذه في سبيل إكمال دراسته العلميـة _ كانت متأثرة بتاريخ العراق السياسي العام خلال هذه الفترة باعتبارها جزءاً منه ، وقد جمعت إلى ذلك أحداثا ميزت تاريخها وسمت بها إلى علياء التضحية والفداء ، فالمفسر الذي عاش هذه الفترة بصورة خاصة وتنسَّمَ تاريخ النجف الحافل بالحركة والعطاء لابد أن ينعكس عليه هذا التاريخ وتلكم الأحداث [١] سلبا وإيجابا ، ((لأن من شأن المحيط أن يؤثر تأثيراً كبيراً في نشأة الفرد من الناحيتين العقلية والعاطفية معاً)) [٢] .

الثورة على الأتراك :

حكم النجف أهلها ما بين ١٩١٥ _ ١٩١٧م وبقيت على هذه الحالة حتى بعد دخول الإنجليز العراق [٣] .

وكان سبب هذه الثورة _ على قول (المس بل) _ هو تخلي الحكومة العثمانية عن التزاماتها تجاه أهل المدن المقدسة التي كان أهمها إعفاءَهم من الخدمة العسكرية ، كما علم أن الأتراك قرّروا مصادرة محتويات (الخزائن) الموجودة في العتبـات المقدسة ، إلى جنب اعتداءاتهم الفعلية على الثوار وأهالي النجف ، وأخيرًا استسلم الجنود الأتراك للأهالي الثائرين بعد قتال دام ثلاثة أيام ، وكان حكم النجف في هذه الفترة المذكورة بقيادة آية الله السيد كاظم اليزدي الذي قاد هذه الحركة بنفسه [٤] .

---

[١] ـ لم يحجم النجف عن مناصرة الحركة الدستورية التي اندلعت في إيران _ والتي تكلمنا عنها _ فقد ناصر علماء النجف هذه الثورة الإسلامية ، وجهدوا أنفسهم في إمدادها حتى نجاحها في ١٩٠٦ بإعلان الدستور (محمد مهدي الآصفي ، مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها . النجف ، مطبعة النعمان ، ١٣٨٤ هـ ، ص ٨٤ _ ٨٦).

[٢] ـ انظر : المصدر السابق نفسه : ص ٣.

[٣] ـ د.عبد الله فياض : الثورة العراقية الكبرى ، ص ١١٦.

[٤] ـ جعفر الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم النجف ، ١/٢٥٠ _ ٢٥١.

ثورة النجف :

على أثر سوء معاملة البريطانيين للعراقيين بعد الاحتلال ، وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى ، نقم الناس، وتألفت (جمعية النهضة الإسلامية) السرية،وكان قوامها فريق من الروحانيين ، ولفيف من رؤساء النجف وبعض شبانها ، واستحسنت اغتيال الحاكم البريطاني كذريعة للقيام بثورة يمتد لهيبها إلى جهات مختلفة ، وفعلاً تم قتل معاون الحاكم (الكابتن مارشال)[١] وحوصرت النجف أربعين يوما حتى جاع الناس وقلت مياه الشرب ، وطالب المحتلون البريطانيون الأهالي بشروط مجحفة ، وإعدام اثنا عشر ثائراً ، وحكم على آخرين بالسجن والنفي[٢].

ومهما يكن فان ثورة النجف تعد الخطوة الأولى لتفجير ثورة ١٩٢٠ [٣]، وأشارت (المس بل) المستشرقة البريطانية إلى أن هذه الثورة كانت مقدمة لثورة العشرين ، وأن كربلاء والنجف بقيتا تكونان قنبلة مزدوجة للفوران السياسي الذي كانت تسهل إثارته برد الفعل للحوادث التي تقع في إيران أو بما يحدث في العراق نفسه [٤] .

الثورة العراقية الكبرى :

إلى النجف تعود الشرارة الأولى في تفجير هذه الثورة العملاقة نظراً للنفوذ الديني والاجتماعي الذي كانت النجف تتمتع به بين القبائل الفراتية [٥] ، وكانت بداية هذه الثورة أن عقد اجتماع سري في مدينة النجف في نهاية جمادى الأولى عام ١٣٣٨هـ ضم عدداً كبيراً من علماء الدين وزعماء قبائل الفرات الأوسط وأحراره

---

١ ـ عبد الرزاق الحسني : العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، سورية ، صيدا مطبعة العرفان ، ١٣٥٤ هـ ، ٣٦/١ _ ٣٧ وانظر : د.زكي صالح ، مقدمة في دراسة العراق المعاصر ، بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٠٥٣ ، ص ٢٧.

٢ ـ العراق في دوري والانتداب ، ٣٧/١ ، وموسوعة العتبات المقدسة ٢٦٧/١ ، ٢٧٠ وانظر : أمين سعيد : ثورات العرب في القرن العشرين ، القاهرة ، مطبعة دار الهلال ، ص ١٣٠ _ ١٣١.

٣ ـ العراق في دوري الاحتلال والانتداب : ٣٨/١.

٤ ـ موسوعة العتبات المقدسة : ٢٧٠/١.

٥ ـ مقدمة في دراسة العراق المعاصر ، ص٢٧ ، ٢٩ . وانظر : موسوعة العتبات المقدسة : ص ٢٧٦.

، وقرروا نشر الدعوة للقضية الوطنية في أنحاء البلاد وقد باركهم آية الله محمد تقي الشيرازي الزعيم الروحاني صاحب النفوذ الكبير بقوله : ((إذا كانت هذه نواياكم وهذه تعهداتكم فالله في عونكم)) [١] .

وانطلقت الثورة في أماكن عديدة من الفرات الأوسط ، وكانت المساعدات وتجهيزات المجاهدين تحمل من النجف بفضل علماء الدين ، وتجمع التبرعات والضرائب الشرعية بأوامر العلماء وفتاواهم [٢] .

وقد أصدر آية الله الشيرازي بياناً دعا فيه العراقيين للانضمام إلى المظاهرات السلمية والمطالبة باستقلال العراق في ظل حكومة إسلامية ، وأفتى أيضا بأنَّ ((المطالبة بالحقوق واجبة على العراقيين ، ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن ، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنجليز عن قبول مطالبهم)).وبعد ذلك عمت الثورة جميع الفرات الأوسط [٣].

وانتهت هذه الثورة العملاقة بعد أن استمرت أربعة أشهر وسبعة وعشرين يومًا ، وحققت للعراق جانباً كبيراً من مطالبه ؛ فأُنشئت أول دولة عربية في ٢٣ أغسطس ١٩٢١ [٤] وبتاريخ ١١ تموز من العام نفسه اتخذ مجلس الدولة العراقي قراراً بإعلان الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق [٥] . وعن دور علماء الدين في الثورة تقول (المس بل) : ((إنَّ رجال الدين كانوا من أكبر دعاة الثورة في العراق خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها ، وهذا ما دعا رجال الحكم إلى إنشاء

---

[١] ـ العراق في دوري الاحتلال والانتداب : ص ٩٦ _ ٩٨.

[٢] ـ مقدمة في دراسة العراق المعاصر : ص ٤٥.

[٣] ـ العراق في دوري الاحتلال والانتداب : ص ٩٧ ، ١٠٤.

[٤] ـ ثورات العرب في القرن العشرين ، ص ١٣٢.

[٥] ـ مقدمة في دراسة العراق المعاصر ، ص٥٣_٦٢.

المدارس الحديثة لكي يضعفوا بها الدين في نفوس الجيل الجديد ، ويقتلعوا بذلك جذور الثورة من أساسها))[1] .

كما لا يخفى أنَّ المجتهدين من علماء الشيعة الإمامية هم مرجع جميع الشيعة في تلقي الفتاوَى والأحكام الدينية كما يعدونهم نواب الأئمة الاثني عشر فلا يخالفون لهم أمراً ولا فتوى أو حكماً من الأحكام الشرعية [2] .

ومن أصدق هذه المواقف فتوى الإمام الشيرازي في مقاطعة الانتخابات التي رغبت فيها السياسة البريطانية ، قال فيها : ((ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب أو يختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين)) [3] .

وفي ٢٤ تموز ١٩٢٣م تم التوقيع على معاهدة (لوزان) وصودق عليها في ٦ آب عام ١٩٢٤ ، فأعطت الصيغة النهائية لمبدأ الانتداب على البلاد المنسلخة من الدولة العثمانية ، كما ضمنت المعاهدة للجانب البريطاني مصالح واسعة النطاق على حساب الشعب العراقي ، وإزاءها اشتدت المعارضة ، ونفي عدد من الزعماء إلى جزيرة (هنجام) كما أجبر الشيخ العلامة محمد مهدي الخالصي على ترك البلاد فذهب إلى إيران ، وكذلك العلامة السيد محمد الصدر [4] الذي كان في مقدمة

---

[1] - د. علي الوردي ، وعاظ السلاطين ، ١٩٥٤م ، ط١ ص ٣٩٨.

[2] - عبد الرزاق الحسني ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب : ٦٦/١. وانظر : عبد الرزاق الحسني _ أيضا _ الثورة العراقية الكبرى ، صيدا مطبعة العرفان ، ١٣٨٥هـ ، ط٢ ، ص٥٩ ، ٨٤.

[3] - جعفر باقر آل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، صيدا ، مطبعة العرفان ١٣٥٣هـ ، ص ٢٥٨ ، وانظر ثورات العرب في القرن العشرين ، ص ١٣٠ وانظر : العراق في دوري الاحتلال والانتداب : ٧١/١ _ ٧٤.

[4] - مقدمة في دراسة العراق المعاصر : ص ٦٣ _ ٦٤ ، ٦٩ _ ٧٠. وعلى أثر إبعاد الشيخ محمد مهدي الخالصي إلى إيران قامت قيامة الشعب العراقي ، وشمل هذا الاستياء بنوع خاص رجال الدين وحملة العلم وفي مقدمتهم : السيد أبو الحسن الأصفهاني ، والميرزا حسين النائيني – احد شيوخ المفسر- وقد غادروا العراق احتجاجا على هذا العمل وذلك في أواخر١٩٢٣ ، وأوجد هذا الإجراء المتاعب الكثيرة للحكومة العراقية لما للعلماء من مكانة مرموقة في الأمة ، وقد عاد الحجتان الأصفهاني والنائيني إلى العراق بتاريخ ١٨ رمضان سنة ١٣٤٢هـ (٢٢ نيسان ١٩٢٤م).

الزعماء البارزين وكانت له اليد الطولى في إشعال الثورة الكبرى في العراق عام ١٩٢٠م [١] .

وحاول ملك العراق فيصل الأول أن يسترضي الشيعة _ على قول أيرلاند _ فزار النجف وكربلاء زيارة رسمية في كانون الأول ١٩٢٣م لكنه جوبه بمعارضة قوية لما كان يحمل في جعبته من خطط للتمهيد لإجراء الانتخابات وتأليف المجلس التأسيسي الذي كانت مهمته التصديق على المعاهدة ووضع الدستور [٢] .

وفي ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ عقدت معاهدة بين بريطانيا والعراق ، كما عقدت بين بريطانيا وتركيا والعراق في ٥ حزيران من العام نفسه معاهدة أخرى ورد فيها اعتبار الحدود (نهائية ولازمة) ، وتنظيم حسن الجوار بين تركيا والعراق ، وكان الغرض من هذه المعاهدة التلطيف من حدة المعارضة واستمالة المعتدلين من المعارضين .

وفي ١٤ كانون الأول ١٩٢٧ عقدت معاهدة أخرى مع بريطانيا ولكنها جاءت أقل بكثير مما كان يأمله العراقيون ، والجديد فيها هو تأييد بريطانيا لدخول العراق عصبة الأمم سنة ١٩٣٢ شرط الاحتفاظ بمعدل التقدم الحاضر في العراق ، وسير الأمور سيراً حسنا خلال هذه الفترة ، وهذا ما يتعارض وروح المعارضة مما ساعد على استثارتها بشكل اكبر . وفي السابع من كانون الثاني ١٩٢٨م اضطر رئيس الوزراء إلى الاستقالة [٣] .

ويقول المستر (لونكريك) المستشرق البريطاني في كتابه : العراق بين ١٩٠٠ – ١٩٥٠ : ((إن سنة ١٩٢٨ تتميز بثلاثة أمور ذات أهمية سياسية خاصة منها :

---

[١] - (كتاب - الإمام أبو الحسن الأصفهاني) للأستاذ صالح الجعفري ، المطبعة الحيدرية . النجف . ١٣٦٦ ، ص ٤٧ – ٤٨).

[٢] - محمد عبد الفتاح اليافي : العراق بين انقلابين ، بيروت ، ١٩٣٨ ، ص ١٢٧.

[٣] - موسوعة العتبات المقدسة : ٣٠٣/١ _ ٣٠٤ .

ظهور العنصر الشيعي ، من دون دلائل مسبقة ، كقوة سياسية على مسرح الحوادث في البلاد)) [١] .

وأخذت الأحداث تتلاحق ، والجو السياسي يكفهر بشكل أوسع ، وتميزت هذه المرحلة بقصر أعمار الوزارات المتتابعة . وفي ٣٠ حزيران ١٩٣٠م أبرمت معاهدة استقلال العراق ولكن بقي العراق مقيّداً بالنفوذ والمصالح البريطانية إلى حدٍ بعيد [٢] .

وبيانا لدور العلماء ومواقف النجف الجهادية في سبيل التحرر عقب انتهاء هذه الفترة من تاريخ العراق نذكر ما قاله المستر (لونكريك) : ((ولئن أصبحت القيادة الشيعية في ١٩٣٢م وما بعدها أقل تعصبا وابتعادًا عن العراق ، فإن علماء النجف ظلوا يحتفظون بالكثير من السلطة والنفوذ ، وبقيت الشيعة _ وهي القوة الموحدة لكتلة كبيرة من السكان _ دائمة التذمر والهياج ، والفكرة التي تسمو على ولاء العشائر وإخلاصهم . وكثيرا ما كانت هذه الفكرة الّتي تقترن بالابتعاد عن المركزية القريبة من الفوضوية (على حد قوله) منبعا رئيسيا لمشاكل الحكومة ومصاعبها [٣])) .

قم :

تقع (قم) جنوبي طهران على بعد (١٤٠) كيلومترا [٤] ، وتُعَدُّ من المدن التاريخية ذات القدسية في إيران وفي العالم الإسلامي ، وكانت تعرف قبل الفتح الإسلامي للبلاد الإسلامية بـ (كَمْ) بفتح الكاف لأنها كانت قرية صغيرة تقع في محل (قم) الحالية ، ومعنى (كَمْ) بالفارسية (القليل) . ولما استولى عليها العرب استبدلوا الكاف بالقاف المضمومة ، وكان ذلك على أثر قتل الحجاج الثقفي

---

[١] ـ مقدمة في دراسة العراق المعاصر : ص ٧٣ – ٨٨.
[٢] ـ موسوعة العتبات المقدسة : ٣٠٥/١.
[٣] ـ ثورات العرب في القرن العشرين : ص ١٣٣.
[٤] ـ موسوعة العتبات المقدسة : ٣٠٨/١.



في العراق لمحمد بن سائب الأشعري عميد قبيلة الأشاعرة العربية ، فنزحت هذه القبيلة قاصدة ناحية أصفهان من إيران حتى استقر بهم الأمر في (قم) .
ومما عزز مكانتهم في نفوس أهل(قُمْ)هو صَدُّها للغزو الذي قامت به عشائر الديلم [1] .
يقول ياقوت الحموي : ((وهي – يعني (قم) – مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها ، وأول من مصَّرها طلحة بن الأحوص الأشعري)) [2] .
وأخذت هذه المدينة بعد سنة (٨٣ هـ) تتسع ، وينتشر فيها العمران ، وتشاد على أرضها المساجد والمدارس الدينية والمعاهد العلمية ، كما دفنت فيها فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم (ع) المعروفة (بمعصومة قم) وأصبحت مزاراً مهما [3] .
وتعد (قم) من كبريات المدن الإيرانية ذات المركز التجاري المهم ، ويحيط بقسم كبير منها نهر (قم) الذي يطغى بمياهه في فصل الربيع ، ويجف في فصل الصيف . وتتبع (قم) إلى طهران وتتبعها نواح كثيرة ، كما يمر بها الخط الحديدي الرئيسي الذي يربط العاصمة طهران بالخليج جنوباً وببحيرة خزر شمالاً .
كما أن لها موقعًا تجاريًّا واقتصاديًّا مهمان ، أما الجو فيها فحارٌ جافٌ صيفا ، وباردٌ شتاءً تسقط فيه الثلوج ، أما في الفصول الأخرى من السنة فجوها معتدل [4].
هذا وقد عثر خلال السنوات الأخيرة في القسم الشمالي من المدينة على بعد عشرة كيلومترات تقريبا على آبار غزيرة من النفط لكنها لم تستغل لحد الآن [5] .

---

[1] ـ د. عبد الله فياض : مشاهداتي في إيران ، بغداد ، مطبعة الإيمان ، ١٩٦٧ ص ٨٠.
[2] ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، حسن الأمين ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ ، ج٣ ، ص٢٢٩ـ٢٣٠ . والموضوع للسيد صالح الشهرستاني.
[3] ـ معجم البلدان : ٣٩٧/٤.
[4] ـ مجلة الهادي : تصدرها دار التبليغ الإسلامي ، قم إيران ، السنة الثانية ، العدد الثاني ، ص ٩٩ـ ١٠٠.
[5] ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، ص ٢٣٠ـ٢٣٢.

وتُعَدُّ (قم) من أكبر الجامعات العلمية التي تدرَّس فيها العلوم الدينية علـــى أيــدي أساطين العلم وفحول المجتهدين وعلماء الدين ، وقد أصبحت في القرن الرابع عشر الهجري مرتين مرجعاً عاماً للمذهب الشيعي ، ومقراً كبيراً لمجتهديهم لاســتيطانها من قبل اثنين من أكبر مجتهدي هذا المذهب هما الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (ت ١٣٥٥هـ) الذي يعد المؤسس الفعلي للتدريس في (قم) ومنــشئ حوزتهــا العلمية ، وكذلك السيد حسين الطباطبائي البروجردي (ت ١٣٨٠هـ) ، كما يقيم فيها الآن لفيف من كبار رجال العلم والدين القائمين بإدارة شؤون هــذه الجامعــة الدينية بمختلف فروعها والتي تضم بين صفوف معاهدها الألوف من طلبة العلــوم الدينية ، كما أنَّ كثيرًا من أكابر العلماء وفحول المجتهدين قــد تخرجــوا بمــرور الزمن في جامعة قم [1] .

---

[1] ـ مشاهداتي في إيران : ص ٨٤.



الفصل الثاني

حياة الطباطبائي وثقافته



بسمه تعالى

اسمه : محمد حسين

نسبه : هو محمد حسين بن محمد بن محمد حسين بن الحاج الأميرزا علي أصغر شيخ الإسلام ابن الأميرزا محمد تقي القاضي بن الأميرزا محمد القاضي بن الأميرزا محمد علي القاضي بن الأميرزا صدر الدين محمد بن الأميرزا يوسف نقيب الأشراف بن الأميرزا صدر الدين محمد بن مجد الدين بن السيد إسماعيل بن الأمير علي أكبر الشهير بمير شاه مير بن سراج الدين الأمير عبد الوهاب بن الأمير عبد الغفار بن السيد عماد الدين أمير الحاج بن فخر الدين حسن بن كمال الدين محمد بن السيد حسن بن شهاب الدين علي بن عماد الدين علي بن السيد أحمد بن السيد عماد الدين بن أبي الحسين علي الشهاب بن أبي الحسن محمد الشاعر بن أبي عبد الله أحمد الشاعر بن أبي جعفر محمد الأصغر بن أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن علي (ع) وابن فاطمة بنت الإمام الحسين بن علي (ع) .

ألقابه : (**الحسني ، والحسيني**) (**والطباطبائي**) .

مولده : آخر سنة ١٣٢١ هجرية قمرية (٢٩ ذي الحجة من السنة) .

أسرته : كان أكثر رجال نسبه من الأشراف ومن رجال العلم ، وأول من ارتحل منهم إلى إيران (تبريز) السيد عبد الغفار ثم ابنه سراج الدين عبد الوهاب في أواخر القرن العاشر من الهجرة ، فتقلد فيه سمة شيخ الإسلام . ومن مشاهير رجالهم جدي الأقرب السيد محمد حسين الشهير بشيخ آقا من أجلاء تلامذة صاحب الجواهر والشيخ موسى كاشف الغطاء والشيخ جعفر الأسترآبادي وهو صاحب التأليفات الكثيرة في الفقه والأصول والرجال وغيرها .

بيئته التي عاش فيها :

تولد تبريز سنة ١٣٢١ آخر السنة ، وعاش هناك إلى سنة ١٣٤٤ قمرية ، ثم ارتحل منه إلى النجف الأشرف للتحصيل ، ومكث هناك إلى سنة ١٣٥٤ ، ثم رجع



إلى تبريز وعاش فيه إلى سنة ١٣٦٥هـ ، ثم ارتحل إلى بلدة قم.

مؤلفاته :

من مؤلفاته بالعربية : تفسير الميزان في عشرين مجلدًا ، وبداية الحكمة في الفلسفة ، ونهاية الحكمة في الفلسفة ، ورسالة في البرهان ، ورسالة في المغالطة ، ورسالة في التحليل ، رسالة في التركيب ، ورسالة في الاعتبارات ، ورسالة في النبوءات والمنامات ، ورسالة في الذات ، ورسالة في الأسماء والصفات ، ورسالة في الأفعال ، ورسالة في الوسائط ، ورسالة في الإنسان قبل الدنيا ، ورسالة في الإنسان في الدنيا ، ورسالة في الإنسان بعد الدنيا ، وهو المعاد ، ورسالة في الولاية ، كلها مخطوطة غير مطبوعة إلاَّ التفسير والبداية والنهاية .

ومن مؤلفاته بالفارسية كتاب أصول الفلسفة وشيعه در إسلام وقرآن در إسلام ومصاحبات بروفيسور كربن المستشرق ووحي يا شعور مرموز ، ورسالة في علم الإمام ، ورسالة نظم الحكم، وحاشية كفاية الأصول ، ورسالة في الإعجاز ، وحاشية الأسفار ، كلها مطبوعة إلاَّ حاشية الكفاية .

شيوخه : شيخه في الفقه والأصول الآية العظمى الأميرزا محمد حسين النائيني (رض) ، والآية العظمى الشيخ محمد حسين الكمباني الأصفهاني (رض) ، وشيخه في الفلسفة السيد المحقق البارع السيد حسين الباد كوبي (ره) ، وشيخه في الرياضيات السيد الرياضي البارع السيد أبو القاسم الخونساري (ره) .

إجازاته بالاجتهاد والرواية : له إجازة الاجتهاد والرواية عن أستاذه الآية العظمى النائيني، وأجازة الرواية عن الآية الحاج شيخ على القمي (ره) عن شيخه النوري صاحب المستدرك ، وعن الراوي المتضلع الحاج شيخ عباس القمي صاحب المفاتيح عن شيخه النوري صاحب المستدرك بجميع طرقه المذكورة في آخر المستدرك ، وعن الآية العظمى البروجردي (رض) عن شيخه الخراساني صاحب الكفاية بطرقه المتصلة بالآية السيد بحر العلوم ، وعن الآية السيد محمد الحجة (رض) ، وعن الآية الحاج الأميرزا على أصغر الملكي عن الآية السيد

حسن الصدر (رض)، وعن رجال أخر غيرهم رضي الله عنهم .

محمد حسين الطباطبائي

حياته

أسمه ونسبه :

هو السيد محمد حسين بن السيد محمد بن السيد محمد حسين [1] بن الميرزا علي أصغر شيخ الإسلام الطباطبائي التبريزي القاضي [2] .

---

[1] - ذكر الدكتور حسين علي محفوظ : أن محمد حسين بن الحاج الميرزا علي أصغر ، كان من أفاضل تلاميذ صاحب الجواهر والشيخ موسى آل كاشف الغطاء ، والمولى محمد جعفر الأسترآبادي ورد النجف سنة ١٢٤٤هـ ، ولبث فيها سنين ، ثم رجع إلى تبريز وتوفي فيها سنة ١٢٩٤هـ عن أكثر من ثمانين سنة ، ودفن في النجف ، له تآليف ، منها : ١- (منهج الرشاد في شرح الإرشاد) في الفقه كمل منه طائفة من (مباحث العبادات) في نحو من ١٢مجلدا . ٢-رسالة في الجعالة . ٣-حاشية على القوانين في الأصول.٤-رسالة في حجية الظن الخاص. ٥-رسالة في سند فقه الإمام.٦-الفوائد الكاشفة عن سلسلة مقطوعة وأسماء بعض أسانيد الكافي مستورة. (أصول الكافي للكليني ، مقدمة الدكتور حسين علي محفوظ ، مطبعة حيدري ، ١٣٨١هـ ، ٣٧/١). بينما ذكر رضا كحالة أن وفاته كانت سنة ١٢٩٣هـ (معجم المؤلفين٢٤٦/٩).

[2] - أغا بزرك الطهراني ، طبقات أعلام الشيعة ، النجف ، المطبعة العلمية ، ١٣٧٥، ٦٤٥/١). وذكر النسابة المعاصر السيد مهدي الوردي الكاظمي في كتابه (معجم الألقاب في معرفة الأسر والأنساب) – المخطوط- نسب السيد الطباطبائي – متصلا – وساقه كما يأتي : (السيد محمد حسين بن السيد محمد بن ميرزا محمد حسين المعروف بشيخ أقابن ميرزا علي أصغرالشهير بشيخ الإسلام بن محمد تقي القاضي بن محمد القاضي بن محمد علي القاضي بن ا صدر الدين محمد بن نقيب الأشراف يوسف بن صدر الدين محمد بن مجد الدين بن إسماعيل بن الأمير علي أكبر الشهير بمير شاه بن عبد الوهاب بن الأمير عبد الغفار بن عماد الدين أمير الحاج بن فخر الدين الحسن بن محمد بن كمال الدين الحسن بن النقيب شهاب الدين علي بن أبي المجد عماد الدين علي بن الأمير أبي محمد فتوح الدين أحمد بن أبي الفضل عماد بن أبي هاشم شهاب الدين علي بن أبي الفضل حمزة بن أبي المجد إسحاق بن طاهر أبي هاشم بن أبي الحسين علي الشاعر بن أبي الحسن محمد الشاعر بن احمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب – ع-) . كما ذكر هذا النسب أيضا في كتابه المخطوط – حلية الزمن في أنساب بني الحسن وقد رأيت الكتابين بمكتبته في مدينة الكاظمية يوم ١٩٧٨/١٠/٢١م ، وقد أيد هذا النسب المفسر نفسه إذ بعث لنا بما يعضد نسبه هذا _ بخط يده _ برسالة من قم أواخر جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ .



ونسبة الطباطبائي ترجع إلى أحد أجداده وهو إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج . وإنما لقب طباطبا لأن أباه أراد أن يقطع له ثوبًا وهو طفل فخيَّره بين قميص وقبـا فقال طباطبا يعني قبا . قبا ، وقيل إن أهل السواد لقبوه كذلك ويعني بلسان النبطية سيد السادات .

ويضيف السيد محسن الأمين : أنه جد السادات الطباطبائية وإليه ينتسبون[1].

مولـده :

ولد الطباطبائي في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٢١ هجرية في مدينة تبريز . ونشأ في أسرة اشتهرت قديما بالفضل والمعرفة ، وكانت سلسلة أجداده الأربعة عشر كلهـا من العلماء المعرفين والمعروفين في تبريز [2] .

ألقابه :

الحسني _ الحسيني _ الطباطبائي[3] .

دراسته ومشايخه :

نشأ الطباطبائي في ظل نمط علمي خاص ، ونظام تعليمي معيَّن ، يعرف بنظام (الحوزة) [4] الذي يعود في أصل نشأته إلى الحلقات العلمية الأولى التي كانـت

---

[1] ـ أعيان الشيعة ١٧٦/٥ . وذكر النسابة المعاصر السيد مهدي الوردي في كتابه (معجم الألقاب في معرفة الأسر والأنساب) مخطوط : بنو طباطبا هم عشيرة كبيرة في جميع أنحاء الدنيا ... عريقة في شرفها ... قديمة في مجدها ... شهيرة بعزها ... صريحة بأصلها ... نامية بفرعها . وهم من السلالة الحسنية ؛ فهم بنو إبراهيم المعروف (طباطبا) وأنهم أهل همة وعزم ، ومعرفة وعلم . وأمرة وحكم ، ومجد وكرم . وقد أفرد لهم كتابا مشجرا أسماه (زهر الربى في أعقاب طباطبا) مخطوط . وقد اطلعت عليه في مكتبته بتاريخ ١٩٧٨/١٠/٢١

[2] ـ رسالة بريدية بخط المفسر في جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ

[3] ـ المصدر السابق نفسه.

[4] ـ الحوز في اللغة هو الجمع وضم الشيء كالحيازة والاحتياز (القاموس المحيط ، باب الزاي . فصل الحاء والخاء) . فالحلقة العلمية الواحدة تتشكل من بعض الطلاب الذين يجتمعون وينضم بعضهم إلى بعض للدرس . وانطلاقا من هذه الوحدة العلمية الصغيرة تعورف على النظام التعليمي هناك بنظام (الحوزة).



تعقد في المساجد منذ الفتح الإسلامي . وبمرور الزمن تطور هذا النمط من التعليم وأصبح متميزاً في مراحله الدراسية الثلاث ، وفي طبيعته التعليمية .

وقد تأسست على غرار هذا النظام منذ القديم مراكز علمية متعددة مثل حوزة النجف وكربلاء وقم وتبريز ومشهد وأصفهان وسامراء وغيرها .

وقد عرفنا أن الطباطبائي تنقّل بين بيئاته العلمية الثلاث (تبريز والنجف وقم) ونشأ وترعرع ومارس نشاطه العلمي في ظلها .

وفي الواقع أن هناك تطابقاً واضحاً في طبيعة النظام التعليمي المتّبع في هذه الجامعات الثلاث ، إذ أنها تسير على نظام حوزوي معروف ، فمراحل الدراسة فيها موحدة ومرتبة على الشكل الآتي [1] :

١_ دراسة المقدمات (وتقوم مقام الدور الابتدائي) ويدرس فيها الطالب المنطق والنحو والصرف والعلوم البلاغية والعروض وبعض النصوص الأدبية ومبادئ أولية عن الفقه والأصول .

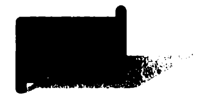
٢_ دراسة السطوح (وتقوم مقام الدور المتوسط) يتفرغ الطالب فيها لدراسة الكتب الفقهية والأصولية والفلسفية [2] .

٣_ دراسة الخارج (وتقوم مقام الدراسات العليا) وهو الدور الذي يعتمد الطالب فيه على نفسه بالتحضير والإعداد من غير أن يتقيّد بمصدر علمي خاص ، فيجمع مادة المحاضرة من فقه أو أصول أو تفسير ، ثم يراجع أقوال العلماء في هذه المادة

---

[1] ـ الآصفي : مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها ، ص ١٣٨ . وانظر كتاب (الإمام السيد أبو الحسن) للأستاذ صالح الجعفري ، ص ٢٦ـ٢٩. وانظر : صفحات عن إيران ، ص١٥٦_١٥٧ ، وانظر مجلة الهادي الإيرانية السنة الثانية العدد الرابع ، ص١٣٠_١٣٣.

[2] ـ ذكر صاحب أعيان الشيعة العلوم التي تدرس في الحوزة ، وهي : (علوم : النحو ، والصرف ، والبيان ، والأدب ، والمنطق ، والحساب في خلاصه البهائي ، والأصول ، والفقه ، والتفسير ، والكلام ، والحكمة العقلية في شرح الباب الحادي عشر ، وشرح التجريد للقوشجي ، وشرح منظومة السبزواري ، والإشارات والطب لابن سينا ، وشرح المقاصد وغيرها . والهيئة والطب ... وكان للشعر والأدب فيها سوق رائجة) .انظر : رحلات السيد محسن الأمين ، ص ١٠٦.



، وبعد ذلك يحاول الطالب أن يستخلص لنفسه رأياً خاصاً في هذه المسألة بعد إجراء موازنةٍ وترجيحٍ بين آراء العلماء ، فإذا فرغ من هذا الإعداد حضر البحث الخارجي ليستمع إلى توجيهات الأستاذ في دراسة المادة المتفق عليها ، والبحث عن أطرافها وعما يتصل بها ، وما يمكن أن يصلح دليلاً لها ، ويختلف الأستاذ كثيرا عن طلابه في صياغة الدليل وإعداد البحث ومناقشة الآراء ، والرأي الذي يتبناه ، وقد ينزل عند رأي طلابه أحيانًا .

ويستمر الطالب على هذا النمط الخاص من الدراسة في الفقه والأصول أو التفسير حتى يبلغ مرحلة الاجتهاد . وفي الوقت الذي يقوم به أيضا بإدارة حلقات دراسية خاصة في (الدور الإعدادي) وعندما يبلغ الطالب مرحلة الاجتهاد ، ويطمئن إليه الأستاذ في البحث ، والاستنباط ، وصوغ الدليل ، والجمع بين الأحاديث ووجوه الرأي ، ومناقشة الأقوال يشهد له بالاجتهاد فيستقل الطالب بالاجتهاد ، وإبداء الرأي والتوجيه .

وخلال هذه الأدوار الثلاثة يتعاطى الطالب أطرافًا من الثقافات الأخرى والفلسفة وغيرها .

وتطبع الحوزة في شخصيات طلابها سماتٍ وخصائص تمتاز بها عن سائر جامعات العالم ، منها [1]:

١_ الاستقلالية :

لم يعهد التاريخ الإسلامي منذ نشوء هذه المراكز العلمية وحتى الآن ذوبانها في كيان سياسي لا إسلامي مهما كان نوع هذا الكيان ، ومهما كانت الملابسات الاجتماعية ، ويعود الفضل في ذلك إلى رسالة الحوزة التي ترى أن التشريع الوحيد الذي ينبغي أن تقوم عليه الحياة في كل مجالاتها هو التشريع الإسلامي ، ومما

---

[1] ـ الآصفي : مدرسة النجف وتجديد الحركة الإصلاحية فيها ، ص١٤_٣٨ بتصرف . وانظر : مقدمة الأستاذ السيد محمد تقي الحكيم لكتاب النص والاجتهاد ، ص٢٠_٢١ . وانظر مجلة الهادي ، السنة الثانية ، العدد الرابع : ص١٣٣_١٣٨.

يساعد في ذلك : الاستقلال المالي في إدارة الحوزة الذي يجمع عن طريق التبرعات والفرائض المالية التي يدفعها المؤمنون للعلماء .

٢ _ التعميق والنظر :

وتتأصل هذه الظاهرة في شخصية طالب الحوزة لعدة أمور : منها ما تمليه عليه رسالته الإسلامية دون الاغترار بمنصب اجتماعي ، أو طموح بشهادة أو سمعة .

كما أنَّ حرية الاجتهاد والنظر من حق أيَّ فقيه ، إذ لم يقنع الفقيه بآراء منسبقة دون أن يحاول تجديد النظر في المحتوى والصياغة على ضوء الأحداث والتطورات والحاجات المتجددة في مجتمع الإنسان .

أضف إلى ذلك طبيعة دراسة الحلقات في المراحل الثلاث وعلاقة الأستاذ بتلميذه بعيداً عن أجواء الأنانية والغرور العلمي .

وما يتمتع به الأستاذ من رحابة الأفق وسعة الصدر ، والنزول عند رأي التلاميذ حين يتحقق له صوابه [١].

وقد درس السيد الطباطبائي الفقه والأصول على العلامتين الشيخ محمد حسين النائيني [٢]

---

[١] ـ ومما تمتاز به هذه الدراسات الدينية ، الإلمام بقسط وافر من العلوم الفلسفية ، والتوسع في دراسة المنطق وعلم الكلام ، إلى جانب دراسة الفقه وعلم الأصول . وهذا النوع من الدراسة يهب الدارس قوة في الجدل والاستدلال ، وقدرة على البحث والنقاش والتصرف بالألفاظ ومدلولاتها (انظر مقدمة المترجمين صادق نشأت ، وعبد النعيم حسنين لكتاب : جمال الدين الأسد آبادي ، لميرزا لطف الله خان ، ص١٢_١٣).

[٢] ـ ولد الشيخ محمد حسين النائيني الغروي بن الميرزا عبد الرحيم شيخ الإسلام ببلدة نائين سنة ١٢٧٧هـ وكان يختلف إلى درس الميرزا محمد حسين الشيرازي في سامراء ، واتصل بالآخوند ملا كاظم الخراساني _ بعد أن قصد النجف _ وبعد وفاة الخراساني استقل بالتدريس . وكان النائيني معدودا في الطراز الأول من العلماء ومراجع التقليد ، وكانت حوزة بحثهمن أكبر مجالس البحث في النجف وحاز المرجعية الدينية بعد وفاة شيخ الشريعة الأصفهاني. وله رسالة مبسوطة في اللباس المشكوك ، ورسالة في الخيارات والمعاطاة وبيع الفضول ، ورسالة في الترتيب ، ورسالة في المعاني الحرفية ، ورسالة في الواجب التعبدي والتوصلي ، ورسالة في الشرط

والشيخ محمد حسين الكمباني [1] والفلسفة على السيد حسين البادكوبي الذي كان من تلاميذ (جلوة وأقا علي المدرس) [2]. كما درس الرياضيات على السيد أبي القاسم الخوانساري [3]

=المتأخر وغير ذلك. انظر: محسن الأمين العاملي: أعيان الشيعة، بيروت، ١٣٧٠ هـ، ٢٥٨/٤٤. وأحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة: ٢٥٤/٢. ومعجم المؤلفين: ٢٤٢/٩.

[1] - هو الشيخ محمد حسين بن الحاج محمد حسن معين التجار الأصفهاني النجفي الشهير بالكمباني من أعاظم العلماء وأجلاء الفلاسفة. ولد في الثاني من محرم سنة ١٢٩٦هـ وكان من أشهر الأساتذة في الأصول والفلسفة وله آثار مهمة في الأصول والفقه والفلسفة. وله شعر =وأراجيز كثيرة منها: نهاية الدراية في حاشية الكفاية، وأصول الفقه. وحاشية المكاسب في الفقه وتحفة الحكيم _ منظومة في الفلسفة العالية _ والوسيلة: رسالة عملية للمقلدين. توفي سنة ١٣٦١هـ. (انظر طبقات أعلام الشيعة للطهراني. النجف. المطبعة العلمية، ١٣٧٥هـ، القسم الثاني، من الجزء الأول، ص٥٦٠.

[2] - هو السيد حسين بن رضا بن موسى الحسيني الباد كوبي من أجلاء العلماء وأفاضل الفلاسفة. ولد في قرية من قرى باد كوب (باكو) الحالية سنة ١٢٩٣هـ واشتهر بالفلسفة والعلوم العقلية، وعرف بالمهارة والخبرة والتحقيق والتدقيق، وسطع نجمه في الأوساط النجفية والأندية العلمية. له آثار منها: حاشية على كتاب الطهارة في الفقه. وحاشية على كتاب الأسفار في الفلسفة، وحاشية على كتاب الشواهد. توفي في النجف سنة ١٣٥٣هـ (طبقات إعلام الشيعة، القسم الثاني من الجزء الأول، ص ٥٨٤_٥٨٥) وقد تلمذ على السيد الميرزا أبي الحسن بن محمد الطباطبائي الحسيني الأصفهاني الشهير بـ (جلوة) بكجرات سنة ١٢٣٨هـ وولع بالفلسفة وجدَ في طلبها حتى تسنم الذروة منها، واشتهر أمره فعدَ أواخر أيامه أستاذ حكماء الإسلام، وانتهى إليه التدريس بها في طهران ... وكان لا يفتر عن تدريس (الأسفار) و (الشفاء) وغيرهما والتعليق على أكثر كتب الحكمة. توفي سنة ١٣١٤ه٥ . انظر طبقات أعلام الشيعة ٤٢/١). كما تلمذ الباد كوبي على أقا علي بن المولى عبد الله المدرس الزنوري التبريزي الطهراني المتوفى حوالي سنة ١٣٠٧ه٥. وكان من فلاسفة المئة الرابعة عشرة. له: بدايع الحكم، وحاشية على الأسفار الأربعة للشيرازي. وكان مدرسا بمدرسة سبهسالار (المدرسة العليا للشهيد مطهري حاليا) (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ١٠٧/٨).

[3] - هو السيد أبو القاسم جعفر بن محمود بم مهدي الموسوي الخوانساري عالم أديب ورياضي. ولد سنة ١٣١٣هـ وهاجر إلى النجف سنة ١٣٢٨هـ وفيها قرأ الفقه والأصول والحديث، وبرع في الرياضيات، وسافر إلى الهند فأقام في ناحية لنشر الأحكام. ومن تصانيفه في الرياضيات (سفائن البحار) _ فارسي منظوم _ و (بحر الحساب) _ فارسي _ و (إعجاز المهندسين)، ورسالة (= الجبر والمقابلة) ورسالة (قابلية التقسيم) في الأعداد، وردَ (إبطال الرمل) و (تسهيل القسمة) عربي رفارسي. (طبقات أعلام الشيعة للطهراني: ٦٤/١ ومعجم المؤلفين: ١٥٠/٣).

والأخلاق على الحاج ميرزا علي القاضي [1]. الذي كانت له اليد الطولى في (الحكمة العلمية) ، و (العرفان) بمعنييهما الاصطلاحي .

ولم تنحصر اهتمامات السيد الطباطبائي واجتهاده المتواصل في الفقه والأصول وعلوم اللغة العربية من الصرف والنحو والبلاغة وإنما تعداها إلى دراسة دورة كاملة في الرياضيات القديمة من ((الأصول)) لإقليدس إلى ((المجسطي)) لبطليموس ، وكذلك علوم الفلسفة والكلام و ((العرفان)) [2] .

رحلاته العلمية :

بدأ الطباطبائي دراسته متلقيا مبادئ العلوم الأولية في (المقدمات) بمسقط رأسه(تبريز) على يد أفاضل أسرته وسراة قومه [3] . وبعد إتمام المرحلة العلمية الأولى هاجر إلى النجف سنة ١٣٤٣هـ . وأمضى فيها عشر سنوات في تحصيل مختلف العلوم اللازمة لطالب العلم ، وعاد إلى مسقط رأسه عام ١٣٥٣هـ ، بعدها هاجر من (تبريز) إلى (قم) على أثر الحرب العالمية الثانية سنة ١٣٦٥هـ . وهناك بدأ نجمه بالظهور على مستوى التدريس وإدارة أبحاثه العلمية في التفسير والفلسفة [4] .

---

1 ـ هو السيد ميرزا علي أغا بن الميرزا حسين بن الميرزا أحمد بن الميرزا رحيم الطباطبائي التبريزي القاضي ، عالم مجتهد ، تقي وورع ، أخلاقي فاضل . ولد في تبريز (١٣ ذي الحجة سنة ١٢٨٥هـ) ونشأ في بيت من بيوت العلم . وفي سنة ١٣١٣هـ هاجر إلى النجف وقد برع في الفقه والأصول والحديث والتفسير وغيرها . وكان من رجال الاخلاق أيضا . من آثاره (تفسير القرآن) . توفي =ليلة الأربعاء السادس من ربيع الأول سنة ١٣٦٦هـ ودفن في النجف . (طبقات أعلام الشيعة ، القسم الرابع من الجزء الأول ، ص : ١٥٦٥).

2 ـ من مقدمة الدكتور حسين نصر لكتاب (الشيعة في الإسلام) للمفسر.

3 ـ ذكر المفسر في رسالته البريدية : أن أكثر رجال نسبه _ المفسر_ من الأشراف ومن رجال العلم . وقد تقلد أحد أجداده سمة (شيخ الإسلام) ، وذكر أن مشاهير رجالهم جدّه الأقرب السيد محمد حسين الشهير بشيخ أقا من أجلاء العلماء .وله تأليفات كثيرة في الفقه والأصول والرجال وغيرها . (من رسالة المفسر البريدية في أواخر جمادى الآخرة سنة ١٣٩٩هـ).

4 ـ انظر : مقدمة كتاب ((الشيعة في الإسلام)) للسيد المفسر _ باللغة الفارسية _ وقد تفضل الشيخ حبيب عباس القمي بترجمتها لنا وإرسالها من (قم) غرة صفر سنة ١٣٩٨هـ.

إجازاته بالاجتهاد والرواية :

ذكر المفسر أنَّ له إجازة الاجتهاد و الرواية عن أستاذه الآية الشيخ محمد حسين النائيني [١] .

وله أيضا إجازة الرواية عن الآية الشيخ علي القمي [٢] عن شيخه النوري [٣] صاحب المستدرك على وسائل الشيعة . وعن الحاج الشيخ عباس القمي [٤] صاحب المفاتيح عن شيخه النوري صاحب المستدرك بجميع طرقه المذكورة في آخر المستدرك .وعن الآية البروجردي [٥] .

---

١ ـ مرت ترجمته في هذه الرسالة : ص٤٧.

٢ ـ انظر أعيان الشيعة : ١٥٩/٤٢.

٣ ـ هو الميرزا حسين بن محمد تقي بن علي محمد بن تقي النوري الطبرسي من أئمة الحديث والرجال ، وأعاظم علماء الأمة في هذا القرن ، ولد سنة ١٢٥٤هـ له تأليف في الحديث والعلوم الإسلامية : منها مستدرك الوسائل ، وكتاب نفس الرحمن . وكتاب دار السلام . وكتاب جنة المأوى ، وكتاب الفيض القدسي ، وكتاب النجم الثاقب . وكتاب البدر المشعشع . وكتاب تحية الزائر ، وكتاب لؤلؤ ومرجان ... والخ . وله مؤلفات كثيرة غير مطبوعة . وهو من مشاهير مشايخ الرواية ومن مسانيد العصر . وله ترجمة وتوفي سنة ١٣٢٠هـ . (طبقات أعلام الشيعة للطهراني ، القسم الثاني من الجزء الأول ص ٥٤٣ _ ٥٥٥).

٤ ـ هو الشيخ عباس بن محمد رضا القمي ولد سنة نيف و ١٢٩٠هـ وهو عالم محدث جليل مؤلف مشهور . له كتب عديدة ومؤلفاته كثيرة منها : الكنى والألقاب في ثلاثة أجزاء . وكتاب نفس المهموم ، وكتاب نفثة المصدور ، وكتاب تحفة الأحباب . وكتاب الفوائد الرضوية في التراجم ، وكتاب مفاتيح الجنان ، وكتاب سفينة البحار في مجلدين ... الخ . (طبقات أعلام الشيعة _ القسم الثالث من الجزء الأول ، ص ٩٩٨_١٠٠١).

٥ ـ هو حسين بن علي بن أحمد بن علي تقي بن جواد بن مرتضى بن محمد بن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي أكبر زعماء الدين في عصره ، وأشهر مشاهير العلماء . ولد سنة ١٢٩٢هـ ودرس في أصفهان ثم هاجر إلى النجف وحضر على أكابر العلماء وهو مجدد مدرسة قم أخيرا ، توفي عام ١٣٨١هـ ودفن في جوار حضرة معصومة قم . له مؤلفات عديدة في الفقه والأصول والرجال والحديث .(أغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة ، القسم الثاني من الجزء الأول ، ص ٦٠٥_٦٠٩).

عن شيخه الخراساني [1] صاحب الكفاية في علم الأصول بطرقه المتصلة بالآيـة السيد بحر العلوم [2].

وعن الآية السيد محمد الحجة [3].وعن الآية الميرزا علي أصغر الملكي [4]

---

[1] ـ هو الشيخ ملا محمد كاظم الخراساني من أعاظم المدرسين في الأصول ، وأكابر العلماء في المعقول والمنقول . ولد في طوس سنة ١٢٥٥هـ . كما اشتغل في قراءة الحكمة الإلهية . وقد هاجر إلى طهران والنجف وسامراء طلبا للعلم ، وكان يحضر مجلسه ما يزيد على الألف من الطلاب والمجتهدين ، وتخرج على يديه نحو مئة وعشرين مجتهدا . وقد أفتى بوجوب قيام (الحركة الدستورية) . من آثاره العلمية : الكفاية في علم الأصول . وقد وضعت عليه شروح كثيرة من قبل أفاضل العلماء . وله أيضا حاشية على رسائل ومكاسب الشيخ مرتضى الأنصاري . وله رسائل كثيرة في الفقه . توفي سنة ١٣٢٩هـ . ودفن في النجف . انظر : (أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة للأصفهاني ١٤٦/١_١٥٢).

[2] ـ هو السيد مهدي ويقال محمد مهدي بن السيد مرتضى بن السيد محمد الحسيني البروجردي المعروف ببحر العلوم الطباطبائي من نسل إبراهيم الملقب (طباطبا) . ولد بكربلاء سنة ١١٥٥هـ . وتوفي بالنجف سنة ١٢١٢ه ودفن فيها . كان رئيس الإمامية وشيخ مشا يخهم في عصره . فقيه أصولي كلامي مفسر ومحدث ، رجالي ، ماهر في المعقول والمنقول ، متضلع بالأخبار والحديث والرجال ، وكان يحب الشعر وإنشاده . وقد روي عنه الكثير بالإجازة. ومن آثاره : المصابيح : في الفقه ، والفوائد : في الأصول ، وكتاب : رجال السيد بحر العلوم ، وغيرها . وكان ينظم الشعر. انظر : (أعيان الشيعة ١٦٤/٤٨) .

[3] ـ هو السيد محمد الحجة بن علي نقي بن محمد الحسيني الكوه كمري التبريزي من أفاضل علماء قم . ولد سنة ١٣١٠ه في تبريز ، وحضر على علمائها ، وأكمل دراسته في النجف ، ونزل أخيرا (قم) سنة ١٣٤٩ه ، وبقي فيها حتى توفي . يروي عن شيخ الشريعة الأصفهاني ، وعن الشيخ عبد الله المامقاني ، وعن السيد حسن الصدر ، وعن ميرزا محمد الطهراني ،والسيد أبو تراب الخوانساري ، والشيخ محمد باقر البيرجندي ، وعن والده السيد علي . له مؤلفات في الفقه والحديث والرجال . (طبقات أعلام الشيعة ، القسم الثاني من الجزء الأول ص٢١٤_٢١٦).

[4] ـ هو ميرزا علي أصغر الملكي بن الحاج محمد حسين ملك التجار بن الحاج كاظم التبريزي . كان عالما فاضلا ورعا ، وكان من مشاركي الشيخ أغا بزرك الطهراني صاحب الذريعة في الدراسة على عدد من المشايخ . سكن النجف مدة طويلة ، وعاد إلى تبريز ، ثم عاد إلى النجف . يروي عن الميرزا حسين الخليلي ، والشيخ عبد الله المازندراني ، والسيد حسن الصدر ، وغيرهم . (طبقات أعلام الشيعة ، القسم الرابع من الجزء الأول ، ص ١٥٥٣).

وعن الآية السيد حسن الصدر[1] . وعن رجال آخرين غيرهم [2].

نشاطه العلمي :

وبعد عودة المفسر إلى (قم) سنة ١٣٦٤هـ بدأ فيها تدريس الفلسفة والتفسير ، فتنبَّه طلاب العلوم على ما لديه من علوم ثرة في مجال اختصاصه ، وبعد فترة يسيرة سطع نجمه واحتل المكانة اللائقة به بين تلك الجموع ، وحف به جمع من الطلاب ، وأصبح أحد الأعلام المدرسين ، ومن أركان الحوزة العلمية بقم ، يحضر درسه ويستفيد من علومه جمع كثير من مختلف الطلاب [3] .

فعلى الصعيد المحلي تم الاتصال بينه وبين الباحثين في العلوم الإسلامية في طهران العاصمة ، وعلى الصعيد الخارجي تم الاتصال بينه وبين البروفسور (هنري كوربان) [4] واستمرت هذه الاتصالات في خريف كل عام بحضور جمع من العلماء في جامعة طهران والحوزة العلمية في (قم) وقد دار البحث فيها حول المسائل المختلفة في الدين والفلسفة ومسائل أخرى . وقد طبعت نتيجة هذه الأبحاث في كتاب بالفارسية .

---

[1] ـ هو الإمام الحسن أبو محمد بن الشريف الهادي بن الشريف محمد علي وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب ولد ببغداد سنة ١٢٧٢هـ . وارتحل إلى النجف سنة ١٢٩٠هـ ، ثم إلى سامراء سنة ١٢٩٧هـ وكان رائده العلم في سفراته ورحلاته جميعها . وقد تلمذ على يد العلامة الإمام الميرزا محمد حسن الشيرازي ، وفي سنة ١٣١٤هـ رجع إلى مسقط رأسه (الكاظمية) في بغداد وحط رحله بفنائها . وكانت أوقاته مقسمة بين المحراب والمكتبة ، والدرس والكتابة ، والبحث والإرشاد ، وكان غزير التأليف جمع فيه بين الإكثار والتحقيق ، وكتب في مواضيع مختلفة من علوم شتى . ومن آثاره العلمية : الدرر الموسوية في شرح العقائد الجعفرية ، وسبيل الرشاد في شرح نجاة العباد _ في الفقه _ ، ومفتاح السعادة وملاذ العبادة (وفي الحديث _ وغيرها . توفي سنة ١٣٥٤هـ . انظر : الشيعة وفنون الإسلام ، حسن الصدر (المترجم له) ترجمته بقلم عبد الحسين شرف الدين ، صيدا ، مطبعة العرفان ، ١٣٣١هـ ، ص ١١_٤٧ .

[2] ـ اعتمدنا في ذلك على رسالة المفسر ، في أواخر جمادى الآخرة ، سنة ١٣٩٩هـ

[3] ـ طبقات أعلام الشيعة للطهراني : ٦٤٦/١ .

[4] ـ أستاذ الفلسفة الفرنسي في جامعة السوربون وجامعة طهران ورئيس المجمع الإيراني الفرنسي.

ويمكن أن نلخص عمل المفسر في أهم مجالات نشاطه وهي الحوزة العلمية في قم بالنقاط الآتية :

١_ إحياء العلوم العقلية التي جفاها القوم مدة من الزمن كالفلسفة وعلوم الكلام فسنَّ دراسة الكتب الأساسية في هذه العلوم كالشفاء لابن سينا ، والأسفار لصدر المتألهين الشيرازي . أضف إلى ذلك إشاعة الاهتمام بعلوم القرآن من التفسير وغيره [1] .

٢_ التأثير الاجتماعي في مجال الفكر والأخلاق في الأوساط المختلفة التي كانت تختلف إليه سواء في مجالس تدريسه أو في مجالسه العامة ، ولقد كان اتصافه بالمكارم الأخلاقية العالية والصفات المحمودة ذا أثر كبير في نفوس المتصلين به ولو لأول مرة .

٣_ تربية جيل من العلماء في علوم الفلسفة والكلام وغيرها بحيث بلغ بعضهم مرتبة الاجتهاد في هذه العلوم ، ومؤلفاتهم ونشاطاتهم المختلفة شاهدة على هذا المجال .

ولقد كان السيد الطباطبائي يرى لزوم اقتران المعرفة عند الإنسان بالجوانب الخلقية التي تمنح الإنسان إيجابيات هذه المعرفة ، وتجنّبه سلبياتها ، وقد عمل على تربية تلاميذه بما يكفل رفع مستواهم العلمي والخلقي ، وتزكية نفوسهم من الشوائب ،

---

[1] ـ ذكر الشيخ مطهري : إن المفسر وُفق في تأسيس لجنة علمية من أكابر الفضلاء في جامعة (قم) بفعل الموجة الإلحادية والتشويش الفلسفي الذي اجتاح شباب الأمة الإيرانية ، وكان يلقي في هذه اللجنة كل ما كان يحرره من آرائه وأفكاره مكتفيا في كل أسبوع =بليلتين ، وامتاز هذا المجمع العلمي بشهرة عظيمة في الحوزة العلمية وفي خارجها . ومن ضمن نتائجه (أصول الفلسفة) للمفسر الذي ألقاه بشكل محاضرات على طلاب الحوزة . وقد تأثر طلاب الحوزة بهذا الاتجاه الفلسفي الجديد ، وأصبح للفلسفة سوق عامرة راجت فيها أفكار السيد الطباطبائي وفلاسفة الإسلاميين الإشراقيين. (أصول الفلسفة للمفسر_ مقدمة الشيخ مطهري : ص ٢٥_٢٦).

فالذين تخرجوا على يده من مختلف المستويات يمثلون نموذجاً رائعاً لما كان يرومه السيد الطباطبائي .

٤_ تأليف الكتب _ باللغتين العربية والفارسية _ وبمستويات مختلفة تتناسب مع أفهام الخاصة والعامة [١] .

تلامذته :

للمكانة العلمية الرفيعة التي يحتلها الطباطبائي ، ولكونه أحد أركان الحوزة العلمية في (قم) ، ولتعدد حلقات دروسه العلمية في التفسير والفلسفة والفقه والأصول وغيرها راح عدد كبير من فضلاء الحوزة وطلابها يختلفون إلى حلقاته ، ويتفيأون ظلال علومه ، فتلمذ عليه عدد كبير ، وجمع غفير منهم نهلوا منه علومه ، وانتفعوا بأفكاره السديدة . وكان من ألمع تلامذته الشيخ مرتضى مطهري رحمه الله الذي سطع نجمه في مجالات كثيرة ، وقد انتحى التدريس أخيراً في جامعة طهران [٢] .

كما أن هناك العديد من الشخصيات القيادية المفكرة تندرج ضمن قائمة تلامذته من أمثال الشهيد الدكتور بهشتي ، والشهيد الدكتور مفتح وهكذا جمع من أساتذة الحوزة العلمية الدينية بقم كالشيخ الجوادي الآملي والشيخ المحمدي والشيخ مصباح اليزدي وغيرهم .

آثاره العلمية :

عني المفسر بالتأليف فقد ترك آثاراً علمية كثيرة وما زال قلمه الشريف وقفاً على خدمة الفكر والعقيدة ، ودأب في ذلك على مستويين :

١- اعتمدنا في بيان نشاطه العلمي على : مقدمة الدكتور حسين نصر ، المترجمة.

٢- انظر : أصول الفلسفة للمفسر ، النجف ، مطبعة الآداب ، ١٣٨٥هـ ، كلمة المترجم جعفر السبحاني : ص٣ . وانظر : مقدمة الشيخ مرتضى مطهري لأصول الفلسفة : ص ٢٤_٢٧ . وانظر : طبقات أعلام الشيعة للطهراني : ٦٤٦/١ . والشيخ مرتضى مطهري له رؤى ثاقبة في الفكر والعقيدة ، وباعه طويل في العلوم الدينية وقد استشهد أول مايو ١٩٧٩.

أحدهما : مستوى فهم الخاصة وأهل العلم فجاءت بعض آثاره لأهل الاختصاص . وأما المستوى الآخر : فكان يقصد به إفهام أكبر قطاع من المجتمع دون أن يكون وقفا على أهل الاختصاص .ويدل هذا التقسيم على عناية المفسر العالية بالعلم والعلماء ، كما يبعث أيضا على اهتمامه الكبير وعنايته الفائقة بالحاجات الفكرية ، والمتطلبات الحضارية للأمة . وقد راعيت في ترتيبها تسلسل حروفها الهجائية .

١ _ أصول الفلسفة[1] :

جاء في خمسة أجزاء بالفارسية مع تعليقات قيّمة لتلميذه الشيخ مرتضى مطهري ، وقد طبع منه جزء واحد بالعربية بترجمة الشيخ جعفر السبحاني . وكان الغرض من تأليفه هو التقريب بين الفلسفة الإسلامية القديمة وبين الفلسفة الغربية الحديثة على أثر تفاقم انجراف الشباب الإيرانيين إلى الفلسفة الأوروبية وإعراضهم عن الفلسفة الإسلامية . وقد ألقي هذا الكتاب بشكل محاضرات من قبل المفسر على طلاب الحوزة العلمية في (قم) وقد اشتمل على أربع عشرة مقالة ضم الجزء الأول منه أربع مقالات وهي :

أ _ في تحديد الفلسفة وتفسيرها .

ب _ في الصراع بين الفلسفة والسفسطة .

ج _ في العلوم والإدراك .

د _ في قيمة علومنا ومقدار اعتبارها .

٢ _ الأعداد الأولية : وفيه استخراج الأعداد من الواحد إلى العشرة آلاف بطريقة رياضية معينة أخذها عن أستاذه الرياضي الشهير

---

[1] ـ وصف هذا الكتاب الشيخ أغا بزرك الطهراني بأنه نافع وسِفرٌ جليل (طبقات أعلام الشيعة ٦٤٥/١) . وامتدحه أيضا الحجة الشيخ مرتضى آل ياسين _ من أكابر علماء النجف في هذا القرن _ بقوله : وإن كتابا له مثل هذه الخصائص القيمة لجدير بأن يكون في حيازة كل شاب لئلا يحرم من فوائده الجمة وعوائده المهمة . (أصول الفلسفة : كلمة الشيخ مرتضى آل ياسين).

أبي القاسم الخوانساري [1].

٣ _ بداية الحكمة في الفلسفة (بالعربية).

٤ _ تعليقات على كتاب (الأسفار) في الفلسفة للفيلسوف صدر المتألهين الشيرازي وقد طبع منه إلى الآن ستة أجزاء [2] (بالفارسية)

٥ _ تعليقات على كتاب أصول الكافي للكليني [3].

٦ _ تعليقات على كتاب (بحار الأنوار) لمحمد باقر المجلسي [4].

٧ _ تعليقات على كتاب (الكفاية) . في علم الأصول للآخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني. (بالفارسية).

٨ _ رسالة في الأسماء والصفات (بالعربية).

٩ _ رسالة في الاعتباريات (بالعربية).

١٠ _ رسالة في الإعجاز (بالفارسية).

١١ _ رسالة في الأفعال (بالعربية).

١٢ _ رسالة في الإنسان بعد الدنيا (بالعربية).

١٣ _ رسالة في الإنسان في الدنيا (بالعربية).

١٤ _ رسالة في الإنسان قبل الدنيا (بالعربية).

١٥ _ رسالة في البرهان (بالعربية).

١٦ _ رسالة في التحليل (بالعربية).

١٧ _ رسالة في التركيب (بالعربية).

١٨ _ رسالة في الذات (بالعربية).

١٩ _ رسالة في علم الإمام (بالفارسية).

٢٠ _ رسالة في القوة والفعل.

---

[1] - ذكر هذا الأثر العلمي للمفسر الشيخ أغا بزرك الطهراني في كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ٢/٢٣٢_٢٣٣).

[2] - انظر : فلاسفة الشيعة : ص ٣٦٤.

[3] - ذكر الغفاري بقوله : (وللسيد محمد حسين الطباطبائي نزيل قم المشرفة تعاليق على كتاب أصول الكافي نرمز إليها بـ (الطباطبائي) . انظر : مقدمة علي اكبر الغفاري على أصول الكافي للكليني ، طهران ، مطبعة حيدري ١٣٨١هـ . ٤٣/١.

[4] - أشار إلى هذا الأثر الناشر لكتاب بحار الأنوار بقوله : وقد تفضل العلامة الطباطبائي ببيان ما أشكل فهمه على الطالب المستنير . ونرمز إلى تعاليقه بـ (ط).

٢١ _ رسالة في المشتقات.
٢٢ _ رسالة في المغالطة (بالعربية).
٢٣ _ رسالة في النبوءات والمنامات (بالعربية).
٢٤ _ رسالة في نظم الحكم[1] (بالفارسية).
٢٥ _ رسالة في الوحي[2] (بالفارسية).
٢٦ _ رسالة في الوسائط (بالعربية).
٢٧ _ رسالة في الولاية (بالعربية).
٢٨ _ الشيعة في الإسلام (بالعربية).
٢٩ _ علي والفلسفة الإلهية (بالعربية).
٣٠ _ القرآن في الإسلام

وضعه المفسر بالفارسية وترجمه إلى العربية السيد أحمد الحسيني، وقد تكلم فيه المؤلف عن أهمية القرآن الكريم ككتاب عالمي كامل ودائم، وعن قيمته لدى المسلمين، وردَّ فيه على من ألحد بالوحي، وعلى النظرة المادية القائلة بتكذيب بعث الرسل والأنبياء من عند الله بأسلوب علمي معزز بالبرهان والدليل. وتكلم فيه أيضًا عن تعظيم القرآن للعلم والعلوم التي دعا إلى تعليمها كالعلوم الطبيعية

---

[1]- ويعتبر الدكتور حسين نصر في مقدمته لكتاب الشيعة في الإسلام للمفسر عن هذه الرسالة بـ (رسالة في الحكومة الإسلامية) وقد طبعت بالعربية والفارسية والألمانية وقد ترجمها الشيخ محمد مهدي الآصفي، وطبعت بالعربية، وأشار إلى أنها رسالة صغيرة وضعها المفسر بالفارسية. ونستطيع أن نستوضح هذه الرسالة من خلال ترجمة الشيخ الآصفي: فقد بدأ المفسر ببيان الأصالة الفكرية لمسألة السياسة والحكم في الإسلام، فكشف عن مدى الارتباط بين الفطرة والتشريعات الإلهية، وتعرض لبيان معنى الولاية وضرورتها في المجتمعات، وأوضح طبيعة التبدل والثبات في التشريع الإسلامي، وبعد ذلك تعرض لمقارنة سريعة بين الأنظمة السياسية الوضعية وبين النظام السياسي في الإسلام، ثم أشار باقتضاب إلى شخصية الحاكم الإسلامي، وأخيرا بيئن المفسر أن حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي مصدر مهم لبيان نظام الحكم والسياسة كتجربة رعتها العصمة. والذي تجدر الإشارة إليه أنه كان كثير الاستدلال بالقرآن الكريم. (الطباطبائي: نظرية السياسة والحكم في الإسلام _ ترجمة الشيخ الآصفي، بيروت، دار الغدير).

[2]- وذكره أيضا الأستاذ محمد هادي معرفة في كتابه ((التمهيد في علوم القرآن)). قم، مطبعة مهر، ١٣٩٦هـ، ١٠٤/١.

والرياضية والفلسفية والأدبية وسائر العلوم التي شجع عليها . كما تناول فيه مسائل عديدة في علوم القرآن مثل نزول القرآن وأسبابه وجمع الكتاب وأنه مصون عن التحريف والقراءات وأسماء السور ، والخط القرآني ومسائل أخرى [١].

وقد اعتمدت عليه في موارد كثيرة من هذه الرسالة لأنه يمثل وجهة نظر المفسر في جملة من المسائل المتعلقة بمنهجه التفسيري .

٣١ _ مباحثاته العلمية مع البروفسور هنري

مجلدان _ وقد كتبه المفسر بالفارسية . وقد حصلت على المجلد الأول منه الموسوم بـ (الشيعة) وهو عبارة عن مجموعة أسئلة طرحها البروفسور هنري كوربان حول بعض الحقائق عن التشيع والشيعة خلال مسيرة الإسلام . وقد ذكر المفسر فيه وجهات النظر العديدة حول نشأة الشيعة والتشيع ، وطريقة الشيعة في تناولهم للعلوم ودراستهم لها ، وأموراً أخرى تتعلق بمسألة التشيع على مدى التاريخ الإسلامي [٢] .

٣٢ _ المرأة في الإسلام (مترجم عن الفارسية) :

وهو كتاب صغير يبدأ فيه المؤلف ببيان حالة المرأة عبر التاريخ كاشفا عن المرارة التي كانت تعانيها جراء البعد عن النظرة الواقعية تجاهها ، ثم أوضح سر هذه الحملة المسعورة على الإسلام بصدد المرأة ، فأرجعها إلى ظلم الكنيسة في القرون الوسطى ، والفهم الخاطئ للإسلام ، وأثر الدعاية المضادة ، وعوامل أخرى . ثم بين الأسس العامة للقوانين الإسلامية وموقع المرأة منها [٣].

٣٣ _ معنوية التشيع (بالفارسية) .

٣٤ _ مقالات متعددة في مجالات كثيرة مثل (دروس من الإسلام) و (دليل الكتاب) و (مدرسة التشيع) .

٣٥ _ من روائع الإسلام (بالفارسية) .

---

[١] ـ وصف الأستاذ محمد هادي معرفة هذا الكتاب بأنه حافل بأهم المسائل القرآنية (انظر: التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفة ، الجزء الأول ، صفحة : يد).

[٢] ـ انظر : محمد حسين الطباطبائي : الشيعة ، قم ، مؤسسة انتشارات رسالت ، ١٣٩٧هـ).

[٣] ـ الطباطبائي: المرأة في الإسلام ، بيروت ، دار الغدير ، ١٩٧٣م.

٣٦ _ منظومة في قواعد الخط الفارسي .

٣٧ _ الميزان في تفسير القرآن : في عشرين مجلدا ، وهو موضوع البحث . وقد وضعه المفسر (بالعربية) ثم ترجم إلى الفارسية .

٣٨ _ نهاية الحكمة في الفلسفة (بالعربية)[1] .

[1]ـ اعتمدت في بيان (آثاره العلمية) على رسالة المفسر التي بعثها لي في أواخر جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ . وكذلك على ترجمة مقدمة الدكتور حسين نصر لكتاب ((الشيعة في الإسلام)) =للمفسر . وقد ذكر المفسر في رسالته هذه أن المطبوع من هذه الآثار هو : الميزان ، وأصول الفلسفة ، وبداية الحكمة ، ونهاية الحكمة ، والقرآن في الإسلام ، والشيعة في الإسلام ، ومباحثاته العلمية . مع هنري كوربان ، ورسالة في الوحي ورسالة في علم الإمام ، ورسالة في نظم الحكم ، ورسالة في الإعجاز ، وتعليقاته على الأسفار الأربعة للشيرازي.

الفصل الثالث

مصادره في تفسيره (الميزان)



مصادر الميزان

إن التعريف بالمصادر التي اعتمدها المفسر في تفسيره ، وبيان وجه هذا الاعتماد يشكلان أهمية معينة في دراسة المنهج الذي سار عليه ، فضلاً عن كون هذه المصادر تشكل جزءاً من ثقافة المفسر ، كما أن هذه المسألة ذاتها يوقفنا على مدى تأثُّره بمن سبقه ، ويُرشدنا أيضًا إلى شخصية المفسر العلمية بين التلاشي والتقليد وبين البروز والتحرر .

وقد اعتمد المفسر على كثير من كتب التفسير والحديث والسير والتاريخ واللغة وكتب أخرى .

وسنتعرض لهذه المصادر مفصلين القول في مصادره التفسيرية لأهميتها ولكونها تعبر عن واقع شخصيته التفسيرية بين أقوال المفسرين وآرائهم . مكتفين بذكر المصادر الأخرى مع الإشارة إلى وجه هذا الاعتماد .

أولا : **مصادره التفسيرية** :

اعتمد الطباطبائي على كتب التفسير _ قديمها وحديثها _ فتعرض لما فيها من آراء مستعينا ببعضٍ منها في بيان معاني الآيات ، ومتعرضا لبعضها الآخر بالنقد والتحليل . وتشكل ظاهرة عرض الآراء والموازنة بين أقوال المفسرين أهمية كبيرة في هذا التفسير ؛ فقد شاعت فيه بشكل متميز لذا كان من الضروري إبرازها هنا بصورة جلية وغنية بالشواهد بالقدر الذي يسمح به القول في هذا الفصل . وسوف أتكلم فيما بعد عن طبيعة مناقشته لأقوال المفسرين مبينا أسس ترجيحه بينها .

وإلى جانب ذلك اعتمد عليها في بيان لغة المفردات كما شاع في اعتماده على مجمع البيان للطبرسي ، والمفردات للراغب الأصفهاني . ومما استعان به في المأثور والأخبار ، تفسير الطبري ، والدر المنثور للسيوطي . وسأنبه على بعض هذه الجوانب التي أفادها المفسر من هذه المصادر التي تكرر ذكرها كثيراً في الميزان . وقد راعيت في ترتيب مصادره التفسيرية التسلسل الزمني لمفسريها .



١ _ ابن عباس :

لقد صدرت مصادره التفسيرية بالكلام عن الأثر المنقول عن ابن عباس في تفسير الميزان حيث يعد قطبا لامعاً بين مفسري الصحابة . وقد كثرت الروايات عنه ما بين منقول صحيح ومنحول عليه ، ونشير هنا إلى أن المفسر نقل أقوالاً لكثير من الصحابة والتابعين وتابعيهم ؛ استأنس بقسم منها ، وتعرض لقسم آخر منها بالنقد والتحليل ، وسنتعرض لها بشيء من البيان في (موقفه من أقوال الصحابة والتابعين) [١] .

وعلى العموم فإنه ينقل هذه الأقوال عن كتب التفسير والرواية ، ولكن عبارته قد توهم أحيانا بأنه لم ينقل منها كقوله : ونسب إلى ابن عباس ... القول [٢] _ دون إشارة إلى مصدر ، أو تلويحٍ له ، ولا يعني هذا أنه نقلها عن تفسير (تنوير المقباس) المنسوب إلى ابن عباس ، لأن عبارته لا تسعف على ذلك ولم يشر هو إلى هذا التفسير ، ووجود ما يصدق هذه المنقولات في التفسير المنسوب إليه أحيانا لا يعني أن الطباطبائي أخذها عنه لأنها مذكورة كذلك في أكثر من تفسير وكتاب ، فلا أدري هل نقل عنه بواسطة أم بغير واسطة .

وتطبيقا لما ذكر آنفا فقد رفض المفسر قولاً نسب إلى بن عباس في معنى النهي في قوله تعالى ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ بأن المراد به هنا النهي عن الخصاء [٣] .

---

[١] ـ انظر : ص : ١٩٦ من هذه الرسالة .

[٢] ـ انظر : الميزان : ١٦٠/١٢ ، ٣٢٩/١٤ ، ٦/٢٠ ، ٢٦٤ .

[٣] ـ انظر : الميزان : ١٨١/١٦ ، الروم : ٣٠ . حين أطلعت على تفسير (تنوير المقباس المنسوب لابن عباس والموضوع على هامش الدر المنثور للسيوطي ، طنجة ، ١٨٦٩م) لم أجد ذكرا لهذا القول ، بينما وقفت عليه في (مجمع البيان للطبرسي ، بيروت ، ١٣٧٩هـ ، ٣٠٣/٤) وقد رأيت قسما من أقوال ابن عباس التي ذكرها الطباطبائي في تفسيره ، موجودة في (تنوير المقباس) . انظر : ٦٥/٣ من تنوير المقباس ، ١٦٠/١٢ من تفسير الميزان على سبيل المثال.

وعلى قول آخر نسب إلى ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والحسن وغيرهم في معنى (همّ) يوسف (عليه السلام) : بأن المعنى أنها همت بالفاحشة وأنه هم بمثله ، ولولا أن رأى برهان ربه لفعل ، ومعنى همه أنه قصدها بالفاحشة ودنا منها حتى حل السراويل وجلس منها مجلس الخاتن فأدركه برهان من ربه أبطل الشهوة ونجاه من الهلكة . رد عليه الطباطبائي بأن ذلك يمس عصمة يوسف (عليه السلام) الذي يجل عنه مقام النبوة وتتنزه عنه ساحة الصديق (عليه السلام) [1] .

بينما أفاد الطباطبائي مما نسب إلى ابن عباس في جوابه تعالى لإبليس لعنه الله : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ۞ إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ من أن اليوم هو آخر أيام التكليف وهو النفخة الأولى يوم تموت الخلائق وهو غير يوم البعث في النفخة الثانية [2] .

٢ _ جامع البيان في تفسير القرآن :

للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي الطبري [3] ، نقل الطباطبائي عن تفسير الطبري أقوالاً للصحابة والتابعين ، وروايات في أسباب النزول،ولعل السبب في ذلك أن تفسير الطبري يعد طليعة في التفاسير الأثرية .

ففي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ ﴾ _ قال المفسر _ : وفي تفسير الطبري عن قتادة قال : أما الربانيون ففقهاء اليهود ، وأما الأحبار فعلماؤهم . قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أنزلت هذه الآية ، قال : (نحن نحكم على اليهود وعلى من سواهم من أهل الأديان) [4].

---

[1] ـ الميزان : ١٣٠/١١ وراجع تفسير الطبري : ٣٤/١٦_٣٩.

[2] ـ الميزان : ١٦٠/١٢ والآيتان : ٣٧_٣٨ . الحجر ، وراجع مجمع البيان ٣٣٧/٣.

[3] ـ أنظر : طبقات المفسرين للداودي ، تحقيق علي محمد عمر ، القاهرة ، ١٣٩٢ ، ط١ ، ١١١/٢.

[4] ـ الميزان : ٣٦٦/٥ ، المائدة : ٤٤ وانظر : الميزان : ٢٩٤/٤ ، ٢٩٥ ، ٣٣٣/٥ ، ، المائدة : ٤٤ وانظر : الميزان : ٢٩٤/٤ ، ٢٩٥ ، ٣٣٣/٥ ، ٣٣٦ ، ٦٢/٦ ، ١٣٥ ، ٢١٠/٩ ، وراجع تفسير الطبري : ٣٣٨/١٠ ، ٣٤٣.

وفي سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً..** ذكر المفسر رواه الطبري في تفسيره عن ابن زيد أن الذي نزلت فيه الآية هو أبو الدرداء ، وكان في سرية فعدل إلى شعب يريد حاجة له ، فوجد رجلاً من القوم في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال : لا إله إلاّ الله فضر به ثم جاء بغنمه إلى القوم فوجد في نفسه شيئاً فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فنزلت الآية [١] .

٣ _ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :

لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت ٥٣٨هـ [٢] .

إن أثر الكشّاف وآراء الزمخشري واضحة في صفحات الميزان ، ويقترب الكشاف من مجمع البيان _ الذي سيأتي الكلام عنه _ في الأهمية بالنسبة إلى الميزان وفي مدى اعتماد المفسر عليه ؛ فقد استعان المفسر بالكشاف في بيان معنى في آية أو إفادة من صورة بلاغية أو حالة إعرابية .

كما نقل عن الكشاف مرويات [٣] قليلة جداً فيما لو قورنت بالجوانب المقدمة .

ففي تفسير قوله تعالى ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۞ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۞ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۞ نَذِيراً لِّلْبَشَرِ ﴾ . ذكر المفسر قولاً للزمخشري في معنى كلاَّ فقال : كلاَّ : إنكار (بعد أن جعلها ذكرى) أن يكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون ، أو ردع لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر نذيرًا .

ثم علق المفسر قائلا : فعلى الأول إنكار لما تقدم ، وعلى الثاني ردع لما سيأتي [٤]

١ـ الميزان : ٤٢/٥ . والنساء : ٩٢ ، وراجع تفسير الطبري : ٣٤/٩.

٢ـ انظر : الداودي : طبقات المفسرين ٣١٤/٢ _ ٣١٦.

٣ـانظر : الميزان : ٢٤٥/١٠ ، ٧٠/٢٠ ، ٢٤٠ على سبيل الحصر تقريبا . وليس الكشاف من كتب التفسير بالرواية بل المعروف عنه أنه كتاب يهتم بالجانب البلاغي للقرآن الكريم . فضلا عن أن مذهب الزمخشري هو الاعتزال ، فهو يعنى بالتأويل والتفسير بما يناسب مذهبه ولعل هذين السببين هما اللذان دعوا الطباطبائي الاعتماد بهذا القدر القليل من الروايات على الكشاف.

٤ـ الميزان : ٩٤/٢٠ ، المدثر : الآيات : ٣٢ _ ٣٦ . وانظر : الكشاف للزمخشري ، طبعة دار المعارف : ١٨٦/٤.



وفي قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ .

نقل المفسر في بلاغة الآية كلامًا عن الكشّاف وهو:(إن قيل : لم قيل: (مرضعة) دون (مرضع) ؟

قلت : المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي ، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به فقيل: مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة .

وقال : فإن قلت : لم قيل أولاً : ترون ، ثم قيل : ترى (على الإفراد) ؟

قلت:لأنَّ الرؤية أوَّلاً علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعًا رائين لها ، وهي معلقة أخيرًا بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائياً لسائرهم)[1] .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ۞ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ۞عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾

ذكر المفسر كلاماً للزمخشري قال فيه : (فإن قلت بم انتصب إذا ؟ وكيف صح أن يقع يومئذ ظرفاً ليومٍ عسير ؟ قلت : انتصب إذا بما دل عليه الجزاء ؛ لأنَّ المعنى إذا نقر في الناقور عَسُرَ الأمر على الكافرين ، والذي أجاز وقوع يومئذٍ ظرفا ليوم عسير أن المعنى هو: فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير ؛ لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور .

وقال : ويجوز أن يكون ((يومئذ)) مبنياً مرفوع المحل بدلاً من ((ذلك)) و ((يوم عسير)) خبر .

---

[1]- الميزان : ٣٧١/١٤ . وانظر: الميزان أيضا : ١٧١/٤ ، ٨٣/١٣ ، ٤٨/١٨ ، و: الحج : ٢. وانظر: الكشاف للزمخشري : ٤/٣.

كأنه قيل : فيوم النقر يوم عسير [1] .

والى جانب هذا الاعتماد الواضح على الزمخشري في هـذه الجوانـب المتعـددة تعرض الطباطبائي لمناقشته وردِّ بعضِ أقواله . ففي معنـى الـسموات والأرض يومئذٍ ودوامها في قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ ذكر المفسر كلاماً للزمخشري قال فيه : ((والدليل على أن لها سموات وأرضاً)) قوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ وقولـه سـبحانه : ﴿ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ ولأنه لابد لأرض الآخرة مما تقلهم وتُظلُّهم أم سماء يخلقها الله تعالى أو يظلهم العرش ، وكل ما أظلك فهو سماء . وقد رفض المفسر هذا الوجه ؛ لأنه إثبات للسماء والأرض من جهة الإضـافة فتكـون الجنة والنار أصلاً . وسماؤهما وأرضهما تابعين لهما في الوجود ، ونتج عن ذلك أن بقاء سماء الجنة والنار وأرضهما يتحدد بمدة دوام الجنة والنار لا بالعكس .

والذي يبين تحديد بقاء الجنة والنار وأهلها بمدة دوام السموات والأرض إنَّما هو من جهة أنهما سموات وأرض مؤبدة غير فانية قال تعالى : ما عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ بعد أن أشار القرآن الكريم إلى تبدلهما [2] .

وفي موضع آخر لم يرجح المفسر قولاً للزمخشري بخصوص معنى تنفس الصبح في قوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ حين ذهب الزمخـشري إلـى أن تـنفس الصبح معناه إذا أقبل أقبل بإقباله روح ونسيم ، فجعل ذلك نفسًا له على المجـاز ، على أن هذا الوجه بعيدٌ عن الذهن _ على قول المفسر _ والأقرب منه هو إنَّما عد الصبح متنفسا بسبب انبساط ضوئه على الأفق ، ودفعه الظلمة التي غشيته .

---

[1] ـ أنظر : الميزان :٢٠/٨٥ والمدثر : ٨_١٠ وانظر : الكشاف :١٨١/٤ ، وللفائدة : انظر : الميـزان : ٣٠٠/١٤ . ٢٢/١٨ ، ٨٠/٢٠ ، ٨٥.

[2] ـ انظـر : الميـزان : ٢٤/١١ وهـود : ١٠٧ وإبـراهيم : ٤٨ والزمـر : ٧٤ والنحـل : ٩٦ . وانظـر : الكـشاف : ٢٩٤/٢.

وهو نوع من الاستعارة بتشبيه الصبح وقد طلع بعد غشيان الظلام للآفاق بمن أحاطت به متاعب أعمال شاقة ثم وجد خلاءً من الزمان فاستراح فيه وتنفس فعد إضاءته للأفق تنفساً منه [1].

٤_ مجمع البيان :

وهو من أفخر كتب التفسير وأعظمها لدى الإمامية الاثني عشرية بعد تفسير التبيان للشيخ الطوسي. ومجمع البيان للإمام السعيد ، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي المشهدي الرضوي [2].

اعتمد الطباطبائي عليه في موارد متعددة يمكنني أن أبيِّن ذلك الاعتماد بالشكل الآتي:

أ _ استعان الطباطبائي بنظرات الطبرسي في معاني الآيات واستهدى بها مؤيداً لما يراه من معنى . ففي قوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

خروجهم منها : لإجماع الأمة على أن من استحق الثواب فلابد أن يدخل الجنة وأن لا يخرج منها بعد دخوله فيها .

ثم علق الطباطبائي قائلا : مسألة : ((وجوب دخول أهل الثواب الجنة)) مبنية على قاعدة عقلية مسلمة وهي أن الوفاء بالوعد واجب دون الوفاء بالوعيد ، وأمَّا مسألة عدم الخروج من الجنة بعد دخولها فهو مما تكاثرت عليه الآيات والروايات ،

---

[1] ـ الميزان : ٢١٧/٢٠ والتكوير : ١٨ . وانظر : الكشاف ٢٢٤/٤ . لقد تعرض المفسر لكثير من آراء الزمخشري بالنقد ولا سيما في بعض العقائد التي اختلف الطباطبائي فيها مع المعتزلة منها قضية أفعال العباد وتفضيل الإنسان على الملائكة والشفاعة وغيرها سيأتي بيانها . وللإيضاح يراجع : الميزان : ١٣٦/٥ ، ١٢/٨ ، ٢٣/١١ _٢٤، ٣١٣/١٣، ١٧٣/١٦ ، ١٧٤ ، ١٥٧/١٨ ، ٢٠٦/٢٠ ، ٢١٧.

[2] ـ محمد باقر الخوانساري : روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، طهران ، ١٣٩٠هـ ، ٣٥٧/٥ ، وانظر : معجم المؤلفين : ٦٦/٨_٦٧.

والإجماع الذي ذكره _ يعني الطبرسي _ مبني على الذي تسلموه من دلالة الكتاب والسنة أو العقل على ذلك [1] .

وقد يستعين المفسر بقول الطبرسي دون تعقيب عليه ، وإنما إيراده قوله ، وسكوته عنه بهذا الشكل يبعث على التأييد والاستعانة به في جلاء المعنى وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ .

فبعد أن بين أنَّ ما تعنيه الفتنة هو المحنة والتعذيب وأن (الذين فتنوا) عام يشمل أصحاب الأخدود ، ومشركي قريش الذين كانوا يفتنون من آمن بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليرجعوهم عن دينهم ، اكتفى بذكر قول للطبرسي استئناساً وتأييدًا لبيان تمام الآية فقال : ((قال في المجمع : يسأل فيقال : كيف فصل بين عذاب جهنم وعذاب الحريق وهما واحد ؟ أجيب عن ذلك بالمراد لهم أنواع العذاب في جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم والغسلين والمقامع ولهم مع ذلك الإحراق بالنار)) [2] .

ولا يعني استعانة المفسر بأقوال المفسرين ومنها أقوال الطبرسي في التفسير أن يأخذها أخذ المسلّمات،ولا يعتني بمناقشتها ، فقد تعرض لأكثرها بالنقد والتجريح[3].

ب _ استعان المفسر في بيان معاني قسم كبير من المفردات القرآنية بما بينه الطبرسي في كتابه مجمع البيان .

فعن كلمة (ردء) في قوله تعالى ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ .

---

[1] ـ الميزان : ٣٥/١١ وهود : ١٠٨ . وانظر : مجمع البيان ١٩٦/٣.

[2] ـ الميزان : ٢٥٢/٢٠ والبروج ١٠ ، وانظر : مجمع البيان ٤٦٨/٥.

[3] ـ انظر : (مناقشته لأقوال المفسرين) في هذه الرسالة : ص ٢٠٨ . وللإيضاح يراجع : الميزان : ٧٢/٩ ، ١٦٤/١٠ ، ٣٥٥/١١ ، ١٥٦/١٣_١٦٠ ، ١٥٩/١٨.

نقل المفسر ما ذكره الطبرسي بقوله : يقال : فلان ردء فلان إذا كان ينصره ويشد ظهره [1].ونقل عن صاحب مجمع البيان في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً** ﴾ بأنَّ الرجاء:ترقب الخير الذي يقوى في النفس وقوعه ومثله الطمع والأمل ، **واللقاء**ـ المصير إلى الشيء من غير حائل ، والعتو : الخروج إلى أفحش الظلم [2].

جـ _ ومن اعتماده على مجمع البيان ذكره لبعض الحالات الإعرابية التي تسهم في جلاء معاني الآيات فقد أورد كلاما للطبرسي في قوله تعالى ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ ذكر فيه : و (((ذلكم)) موضعه الرفع وكذلك ((أن الله)) في موضع رفع ، والتقدير : الأمر ذلكم ، والأمر أن الله موهن . وكذلك الوجه فيما تقدم من قوله : ﴿ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ ومن قال : إن ((ذلكم)) مبتدأ و (فذوقوه) خبره فقد أخطأ لأن ما بعد الفاء لا يكون خبراً لمبتدأ ، ولا يجوز : ((زيد فمنطلق)) ولا : ((زيد فاضربه)) إلا أن تضمر (هذا) تريد : ((هذا زيد فاضربه))) [3].

د _ نقل المفسر عن مجمع البيان عددًا كبيرًا من الروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، والصحابة والتابعين رضي الله عنهم فيما يتعلق ببيان معاني الآيات . منها : ما ذكره من رواية عن سهل بن ساعد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في معنى قوله تعالى : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ قال : ((لا تسبوا تبّعاً فانه كان قد أسلم)) [4] .

1ـ الميزان : ٣٤/١٦ . الآية : القصص : ٣٤ ، انظر مجمع البيان : ٢٥٣/٤.

2ـ الميزان : ١٩٨/٢٥ ، سورة الفرقان : ٢١ ، انظر : مجمع البيان ١٦٥/٤ . وانظر : الميزان : ٢٦٥/٤ ، ٢٩٧/١٧.

3ـ الميزان : ٤٠/٩ . الآيات : الأنفال : ١٨ ، ١٤ ، انظر مجمع البيان : ٥٣١/٢ وانظر : الميزان : ٦٧/٦ ، ٣٢٠/١٠ ، ١٤٣/١٣.

4ـ انظر الميزان : ١٥٢/١٨ ، سورة الدخان : ٣٧ . وانظر : مجمع البيان : ٦٦/٥ وانظر : الجامع الصغير للسيوطي : ٦٣٥/٢ وللاطلاع راجع الميزان : ١٦١/٦ ، ١٦/١٦ ، ٣٩ ، ٨٥.

ورواية عن الإمام الصادق في معنى (الحفدة) في قوله تعالى : ﴿ وجعل لكم من أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وحفدة ﴾ قال : وهم العون منهم يعني البنين [1].

ومنها كذلك ما ذكره من روايات عن الصحابة والتابعين . ففي مخاطبته سبحانه لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى : ﴿ الذي يراك حين تقوم ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ ذكر ما روي عن ابن عباس في مجمع البيان قوله : وتقلبك في الساجدين الموحدين من نبي الى نبي حتى أخرجك نبيا [2] .

والذي تنبغي الإشارة إليه أن الطباطبائي لم يشر كثيراً إلى تفسير التبيان لأبي جعفر الطوسي ، ولم يصرّح به فضلا عن كون التبيان تفسيراً معتبراً ذا مقامٍ كبيرٍ عند الإمامية الاثني عشرية لما يحتله صاحب التبيان من مكانة عالية ومقام رفيع عندهم ، باعتباره شيخ الإمامية .

وفي اعتقادي إنما حصل هذا لاعتبارين :

أوّلاً : أن الطبرسي اعتمد اعتمادًا كبيرًا على التبيان وخاصة فيما يتعلق بالتفسير المأثور . وهو ما صرح به الطبرسي نفسه حين قال : ((فإنه _ يعني التبيان _ الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ، ويلوح عليه رواء الصدق ، قد تضمن من المعاني الأسرار البديعة ، واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة ... وهو القدوة ، أستفيء بأنواره ، وأطأ مواقع آثاره)) [3] .

فكأن الطبرسي يحاكي الطوسي وينقل عنه في أغلب الجوانب التفسيرية .

وثانيا : لما يحمله مجمع البيان من امتياز في اللغة والإعراب دونه التبيان ، وقد صرح بذلك الطبرسي نفسه _ أيضًا _ بقوله : (غير أنه _ الطوسي _ خلط في أشياء مما ذكره في الإعراب والنحو الغثَّ بالسمين ، والخائر بالزباد ، ولم يميز

---

[1] ـ انظر : الميزان : ٣٠٩/١٢ والنحل : ٧٢ . وانظر : مجمع البيان ٣٧٣/٣.

[2] ـ انظر : الميزان : ٣٣٦/١٥ والشعراء : ٢١٨_٢١٩ . وانظر : مجمع البيان ٢٠٧/٤ . وللاطلاع راجع : الميزان : ٢٢٩/٨ ، ٥٧/١٦.

[3] ـ انظر : مجمع البيان ، بيروت ، ١٩٥٥م ، ٢٠/١.

بين الصلاح مما ذكر فيه الفساد ، وأدى الألفاظ في مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد) [1] .

فكلا الاعتبارين يكشف إلى حدٍّ ما علة إكثار المفسر من ذكر مجمع البيان دون ذكره تفسير التبيان وذلك لما في _ المجمع _ من تنسيق أوفى ، وزيادة على الأصل _ التبيان _ كما بينا .

٥ _ **مفاتيح الغيب** (**التفسير الكبير**) :

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي ، ت ٦٠٦هـ [2] .

نقل الطباطبائي نسبة غير قليلة من آراء الرازي وأقواله ، وتعرض لأكثرها بالنقد والتحليل ، وقد شهد الميزان كثيراً من ألوان التصدي لآراء الرازي ، وردَّ أقواله ، وبعبارة أخرى أن اعتماد المفسر على مفاتيح الغيب انصب على آراء الرازي نفسها . فقد تعرض لأكثرها بالنقد والمناقشة إن لم نقل لجميع ما ذكره من آراء للرازي _ على وجه التغليب _ وهذا يرجع إلى أن الطباطبائي من العدلية [3]

---

[1] ـ المصدر السابق نفسه : ٢٠/١.

[2] ـ طبقات المفسرين للداودي : ٢١٤/٢ وما بعدها.

[3] ـعرفت المعتزلة بالعدلية (انظر : مقدمة الكشاف للزمخشري ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٨/١) وانظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي ٤٣/١) و (انظر : د . علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٧م ، ط٧ ، ٤٣٢/١) . ويعلل الدكتور أحمد محمود صبحي ذلك بقوله : ((وتكاد تندرج معظم نظريات المعتزلة التي تفسر صلة الله بالإنسان ، أو بالأحرى مفهوم العناية تحت أصل العدل . بل أن الأصول الثلاثة الباقية متفرعة عن العدل داخلة تحته)) _ (انظر : في علم الكلام _ مؤسسة الثقافة الإسلامية بالإسكندرية ، ١٩٧٨ ، ١٤٩/١) . وفي هذا المصطلح يشترك الإمامية مع المعتزلة إذ أن العدل لديهم يعدُّ من صفات الله تعالى الثبوتية الكمالية (انظر : محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية ، بيروت ، دار الغدير ، ص ٤٠ وما بعدها) . وما بقي من أصولهم الخمسة بعد التوحيد والعدل وهي : (النبوة والإمامة والمعاد) ترتكز على العدل لأن النبوة والإمامة لطف منه تعالى وفي المعاد يثاب المطيعون ويعذب العاصون على قدر ما قدموه في حياتهم الدنيا (المصدر السابق نفسه ص ٤٩ ، ٦٥ ، ١٢٦) . فالعدلية كالمصطلح يمكن أن يتسع لكل من يفلسف العدل كأصل اعتقادي بهذا الشكل . والى ذلك يشير الشهرستاني

بخلاف الرازي الذي هو من الجبرية [١] وباعتبار أنَّ الرازي يهتم بالجانب الكلامي بل إن تفسيره يعد الرائد في هذا الاتجاه ، كما أن للطباطبائي اهتمامات فلسفية وكلامية واسعة مما حمله ذلك كله على الاهتمام بالرازي .

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بإذْنه فَمنْهُمْ شَقيٌّ وسعيدٌ ﴾ ، وذكر المفسر كلاماً للرازي أفاد الجبر : ((بأن الله تعالى حكم الآن على بعض أهل القيامة بأنه سعيد ، وعلى بعضهم بأنه شقي . ومن حكم الله عليه بحكم وعلم منه ذلك الأمر امتنع كونه بخلافه ، وإلاّ لزم أن يصير خبر الله تعالى كَذباً ، وعلمه جهلاً ، وذلك محال ؛ فثبت أن السعيد لا ينقلب شقيًا،وأن الشقي لا ينقلب سعيدًا)) . واستدل الرازي برواية _ على هذا الكلام _ وهي قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمر رضي الله عنه : ((ولكن كلٌّ ميسَّرٌ لما خلق له)) [٢] .

وردَّ عليه المفسر : بأنه غالط فيه بأخذ زمان الحكم زمانا لنتيجته وأثره ، فمن البديهي أن الحكم الحق الآن باتصاف موضوع مّا بصفةٍ في المستقبل لا يستلزم الاتصاف بها إلاّ في المستقبل لا في زمان الحكم القائم ، وهو الآن ، كما أن حكمنا

=بقوله : (فلهذا صار الإمامية متمسكين بالعدلية في الأصول) انظر الملل والنحل ١٧٢/١) . هذا وان كان التحقيق الدقيق يؤكد أن فكرة العدل كأصل عقائدي لدى الإمامية بكل ما له من فروع وبراهين سبقت بحوث المعتزلة فيه.

[١]- يقول الشهرستاني : ((الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد واضافته إلى الرب تعالى . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة : هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا . والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا . فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرا ما في الفعل ، وسمى ذلك كسبا فليس بجبري . ثم قال : والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثرا في الإبداع والإحداث استقلالا جبريا)) . ويضيف قائلا : ((والمصنفون في المقالات سمُوا الأشعرية حشوية وتارة جبرية)) . وأما ابن حزم فانه يعتبر الأشعري من الجبرية الذي يعتبر الاستطاعة التي يكون بها الفعل لا تكون مع الفعل ولا يتقدمه البتة الفعل . (انظر : ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، القاهرة ، المطبعة الأدبية ، ١٣١٧هـ ، ٢٢/٣ . وانظر : خالد العلي : جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي ، بغداد ، مطبعة الرشاد ، ١٩٦٥م ، ص ١١٦).

[٢]- سنن الترمذي : أبواب القدر ، باب ما جاء في الشقاء والسعادة . انظر : الرازي : مفاتيح الغيب ، مصر ، الطبعة البهية ، ١٣٥٧هـ ، ط١ ، ٦١/١٨.

في الليل بأن الفضاء مضيء بعد ساعات _ وهو حكم حق _ لا يوجب إضاءة الفضاء ليلاً . وحكمنا بأن الصبي سيصبح شيخاً فانياً بعد ثمانين سنة لا يستدعي كونه شيخا فانياً في زمان الحكم ، فقوله : ((فمنهم شقي وسعيد)) _ وهو خبر من الله تعالى بأن جماعة منهم أشقياء يوم القيامة وآخرون سعداء _ إن كان حكما بشقاوتهم وسعادتهم كذلك فإنّما هو حكم صادر منه في هذا الآن بأنهم كذا وكذا يوم القيامة . ومن المسلم أنه لا يتغير عما هو عليه في ظرفه وإلاّ لزم أن يكون خبره تعالى كذبا وعلمه جهلاً لا أنه حكم صادر منه هذا الآن بأنهم كذا وكذا هذا الآن أو على الدوام.

ثم إن قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((وكلٌ ميسَّرٌ لما خلق له)) لا يدل على جبر وإنما يدل على أنَّ لما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاء وجهين : وجه ضرورة وقضاء حتم لا يتغير عن سبيل مثله ، ووجه إمكان واختيار ميسَّر للإنسان يسلك إليه بالعمل والاكتساب . والدعوة الإلهية تتوجه إليه من الوجه الثاني دون الوجه الأول ، لما يلزم الأخير من مساس بالعدل الإلهي ، ومبدأ ترتب الجزاء يوم القيامة .

ومِنْ ثَمَّ فإن علمه تعالى بعمل الإنسان لا يستوجب بطلان الاختيار وثبوت الإجبار وإن كان معلومه تعالى لا يتخلف عن علمه [1].

وعن فرعون بخصوص كونه دهريًّا ينكر وجود الصانع أم لا ؛ ذكر المفسر كلاما للرازي مفاده : ((أن فرعون كان دهريًّا ينكر وجود الصانع وكان يقول : ((مدبر هذا العالم السفلي)) هو الكواكب ، وأما المجدي في هذا العالم للخلق ولتلك الطائفة والمربي لهم فهو نفسه ، فقوله : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ أي مربيكم ، والمنعم عليكم ، والمطعم لكم . وقوله : ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ أي لا أعلم لكم أحدًا

---

[1] ـ الميزان ١١/١٩_٢١ ، ٣٩ ، هود : ١٠٥.



يجب عليكم عبادته إلاّ أنا ، ومِنْ ثَمَّ فلا يبعد أن يقال : ((إنه اتخذ أصـنامًا علـى صور الكواكب ، يعبدها ويتقرب إليها على ما هو دين عبادة الكواكب)) .

وكان رد المفسر عليه : أنه ليس معنى الإلوهية والربوبية _ عند الوثنيّين وعبـدة الكواكب _ خالقية السموات والأرض ، بل تدبير شيء من أمور العالم كما احتمله الرازي أخيراً . ولا في الدهريين : من يعبد الكواكب ، ولا في الـصابئين وعبـدة الكواكب : من ينكر وجود الصانع ، بل الحق أن فرعون كان يرى نفسه رباً لمصر وأهلها ، وكان إنما ينكر كونهم مربوبي إلهٍ آخر على قاعدتهم لا أنهم أو غيرهم من العالم ليسوا مخلوقين لله سبحانه،وظاهر قوله تعالى: ﴿ وقال فرْعونُ يا أيُّها الملأُ ما عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إله غَيْري فأوْقِدْ لي يا هامانُ على الطِّين فاجْعل لِّي صـرحًا لَّعلِّـي أَطَّلِعُ إِلى إِلَهِ مُوسَى ﴾ أن فرعون كان يشك في كونه إلهاً لموسى،وأن معنى قوله :(ما علمت لكم من إله غيري) نفي العلم بوجود إلهٍ غيره لا العلم بعدم وجود إلـه غيره [1] .

٦ _ **المفردات في غريب القرآن** : لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ [2] ، الذي اعتنى بالجانب اللغوي لغريب القرآن ، وأضفى على المفردات الغريبة معاني قرآنية من خلال ورودها في القرآن الكريم . وقد رتب الأصفهاني كتابه على الحروف الهجائية ، ثم أدرج تحتها ما ورد من مفردات غريبة في القرآن [3] .

---

[1] ـ الميزان : ٢٢٣/٨ _ ٢٢٤ والنازعات : ٢٤ ، القصص : ٣٨ . وانظر : تفسير الرازي ٢٥٢/٢٤ و ٤٢/٣١ . وانظر: الميزان : ٢٩٢/٤ ، ٣٨١ ، ٥٤/٨ _ ٥٩ ، ١١/١٢ ، ١٢ ، ١٩٨/٦ ، ٢٨٦/٩ ، ٥٢/١٣ ، ٣٢٩ ، ١٥٣/١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٨٦ ، ١٨١/١٦ ، ٢٠٦/١٧ ، ١٥٧/١٨.

[2] ـ انظر : معجم المؤلفين : ٥٩/٤.

[3] ـ انظر : الراغب : أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق محمد سيد كيلاني.

أما وجه اعتماد الطباطبائي على هذه (المفردات) فقد كان واضحا وواسعا في بيان معاني المفردات ، وقد فاقت مفردات الراغب كل مصدر اعتمده المفسر بشأن مفردات القرآن الكريم ، وحتى مجمع البيان الذي مر التعريف به .

مثاله : ذكر المفسر كلاماً للراغب في معنى القسط في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ فقال : والقسط _ على ما ذكره الراغب_ هو النصيب بالعدل كالنصف والنصفة قال: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ﴾و﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ والقسط هو أن يأخذ قسط غيره وذلك جور ، والإقساط أن يعطي قسط غيره وذلك إنصاف،ولذلك قيل : (قَسَطَ الرجلُ) إذا جارو(أقسط) إذا عدل قال تعالى:﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾وقال : ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [١].

٧ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل :

للبيضاوي ناصر عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ت ٦٩١هـ [٢].

اعتمد المفسر عليه في بيان معاني بعض المفردات كما نقل عنه بعض المرويات ، إلا أنه على وجه العموم لا يشكل أثراً كبيراً بالنسبة إلى المصادر التفسيرية الأخرى لضآلة ما اعتمد عليه ، وقلة ما تعرض لأقواله بالنقد [٣] .

ففي المفردات مثلا نقل عنه معنى (التهيئة) في قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ فقال : أصلها إحداث هيئة الشيء[٤].

---

[١] ـ الميزان : ٧٣/٨ والأعراف : ٢٩ ، يونس : ٤ ، الرحمن : ٩ ، الجن : ١٥ ، الحجرات : ٩ . وانظر : المفردات للراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، طبعة دار المعرفة ، ص٤٠٣.وللاطلاع راجع الميزان ١٠/٦،١٠٦/١٢،٣٩/١٩٧ لا على سبيل الحصر.

[٢] ـ انظر : طبقات المفسرين للداوودي : ٢٤٢/١ وما بعدها.

[٣] ـ انظر : الميزان : ١٧٩/١١ ، ١٩١.

[٤] ـ انظر : الميزان : ٢٤٧/١٣ والكهف : ١٠ . وراجع تفسير البيضاوي ، المطبعة العثمانية ، ١٣١٤هـ ، ٤/٢.



وفي معنى (مريد) في قوله تعالى : ﴿ وإن يدْعُون إلاّ شيْطانا مَريدا ﴾ نقل عن البيضاوي قوله : المارد والمريد الذي لا يعلق بخير ، وأصل التركيب للملاسة ومنه (صرح مُمَرَّدٌ)،و(غلام أمرد) ، و (شجرة مرداء) للتي تناثر ورقها [1] .

ونقل عنه في نزول قوله تعالى : ﴿ الّذين عاهدتَ منْهُمْ ثُمَ ينقُضُون عهْدهُمْ في كل مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ ﴾ أنهم يهود بني قريضة . عاهدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا : ((نسينا)) ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فخالفهم [2] .

٨ _ الدر المنثور في التفسير المأثور :

للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ [3] .

اعتمد الطباطبائي على هذا التفسير بشكل واسع فيما نقله من المأثور عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة والتابعين ، ويعد المصدر الأول للميزان في المأثور .

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ اللّهُ لا إلـه إلاّ هُو الحيُّ القيُومُ لا تأخُذُهُ سنةٌ ولا نوْمٌ ﴾ ذكر رواية في الدر المنثور عن أبي أمامة الباهلي قال : قلت يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم ؟ قال : اللهُ لا إله إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ... آية الكرسي [4] .

ونقل رواية أخرى من الدر المنثور عن يعلى بن أمية قال : [سألت عمر بن الخطاب قلت : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ وقد أمن الناس ؟ فقال لي عمر : عجبت

---

[1] ـ انظر : الميزان : ٨٤/٥ والنساء : ١١٧ ، وراجع تفسير البيضاوي ٣٠٣/١.

[2] ـ انظر : الميزان : ١٢٦/٩ والأنفال : ٥٦ ، وراجع تفسير البيضاوي ٤٨١/١.

[3] ـ انظر : معجم المؤلفين ١٢٨/٥ _ ١٢٩.

[4] ـ انظر : الميزان : ٣٣٧/٢ والبقرة : ٢٥٥ ، وانظر : الدر المنثور : ٣٢٥/٣ ، وراجع : مسند أحمد بن حنبل ٢٦٥/٥ ضمن حديث أبي أمامة الباهلي.

مما عجبتَ منه فسألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذلك فقال : ((صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته))] [1] .

وعن ابن عباس في الدر المنثور نقل قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ قال : إلى مكة [2] .

وفي سبب النزول نقل الطباطبائي رواية من الدر المنثور عن سعيد بن جبير قال : [كانت قريش تعارض النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الطواف يستهزئون ويصفرون ويصفقون فنزل قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾] [3] .

٩ _ تفسير (أبو السعود) :

المسمّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العمادي . ت ٩٥١هـ [4] .

لم ينقل المفسر عن هذا التفسير سوى قولين تقريبا وقد استحسنهما وعضَّدَ بهما قوله . ففي نسبة عسى ولعل وسوف إلى الله سبحانه نقل عن تفسير أبي السعود قوله : عسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وإنما يطلقونها إظهاراً للوقار ، وإشعاراً بأن الرمز من أمثالهم كالتصريح مِمَّنْ عداهم . وعلى ذلك مجرى وعد الله تعالى ووعيده . وعلّق عليه المفسر بأنه وجه وجيه [5].

---

1 ـ انظر : الميزان : ٦٦/٥ والنساء : ١٠١ . وانظر الدر المنثور : ٢٠٩/٢ وراجع سنن النسائي : كتاب تقصير الصلاة في السفر ، وسنن الترمذي : أبواب التفسير : تفسير سورة النساء ، وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها : باب تقصير الصلاة في السفر ، وسنن الدارمي : كتاب الصلاة ، باب قصر الصلاة في السفر . وللاطلاع : انظر : الميزان ١٣١/٩ ، ٢٩١ ، ٢١٣/١٦.

2 ـ الميزان : ٩٥/١٦ . والقصص ٨٥ . وانظر : الدر المنثور : ١٤٠/٥ . وللاطلاع انظر : الميزان ٢٩/٢ ، ٣٨ ، ٣٣٣/٥ ، ١٦٢/١٦.

3 ـ الميزان : ٨٥/٩ . والأنفال : ٣٥ . وانظر : الدر المنثور : ١٨٣/٣ . وللاطلاع انظر : الميزان : ٢٠٩/٥.

4 ـ يقول رضا كحالة : إن وفاة أبي السعود سنة ٩٨٢ (معجم المؤلفين ٣٠١/١١_٣٠٢).

5 ـ انظر : الميزان ٣٨٩/١٥ ، وراجع تفسير أبي السعود ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ١٣٤٧هـ ، ط١ ، ١٤٠/٤ وللاطلاع انظر : الميزان : ٢٨٣/١٧.

١٠ _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :

لشهاب الدين السيد محمود أفندي البغدادي الآلوسي .ت ١٢٧٠هـ .

إن وجه اعتماد الطباطبائي على هذا التفسير يشبه إلى حد كبير طبيعة اعتماده على التفسير الكبير للفخر الرازي ، فضلاً عن ما نقله عن تفسير الآلوسي من مأثور عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)[1] وقد تعرض الطباطبائي لأكثر ما نقلـه مـن أقوال الآلوسي وآرائه بالنقد والمناقشة دون أن يكتفي بذكرها .

ففي قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ ذكر المفسر قولاً للآلوسـي فـي روح المعاني مفاده :

أمر الله رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالاستقامة مثل الاستقامة التي أُمِرَ بهـا وهذا يقتضي أمره (صلى الله عليه وآله وسلم) بوحي آخر ولو غير مَتْلُوٍّ ، والظاهر أن هذا أمر بالدوام على الاستقامة وهي لزوم المنهج المستقيم وهو المتوسط بـين الإفراط والتفريط . ثم رد عليه الطباطبائي مبيِّنًا : أن ما احتمله من وحي آخر غير متلو يشير إليه قوله تعالى : ﴿ كما أُمرْتَ ﴾ أي استقم كما أمرت سابقا بالاسـتقامة فبعيد عن سنة القرآن وحاشا أن يعتمد بالبيان القرآني على أمر مجهول أو أصـل مستور غير مذكور .

ثم رد على الشطر الثاني من كلام الآلوسي الذي يقضي بأن المراد بقوله (استقم) الدوام على الاستقامة ، وهي لزوم المنهج المستقيم المتوسط بين الإفراط والتفـريط وذلك بأن معنى استقامة الإنسان في أمر ثبوته على حفظه وتوفيته حقـه بتمامـه وكماله . واستقامة الإنسان مطلقا : ركوزه وثبوته لما يرد عليه من الوظائف بتمام قواه وأركانه (بحيث لا يترك شيئا من قدرته واستطاعته) لغو ولا أثر له .

ثم يضيف المفسر قائلا : ولو كان على ما يقول _ يعني الآلوسي _ لكان الأنـسب أن يردف هذا الأمر بالنهي عن الإفراط والتفريط معاً مع أنه تعالى عقّبة بقوله: ﴿ ولا

---

[1] ـ انظر : الميزان : ١٣٦/٨ ، ٢٥٤ ، ٣٣٧ ، ٢٩١/٩ ، ٣٨/١٢ ، ٦٣ ، ٣٦٩/١٣ لا على سبيل الحصر.

تَطْغَوْاْ ﴾ فنهى عن الإفراط فقط لأنهم يومئذ لم يكونوا مبتلين إلاَّ بالإفراط دون التفريط والاستكبار عن الخضوع لله والخروج عن زي العبودية دون التذلل [1] .

١١ _ تفسير المنار :

أفاد الطباطبائي من أقوال وآراء الإمام محمد عبده وتلميذه رشيد رضا [2] ثم ما انفك أن تعرض لأكثر ما أورده منها في الميزان بالمناقشة والنقد .

ففي معنى الرجال الذين على الأعراف _ يوم القيامة _ ذكر المفسر عدة روايات منها : أن هؤلاء هم العباس وحمزة وعلي وجعفر يجلسون على موضع من الصراط يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ، ومبغضيهم بسوادها .

تم ذكر تعليقا لصاحب المنار قال فيه : ((فأي فائدة في تمييز هؤلاء السادة على الصراط لمن كان يبغضهم من الأمويين ومن يبغضون عليًّا خاصة من المنافقين والنواصب ؟ وأين الأعراف من الصراط ؟ هذا بعيد عن نظم الكلام وسياقه جداً)) [3]. وقد أيد المفسر طرحه لهذه الرواية للسبب نفسه [4].

بينما خالف الطباطبائي ما ذهب إليه محمد عبده من أن أمر إبليس بالسجدة ونهي آدم عن أكل الشجرة تكوينيّان ؛ وذلك لأن الأمر والنهي التكوينيّين لا يقبلان التخلف والمخالفة ؛ وقد خالف إبليس الأمر ، وخالف آدم عليه السلام النهي [5].

---

[1] ـ الميزان : ٤٨/١١_٤٩ وهود : ١١٢ . وانظر : تفسير الآلوسي ، المطبعة المنيرية بمصر ١٣٥/٢ . وانظر : الميزان : ٣٨٠/٧ ، ١٢٨/٨ ، ١٤٠ ، ١١/١٢ ، ٦٤_٦٦ ، ١١٦/١٤ ، ١٦٥ ، ١٠٩ ، ٢٠٠ ، ٦٨/١٣ ، ٢٠٨/٨ ، ٣٧١/١٥ ، ٢٦٢/٧.

[2] ـ للإمام محمد عبده ومدرسته التفسيرية أثر واضح في جوانب عديدة من الميزان . وهو ما سنوضحه فيما بعد.

[3] ـ انظر : تفسير المنار ، ط٣ ، ٤٣٣/٨.

[4] ـ انظر : الميزان ١٢٦/٨_١٢٧ وللاطلاع أنظر الميزان أيضا : ٨٢/٨_٨٣ ، ١٤٠.

[5] ـ انظر : الميزان : ٣٩/٨ ، وراجع تفسير المنار . القاهرة ، مطبعة المنار ، ١٣٤٧هـ ، ط٢ ، ٣٣٢/٨ وما بعدها . وللاطلاع انظر : الميزان : ٢٤٣/٣ ، ٣٩٢/٤ ، ٥٥/٦ ، ٢٦٢/٧ ، ١٢٧/٨، ١٤٠ ، ١٧١/٩ ، ١٧٦ ، ٢١١ ، ١٣٨/١١ ، ١٧٦ ، ١٩١.



١٢ _ **الجواهر في تفسير القرآن** : للشيخ طنطاوي جوهري

نقل عنه الطباطبائي بعض الأخبار حول الأناجيل الأربعة (متّى ، ومرقس ، ولوقا ويوحنا) [١] وكذلك جزءاً من أخبار ذي القرنين ودول اليمن [٢] .

ولعدم رغبة المفسر في تحميل الآيات القرآنية ما استجد من نظريات علمية ، كما هو مشهور في تفسير الجواهر، فإنه لم يعول على أقوال الشيخ جوهري في الأغلب الأعم ، بينما تعرض له بالنقد وعلى سبيل المثال في استدلاله على مبدأ الزوجية في الكون في قوله تعالى : ﴿ ومن كلّ الثّمرات جعل فيها زوْجيْن اثنيْن ﴾ قال الطباطبائي : إنّ ظاهر الآية لا يساعد عليه ، والذي يفيده أن نفس الثمرات زوجان اثنان وليست مخلوقة من زوجين اثنين . ويمكن استفادة مبدأ الزوجية من آيات أخرى كقوله تعالى : ﴿ سبْحانَ الّذي خلق الْأزْواج كلّها ممّا تنبتُ الْأرْض ﴾ وقوله ﴿ ومن كلّ شيْء خلقْنا زوْجيْن لعلّكمْ تذكّرْون ﴾ [٣] .

وهناك تفاسير أخرى لا حاجة للوقوف عندها بل نكتفي بذكرها فقط حيث اعتمد المفسر عليها في نقل مرويات ذكرتها هذه التفاسير فحسب ، وبنسبة قليلة فيما قورنت بالتفاسير المتقدم ذكرها وهي :

١ _ أحكام القرآن للجصاص أبي بكر أحمد بن علي الرازي . ت ٣٧٦هـ [٤].

٢ _ العرائس في قصص الأنبياء للثعلبي أبي إسحاق أحمد بن إبراهيم . ت ٤٢٧هـ [٥] .

---

[١] ـ الميزان : ٣١٥/٣ وراجع تفسير الجواهر ، مصر ، مطبعة المصطفى البابي الحلبي ١٣٤٦هـ . ١١٤/٢ وما بعدها.

[٢] ـ الميزان : ٣٩٠/١٣_٣٩١ وراجع تفسير الجواهر : ٢٠٩/٩ وما بعدها.

[٣] ـ الميزان : ٢٩٢/١١ والرعد : ٣ ، يس : ٣٦ ، الذاريات : ٤٩.

[٤] ـ الميزان : ٢٩٧/٤ وانظر : طبقات المفسرين للداودي ٥٥/١.

[٥] ـ الميزان : ٣٨٥/٥ ، ١٩٤/١٠ . وانظر : طبقات المفسرين للداودي ٦٥/١.

٣ _ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي . ت ٦٧١هـ [١] .

٤ _ التأويل لمعالم التنزيل المشهور بالخازن : لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم . ت ٧٤١هـ [٢].

٥ _ تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن عمرو بن كثير. ت ٧٧٤هـ [٣].

٦ _ فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية في علم التفسير ، لمحمد بن علي الشوكاني . ت ١٢٥٠هـ [٤].

كما نقل المفسر عن تفاسير إمامية روايات كثيرة تصل في إسنادها إلى الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأئمة أهل البيت عليهم السلام . وهي :

١ _ تفسير العيّاشي : لمحمد بم مسعود بن عيّاش [٥] .

٢ _ تفسير الفرات : لفرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي [٦].

٣ _ تفسير القمي : لعلي بن إبراهيم بن هاشم القمي [٧].

١ـ الميزان : ٢٨٩/٤ ، وانظر : طبقات المفسرين للداودي ٦٥/٢.

٢ـ الميزان : ٢٦٦/٣ وانظر : طبقات المفسرين للداودي ٤٢٢/١_٤٢٣.

٣ـ انظر : الميزان ١٤٨/٧ ، ١٦٨/٩ . وانظر : طبقات المفسرين للداودي ١١٠/١_١١٢.

٤ـ انظر : الميزان ٥٨/٦ . وانظر : معجم المؤلفين ٥٣/١١.

٥ـ انظر : الميزان ٣١٤/١ ، ٣٣٢ ، ٣٨٦ ، ٨٣/٢ ، ٢٢٦، ٣٢٣ ، ١٧٠/١٣ ، ٢١١ ، ٣٥٤ لا على سبيل الحصر . يقول الأمين : (ومحمد بن مسعود العياشي له تفسير القرآن المعروف بتفسير العياشي وهو من فقهاء الشيعة الإمامية ، وله أكثر من مئتي مصنف وهو من علماء القرن الثالث الهجري) انظر : أعيان الشيعة : ٣٦٦/١.

٦ـ انظر : الميزان ١٧٤/١ ، ٢٢٨/٣ لا على سبيل الحصر . يقول الأمين : يروي علماؤنا عن فرات وعن كتابه وفرات من أواسط المئة الثالثة (أنظر : أعيان الشيعة ٣٦٦/١ وانظر : روضات الجنات ٣٥٣/٥ وما بعدها).

٧ـ انظر : الميزان ٩٣/٥ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ٩٥/٨ ، ١٣٩ ، ٨٣/١٥ ، ١١٨ لا على سبيل الحصر .والقمي من أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري (انظر : أعيان الشيعة : ٣٦٨/١).

٤ _ تفسير النعماني : لمحمد بن إبراهيم بن جعفر أبي عبد الله الكاتب النعماني[١] .

٥ _ جوامع الجامع : للطبرسي أبي علي الفضل بن الحسن . ت ٥٣٨هـ[٢].

٦ _ آيات الأحكام للقطب سعيد بن هبة الله الحسن الراوندي [٣].

٧ _ سعد السعود : لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسيني . ت ٦٦٤هـ [٤] .

٨ _ الصافي في التفسير : لمحمد بن الشاه محمود المعروف بملا محسن وبالفيض الكاشاني . ت ١٠٩١هـ [٥] .

٩ _ تفسير البرهان للسيد هاشم بن سليمان البحراني . ت ١١٠٧هـ [٦] .

---

[١] - انظر :الميزان ٧٥/٣ ، ٣٨٥/٥ ، ٢٦١/٧ لا على سبيل الحصر .والنعماني من أهل المئة الخامسة (أعيان الشيعة ٣٦٨/١ وانظر : روضات الجنات ١٢٧/٦).

[٢] - انظر : الميزان ٢٥/٢ ، ٣٣٧/٣ ، ١٣/٧ ، ٤٠/١٦ لا على سبيل الحصر . وجوامع الجامع في التفسير هو من مختصر كتابيه مجمع البيان والكافي الشافي في التفسير (انظر : معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مصر ، ١٣٤٦ه ، ص١٢٢٧).

[٣] - انظر : الميزان : ٣٢٩/٦ . وقطب الدين عالم فقيه وثقة محدث ، وعين متكلم . كان حيا سنة ٥٥٦٢ . (انظر : أعيان الشيعة : ١٦/٣٥ ومل بعدها).

[٤] - انظر: الميزان : ١٠٩/١٢ ، ٢٤/١٤ ، ٨٣/١٦ لا على سبيل الحصر . وانظر : معجم المؤلفين : ٢٤٨/٧ . سعد السعود كتاب علمي ديني فني يتناول آيات الذكر الحكيم بتفسير دقيق وشرح واف مفيد ، مع استعراض عام لآراء جملة من العلماء ومناقشة أقوالهم انظر : سعد السعود لابن طاووس ، النجف ، ١٣٦٩ه ، ط١.

[٥] - انظر : الميزان : ١٤٦/٢ ، ٧٣/٣ ، ٧٥ ، ٦٩/٤ ، ٢٣٦ ، ٣٥/٥ لا على سبيل الحصر . وانظر : معجم المؤلفين ١٢/١٢.

[٦] - انظر : الميزان : ٩٩/٢ ، ٣٧٨ ، ٤٠٠ ، ٣٧٧/٣ ، ٢٥٩/٤ ، ١٤٣/٥ لا على سبيل الحصر . يقول في أعيان الشيعة : وقع هذا التفسير في ستة مجلدات (انظر : ٣٧٠/١) . وانظر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ٩٣/٣ ، معجم المؤلفين ١٨١/٨.

١٠ _ تفسير نور الثقلين : للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي. ت ١١١٢هـ [١] .

ثانيا _ كتب اللغة :

إلى جانب التفاسير التي اعتمد عليها المفسر في بيان أكبر نسبة من المفردات هناك مصادر أخرى اعتمد عليها في بيان لغة المفردات :

١ _ الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري . ت ٣٩٦هـ [٢].

٢ _ لسان العرب : لابن منظور المصري . ت ٧٣٥هـ [٣] .

٣ _ المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي . ت ٧٧٠هـ [٤] .

٤ _ القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي . ت ٨١٧هـ [٥] .

ففي تفسير قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ يقول المفسر : قال في الصحاح : ركن إليه كنصر ركونا : مال وسكن ، والرُكن بالضم الجانب الأقوى ، والأمر العظيم والمنعة ، وعن لسان العرب مثله ، وعن المصباح : أن الركون هو الاعتماد على الشيء [٦].

وفي تفسير قوله تعالى وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يقول الطباطبائي : قال في القاموس : يقال عدا الأمر وعنه جاوزه وتركه [٧] .

---

[١]- انظر : الميزان ٢٨٣/١٣ ، ١٤٢/١٦ . ويقول الخوانساري (نور الثقلين في تفسير القرآن الكريم أربعة مجلدات ... ونقل فيه أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة عليهم السلام في تفسير الآيات من أكثر كتب الحديث) . انظر : روضات الجنات ٢١٣/٤.

[٢]- انظر : الميزان ٢٢٧/٥ ، ١٧٦/٨ ، ٥٠/١١ ، ١٠٢ ، ٣٠٩/١٣ ، ٢٩٣/١٧ ، ٢٩٧ ، ٣٦٥/٢٠.

[٣]- انظر : الميزان ٢٠٤/٥ ، ١٠٢/١١ ، ١٩١ ، ١٣٨/١٣.

[٤]- انظر : الميزان ٥٠/١١ ، ٣٠٩/١٣.

[٥]- انظر : الميزان ٣٠٢/١٢ ، ٣٠٩ ، ٤٣/١٤.

[٦]- انظر : الميزان ٥٠/١١ . وهود : ١١٣ . انظر : الصحاح للجوهري١٢٦/٥ وباب النون فصل الراء . وانظر : لسان العرب : ٤٤/١٧ وما بعدها فصل الراء حرف النون ، وانظر : المصباح المنير : بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨ه ، ٢٨٢/١ كتاب الراء مع الكاف وما يثلثهما.

[٧]- انظر : الميزان ٣٠٢/١٣ . والكهف : ٢٨ . وانظر : القاموس المحيط : ٣٦٠/٤ فصل العين باب الواو والياء.



٥ _ المزهر في علوم اللغة السيوطي [١].

ثالثا : مصادره الحديثية والروائية :

نقل المفسر في أبحاثه الروائية روايات كثيرة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة أهل البيت والصحابة والتابعين إلى جانب ما ذكرناه من كتب التفسير التي نقل عنها جزءاً من هذه المرويات واعتمد على كتب الفريقين في الحديث والرواية ، فإلى جانب الصحاح عند أهل السنة ذكر الكتب الأربعة عند الإمامية ، ونقل عنها جميعاً فضلاً على عدد كبير من كتب الحديث والرواية وكتب أخرى أفاد منها المفسر . وسأكتفي بذكر هذه المصادر فحسب دون أن أتعرض للتفصيلات التي تعرضت إليها في مصادره التفسيرية لأنها تتفق جميعها على حد سواء في كونه ناقلاً منها للرواية والحديث ، وأما مسألة تعرضه ومناقشته لهذه المرويات فسيأتي الكلام عنها في منهجه الأثري [٢].

وقد راعينا في ترتيب هذه المصادر تسلسل حروفها الهجائية :

١ _ الاحتجاج للطبرسي ، لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب [٣].

٢ _ الاختصاص : لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن نعمان بن سعيد العربي العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد . ت ٤١٣هـ [٤].

٣ _ الإرشاد : للشيخ المفيد [٥].

---

[١] ـ انظر : الميزان : ٢٧٥/٩.

[٢] ـ في نهاية هذا الفصل تجدون جدولا بالكتب التي نقل عنها المفسر الأخبار والروايات.

[٣] ـ انظر : الميزان ٨٣/٣ ، ١١٧/١٠ ، ١٨/١٣ ، ٤٧/٢٠ . ويقول الطهراني : (والطبرسي أستاذ رشيد الدين محمد بن علي ابن شهراشوب الروي الذي توفي سنة ٥٨٨هـ ... فيه احتجاجات النبي والأئمة وبعض الصحابة وبعض العلماء وبعض الذرية الطاهرة . وأكثر أحاديثه مرسل) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٨١/١_٢٨٢.

[٤] ـ انظر : الميزان ٤٠٦/٢ ، ٢٣١/٣ وانظر روضات الجنات للخوانساري ١٥٣/٦_١٧٨.

[٥] ـ انظر : الميزان : ١٢/١٥ ، ٢٠٧/١٨.

٤ _ إرشاد القلوب : لأبي محمد الحسن بن أبي الحسن الديلمي [١].

٥ _ الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار : للشيخ الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن . ت ٤٦٠هـ [٢].

٦ _ الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر المالكي القرطبي [٣].

٧ _ الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني . ت ٨٥٢هـ [٤].

٨ _ الاعتقادات : للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي . ت ٣٨١هـ [٥].

٩ _ أعلام الورى بأعلام الهدى : للطبرسي ، أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل المشهدي الضوي . ت ٥٤٨هـ [٦] .

١٠ _ الإقبال:لابن طاووس رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد الطاووس الحسيني الداودي الحلي ت ٦٦٤هـ [٧].

١١ _ إكمال الدين وإتمام النعمة : للشيخ الصدوق [٨].

١- يقول في روضات الجنات : ٢٩١/٢ (وله _ يعني الديامي _ كتب ومصنفات منها كتاب ((إرشاد القلوب)) في مجلدين) انظر : الميزان ٣٠٩/٦.

٢- انظر : الميزان : ٢٨٤/٤ وهو أحد الكتب الأربعة عند الإمامية.

٣- انظر : الميزان : ٣٨١/٤ وينظر : روضات الجنات ٣٤٤/٤_٣٤٥.

٤- انظر : الميزان ٢٩٦/٤.

٥- انظر : الميزان ٣٣٧/١٥ ، ١٠٥/١٧ وانظر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ٢٢٦/٢.

٦- انظر : الميزان ٢٣١/٣.

٧- انظر : الميزان ٣١٥/٦_٣٢٥ وهو (الإقبال بصالح الأعمال) انظر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ٢٦٤/٢_٢٦٥.

٨- انظر : الميزان ٢١٧/٣ ، ٣٧٣/١٧ ، ٨٩/١٩ وكثيرا ما يحتضره المفسر بقوله : ((وفي الإكمال)) . وللفائدة انظر : (الذريعة : ٢٨٣/٢).

١٢ _ الأمالي : للشيخ أبي علي الحسن بن الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي . ت ٥١٥هـ [١] .

١٣ _ أمالي الصدوق [٢] .

١٤ _ أمالي المفيد [٣] .

١٥ _ أمان الأخطار : لابن طاووس . ت ٦٦٤هـ [٤].

١٦ _ بحار الأنوار : لمحمد باقر بن المولى محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني المشتهر بالمجلسي . ت ١١١١هـ [٥] .

١٧ _ بصائر الدرجات : لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار . ت ٢٩٠هـ [٦].

١٨ _ تحف العقول : للشيخ الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة [٧] .

١٩ _ التعريف : لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة الصفواني [٨].

٢٠ _ التمحيص : للشيخ أبي على محمد بن همام [٩].

١- انظر: الميزان ٦٤/٨. ويقال له أمالي ابن الشيخ نسبة إلى الشيخ الطوسي ت ٤٦٠هـ . وقد طبع في طهران سنة ١٣١٣هـ. انظر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٣٠٩/٢.

٢- انظر : الميزان : ١٤٥/١ وقد يسمى المجالس (انظر روضات الجنات : ١٣٢/٦_١٤٤).

٣- انظر : الميزان ٣٢٤/٢.

٤- انظر : الميزان ٣١٨/٦.

٥- انظر : الميزان : ١٧٢/٦ ، ٧/١٧ ، ٢٦١ (انظر : الروضات ٧٩/٢_٨١).

٦- انظر : الميزان : ٢٦٢/١ ، ١٤٧/٢ ، ٢٠٩/٧ ، ٨٩/٨ ، ٣٢٧/١١ . يقول الطهراني : (ذكر النجاشي والشيخ في الفهرست : أنه يرويه عن محمد بن يحيى العطار ... وهو يروي عن الإمام العسكري عليه السلام ... طبع بإيران سنة ١٢٥٨هـ) انظر : الذريعة : ١٢٤/٣.

٧- انظر : الميزان : ١٢٤/١ والمؤلف معاصر للشيخ الصدوق ت ٣٨١هـ . انظر : الذريعة : ٤٠٠/٣ ويقول في روضات الجنات : ٢٨٩/٢ : أورد في تحف العقول جملة وافية من النبويات وأخبار الأئمة.

٨- انظر : الميزان : ٣٢٠/٦_٣٢٤ ، ويقول في معجم المؤلفين ٢٨٢/٨ : أنه كان حيا سنة ٣٤٦هـ.

٩- انظر : الميزان ١٧/٦ . وقال في الروضات ١٥١/٦ (قال المجلسي : أنه جمع فيه أحاديث شدة بلاء المؤمن وانه تمحيص لذنوبه).

٢١ _ تنبيه الخواطر : للشيخ ورام بن ورام بن حمدان بن عيسى النخعي العراقي الحلي ت ٦٠٥هـ [١].

٢٢ _ تهذيب الأحكام : للشيخ أبي جعفر الطوسي . ت ٤٦٠هـ [٢].

٢٣ _ تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني [٣].

٢٤ _ التوحيد : للشيخ الصدوق . ت ٣٨١هـ [٤].

٢٥ _ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : للشيخ الصدوق [٥].

٢٦ _ جامع الأصول لأحاديث الرسول : لابن الأثير أبي السعادات مبارك بن محمد الجزري الشافعي . ت٦٠٦ [٦].

٢٧ _ الجعفريات : للشيخ أبي علي محمد بن محمد بن الأشعث بن محمد الكوفي [٧].

---

[١] ـ انظر : الميزان : ٣٣٥/٦ ويقول في معجم المؤلفين ١٦٤/١٣ من آثاره : تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ويسمى بمجموعة ورام . وانظر : أعيان الشيعة ١١٧/١ ، وانظر : روضات الجنات : ٢٥٣/٧.

[٢] ـ انظر : الميزان : ٢٨٥/٤ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٣/٥ ، ٤٢ ، ٣٠٧/٦_٣٠٨ وهو أحد الكتب الأربعة عند الإمامية في الحديث.

[٣] ـ انظر : الميزان : ٣١٠/٤.

[٤] ـ انظر : الميزان : ٢٣/١ ، ١٦/٨ ، ١٦/١٩.

[٥] ـ انظر : الميزان : ٣٣٣/٤ ، ٢٥٠/١٨.

[٦] ـ انظر : الميزان ٣٨٠/٣ قال في كشف الظنون ص ٥٣٥_٥٣٧ : انه اختصر عدة مرات وأنه يُعنى بالحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقليلا ما يُعنى بأقوال التابعين والأئمة كما بسط القول في بيان أصول الحديث وأنواعه.

[٧] ـ انظر : الميزان : ٣١٦/٦_٣١٨ قال في الروضات : ١٢٠/٦: (كان من أعاظم فقهاء الإمامية .. وله من المؤلفات كتاب ((الجعفريات)) الذي تضمن ألف حديث بالإسناد المتصل عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام في كثير من أبواب الفقه).

٢٨ _ جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . ت ٩١١هـ [١].

٢٩ _ حلية الأولياء : لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصفهاني . ت ٤٣٠هـ [٢].

٣٠ _ الخرائج والجرائح في المعجزات لقطب الدين أبي الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن الراوندي [٣].

٣١ _ الخصال للشيخ الصدوق [٤].

٣٢ _ الدلائل:للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى بن عبد الله [٥].

٣٣ _ دعائم الإسلام : للقاضي نعمان المصري الإسماعيلي الفاطمي [٦] .

٣٤ _ الدعوات : لقطب الدين بن الحسين سعيد بن عبد الله الراوندي [٧] .

٣٥ _ ربيع الأبرار : للزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر . ت ٥٣٨هـ [٨].

---

[1] - انظر : الميزان ٨٩/٢ . قال في كشف الظنون ص ٥٩٨ : (ذكر _ يعني السيوطي _ فيه انه قصد استيعاب الأحاديث النبوية).

[2] - انظر : الميزان : ٣٢٢/٣ يقول في روضات الجنات (وله كتاب حلية الأولياء وهو من أحسن الكتب كما ذكره ابن خلكان) . وفي كشف الظنون ص ٦٨٩ يقول : (هو مجلد ضخم واختصر مرتين).

[3] - انظر : الميزان : ٣٦٨/١١ ، ١٤٣/٢٠ ويقول في أعيان الشيعة ١٦/٣٥ _ ٢٤ : انه كان حيا سنة ٥٦٢هـ .

[4] - انظر : الميزان : ١١٧/٨ ، ١٤١/١٧.

[5] - انظر : الميزان : ٢٦٦/٣.

[6] - انظر : الميزان : ٣٣٧/٦ وانظر : روضات الجنات : ١٤٨/٨.

[7] - انظر : الميزان : ٣٩/٢ يقول في أعيان الشيعة : ٢٤/٣٥ : وكتاب الدعوات سماه سلوة الحزين.

[8] - انظر : الميزان : ١٣٢/٦ ، ٢٩٢/٩.

٣٦ _ رسالة المحكم والمتشابه : للسيد المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين علم الهدى . ت ٤٣٦هـ [١] .

٣٧ _ روضة الواعظين : للشيخ المفيد . ت ٤١٣هـ [٢].

٣٨ _ روضة الواعظين وبصيرة المتعظين : للشيخ الشهيد أبي على محمد بن علي بن أحمد ابن علي الحافظ الواعظ الفتال النيسابوري [٣].

٣٩ _ زاد المعاد : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز المعروف بابن قيم الجوزية . ت ٧٥١هـ [٤].

٤٠ _ زهد النبي : لأبي محمد جعفر بن أحمد القمي نزيل الري المعروف بابن الرازي [٥] .

٤١ _ سنن أبي داود . ت ٢٧٥هـ [٦] .

٤٢ _ سنن البيهقي [٧] .

٤٣ _ سنن الترمذي . ت ٢٧٩هـ [٨] .

٤٤ _ سنن النسائي . ت ٣٠٣هـ [٩].

---

[١] ـ انظر : الميزان : ٣٢٢/٦ ، وانظر أعيان الشيعة : ١٨٨/٤١ـ١٩٥.

[٢] ـ انظر : الميزان : ٧٣/١٦ ، ٢٢١/١٨ ، ٣٥٩.

[٣] ـ انظر : الميزان : ٢٠٠/٥ ، ١٤٨/١٢ ، وانظر : الذريعة : ٣٠٥/١١.

[٤] ـ انظر : الميزان : ٨٨/٢ ، ٢٩٥/٤ وقال في معجم المؤلفين : ١٠٦/٩ : من تصانيفه زاد المعاد في هدى خير العباد.

[٥] ـ انظر : الميزان : ٣٣٤/٦ ويقول في الذريعة : ٦٦/١٢ انه معاصر للشيخ الصدوق . ت ٣٨١هـ ويقول العاملي في أعيان الشيعة ٣٥٠/١٥ : (إنه من أهل القرن الرابع).

[٦] ـ انظر : الميزان : ٢٢٠/٢ ، ٣٨١/٣ ، ١٦١/٩ ، ٩٦/١٤ ، ٢٦٤/١٨.

[٧] ـ انظر : الميزان : ٢٩٦/٤ ، ٢٧٩.

[٨] ـ انظر : الميزان : ٨٨/٢ ، ٧٥/٣ ، ٢٨٩/٤ ، ٢٠٥/٧ ، ٣١٧/٢٠.

[٩] ـ انظر : الميزان : ٨٨/٢ ، ٧٥/٣ ، ٢٦٤/١٨.



٤٥ _ شرح الجامع الصحيح للترمذي : لابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي المالكي . ت ٥٤٣هـ [١] .

٤٦ _ شرح العقائد للشيخ المفيد . ت ٤١٣هـ [٢].

٤٧ _ شرح النفلية : للشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي الجبعي. ت ٩٦٦هـ [٣].

٤٨ _ شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي . ت ٦٥٥هـ [٤] .

٤٩ _ شرح نهج البلاغة : للبحراني كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم . ت ٦٧٩هـ [٥] .

٥٠ _ شعب الإيمان : للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى بن عبد الله [٦] .

٥١ _ شواهد التنزيل لابن شهرآشوب محمد بن علي السروي المازندراني أبي جعفر رشيد الدين . ت ٥٨٨هـ [٧].

٥٢ _ صحيح البخاري . ت ٢٥٦هـ [٨] .

١ـ انظر : الميزان : ٢٩٣/٤ وانظر معجم المؤلفين ٢٤٢/١٠.

٢ـ انظر : الميزان : ١٠١/١.

٣ـ انظر : الميزان : ٣٢٧/٦.

٤ـ انظر : الميزان : ٢٩٨/٤ ، ١٦/٥_١٨ وانظر الذريعة ١٥٨/١٤_١٥٩.

٥ـ انظر : الميزان : ١٤٦/٤ . قال في الذريعة ١٤٩/١٤ (وفرغ الشارح من هذا الشرح سنة ٦٧٧هـ ... وقد اختصره العلامة الحلي .. ونظام الدين علي بن الحسين الجيلاني هو الذي سماه أنوار الفصاحة .

٦ـ انظر : الميزان : ١٧٧/٦ ، ٢٤٢/١٤ . وانظر : روضات الجنات : ٢٥١/١.

٧ـ انظر : الميزان : ٣٢٧/١١.

٨ـ انظر : الميزان : ٢٥٥/٢ ، ٢٦٧/٣ ، ٣٧٧ ، ٢٨٣/٤ ، ٢٨٩ ، ٣٣٠/٥ ، ١١٢/٦.

٥٣ _ صحيح مسلم . ت ٢٦١هـ [١] .

٥٤ _ صحيفة الإمام الرضا علي بن موسى لأبي على الفضل بن الحسن الطبرسي . ت ٥٤٨هـ [٢].

٥٥ _ الصحيفة السجادية : للإمام زين العابدين علي بن الحسين [٣].

٥٦ _ طب الأئمة : للشيخ حسين بن بسطام بن سابور الزيات [٤] .

٥٧ _ عدة الداعي : للشيخ جمال الدين أبي العباس أحمد بن شمس الدين محمد بن فهد الأسدي الحلي . ت ٨٤١هـ [٥].

٥٨ _ العدد القوية : للشيخ رضي الدين علي بن يوسف أخي العلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦هـ [٦] .

٥٩ _ علل الشرائع : للشيخ الصدوق . ت ٣٨١هـ [٧] .

٦٠ _ عيون الأخبار : للشيخ الصدوق أيضا [٨] .

٦١ _ غاية المرام : للعارف الفريد أبي سعيد الحسن بن الحسين المعروف بالسبزواري [٩] .

---

[١] ـ انظر : الميزان : ٢٢/١ ، ٢٢٨/١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٣/٦ ، ٢٨٩ ، ١٧٨/١٤ ، ٤٦/٢٠.

[٢] ـ انظر : الميزان : ٣٢٥/٦.

[٣] ـ انظر : الميزان : ٣٤٣/١٧.

[٤] ـانظر : الميزان : ٣٧٣/٨ ، يقول في الروضات ٣٠٩/٢ : إنه من أكابر علماء الإمامية ومحدثيهم وأجلاء رواة أخبارهم في طبقة الكليني أو الشيخ أبي القاسم بن قولويه القمي وفي هذا الكتاب أحاديث عن النبي وأهل بيته الطيبين مع جملة من الأحراز والعوذ والأدعية المأثورة . وهو من الكتب المشهورة.

[٥] ـ انظر : الميزان : ٣٤/١ ، ٣٦/٢ وقال في الروضات ٧٢/١ (عدة الداعي ونجاح الساعي).

[٦] ـ انظر : الميزان : ٣٢١/٦_٣٢٢ وانظر : الروضات ١٨٦/٢.

[٧] ـ انظر الميزان : ١٧٠/٨ ، ١٤٢/١٧.

[٨] ـ انظر : الميزان : ٢٢/١ ، ٣٠٠/٩ ، ٣١٢/٦ ، ٢٧/١٤ وقد يختصره المفسر فيقول : وفي العيون.

[٩] ـ انظر : الميزان : ١٩٢/٥ ، ٣١٨/١٦ ، قال في الروضات ٢٦٧/٢ (الكتاب هو غاية المرام في فضائل علي وأولاده الكرام).

٦٢ _ الغرر والدرر : للآمدي ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي [١] .

٦٣ _ الغيبة : للشيخ المفيد . ت ٤٢٣هـ [٢] .

٦٤ _ الغيبة : لمحمد بن إبراهيم بن جعفر أبي عبد الله الكاتب النعماني ، من أهل المئة الخامسة [٣] .

٦٥ _ فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني . ت ٨٥٢هـ [٤].

٦٦ _ فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين : لإبراهيم بن الشيخ سعد الدين محمد بن المؤيد أبي بكر بن محمد بن حمويه بن محمد الجويني [٥] .

٦٧ _ الفصول المهمة في أحوال الأئمة : لابن الصباغ المالكي [٦] .

٦٨ _ قرب الإسناد للحميري عبد الله بن جعفر [٧] .

٦٩ _ قصص الأنبياء : عبد الوهاب النجار [٨] .

٧٠ _ الكافي : للشيخ محمد بن يعقوب الكليني البغدادي . ت ٣٢٨هـ [٩].

---

[١] ـ انظر : الميزان : ١٦٩/٦ و ١٧٣ ، وقال في الروضات ١٧٠/٥ (هو جوامع الكلم المنسوبة إلى سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام).

[٢] ـ انظر : الميزان : ٢٢٣/١٢.

[٣] ـ انظر : الميزان : ٢٢٣/١٢ وانظر أعيان الشيعة ٣٦٨/١.

[٤] ـ انظر : الميزان : ٢٩٥/٤.

[٥] ـ انظر : الميزان : ٢٣٣/٣ ، ٥٩/٦ وقال في الروضات ١٧٦/١ : (وهو من الكتب المشهورة بين الفريقين).

[٦] ـ انظر : الميزان : ٢٣٢/٣.

[٧] ـ انظر : الميزان : ٩٣/٨ ، ١٣٩/٩ ، ١٨٢ ، ٣١٩/١٩ وانظر : الروضات : ٢٧٧/٣.

[٨] ـ انظر : الميزان : ١٢٤/١ ، ٣٠٨/٣.

[٩] ـ انظر : الميزان : ٢٠٨/٤ ، ٣٠٨/٦ ، ١١٧/١٠ ، ٤٩/١٧ ، ٥٢/١٩ ، ٥٣ ، ١٠٨/٢٠_١٣٧ ، ١٣٨ . ويقول الطهراني في الذريعة ٢٤٥/١٧ : إنه أجل الكتب الأربعة عند الإمامية ولم يكتب في المنقول مثله عن آل الرسول . مشتمل على أربعة وثلاثين كتابا وثلاثمئة وستة وعشرين بابا . والكافي موزع إلى

٧١ _ كامل الزيارة : لأبي القاسم جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه القمـــي ، البغدادي . ت ٣٦٩هـ [١].

٧٢ _ كتاب سليم بن قيس الهلالي [٢].

٧٣ _ كشف الغمة في معرفة أحوال الأئمة : للأربلي علي بن عيسى بن أبي الفتح بهاء الدين أبي الحسن . ت ٦٩٢هـ [٣].

٧٤ _ كشف المحجة لثمرة المهجة في الأخلاق: لابن طاووس الحلي الـــداودي ت ٦٦٤هـ [٤].

٧٥ _ كنز العمال : للعلامة علي المتقي علاء الدين الهندي المتوفى ٩٧٥هـ [٥].

٧٦ _ مجازات الآثار النبوية : للشريف الرضي ذي الحسبين أبي الحسن محمد بن الطاهر . ت ٤٠٦هـ [٦].

٧٧ _ مجالس الشيخ : لأبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي . ت ٤٦٠هـ [٧] .

أقسام ثلاثة : الأصول ، والفروع ، والروضة (محمد حسين الدلالي : مصادر الحديث عند الإمامية ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ ، ص١٩) وقد اعتمد الطباطبائي على أقسامه الثلاثة.

[١] ـ انظر : الميزان : ١٤٤/٢ وقال في روضات الجنات : ١٧١/٢_١٧٢ (الغالب عليه أخبار الفضيلة دون الهيئات والآداب).

[٢] ـ انظر : الميزان : ٣٧٩/٣ وقال العاملي في أعيان الشيعة ٤٢/١ (وأبو صادق سليم بن قيس الهلالي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام. ذكره النجاشي في الطبقة الأولى من مؤلفي الشيعة).

[٣] ـ انظر : الميزان : ٢٣/١ وانظر : معجم المؤلفين ١٦٣/٧.

[٤] ـ انظر : الميزان : ٢٣/١ ، ٧٣/١٦ . وانظر : أعيان الشيعة ١١٧/١.

[٥] ـ انظر : الميزان : ٢٨٩/٤.

[٦] ـ انظر : الميزان : ٧١/٣.

[٧] ـ انظر : الميزان : ٣٢٦/٦ ، ٢١٦/١ ، ٣٣١/١١ ويسمى بالأمالي أيضا (انظر : الذريعة ٣١٣/٢) وإذا ذكر الأمالي لوحده فانه يُصرف إلى الشيخ الطوسي عند الإمامية).

٧٨ _ المحاسن : للبرقي محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي ، أبي عبد الله [١].

٧٩ _ مستدرك الحاكم : أبي عبد الله محمد النيسابوري . ت ٤٠٥هـ [٢].

٨٠ _ مسكّن الفؤاد في فقد الأحبة والأولاد ، للشهيد الثاني. ت٩٦٦هـ [٣].

٨١ _ مسند أحمد بن حنبل [٤] .

٨٢ _ مصباح الزائر : لابن طاووس الحلي الداودي . ت ٦٦٤هـ [٥].

٨٣ _ معاني الأخبار : للشيخ الصدوق . ت ٣٨١هـ [٦] .

٨٤ _ المقنعة : للشيخ المفيد . ت ٤١٣هـ [٧] .

٨٥ _ المقنع في الغيبة : للشيخ المرتضى . ت ٤٣٦هـ [٨].

٨٦ _ مكارم الأخلاق : للطبرسي . ت ٥٤٨هـ [٩] .

٨٧ _ المناقب : لابن شهرآشوب محمد بن علي السروي المازندراني أبي جعفر رشيد الدين . ت ٥٨٨هـ [١٠].

٨٨ _ المناقب الفاخرة : للشريف الرضي . ت ٤٠٦هـ [١١].

---

[١] ـ انظر : الميزان : ٢٠٣/١ ، ٨١/٣ ، ٤١٣/٤ ، ٩٦/١٦ ويقول عمر رضا كحالة : إنه من أصحاب الأئمة موسى بن جعفر والرضا والجواد ، من آثاره المحاسن (معجم المؤلفين ٢٧٧/٩).

[٢] ـ انظر : الميزان : ٢٨٩/٤ ، ١٥/٨ ، ٣٢٧/١١ ، ١٢٠/١٢.

[٣] ـ انظر : الميزان : ٣٢٩/٦ و : أعيان الشيعة ٤٢/١ والروضات ٣٥٢/٣_٣٧٦ ، ٢٦٣/٤.

[٤] ـ انظر : الميزان : ٨٩/٢.

[٥] ـ انظر : الميزان : ٣١٨/٦ و : روضات الجنات ٣٣٠/٤.

[٦] ـ انظر : الميزان : ٢٩٦/٢ ، ١٦٣/٣ ، ٢٤٤/١٠ ، ٦٧/١١ ، ٤٩/١٧ ، ٢٤/٢٠ و : روضات الجنات ١٣٢/٦_١٤٤.

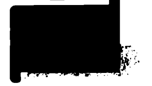
[٧] ـ انظر: الميزان : ٣٣٧/٦.

[٨] ـ انظر : الميزان : ٣٣٧/٦.

[٩] ـ انظر : الميزان : ٣٠٩/٦ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، وانظر : روضات الجنات : ٣٥٧/٥_٣٦٥.

[١٠] ـ انظر : الميزان : ١٠٣/١٩ ويقول الزركلي (ابن شهرآشوب فاضل إمامي ، عالم بالحديث والأصول من سارية مازندران) انظر الأعلام ١٦٧/٧.

[١١] ـ انظر : الميزان : ١٩٤/٥ و: أعيان الشيعة ١٧٣/٤٤_١٧٨.



٨٩ _ من لا يحضره الفقيه : للشيخ الصدوق . ت ٣٨١هـ [١] .

٩٠ _ منية المريد في آداب المفيد والمستفيد :للشهيد الثاني. ت ٩٦٦هـ [٢].

٩١ _ موطأ مالك . ت ١٧٩هـ [٣] .

٩٢ _ ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للحافظ الذهبي . ت ٧٤٨هـ [٤] .

٩٣ _ الناسخ والمنسوخ : للنحاس أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل . ت ٣٣٨هـ [٥].

٩٤ _ نهج البلاغة : للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام [٦] .

٩٥ _ نهج البيان : للشيباني محمد بن الحسن [٧] .

٩٦ _ الهداية : للشيخ الصدوق . ت ٣٨١هـ [٨] .

٩٧ _ الوافي : ملا محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود المشتهر بالفيض الكاشاني . ت ١٠٩١هـ [٩].

٩٨ _ وسائل الشيعة إلى أحاديث الشريعة : الشيخ محمد بن الحسن بن الحر العاملي . ت ١١٠٤هـ [١٠] .

---

[١]ـ انظر : الميزان : ٢٥٨/٢ ، ٣١٢/٦ ، ٢٣١/١٤ ، ٣٠٠/١٨ ، ١٩٤/٢٠ وهو أحد الكتب الأربعة عند الإمامية.

[٢]ـ انظر : الميزان : ٧٥/٣ . وقال في أعيان الشيعة ١١٩/١ (كتاب مبسوط جمع فأوعى ، ولم يؤلف نظيره ، وهو وإن كان خاصا بالمفيد والمستفيد لكنه جمع جميع علم الأخلاق والآداب).

[٣]ـ انظر : الميزان : ٨٨/٢.

[٤]ـ انظر : الميزان : ٣١٠/٤.

[٥]ـ انظر : الميزان : ١٣٥/٢٠ وانظر : وفيات الأعيان : ٣٥/١_٣٦.

[٦]ـ انظر : الميزان : ٣٨٤/٢ ، ٣٠٨/٦ ، ٧٣/٩.

[٧]ـ انظر : الميزان : ١٤٦/٤ ، ١٧٦/٦ ، ١٤٩/١٢ . وقال في معجم المؤلفين (١٩٤/٩) : من آثاره : نهج البيان عن كشف معاني القرآن . ألفه باسم الخليفة المستنصر . وكان حيا سنة ٦٤٠هـ).

[٨]ـ انظر : الميزان : ٣٣٠/٦.

[٩]ـ انظر : الميزان : ٢٨٤/٤ ، قال في الروضات : ٨٧/٦_١٠٣ ، الوافي وهو جامع الكتب الأربعة مع نهاية التهذيب.

[١٠]ـ انظر : الميزان : ١٢٧/٤ وانظر : الروضات : ٩٦/٧.



٩٩ _ ينابيع المودة لذوي القربي : للقندوزي سليمان بن إبراهيم البلخي الحسيني . ت ١٢٩٤هـ [١] .

رابعا : مصادر متنوعة :

أ _ الكتب المقدسة :

استعان المفسر بها في نقل نصوص منها لمقارنتها مع نصوص القرآن الكريم أو نقدها

١ _ أعمال الرسل ورسائل بولص [٢] .

٢ _ الإنجيل [٣] .

٣ _ (أوستا) وهو الكتاب المقدس للمجوس [٤].

٤ _ التوراة [٥] .

٥ _ (السواعي) وهو من كتب الروم الأرثوذكس [٦].

٦ _ قاموس الكتاب المقدس [٧] .

٧ _ مزامير داود [٨].

٨ _ (ويدا) المقدسة وهي كتب البراهمة البوذيين [١] .

---

[١]- انظر : الميزان : ٤٠٩/٤ وانظر : معجم المؤلفين : ٢٥٢/٤.
[٢]- انظر : الميزان : ٣١٢/٣.
[٣]- انظر : الميزان : ٢٨٤/٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣٨٦ ، ٣١٢ ، ٢٤٨/٥ ، ٧٠/٦ ، ٢٢٤.
[٤]- انظر : الميزان : ٢٥٩/١٠.
[٥]- انظر : الميزان : ١٤٠/١ ، ١٤٢ ، ٢٠٠ ، ٤٣٥ ، ٢٢٤/٥ ، ٣٠٠ ، ٢٥٢/١٠ ، ٣٢٤ ، ٩١/١١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٦٤/١٤ . ٤٥/١٦ ، ٤٦.
[٦]- انظر : الميزان : ٢٤٤/٦.
[٧]- انظر : الميزان : ٣١١/٣ ، ٣١٢ ، ٣١٤.
[٨]- انظر : الميزان : ٢٤٨/٥.

ب _ مصادره التاريخية :

استعان المفسر بهذه المصادر في أبحاثه التاريخية وفيما يتعلق بالأبحاث التي عقد الكلام فيها على العقائد الوثنية ، وعقائد أهل الملل القديمة ، وقسم من الحوادث التي تعرض لها القرآن الكريم وتناولتها كتب التاريخ . منها : قصة أهل الكهف ، وذي القرنين ، والغزوات ، وغيرها : وقد رتبتها على حروفها الهجائية :

١ _ الآثار الباقية عن الأمم الخالية : لمحمد بن أحمد البيروني المكي الخوارزمي أبي الريحان . ت ٤٤٠هـ[٢] .

٢ _ اكتشاف كهف أهل الكهف : لرفيق وفا الدجاني [٣] .

٣ _ انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومية : للمؤرخ جيبون [٤].

٤ _ الأنساب : لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليمني . ت ٣٣٤هـ [٥].

٥ _ البداية والنهاية :للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير . ت ٧٧٤هـ[٦] .

---

[1] ـ انظر : الميزان : ٢٩١/١٠. وقد اعتمد المفسر على كتب العهدين المطبوعة ببيروت سنة ١٨٧٠م (انظر : الميزان : ٣٧٩/١٣).

[2] ـ قال محسن العاملي : وهو كتاب مفيد ألفه لشمس المعالي قابوس بيّن فيه التواريخ التي تستعملها الأمم ، والاختلاف في الأصول التي هي مبادئها ، وفي اكتفاء القنوع انه في النجوم والتواريخ ((أعيان الشيعة ٢٤٠/٤٣)) وانظر : الميزان : ١٩٤/١ ، ٣٨٥/١٣.

[3] ـ انظر : الميزان :٢٩٨/١٣.

[4] ـ انظر : الميزان : ٢٩٨/١٣.

[5] ـ قال في كشف الظنون ص١٤٤ : إن اسم الكتاب هو : (الإكليل في أنساب حمير وأيام ملوكها) وهو كتاب كبير عظيم الفائدة يتم في عشرة مجلدات ويشتمل على عشرة فنون . انظر : الميزان : ٢٨٧/١٣.

[6] ـ قال في كشف الظنون : ص٢٢٨ : (وهو كتاب مبسوط في عشرة مجلدات . اعتمد في نقله على النص من الكتاب والسنة ووقائع الألوف السالفة وميز بين الصحيح والسقيم والخبر الإسرائيلي وغيره) . انظر : الميزان : ٣٨٤/١٣ ، ١١٨/١٢.

٦ _ تاريخ تمدن الإسلام : للمستشرق كرستارليون [١].

٧ _ تاريخ الطبري : لأبي جعفر محمد بن جرير . ت ٣١٠هـ [٢].

٨ _ تاريخ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب . ت ٢٥٩هـ [٣].

٩ _ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة : لأبي الريحان البيروني [٤].

١٠ _ الخطط المقريزية : لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الحسيني العبيدي المعروف بالمقريزي . ت٨٤٥هـ [٥] .

١١ _ سيرة ابن هشام : أبي محمد عبد الملك المعافري. ت ٢١٣هـ [٦].

١٢ _ السيرة الحلبية : لعلي بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن عمر الحلبي القاهري ، الشافعي (نور الدين) . ت ١٠٤٤هـ [٧].

١٣ _ شريعة حمورابي : للدكتور عبد الرحمن الكيالي [٨] .

١٤ _ شمس العلوم : للحميري نشوان بن سعيد بن نشوان اليمني. ت ٥٧٣هـ [٩].

١ـ انظر: الميزان : ٤١/١ ، ٣٦٠.

٢ـ انظر : الميزان : ٢٩٨/٤.

٣ـ انظر : الميزان : ٢٩/٩ ، ١١٨/١٢.

٤ـ انظر : الميزان : ١٨٢/٦.

٥ـ وعنوان هذا الكتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ويختص بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها ويعرف بالخطط المقريزية جمع فيها أخبار مصر وأحوال سكانها) _ عن معجم المطبوعات العربية والمعربة ص ١٧٨١ . انظر : الميزان : ٢٨٦/١٣.

٦ـ انظر : الميزان : ٣٨/٤ ، ١٦١ ، ٢٣٥/٩ ، ٣٨٥/١٣.

٧ـ قال في الأعلام : ٥٤/٥ (له تصانيف كثيرة منها ((إنسان العيون في سيرة النبي المأمون)) يعرف بالسيرة الحلبية) ينظر : الميزان : ٢٦٧/٣.

٨ـ انظر : الميزان : ١٨٣/٧.

٩ـ قال في معجم المؤلفين : ٨٦/١٣ (الحميري فقيه ، أصولي ، أديب ، شاعر ، عارف باللغة والنحو والتاريخ والأنساب . شارك في علوم أخرى ... من آثاره : شمس العلوم) . انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة : ص : ١٨٥٧ وانظر : الميزان : ٣٨٥/١٣.

١٥ _ الكامل في التاريخ للعلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير.ت ٦٠٦هـ[١] .

١٦ _ مجمل التاريخ : للمحقق هـ . جـ . ويلز [٢] .

١٧ _ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : لأبي المظفر يوسف قز أوغلي المعـروف بسبط ابن الجوزي . ت ٦٥٤هـ [٣].

١٨ _ مروج الذهب : للمسعودي علي بن الحسين . ت ٣٤٦هـ [٤].

١٩ _ معجم أعلام الشرق والغرب : فرديناند توتل [٥] .

٢٠ _ المغازي : للواقدي محمد بن عمر بن واقد . ت ٢٠٧هـ [٦] .

٢١ _ الملل والنحل : للشهرستاني محمد بن عبد الكريم . ت ٥٤٨هـ [٧] .

٢٢ _ نفائس الفنون في عرائس العيون : لمحمد بن محمود الآملي [٨].

١- انظر : الميزان : ١٣/٤.

٢- انظر : الميزان : ٢٤٣/٦ ، ٢٤٨.

٣- قال في كشف الظنون : ص ١٦٤٧ _ ١٦٤٨ (انه في أربعين مجلدا ... قال الذهبي : نراه يأتي بمناكير الحكايات وما أظنه بثقة فيما ينقله بل يخمن ويجازف ثم إنه يترفض . ثم أشار إلى أنه اختصر عدة مرات وترجم إلى التركية) . انظر : الميزان : ٢٩٦/٤.

٤- انظر : الميزان : ٢٤٩/٣.

٥- انظر : الميزان : ٣٤٣/٦.

٦- انظر : الميزان : ٢٩/٩ ، ٣٠ ، ٣٣.

٧- انظر : الميزان : ٢٨٣/٣ ، ٣٠٥.

٨- قال في كشف الظنون : ص ١٩٦٦ : (إنه ألف في كل فن تأليفا أراد أن يجمعها في تأليف واحد ، فلم يزل يجمع إلى أن بلغ مئة وعشرين علما . فألف هذا الكتاب ورتبه على قسمين : الأول في علوم الأوائل ، والثاني في علوم الأواخر) . انظر : الميزان : ١٨٣/٦.



جـ _ معـارف عامة :

ثمة كتب متفرقة نقل عنها المفسر وأفاد منها في جملة مــن أبحاثــه الاجتماعيــة والقرآنية وغيرها . وقد راعينا في ترتيبها تسلسل حروفها الهجائية .

١ _ إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي . ت ٥٠٥هـ [١] .

٢ _ أصول الفلسفة : محمد حسين الطباطبائي _ المفسر _ [٢].

٣ _ الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي . ت ٩١١هـ [٣].

٤ _ الأم : للإمام الشافعي . ت ٢٠٤هـ [٤] .

٥ _ بداية المجتهد : لابن رشد . ت ٥٩٥هـ [٥].

٦ _ دائرة المعارف : للبستاني [٦].

٧ _ دائرة المعارف الانجليزية [٧] .

٨ _ الدر المكتوم : لابن عربي الصوفي (محي الدين) محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي . ت ٦٣٨هـ [٨].

٩ _ دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني . ت ٤٧١هـ [٩].

١٠ _ رسالة في التسخير : للسكاكي يوسف بن أبي بكر بــن محمــد بــن علــي الخوارزمي . ت ٦٢٦هـ [١٠].

---

[١] _ انظر : الميزان : ٣٢٨/٤ ، ٣٣١ ، ٣٢٤/٦ ، ٣٢٥ ، ٤٣١.

[٢] _ انظر : الميزان : ٢٦٢/٥.

[٣] _ انظر : الميزان : ٧٧/٣ ، ٨٤ ، ١١٩/١٢ ، ٢٣٣/١٣ ، ١٣١/٢٠.

[٤] _ انظر : الميزان : ٨٨/٢.

[٥] _ انظر : الميزان : ٢٩٦/٤.

[٦] _ انظر : الميزان : ٣٢٢/٣ ، ٢٨٣/١٠ ، ٢٨/١٧.

[٧] _ انظر : الميزان : ٣٤٨/٦.

[٨] _ انظر : الميزان : ١٨٥/٦ ، وانظر : الأعلام : ١٧٠/٧_١٧١ ، ومعجم المؤلفين : ٤٠/١١.

[٩] _ انظر : الميزان : ٧٢/١ ، ٣٠٥/١٤.

[١٠] _ انظر : الميزان : ١٨٥/٦ ، وانظر : الأعلام : ٢٩٤/٩.

١١ _ السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم : للإمام فخر الدين محمود بن عمر الرازي . ت ٦٠٦هـ [١].

١٢ _ فجر الإسلام : أحمد أمين [٢] .

١٣ _ المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون : الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء[٣].

١٤ _ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء:للراغب الأصفهاني.ت ٥٠٢هـ [٤] .

د _ أعلام :

ضمن الأبحاث الفلسفية في الميزان ذكر المفسر جملة من الأقوال والآراء الفلسفية ، وغالبا ما كانت إشارات إلى أصحابها دون التصريح بمصادرها .وممن أشار إليهم

١- انظر : الميزان : ١٨٥/٦ . قال في كشف الظنون : ص ٩٨٩_٩٩٠ : (وقيل إنه مختلق عليه _ يعني الرازي _ فلم يصح أنه له).

٢- انظر : الميزان : ٣٩٧/٤.

٣- انظر : الميزان : ١٦٣/٤.

٤- انظر : الميزان : ٢٩٧/٤ . وانظر المفردات للراغب الأصفهاني ، كلمة تعريف بالكتاب والكاتب الدكتور : محمد أحمد خلف الله ، القاهرة ، مطبعة الأنجلو المصرية ، صفحة : (ط).



: إفلاطون [١] ، وابن سينا [٢] ، وصـــدر المتألهيـــن الشيرازي [٣] ولربما يعبر عنهم أحيانا بقوله : ذكر الحكماء والفلاسفة [٤].ونقل أيضًا عـن علمـاء آخـرين مستشهداً بأقوالهم ، أو ناقدًا لها منهم : أبو مسلم المفسر [٥] وأبو حامد الغزالي [٦]،

وابن تيمية [٧]

والسيد هبة الدين الشهرستاني [٨].

---

[1] ـ انظر : الميزان : ١٨٧/١٣.

[2] ـ انظر : الميزان : ١٨٣/١ ، ٢٢٥/٢.

[3] ـ انظر : الميزان : ١٩٤/١٣ . وهو صدر الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازي ، المعروف (بالملا صدرا) و (بصدر المتألهين) . توفي عام (١٠٥٠هـ) في البصرة وهو متوجه إلى الحج وذلك في عصر الشاه عباس الثاني الصفوي . وهو أعظم فيلسوف إسلامي ظهر في القرن الحادي عشر للهجرة ، واكبر حكيم إشراقي أوضح طرق الفلسفة الإشراقية وهاجم الفلسفة المشائية والرواقية بعنف . وقد وضع كتبا ضخمة في الفلسفة والحكمة الإشراقية . (انظر : فلاسفة الشيعة : حياتهم ، وآراؤهم ، الشيخ عبد الله نعمة ، بيروت ، مطبعة دار مكتبة الحياة ، ص ٣٤٦_٣٦٩).

[4] ـ انظر : الميزان : ٣٢٥/٢.

[5] ـ انظر : الميزان : ١٣٩/١١ ، ١٣٦/١٣ ، ١٤٣ ، ٧٦/١٤ ، ١٠٣ ، ١٩٦ ، ٢٧٠ ، ١٨٠/١٦ . ذكر المفسر أقوالا منسوبة إلى أبي مسلم دون أن يشير إلى مصدر بعينه ، وحين قابلت هذه المواضع الآنفة الذكر بما يقابلها في مجمع البيان للطبرسي وجدت أنه نقل أغلبها عنه . ((انظر مجمع البيان (٤٢٣/٣ ، ٤٢٤ ، ٥١٩ ، ٥٢٩ ، ٤٥/٤ ، ٣٠٣) والذي يؤكد أن أبا مسلم المفسر هذا هو محمد بن بحر الأصبهاني . ت ٣٧٢هـ هو أن بعض الأقوال المنسوبة إليه في مجمع البيان وجدتها في البرهان للزركشي منسوبة له باسمه الصريح . انظر : البرهان ٣٦٤/٣ ، ٣٨٥ وانظر مجمع البيان ٣٣٣/٣) .ومحمد بن بحر الأصبهاني هو أبو سلمة صاحب التفسير وذكره أبو الحسين بن بابويه في تاريخ الري . وقال كان على مذهب المعتزلة ووجيها عندهم ، وصنف لهم التفسير على مذهبهم وتوفي سنة ٣٧٢هـ .انظر: لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ، الهند ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ١٣٣١هـ ،٨٩/٥.

[6] ـ انظر : الميزان : ١٣٠/١١ ، ١٤٠.

[7] ـ انظر : الميزان : ٢٥/٦.

[8] ـ انظر : الميزان : ٣٩١/١٣ . ولد السيد هبة الدين الشهرستاني سنة ١٣٠١هـ في مدينة سامراء _ العراق _ ، وفي سنة ١٣٢٠هـ أقام في النجف وأخذ يختلف إلى العلماء الأعلام آنذاك ، وكانت له نشاطات إسلامية كبيرة في مجال التأليف وخدمة الدين ورعاية النشء الإسلامي ، وفي سنة ١٣٤٠هـ شغل وزارة المعارف العراقية ومن خلالها بث الروح الإسلامية في التعليم ، وعمل على

وقد يعبر أحيانا بما يفيد الإشارة إلى بعضهم . كقوله : سئل أحد أساتيذنا فأجاب [١] . وكقوله : وما سمعته عن بعض مشايخي أنه ... [٢] .كما نقل كلاماً علمياً عن أستاذ في الجيولوجيا بجامعة طهران بقوله : سألته أن يفيدني بما ترشد إليه الأبحاث الجيولوجية في هذا الطوفان العظيم_يعنى طوفان نوح (ع) [٣]

٥ _ الجرائد والمجلات :

نقل المفسر عنها حوادث وأخباراً علمية ضمنها أبحاثه العلمية :

١ _ جريدة اطلاعات الإيرانية الصادرة في (١) يناير سنة ١٩٥٦م [٤].

٢ _ جريدة كيهان الإيرانية الصادرة في أول سبتمبر سنة ١٩٦٢م [٥].

٣ _ مجلة الشرق الكاثوليكية البيروتية عدد (١٤) السنة الخامسة [٦] .

٤ _ مجلة لايف الأمريكية الصادرة في (٦) فبراير ١٩٥٦م [٧].

وفي ما ذكرناه من المصادر التي اعتمد عليها المفسر في الميزان ؛ تبين أنه اعتمد على مصادر كثيرة وكانت شخصيته العلمية بارزة بوضوح في مصادره التفسيرية ، ومصادره الحديثية والروائية . فقد تعرض لأقوال المفسرين بالنقد والمناقشة ، فاستأنس وأفاد من قسمٍ منها ، ورفض القسم الآخر.

إحداث تغييرات كبرى في أجهزته ، وله آثار علمية جليلة في التفسير والعقائد والفلسفة والفقه والأصول وفروع الأحكام وفي العلوم الرياضية . انظر : كتاب هبة الدين الشهرستاني للمؤلف السيد محمد مهدي العلوي بغداد ، مطبعة الآداب ١٣٨٤هـ ، ص ٣_٣٩.

[١] ـ انظر : الميزان : ٢٧٤/١.

[٢] ـ انظر : الميزان : ٣٩٦/١٣ للاطلاع : انظر : الميزان _ أيضا _ ١٣٣/٥ ، ٢٤٤/٩.

[٣] ـ انظر : الميزان : ٢٦٦/١٠.

[٤] ـ انظر : الميزان : ١٨٩/٤.

[٥] ـ انظر : الميزان : ٢٧٠/١٠.

[٦] ـ انظر : الميزان : ٢٤٤/٦.

[٧] ـ انظر : الميزان : ٣٢٩/٣.



وأمَّا موقفه من الأحاديث والروايات فسيأتي الكلام عنها وبإشارة مقتضبة ، فهو لم يتقبل جميع هذه المرويات ، بل رفض وضعَّف الكثير منها على أسس سنتعرض لها فيما بعد .

ومِن ثَمَّ فليس من الممكن أن نسمه بأنه حاطب ليل نقل جميع ما وقع بين يديه ، بل كان متصدياً بوضوح لأغلب هذه المنقولات .

ومن ناحية أخرى فقد راعى المفسر في مصادره كتب الفريقين ، وهذا مما يرفع من قيمة التفسير ويدلل على موضوعية صاحبه .

جدول

يبين المصادر التي اعتمد عليها المفسر في المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام والصحابة والتابعين رضي الله عنهم وقد رتبتها على تسلسلها الهجائي.

ت	اسم المصدر
١	الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي .
٢	الاحتجاج : للطبرسي أبي منصور .
٣	أحكام القرآن : للجصاص .
٤	إحياء علوم الدين : للغزالي .
٥	الاختصاص : للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان .
٦	الإرشاد : للشيخ المفيد .
٧	إرشاد القلوب : لأبي محمد الحسن بن محمد الديلمي .
٨	الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار : للشيخ الطوسي .
٩	الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر المالكي القرطبي .
١٠	الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني .
١١	الاعتقادات : للشيخ الصدوق .

١٢	إعلام الورى بأعلام الهدى : للطبرسي أبي علي الفضل بن الحسن .
١٣	الإقبال : لابن طاووس .
١٤	إكمال الدين وإتمام النعمة : للشيخ الصدوق .
١٥	الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي .
١٦	الأم : للشافعي .
١٧	الأمالي : للشيخ أبي علي الحسن بن الشيخ أبي جعفر الطوسي .
١٨	أمالي الشيخ الصدوق .
١٩	أمالي الشيخ المفيد .
٢٠	أمان الأخطار : لابن طاووس .
٢١	أنوار التنزيل : للبيضاوي .
٢٢	آيات الأحكام : للقطب الراوندي .
٢٣	بحار الأنوار : للشيخ محمد باقر المجلسي .
٢٤	بداية المجتهد : لابن رشد .
٢٥	البداية والنهاية : لابن كثير .
٢٦	بصائر الدرجات : لأبي جعفر محمد بن الحسن الصفار .
٢٧	تاريخ الطبري .
٢٨	تاريخ اليعقوبي .
٢٩	تحف العقول : للشيخ الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة .
٣٠	التعريف : لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن قضاعة الصفواني .
٣١	تفسير البرهان : للسيد هاشم بن سليمان البحراني .
٣٢	تفسير العياشي : لمحمد بن مسعود بن عياش .
٣٣	تفسير الفرات : لفرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي .
٣٤	تفسير القرآن العظيم : لابن كثير .
٣٥	تفسير القمي : لعلي بن إبراهيم بن هاشم القمي .
٣٦	تفسير المنار .
٣٧	تفسير النعماني : لمحمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني .
٣٨	تفسير نور الثقلين : للشيخ عبد علي العروسي الحويزي .
٣٩	التمحيص : للشيخ أبي علي محمد بن همام .
٤٠	تنبيه الخواطر : للشيخ ورام .
٤١	تهذيب الأحكام : للشيخ الطوسي .

٤٢	تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني .
٤٣	التوحيد : للشيخ الصدوق .
٤٤	ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : للشيخ الصدوق .
٤٥	جامع الأصول لأحاديث الرسول : لابن الأثير .
٤٦	جامع البيان في تفسير القرآن للطبري .
٤٧	الجعفريات : للشيخ أبي علي محمد بن محمد بن الأشعث .
٤٨	جمع الجوامع : للسيوطي .
٤٩	جوامع الجوامع : للطبرسي أبي علي الفضل بن الحسن .
٥٠	حلية الأولياء : لأبي نعيم الأصفهاني .
٥١	الخرائج والجرائح في المعجزات : للقطب الراوندي .
٥٢	الخصال : للشيخ الصدوق .
٥٣	الخطط المقريزية .
٥٤	الدر المنثور : للسيوطي .
٥٥	الدلائل : للبيهقي .
٥٦	دعائم الإسلام : للقاضي نعمان الإسماعيلي الفاطمي .
٥٧	الدعوات : للقطب الراوندي .
٥٨	ربيع الأبرار : للزمخشري .
٥٩	رسالة المحكم والمتشابه : للسيد المرتضى .
٦٠	روح المعاني : للآلوسي .
٦١	روضة الواعظين : للشيخ المفيد .
٦٢	روضة الواعظين وبصيرة المتعظين .
٦٣	زاد المعاد : لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية .
٦٤	زهد النبي : لأبي محمد جعفر بن أحمد المعروف بابن الرازي .
٦٥	سعد السعود : لابن طاووس .
٦٦	سنن ابي داود .
٦٧	سنن البيهقي .
٦٨	سنن الترمذي .
٦٩	سنن النسائي .
٧٠	سيرة ابن هشام .
٧١	السيرة الحلبية .



٧٢	شرح الجامع الصحيح للترمذي : لابن العربي .
٧٣	شرح العقائد : للشيخ المفيد .
٧٤	شرح النفلية : للشهيد الثاني الشيخ زين الدين العاملي .
٧٥	شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد المعتزلي .
٧٦	شرح نهج البلاغة : للبحراني كمال الدين ميثم بن علي .
٧٧	شعب الإيمان : للبيهقي .
٧٨	شواهد التنزيل : لابن شهرآشوب .
٧٩	الصافي في التفسير : لمحمد بن الشاه مرتضى المعروف بملا محسن الكاشاني .
٨٠	صحيح البخاري .
٨١	صحيح مسلم .
٨٢	صحيفة الإمام الرضا علي بن موسى: لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي .
٨٣	الصحيفة السجادية : للإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) .
٨٤	طب الأئمة : للشيخ حسين بن بسطام الزيات .
٨٥	عدة الداعي : للشيخ أحمد بن محمد بن فهد الحلي .
٨٦	العدد القوية : للشيخ رضي الدين علي بن يوسف .
٨٧	العرائس في قصص الأنبياء : للثعلبي .
٨٨	علل الشرائع : للشيخ الصدوق .
٨٩	عيون الأخبار : للشيخ الصدوق .
٩٠	غاية المرام : لأبي سعيد الحسن بن الحسين المعروف بالسبزواري .
٩١	الغرر والدرر : للآمدي عبد الواحدبن محمد التميمي .
٩٢	الغيبة : للشيخ المفيد .
٩٣	الغيبة : لمحمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني .
٩٤	فتح الباري في شرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني .
٩٥	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : للشوكاني .
٩٦	فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين : لابن جمويه .
٩٧	الفصول المهمة في أحوال الأئمة : لابن الصباغ المالكي .
٩٨	قرب الإسناد : للحميري عبد الله بن جعفر .
٩٩	قصص الأنبياء : لعبد الوهاب النجار .
١٠٠	الكافي : للشيخ الكليني .
١٠١	كامل الزيارة : لابن قولويه جعفر بن محمد .

١٠٢	الكامل في التاريخ : لابن الأثير .
١٠٣	كتاب سليم بن قيس الهلالي .
١٠٤	الكشاف : للزمخشري .
١٠٥	كشف الغمة في معرفة أحوال الأئمة : للأربلي علي بن عيسى .
١٠٦	كشف المحجة لثمرة المهجة : في الأخلاق لابن طاووس.
١٠٧	كنز العمال : للعلامة علي المتقي الهندي .
١٠٨	مجالس الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي .
١٠٩	مجمع البيان في علوم القرآن : للشيخ الطوسي .
١١٠	المحاسن : للبرقي محمد بن خالد .
١١١	محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء : للراغب الأصفهاني .
١١٢	مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : لسبط ابن الجوزي .
١١٣	مستدرك الحاكم أبي عبد الله النيسابوري .
١١٤	مسكن الفؤاد في فقد الأحبة والأولاد : للشهيد الثاني .
١١٥	مسند أحمد بن حنبل .
١١٦	مصباح الزائر : لابن طاووس .
١١٧	معاني الأخبار: للشيخ الصدوق .
١١٨	المغازي : للواقدي .
١١٩	مفاتيح الغيب : للرازي .
١٢٠	المقنعة : للشيخ المفيد .
١٢١	المقنع في الغيبة : للسيد المرتضي .
١٢٢	مكارم الأخلاق : للطبرسي .
١٢٣	المناقب : لابن شهرآشوب .
١٢٤	المناقب الفاخرة : للشريف الرضي .
١٢٥	من لا يحضره الفقيه : للشيخ الصدوق .
١٢٦	منية المريد في آداب المفيد والمستفيد : للشهيد الثاني .
١٢٧	موطأ الإمام مالك .
١٢٨	ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للحافظ الذهبي .
١٢٩	الناسخ والمنسوخ : للنحاس .
١٣٠	نهج البلاغة : للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) .
١٣١	نهج البيان : للشيباني محمد بن الحسن .

١٣٢	الهداية : للشيخ الصدوق .
١٣٣	الوافي : لملا محسن الكاشاني .
١٣٤	وسائل الشيعة إلى أحاديث الشريعة : للشيخ محمد بن الحسن العاملي .
١٣٥	ينابيع المودة لذوى القربى : للقندوزي سليمان بن إبراهيم .

الباب الثاني

منهجه في التفسير

الفصل الأول : نظرة في مناهج المفسرين
ووصف مجمل للميزان
الفصل الثاني : الجانب الأثري في الميزان .
الفصل الثالث : الجانب العقلي في الميزان





الفصل الأول

نظرة في مناهج المفسرين ووصف مجمل للميزان

نظرة في مناهج المفسرين

نزل القرآن الكريم فولدت الحاجة إلى تفسيره باعتباره مصدر الأحكام ، ولما يحمله من محكم ومتشابه ، عام وخاص ، مطلق ومقيد ، مبهم ومبين ، ولما في أسلوبه من الحقيقة والمجاز ، والتصريح ، والكناية والإيجاز والإطناب ، وغير ذلك . وكان طبيعيا أن يفهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القرآن جملةً وتفصيلاً بعد أن تكفل الله تعالى له حفظه وبيانه باعتباره المبعوث الهادي ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [1] ، وقال تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2] .

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : ما منكم من أحدٍ إلاّ وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار ، فقال بعض الصحابة : أفلا نتكل قال : لا ، إعملوا فكلٌّ ميسر،ثم قرأ (صلى الله عليه وآله وسلم) [3] ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى۞فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى۞وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى۞وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى۞فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾.وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً [4] ، وذلك بيان لقوله تعالى : ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى ﴾ [5] .

وفي صدد بيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن جميعه أو بعضه يقف ابن تيمية على رأس القائلين بأنه عليه الصلاة والسلام بيَّن للصحابة القرآن كله ألفاظه ومعانيه [6] . بينما نجد الزركشي يقول : إن تفسير القرآن وتأويله بجملته لم ينقل

1- القيامة : ١٧ _ ١٩.
2- النحل : ٤٤.
3- صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، تفسير سورة والليل إذا يغشى ، والآيات : والليل : ٥_١٠.
4- صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر.
5- البقرة : ٢٣٨.
6- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، تحقيق د.عدنان زرزور ، بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٢م ، ط٢ ص:٣٥.

إلينا عن الصحابة ، فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه [1] ، وفي الواقع أن كتب الحديث والرواية تشهد على أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يبيِّن كل معاني القرآن ، ولو لم يكن كذلك لكان من المفروض ألاّ نجد اختلافا بين الصحابة في تفسير الآيات وإن كان يسيرا .

وعليه فبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اختلفت أفهام الصحابة للقرآن ، وتنوعت ، وان فهموه إجمالا ، ويرجع ذلك إلى اختلاف مداركهم ، ومعارفهم ، ومدى إحاطتهم بلغتهم ، ومدى التصاقهم بالرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وإفادتهم منه ، ومعرفتهم بمناسبات النزول .

فقد روي عن عدي بن حاتم أنه قال : لما نزلت ﴿ **حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ** مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾ ، عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت له ذلك فقال : إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار [2] .

وروي أن عمر (رض) قرأ ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبُّ . ثم قال : قد نهينا عن التكلّف [3] .

وفي معنى (فاطر) يقول ابن عباس : كنت لا أدري ما ﴿ **فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ** وَالأَرْضِ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما لصاحبه (أنا فطرتها) أي أنا ابتدأتها [4] .

---

[1] ـ انظر البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت دار المعرفة ، ١٩٧٢م : ١٥/١.

[2] ـ انظر : صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب قول الله تعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾ (البقرة : ١٨٧).

[3] ـ انظر : الدر المنثور : ٣١٧/٦ ، عبس : ٣١.

[4] ـ انظر تفسير الطبري : ٢٨٣/١١ ، الأنعام : ١٤.



وقد قال ابن قتيبة من قبل : (والعرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب ، والمتشابه ، بل لبعضها الفضل في ذلك على بعض) [1] ، لذا أصبحت دراسة القرآن الكريم بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ضرورة ملحة ، وكانت مصادر الصحابة في التفسير [2] :

١ _ القرآن الكريم : لما يشتمل عليه من الإيجاز والإطناب ، والإجمال والتبيين ، والإطلاق والتقييد ، والعموم والخصوص ، من ذلك ، وورود قصة موسى وفرعون موجزة في بعض المواضع ، ومسهبة مفصلة في مواضع أخرى . وبيان قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ ... الآية ﴾ [3] للإجمال في قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ... الآية ﴾ [4] وكتخصيص قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [5] للعموم الذي ورد في قوله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [6].

٢ _ النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فقد حفظ الصحابة عن الرسول عليه الصلاة والسلام ما رجعوا به إليه حيث كان (صلى الله عليه وآله وسلم) (يبيِّنُ لهم ما خفي عليهم) [7].

٣ _ الاجتهاد : وحين لم يتيسر للصحابة الأخذ عن القرآن والنبي لجأوا إلى اجتهادهم وإعمال رأيهم ، ومما ساعدهم على ذلك معرفتهم بأوضاع اللغة وأسرارها

---

[1] ـ المسائل والأجوبة في الحديث واللغة ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٩هـ ، ص : ٨.
[2] ـ محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ط٢ ، ٣٧/١ وما بعدها.
[3] ـ المائدة : ٣.
[4] ـ المائدة : ١.
[5] ـ الشورى : ٣٠.
[6] ـ النساء : ١٢٣.
[7] ـ انظر ما تقدم من أمثلة في الصفحة ٩٩_١٠٠ من هذه الرسالة.

، ومعرفتهم بعادات العرب وبأحوال اليهود والنصارى وقتئذ ، فضلاً عن قوة الفهم وسعة الإدراك .

روي عن ابن عباس قوله في تفسير ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ أن معناها : يتركون المحرم عامًا ، وعامًا يحرمونه [1] .

وروي (عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي بن أبي طالب : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا إلاّ كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة . قال : قلت فما في هذه الصحيفة . قال : العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر) [2] .

وقد وردت روايات كثيرة عن الإمام علي (عليه السلام) في تفسير آيات القرآن الكريم فضلاً على ما كان يرويه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

٤ _ مطابقة القرآن للتوراة والإنجيل في بعض المسائل لا سيما في القصص النبوي وما يتعلق بالأمم الغابرة ، وقد أوجز القرآن البيان فيها بينما أطالت في تفصيلها التوراة والإنجيل ، وقد رجع بعض الصحابة إلى من دخل في الإسلام من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار،وغيرهم،وذلك لاستيفاء هذه القصص [3]

وبعد عصر الصحابة ابتدأت مرحلة التفسير عند التابعين الذين تلمذوا على الصحابة فأفادوا الكثير ، ومصادر التفسير في هذه المرحلة هي :

القرآن الكريم ، ورواياتهم عن الصحابة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأقوال الصحابة ، واجتهاد التابعين أنفسهم واستنباطهم ، وأهل الكتاب [4] .

---

[1] ـ انظر : تفسير الطبري ، مطبعة دار النشر للجامعات المصرية ، ٢٤٥/١٤ ، التوبة : ٣٧.

[2] ـ انظر : صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم.

[3] ـ للاطلاع على ذلك راجع تفسير الثعالبي ، وتفسير الخازن وغيرهما مما يُعنى بالتفسير القصصي.

[4] ـ التفسير والمفسرون : ٩٩/١ وما بعدها.

روي في تفسير قوله تعالى : ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات عن مجاهد قال : معناه يروزك أي يختبرك ويمتحنك،وعن قتادة قال : معناه ومنهم من يطعن عليك في الصدقات [1] .

وفي أواخر عهد بني أمية وأول عهد العباسيين _ حيث بدأ التدوين _ دوّن حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام وكان التفسير باباً من الأبواب التي شملها تدوين الحديث ولم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة وآية آية من مبدئه إلى منتهاه ، ثم بدأ التفسير ينفصل عن الحديث فأصبح علماً قائما بنفسه ، ووضع لكل آية من القرآن تفسير ، ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف ، ومن ذلك ما ورد في (جامع البيان في تفسير القرآن) لابن جرير الطبري . ت ٣١٠هـ [2] .

ثم جاءت الفتوحات الإسلامية وكانت عاملا مؤثراً في حياة المسلمين العقلية والاجتماعية والدينية ، فقد استولوا على أهم مراكز الفكر اليوناني واختلطوا بشعوب البلاد المفتوحة وامتزجت العادات والتقاليد والنظم ، وتلاقحت الأفكار ، فنشأت عن اختلاط هذه الأفكار بالمسلمين مذاهب جديدة طغت على بعضها الخرافات والبدع [3].

بعد هذا التعريف بنشأة التفسير وتطوره يجدر بنا أن نتبين المناهج التي سلكها المفسرون في بيان معاني الآيات . فقد درج الباحثون على تقسيم التفسير إلى :

١ _ تفسير بالمأثور.

٢_ تفسير بالرأي.

---

[1]ـ انظر تفسير الطبري : ٣٠٢/١٤ ، التوبة : ٥٨.

[2]ـ انظر : التفسير والمفسرون : ١٤٠/١_١٤٢.

[3]ـ انظر : د. الشحات السيد زغلول ، الاتجاهات الفكرية في التفسير ، ١٣٩٧ه ط٢ ، ص : ١١٠ _ ١١١.

١ _ منهج التفسير بالمأثور :

وهو أول أنواع التفسير ظهورا [١] . ويشمل ما جاء في القرآن نفسه من تفسير الآيات بعضها بعضاً ، وما نقل عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما نقل كذلك عن الصحابة ، وعن التابعين أيضا [٢] .

وقد وقع خلاف في ما نقل عن التابعين ، فالبعض يعده من قبيل المأثور ، ولبعض الآخر يعدُّهُ من قبيل الرأي [٣] إلا أن أكثر المفسرين ذهبوا إلى الأخذ بقول التابعين في التفسير لأن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة [٤] . وبشيء من التفصيل نجد ابن تيمية يتعرض إلى أقوال التابعين فيقول : إنها ليست بحجة على غيرهم ممن خالفهم ، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ، ولا على من بعدهم ، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة في ذلك .

ويمثل جامع البيان للطبري رائد المأثور ، والمرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي ، فَمِمّا يمتاز به الطبري عن رجال التفسير الأثري : إسناد الأقوال إلى أصحابها مسلسل ، والتعويل على ما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم،والصحابة والتابعين [٥].

وعلى الرغم من حذف السيوطي (ت ٩١١هـ) لأسانيد الآثار في تفسيره (الدر المنثور) فإن محاولته هذه تعتبر إحياءً للمأثور في التفسير بعد أن أخذ التفسير

---

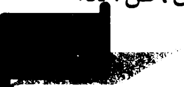
[١] ـ انظر : السيد خليل ، نشأة التفسير في القرآن والكتب المقدسة ، ١٣٧٣ﻫ ، ط١ ، ص : ٣٤.

[٢] ـ التفسير والمفسرون : ١٥٢/١ ، وقد ذكرنا نماذج لذلك في بداية هذا الفصل.

[٣] ـ انظر : د. محمود بسيوني فودة ، التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية ، مصر ، مطبعة الأمانة ، ١٣٩٧ﻫ ، ص : ٢١.

[٤] ـ انظر : التفسير والمفسرون : ١٥٢/١.

[٥] ـ انظر : نشأة التفسير للسيد خليل ، ص : ٥٤.



بالرأي يتلون بثقافات المفسرين ، ويتأثر بالمترجمات العقلية ، وهو ما سيأتي بيانه في هذا الفصل .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض المفسرين توسَّع في إيـراد القـصص النبـوي ، وقصص الأمم الغابرة معتمداً في ذلك على أهل الكتاب في الوقت الذي نجـد فيـه القرآن الكريم قد أجمل القول فيها ، لأن القرآن الكريم يروم في ذلك العبرة والتنبيه إلى سنن الله تعالى في الاجتماع الإنساني ، وتأثير أعمال الخير والشر فيه [1] . قال تعالى : ﴿ وكُـلاً نَقُصُّ عليكَ من أنباءِ الرُّسُلِ ما نثبِّتُ بهِ فـؤادكَ وجـاءَكَ فـي هَـذهِ الحَقُّ وموْعظةٌ وذكْرى للمُؤْمنينَ ﴾ [2] . ويعلل ابن خلـدون قبـول هـذه المرويات باعتبارات اجتماعية ودينية ، فقد غلبت على العرب آنذاك البداوة والأمية ، وكانوا يتشوقون إلى معرفة ما تتشوق إليه النفوس البشرية من البحث في أسباب المكونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود ؛ وهم في ذلك إنما يسألون أهل الكتاب قبلهم ، ومن الاعتبارات الدينية أن هذه المنقولات ليست مما يرجع إلـى الأحكـام والعقائد . فتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا تفسيراتهم بمنقولات عن عامـة أهل التوراة [3] . وممن توسع في ذلك أحمد بـن محمـد بـن إبـراهيم الثعـالبي النيسابوري (ت ٤٢٧هـ) في (التفسير الكبير) .

أما الإمامية فالمأثور عندهم ما جاء في القرآن الكريم من بيان وتفصيل ، وما نقل عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأئمة أهل البيت عليهم السلام ، فقد ذكر الشيخ أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) وهو من كبار شيوخ الإمامية : أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حث على قراءة القرآن والتمسك بما فيه ، وردَّ ما يَردُ من اختلاف الأخبار في الفروع إليه . وأضاف : أن أصحابنا _ يعني

---

[1] ـ انظر : د. احمد الشرباصي ، قصة التفسير ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٨م ، ط٢، ص : ٤٠.

[2] ـ هود : ١٢٠.

[3] ـ انظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ص : ٣٦٧.

الإمامية _ ذكروا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلاّ بالأثر الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وعن الأئمة عليهم السلام الذين هم قولهم حجة كقول النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) [1] . وذلك لما تواتر من وصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم : (إني تاركٌ فِيكُمْ ما إنْ تَمسَّكْتُم بهما لن تضلوا بعدي أبدا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض) [2]. وأمَّا ما نقل عن الصحابة والتابعين فليس بحجة في ذاته [3] . ومن تفاسير الإمامية الأثرية تفسير محمد بن مسعود العياشي ، وتفسير فرات بن إبراهيم الكوفي ، وتفسير علي بن إبراهيم القمي [4].

وقد ضعف التفسير بالمأثور بفعل الوضع والإسرائيليات ، كما أسهم في ذلك حذف الأسانيد بعد تفسير الطبري [5]_ وهو ما حصل لبعض المفسرين _ توخياً للإيجاز ، كالبغوي الفراء (ت٥١٠هـ) وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) والسيوطي (ت ٩١١هـ) ، فانظر السيوطي في مقدمة كتابه (الدر المنثور) يقول : ((فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، وتم بحمد الله في مجلدات ، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله ، فلخصت منه هذا المختصر مقتصراً فيه على متن الأثر ، مصدراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر وسميته بـ ((الدر المنثور في التفسير بالمأثور)) [6] .

---

[1] ـ انظر : التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق أحمد حبيب العاملي ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، ٣/١_٤.

[2] ـ انظر : سنن الترمذي أبواب المناقب ، مناقب أهل بيت النبي.

[3] ـ انظر : الأصول العامة للفقه المقارن للحكيم ، ص : ١٣٥_١٤٣.

[4] ـ انظر : التعريف بهذه التفاسير في ص : ٧٣_٧٤ من هذه الرسالة.

[5] ـ انظر : التفسير والمفسرون : ١٥٧/١.

[6] ـ انظر : الدر المنثور : ٢/١ (المقدمة).



٢ _ التفسير بالرأي :

يطلق الرأي في اللغة على الاعتقاد ، والقياس ، والاجتهاد ، ويعتبر أصحاب القياس أصحاب الرأي لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثا أو أثرا [١] .

والمراد به هنا تفسير القرآن بالاجتهاد [٢] . وقد نشأ التفسير بالرأي _ كمنهج _ في وقت متأخر عن نشأة التفسير الأثري ، وإن كانت هناك بعض المحاولات من قبل بعض المسلمين تبين أنهم مارسوا الرأي في التفسير لا سيما لو لاحظنا أن أحد مصادر التفسير في عصر الصحابة هو (مبدأ الاجتهاد والاستنباط) وفي عصر التابعين كذلك كما مر آنفا .

ويذهب بعض الباحثين إلى أكثر من ذلك فيذكر أن من الممكن القول إنه في عصر النبوة أيضا أقبل بعض المسلمين بفطرتهم على القرآن ، يعملون نظرهم فيه عندما لم يتيسر لهم لقاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فوجد في هذه الفترة من كان يفسر القرآن برأيه [٣] .

وقد اختلف العلماء في التفسير بالرأي والاجتهاد فمنهم من منعه ومنهم من أجازه . وذكر أن المسلمين حتى عهد متقدم من المئة الثانية للهجرة كانوا يحرمون تفسير القرآن بالرأي ، وينهون عنه [٤] . ولا حاجة هنا لاستقصاء أدلة المجوزين ، والمنكرين إلاَّ أن المانعين تعلقوا بما روي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله : (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) [٥] وان هذا صريح في النهي

١ـ انظر : القاموس المحيط ، فصل الراء ، باب الواو والياء.

٢ـ انظر : التفسير والمفسرون : ٢٥٥/١.

٣ـ انظر : الاتجاهات الفكرية في التفسير ، للشحات زغلول ، ص : ٨١.

٤ـ انظر : المصدر السابق نفسه.

٥ـ انظر : سنن الترمذي . أبواب تفسير القرآن ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه.

عن استعمال الرأي في التفسير . بينما استدل المجوزون بما جاء في الكتاب من دعوة وحث على النظر والتفكر في كتاب الله [1] ، وحملوا حديث النهي السالف الذكر على وجوه عدة ؛ نافين أن يكون النهي في الحديث على إطلاقه ، ومن هذه الوجوه : أن النهي واقع على من قال برأيه في نحو مشكل القرآن ومتشابهه ، أو أريد بالرأي الذي يغلب على صاحبه من غير دليل يقوم عليه ، أو يحمل النهي على من يقول في القرآن بظاهر العربية دون أن يرجع إلى المأثور ، وبالتالي فان المفسر بالرأي الذي يستعين بالمأثور وأدوات التفسير الأخرى من اللغة العربية وعلومها ، وعلوم القرآن ، والتاريخ ، والفقه ، وأصوله ، وعلم العقائد وغيرها مما ذكرها الباحثون شروطا للمفسرين [2] لا يمكن أن يكون مشمولا بالنهي الوارد في الحديث [3] .

وعلى أساس ممّا تقدم ؛ قسم التفسير بالرأي إلى قسمين :

أ _ التفسير بالرأي الجائز : وهو الذي تراعى فيه الضوابط التي ذكروها شروطا للمفسر ، وألا تكون نتائج هذا التفسير مخالفة لحقائق الشريعة .

ب _ التفسير بالرأي المذموم : وهو الذي لا تراعى فيه تلك الضوابط ، فتأتي نتائجه مناقضة لكثير من حقائق الشريعة .

وقد أخذ التفسير بالرأي مناهج متعددة تلونت بثقافات المفسرين وعقائدهم ، كما كان للعامل السياسي والمذهبي أثره فيها ، وسنعرض هنا لجملة من مناهج المفسرين مؤكدين على مدى تأرجحها بين خَطَّي الجائز والمذموم في التفسير بالرأي .

---

[1] ـ انظر : سورة ، ص : ٢٩ ، سورة محمد : ٢٤.

[2] ـ انظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ٢٠٠/٤ ، ٢٧٢.

[3] ـ انظر : التفسير والمفسرون : ٢٥٣/١_٢٧٢.



١ _ المنهج اللغوي :

اتجه أصحاب هذا المنهج إلى استخلاص معاني الآيات باستخدام اللغة حيث كانوا يرون النص القرآني فضلاً عن كونه نصّاً دينيّاً ؛ فهو نص أدبي معجز ، ومن ثم اتجهوا في فهمه اتجاها لغوياً بعيداً عم أمور قد لا تعطيها الدلالة اللغوية ، ولا يسعف على استنباطها من النص تركيبه الأدبي المعجز [1] . وقد واكب ذلك نُضج الحركة اللغوية واستقامة دراسة علوم اللغة ، وقد تولت ذلك طائفة الأدباء النحويين والتي قامت أول أمرها على حماية القرآن من اللحن ، فوضعت كتباً عديدة تعالج هذا الجانب من القرآن الكريم أمثال معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧هـ) ، ومعاني القرآن لأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ) ومعاني القرآن لثعلب (ت ٢٩١هـ) ، وغيرهم ، وقد اتسعت الدراسات اللغوية بعد ذلك فظهرت آثار علمية في غريب القرآن وأمثال القرآن ومصادره وغيرها [2]. وكان أبو عبيدة بارزاً في هذا المنهج ؛ إذ فسر القرآن بعرض أسلوبه ومعانيه على أسلوب ومعاني منطق العرب ، وأكثر من الاستشهاد على الآيات بالشعر العربي . وعنايته باللغة صرفته عن الاشتغال بالقصص القرآني وتفصيل القول فيه ، كما صرفته عن تتبع أسباب النزول إلاَّ عندما كان يقتضي فهم النص التعرض لذلك [3] ، وقد أصبحت هذه النزعة اللغوية في التفسير فيما بعد اتجاها متميزاً ، له منزعه الخاص ، وأسلوبه المتفرد ، وقدرته البالغة على التحليل الذي لا يدع النص مغلقا أو مطويا على نفسه دون الاستفادة بكل ما فيه:من إيثار لفظة على أخرى أو حرف على آخر،وهكذا [4]

---

[1] ـ انظر : السيد خليل ، دراسات في القرآن ، مصر ، دار المعارف ١٩٧٢م ، ص : ٧٠.

[2] ـ انظر : نشأة التفسير للسيد خليل ، ص : ٥٨ _ ٥٩.

[3] ـ انظر : أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، مقدمة المحقق محمد فؤاد سزكين ، ١٩/١ ، ١٦٨ ، ٣٤٤.

[4] ـ انظر : دراسات في القرآن للسيد خليل ، ص : ٧٠.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن عباس كان له أثر واضح في إثارة هذا المنهج اللغوي ، فقد كان يلجأ إلى الشعر بحثا عن معنى اللفظ القرآني ؛ فنجده يقول : ((إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر،فإن الشعر ديوان العرب)) [1].

وروي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس فقال : ((أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾ ما السنة ؟)) قال ابن عباس : ((النعاس)) وذكر قول زهير بن أبي سلمى :

لا سنة في طول الليل تأخذه ولا ينام ولا في أمره فند [2]

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء ﴾ عن ابن عباس قال : ((كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب)) [3] .

وحاول السيوطي تأصيل هذا المنهج ببيان أن المراد بالإعراب في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه) [4] هو معرفة معاني ألفاظه وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها [5] .

المنهج الفلسفي :

حاول أصحاب هذا المنهج التوفيق بين الفلسفة والدين على أساس تأويل النصوص الدينية وحملها على معانٍ تتفق وما تقول به الفلسفة [6] . وقد ظهر هذا المنهج بعد

1- انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٣ ، ط ٢ ، ٢٤/١.

2- المصدر السابق نفسه ، ٢٥/١ ، البقرة : ٢٥٥.

3- انظر : تفسير الطبري ، ٢٤٢/١ ، البقرة : ٥٩.

4- انظر : المستدرك للحاكم النيسابوري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة حم السجدة ، وانظر: الجامع الصغير من حديث البشير والنذير للسيوطي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مطبعة حجازي ١٣٥٢هـ ، ط ١ ، ١٤٩/١.

5- انظر : الإتقان للسيوطي : ٣/٢.

6- انظر : الاتجاهات الفكرية في التفسير ، للشحات زغلول ، ص : ٣٠١.

اتصال المسلمين بثقافات البلدان التي فتحوها ، ومحاولة العباسيين الاتصال بهذه الثقافات (من يونانية وفارسية وهندية) عن طريق الترجمة والنقل [1] ، فقام الفلاسفة المسلمون بشرح الفلسفة اليونانية ، وحاولوا الجمع بين آراء رجالها ، كما حاولوا التوفيق بينها وبين الإسلام ، ومن أولئك الفلاسفة : الفارابي (ت ٢٣٩هـ) ، والكندي (ت ٢٥٢هـ) ، وابن سينا (ت ٤٤٨هـ) .

فالفارابي مثلا يفسر (الملائكة) بأنها صور علمية ، جواهرها علوم إبداعية ليست كألواح فيها نقوش ، أو صدور فيها علوم ، بل هي علوم إبداعية قائمة بذواتها تلحظ الأمر الأعلى فينطبع في هوياتها ما تلحظ ، وهي مطلقة ، لكن الروح القدسية تخاطبها في اليقظة ، والروح النبوية تعاشرها في النوم [2] .

وفسر ابن سينا قوله تعالى : اللَّهُ الصَّمَدُ فقال : ((للصمد في اللغة تفسيران أحدهما : الذي لا جوف له . الثاني : السيد ، فعلى التفسير الأول معناه سلبي وهو إشارة إلى نفي الماهية ، فإن كل ما له ماهية فله جوف وبطن وهو تلك الماهية ، وما لا بطن له وهو موجود ، فلا جهة ولا اعتبار في ذاته إلاّ الوجود ، والذي لا اعتبار له إلاّ الوجود فهو غير قابل للعدم فان الشيء من حيث هو هو موجود غير قابل للعدم إذ الصمد الحق مطلقا من جميع الوجوه .

وعلى هذا التفسير الثاني معناه إضافي وهو كونه سيداً للكل أي مبدأ للكل)) [3] .

٣ _ **المنهج الصوفي** :

ذهب المتصوفة في تفسير القرآن الكريم إلى تأويل آياته بما يوافق أفكارهم وثقافاتهم وإشراقاتهم الروحية ، فمن المتصوفة من غلبت عليه نظريات فلسفية وثقافات تأثر بها من فارسية وهندية ويونانية ، وهؤلاء تعسَّفوا في التأويل وحاولوا

---

[1] ـ انظر : نشأة التفسير للسيد خليل ، ص : ٥٥ _ ٥٦.

[2] ـ انظر : الاتجاهات الفكرية في التفسير ، للشحات زغلول ، ص : ٣١٧.

[3] ـ انظر : تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ، ١٣٢٣ه ، ص : ٧ ، ٣٦_٣٩ ، وانظر : الاتجاهات الفكرية في التفسير ، ص : ٣٢٧.

أن يجعلوا القرآن خادماً لتعاليمهم ومبادئهم ، وبذلوا أقصى ما في وسعهم حتى يوفّقوا بين نصوص القرآن الكريم وبين مبادئهم ، وشيخ هذا المنهج محيي الدين ابن عربي (ت ٦٣٨هـ) [١] ويسمى هذا المنهج بالمنهج الصوفي النظري وعلى سبيل المثال نذكر لابن عربي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ يقول : ((بحر الهيولى الجسمانية الذي هو الملح الأجاج ، وبحر الروح المجرد الذي هو العذب الفرات يلتقيان في الوجود الإنساني . وأضاف : إن قوله تعالى ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ البرزخ هو النفس الحيوانية التي ليست في صفاء الروح المجردة ولطافتها ، إلاّ في كثرة الأجساد الهيولائية وكثافتها ، و (لا يبغيان) لا يتجاوز أحدهما حده فيغلّب على الآخر بخاصيته فلا الروح يجرد البدن ويخرج به ويجعله من جنسه ولا البدن يجسد الروح ويجعله ماديا)) [٢] .

كما جهد بعض من المتصوفة أنفسهم في تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا [٣] ، ومستندهم في ذلك ما في القرآن من دعوة للبحث والتأمل والتدبر في آياته ، وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف واحد ، ولكل حدٍ مطلع ...) [٤] .

وقد وضعت عدة شروط لقبول التفسير الإشاري وهي : [٥] .

١ _ أن لا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم .

٢ _ أن لا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر .

---

[١] ـ انظر : التفسير والمفسرون : ٣٣٩/١ _ ٣٤٠ ، وانظر التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية للدكتور محمود بسيوني فوده ، ص : ١٨٨ _ ١٩٠.

[٢] ـ انظر : تفسير ابن عربي : ٢٨٠/٢ ، الرحمن : ١٩ _ ٢٠.

[٣] ـ انظر : محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، القاهرة ، المطبعة الفنية ، ٧٨/٢.

[٤] ـ انظر : الموافقات للشاطبي ، ٣٨٢/٣ ، وانظر روح المعاني للآلوسي ، مقدمة التفسير : ٣٤/١.

[٥] ـ انظر : مناهل العرفان ، ٨١/٢.



٣ _ أن يكون له شاهد شرعي يؤيده ، وليس له معارض شرعي أو عقلي .

فضمن هذه الشروط يكون التفسير الإشاري مقبولا بخلاف المنهج الصوفي النظري ؛ إذ الثاني تطبيقٌ وحملٌ للآيات على النظريات الفلسفية والثقافات التي تحمّلها أصحابه ، وبالتالي يعد من التفسير بالرأي المذموم . ونذكّر بمثال للتفسير الإشاري مما قاله النيسابوري في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإنّ من الحجارة لما يَتفَجَّرُ منْهُ الأنْهَارُ وَإنّ منْها لما يشَقّقُ فيخْرُجُ منْهُ الْماء وإنّ منْها لما يهْبطُ من خَشْيَةِ اللّه ﴾ بعد أن فسر الآية على ظاهرها قال : التأويل : (مراتب القلوب في القسوة مختلفة : فالتي يتفجر منها الأنهار قلوب يظهر عليها الغليان أنوار الروح بترك اللذات والشهوات وبعض الأشياء المشبهة بخرق العادات ، كما يكون لبعض الرهبانيين واليهود ، والتي تشقق (فيخرج منها الماء) هي التي يظهر عليها في بعض الأوقات عند انخراق الحجب البشرية من أنوار الروح ، فيريه بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء ، والتي تهبط من خشية الله ما يكون لبعض أهل الأديان والملل من قبول عكس أنوار الروح من وراء الحجب ، فيقع فيها الخوف والخشية ، وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين وغيرهم) [١].

٤ _ **المنهج الباطني** :

ذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت أولا في زمان المأمون العباسي وانتشرت في زمان المعتصم [٢]، وقد عرفت بذلك الإسماعيلية فقالوا بإمامة إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق ، وإنما لقبوا بالباطنية لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره ، أو لقولهم بالإمام الباطن المستور [٣].

---

[١] ـ انظر : نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان . تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، مصر ، مطبعة الحلبي ، ٣٤٨/١.

[٢] ـ انظر : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم . تحقيق محمد زاهد الكوثري ، مصر ، ١٣٦٧ ، ص : ١٧٠

[٣] ـ انظر : الشهرستاني : الملل والنحل _ تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، القاهرة . مطبعة الحلبي ١٩١/١ _ ١٩٨.

واتجه الباطنية في تفسير القرآن إلى باطنه ورفضوا الأخذ بظاهره وقالوا : إن للقرآن ظاهراً وباطناً . والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة ، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر ، والمتمسك بظاهره معذب بالشقشقة في الكتاب ، وباطنه مؤدٍ إلى ترك العمل بظاهره ، وتمسكوا بقوله تعالى : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [1] .

يقول الغزالي عن الباطنية (لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بها إلى مخاريق زخرفوها واستفادوا إبطال معاني الشرع ، وكل ما ورد من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية فكلها أمثلة ورموز إلى بواطن [2] .

وقد ذكر الغزالي نماذج كثيرة لتفسيراتهم الباطنية نذكر بعضاً منها :

((إن الجنابة تعني عندهم مبادرة المستجيب بإفشاء سرٍّ إليه قبل أن ينال رتبة استحقاقه ، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك)) .

((وأما الزنا فهو إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد ، والاحتلام هو أن يسبق لسانه إلى إفشاء السر في غير محله ، فعليه الغسل أي تجديد المعاهدة)) .

كما أوَّلوا المعجزات فقالوا : الطوفان معناه طوفان العلم ، أغرق به المتمسكون بالسنة . والسفينة : حرزه الذي تحصَّنَ به من استجاب لدعوته ، ونار إبراهيم عبارة عن غضب نمرود ،لاعن النار الحقيقية ، وذبح إسماعيل أخذ العهد عليه [3].

والباطنية بذلك خرجوا على ظواهر الشريعة الحقة بهذه الافتراءات ، والتأويلات الساذجة لهدم الشريعة .

---

[1] ـ انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي : ص ١٨١ ، انظر : مناهل العرفان للزرقاني : ٧٤/٢ : الحديد : ١٣.

[2] ـ انظر : الغزالي ، فضائح الباطنية ، تحقيق عبد الرحمن بدوي القاهرة ، الدار القومية ١٣٨٣هـ ، ص : ٥٥.

[3] ـ المصدر السابق : ص٥٥ _ ٥٧.



٥ _ المنهج العقدي :

تتدرج تحت التفسير العقلي النزعات العقدية في التفسير ، فقد كان لظهور الفرق أثر كبير في تدرج التفسير العقلي ، إذا اتجه رجال كل فرقة الى أعمال عقولهم في تأويل النص القرآني ، وتحكيم معتقداتهم فيه ، بل واستخراج الأدلة منه على سلامة اتجاههم [١] .

ونذكّر هنا بأهم تلك الاهتمامات العقدية التي امتد تأثيرها إلى النصوص القرآنية ، فقد تصدَّر المعتزلة ساحة ذلك الصراع وأخذوا يتأولون الآيات بما يناسب معتقداتهم الاعتزالية ، وطوَّعوا لأجل ذلك اللغة ، وأعملوا العقل في فهم النص القرآني وقد أقبل الكثيرون من المعتزلة على وضع تفاسير للقرآن منهم عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت ٢٤٠هـ) ، وأبو علي الجبائي (ت ٣٠٣هـ) ، وأبو القاسم البلخي (ت ٣١٩هـ) ، وأبو هاشم الجبائي (ت ٣٢١هـ) ، وعلي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ) وغيرهم ، وقد فقدت هذه الآثار إلاَّ أن الأثر التفسيري الكامل الذي بقي للمعتزلة هو تفسير الكشاف للزمخشري [٢] . وكان الزمخشري واضحا في اعتزاليته وتكلفه في تأويل النصوص لصالح الاعتزال . كما جاء الأشاعرة كردَ فعلٍ للحركة الاعتزالية [٣] . وأخذوا يدعمون معتقداتهم بتأويل بعض النصوص القرآنية ، وكان الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) واضحا بموقفه الأشعري ، ودفاعه عن معتقدات أهل السنة ، وشنه الهجمات على المعتزلة . وقد دخلت الإمامية الصراع العقائدي فلم يتفقوا مع المعتزلة في جميع معتقداتهم ، وكذلك مع أهل السنة [٤] . إلى جانب ذلك كله ظهرت فرق عديدة أخذت تتوسل

١ـ انظر : الاتجاهات الفكرية في التفسير للشحات زغلول : ص ١٨٤.

٢ـ المرجع السابق : ص ١٨٧ _ ١٨٨.

٣ـ انظر : د. علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٧م . ط٧ ، ٢٦٥/١.

٤ـ انظر : صفحة ٢٣٥ وما بعدها من هذه الرسالة.

بالقرآن في إثبات عقائدها وأفكارها . فهناك الخوارج والجهمية والمرجئة وغيرهم[1].

٦ _ التفسير الفقهي :

كان الصحابة يرجعون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيان ما أشكل عليهم من الأحكام الفقهية في القرآن الكريم ، وبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ الصحابة يعتمدون على الكتاب والسنة في التعرف على الأحكام الفقهية ، وقد عملوا رأيهم على ضوء القواعد الكلية للكتاب والسنة ، غير أن الصحابة في نظرهم لآيات الأحكام كانوا يتفقون أحيانا على الحكم المستنبط ، وأحيانا يختلفون في فهم الآية إلاّ أنه كان اختلافا يسيرا ، ولكن ما لبث أن توسع هذا الخلاف بعد قيام المذاهب الفقهية ، وتعصب أهل كل مذهب لأقوال أئمتهم ، وتنوع التفسير الفقهي تبعاً لتنوع الفرق الإسلامية فلأهل السنة بمذاهبهم الأربعة تفسير فقهي متنوع تبعاً لهذه المذاهب الفقهية ، وكذلك الشيعة والظاهرية والخوارج[2]. ونشير هنا إلى بعض هذه التفاسير : فمن الحنفية أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص (ت ٣٧٠هـ) : له كتاب (أحكام القرآن) ، ومن الشافعية أبو الحسن الطبري المعروف بالكيا الهراسي (ت ٥٤٠هـ) : له كتاب (أحكام القرآن) ، ومن المالكية أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) في كتابه (أحكام القرآن) ، ومن الإمامية ألف مقداد السيوري من أهل القرن الثامن الهجري كتابه (كنز الفرقان في فقه القرآن) وغيرهم .

التفسير بعد النهضة الحديثة

لقد بينا أن التفسير مرَّ عبر مؤثرات عديدة منذ نشأته الأولى ، وقد قدم المسلمون خلال ذلك قدراً كبيراً من النظر في كتاب الله والكشف عن معانيه ، وتلون التفسير

---

[1] ـ انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : ٢٢٩/١ ، ٢٤١.

[2] ـ انظر : التفسير والمفسرون : ٤٣٢/٢ _ ٤٣٧.



بألوان مختلفة متأثراً في ذلك بما يدرون في عصوره المتلاحقة من نشاط فكـري ، ومتطلبات مرحلية ، حتى استقر التفسير على نواحيه المعروفة والمتعددة من لغة وبلاغة ونحو وفقه ولون مذهبي وآخر فلسفي وغيرها . وقد وفى قدامى المفسرين قدراً كبيرا من البحث والتحقيق ، وبعد ذلك أصاب التفسير ما أصاب العلوم الأخرى من ركود وجمود فجاءت محاولات الباحثين ترديداً أو جمعا لما ذكره الأقدمون ، أو شرحًا لغامضه ، أو نقداً وتفنيداً للضعيف منه ، أو ترجيحا لرأي ؛ مما جعل التفسير خاليا من التجديد والابتكار [1] .

وإذا ما لاحظنا هذه الصوارف التي جعلت المفسرين يفرغون جهودهم في هذه النواحي ، إلى جانب ما عانته أمتنا الإسلامية من مشاكل الانحطاط والتأخر وافتراءات الخراصين ومكائد الصليبيين [2] ؛ نقف على ملامح الركود والجمود اللذين غطيا النشاط التفسيري فترة طويلة .

وعلى الرغم من ذلك كله ومن تلك التخرصات والمحاولات الرخيصة التي استهدف منها تذويب الفكر الإسلامي وتفتيت وحدة أبنائه ، بقي القرآن الكريم معينا لا ينضب لتنظيم حياتنا بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، كما ظل القاعدة الأساسية التي ينطلق بها المسلمون لصد الهجمات المعادية لعقيدتهم الإسلامية ، وكان لابد من أن يمثل المفسرون الدور البارز في دعم هذه الحركة الإسلامية المناهضة لشبهات الملاحدة ومحاولات المفترين .

وقد أملت عليهم طبيعة المرحلة التي يمر بها الفكر الإسلامي الحديث أن يصبغوا الجهود الإسلامية بالطابع العملي في كل المجالات ليعوِّضوا ما فاتهم خلال عصور التخلف الماضية ، ويقفوا في وجه هذا التغلغل الأجنبي الذي استهدف أعماق

---

[1] ـ محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٩٦هـ ، ط٢ ، ٤٩٥/٢.
[2] ـ انظر صفحة ٩ وما بعدها من هذه الرسالة.

المجتمع الإسلامي ، وبذلك برز الاتجاه الاجتماعي في حركة التفسير في العصر الحديث لمعالجة أمور عملية بعيدا عن الأكاديمية المحضة [١].

إلاّ أن مواقف المفسرين تعددت إزاء الجديد ، فقد جمد بعضهم على القديم ووقف عند ترديد ((القديم على قدمه)) ، والبعض الآخر ظن أن التجديد يعني الخروج على الأصول المعروفة والقواعد الموروثة، ومن ذلك اللون الإلحادي في التفسير التفسير المسمّى : (الهداية والعرفان في تفسير القرآن) وقد وصفته اللجنة التي تشكلت من بعض العلماء بأن مؤلفه (أفّاك خرّاص) وقد صودر الكتاب لأن صاحبه لا يعترف بمكانة السنة في تفسير القرآن ، كما ينكر معجزات الأنبياء (عليهم السلام) والملائكة والجن والشياطين ، وينكر كذلك أحكاما من الدين لم يختلف فيها بين العلماء [٢] .

أمَّا محمد عبده ومن بعده أنصار مدرسته في التفسير فإنهم وقفوا موقفاً معتدلاً فأفادوا من مستحدثات المدنية الجديدة مع الاحتفاظ بالأصول القديمة ، ولإنقاذ الموقف من هذا المأزق الذي ولَّده التناقض بين القديم والحديث أصبحت الحاجة ملحة وضرورية إلى فتح باب الاجتهاد ، وتم ذلك فعلا لمحمد عبده ومدرسته التفسيرية ، كما أثيرت مسألة الاجتهاد في أكثر من بيئة إسلامية ، وعند أكثر من مفسر [٣] .

---

[١]- رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ محمد عبده ، ٤٦٥/١ ، وانظر : د.عفت محمد الشرقاوي : اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث ، القاهرة ، مطبعة الكيلاني ١٩٧٢ ، ص : ١٠٢.

[٢]- التفسير والمفسرون : للذهبي ٥٣٢/٢ _ ٥٤٦.

[٣]- انظر : اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث : ص ٦٣ ، ١٠٥_١٠٦ ، ١١٣_١١٤ ، ١١٦_١١٧ . وانظر : د.محمد إبراهيم شريف : اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، القاهرة ، ص ٣٧_٣٩ ، ويبين جولد تسهير : أن الاجتهاد هو المبدأ الأساسي للإصلاح الهندي الإسلامي وبذلك رفضوا حجية التقليد بين مصادر التشريع (انظر : مذاهب التفسير الإسلامي ، تحقيق د. عبد الحليم النجار ، القاهرة ، ١٣٧٤ه ، ٣٤٤/٢_٣٤٥).



وفي ظل تلك الملابسات تأثر التفسير باتجاه سياسي أملته عليه ظروف المرحلة ، ومتطلبات التطور الحضاري .

يقول الدكتور عفت الشرقاوي : إن حركة التفسير الحديثة أدَّت دوراً مهماً في تقديم الوعي السياسي من وجهة النظر الإسلامي ، وفي استلهام النص المقدس ما يبعث في الناس حمية الكفاح من أجل الحق والعدل . فقد اشتدت حملة (المنار) ضد الاستعمار ، وحمل مسؤولية البلاء والشقاء والاحتلال رؤساء وأمراء البلدان الإسلامية [١] .

ومن المسائل الرئيسة الأخرى التي شغلت جانباً من جهود المفسرين المحدثين مسألة نظام الحكم سيما بعد أن دلفت إلى عالمنا الإسلامي (أيديولوجيات) مختلفة وغريبة عملت على تشويش الأذهان [٢] . فطلع علينا الباحثون الإسلاميون بمعالجات جادة ، واهتمام عال بمسألة نظام الحكم ، مستعينين بمعطيات القرآن الكريم .

ويعد جمال الدين الأفغاني رائداً لهذا الاتجاه ، وتعد مقالاته في (العروة الوثقى) أول محاولة حديثة يستشهد فيها المفسر بالنص القرآني على فكرة سياسية واضحة ، وكان يرى في القرآن وسيلة كبرى لتوجيه كفاح المسلمين ضد الأجنبي ، وكان شديد الطموح في تحقيق مقصده السياسي وهو النهضة بالأمم الإسلامية وتحريرها[٣].

وعلى صعيد الإصلاح الاجتماعي شغلت جانباً كبيراً من أذهان المفسرين المحدثين مسائل عديدة وقفوا عندها طويلاً هادفين إلى فهم واقعي للنصوص القرآنية التي

---

[١] ـ اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث للشرقاوي : ص ١٨٠.

[٢] ـ المصدر السابق : ص ١٨٥ _ ١٨٩.

[٣] ـ د. محمود قاسم : جمال الدين الأفغاني : حياته وفلسفته ، القاهرة ، مطبعة مخيمر ، ص ٨٦ _ ٨٧ . وانظر : مذاهب التفسير الإسلامي ، جولد تسيهر ، ص ٣٤٧ _ ٣٤٨ ، ٣٥٢.

تعنى بها . ومن هذه المسائل (المرأة) وما يتعلق بها من مسائل كتعدد الزوجات ، والطلاق ، والحجاب ، وكذلك الرق والحرية وأمثالها [١] .

وأما الجانب الاقتصادي فليس من السهولة تجاهله ، وكان الأجدر بحركة التفسير أن تسهم في قضية الإصلاح الاقتصادي بعد الغزو الغربي للشرق وقد حمل معه شيئا من تكنولوجيته وثورته الاقتصادية ، فأقدم العلماء _ ومنهم المفسرون _ على رسم البرامج الاقتصادية ، وعرض مسألة المال ، وتداول الثروة ، والتوزيع وأمثالهـا ؛ على ضوء الشريعة الإسلامية دون إهمال التطورات الحضارية والثورة الاقتصادية الجديدة في عالمنا الإسلامي ، وقد أسهم (المنار) إسهاماً كبيراً في تجليـة هـذه المعاني . وعرض النظرية الاقتصادية القرآنية بلحاظ العصر [٢] .

وقد وقف المفسرون والباحثون المحدثون طويلا عند آيات الإنفاق والزكاة والآيات التي عنيت بشؤون المال بشكل أوسع .

كما لوحظ أن الحركة التفسيرية أولت اهتمامًا كبيرًا للجانب التهـذيبي ، وتـصعيد المستوى الأخلاقي ، وإلقاء الضوء على المعطى الروحي للفرد والمجتمع ، وكـان (جمال الدين) رائداً لهذه النزعة فقد كانت مقالاته في (العروة الوثقى) تدور حول شرح عدد من الآيات التي تتصل بالإصلاح الروحي والخلقي للمسلمين [٣].

ومن مظاهر النهضة الحديثة في التفسير : المساعي التي بذلت للتوفيق بين القرآن الكريم وبين ما جَدَّ من نظريات علمية صحيحة [٤] . ومن يقف على تفسير الـشيخ طنطاوي جوهري يجد لوناً تفسيرياً جديداً عني فيه الشيخ بالتوفيق بين المستحدثات العلمية والنصوص القرآنية ، إلاّ أنه وقع في جانب الإفراط ، وتكلف التأويل .

١ـ اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث ، ص ٢١٤ _ ٢٣١.

٢ـ المصدر السابق نفسه : ص ٢٣٥ _ ٢٣٦.

٣ـ المصدر السابق نفسه : ص٢٤٠ _ ٢٤٧.

٤ـ الذهبي : التفسير والمفسرون ، ٤٩٦/٢.



كما كانت هناك محاولات كثيرة لشرح النظريات العلمية الحديثة جاءت في تفسير المنار ، بينما هناك من أنكر هذا الاتجاه الذي يغلب فيه تحكيم المصطلح العلمي في التفسير ، منهم الشيخ أمين الخولي ، والشيخ رشيد رضا، والمراغي وشلتوت ، وعباس محمود العقاد [1] .

وشهد العصر الحديث كذلك اتجاها أدبيا في التفسير يتناول القرآن باعتباره النص العربي الأقدس ، محلّلاً وجوه الإعجاز البياني فيه . ومع أن بذور هذا الاتجاه قد بدأت عند أصحاب الاتجاه الاجتماعي ، أمثال : محمد عبده ورشيد رضا ومحمد مصطفى المراغي ؛ إلاّ أن جهودهم فيه لم تتعد اللمحات العابرة التي تكشف عن نكتة بلاغية أو لمحة بيانية ، فهي لم تكن تؤلف في جملتها منهجا أدبيا واضحا يمكن أن ينسب اليها . بل كان غرض التفسير عندهم أن يكون محققا لهداية القرآن ورحمته [2].

على رأس هذا الاتجاه الأدبي محاولات الشيخ أمين الخولي ، وما سلكه من تجديد في المنهج التفسيري حيث نظر إلى القرآن باعتباره كتاب العربية الأكبر ، فبعد أن يجمع الآيات التي تعالج موضوعاً ما جمعاً إحصائياً ، ويلاحظ ما قبلها وما بعدها ، وسابقها ولاحقها ، ومتقدمها ومتأخرها . يستعين بلغة المفردات ، ثم يفيد من المناسبات والأسباب والملابسات التي أحاطت بها لينظر فيها بعد ذلك كله لبيان الآيات وتحديد موضوعاتها [3] .

1- مصطفى محمد الحديدي الطير : اتجاه التفسير في العصر الحديث منذ عهد الإمام محمد عبده إلى مشروع التفسير الوسيط ، المطابع الأميرية ١٩٧٥م ، ص ٢٦١ _ ٢٦٢.

2- اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث . الشرقاوي : ص ٢٦٩ ، ٢٧٨.

3- دائرة المعارف الإسلامية ، مادة تفسير، أمين الخولي ، ٤٢٩/٩ _ ٤٣٨.

وقد تعاظمت في العصر الحديث الدعوة إلى تفسير موضوعي ، وتعددت محاولاته ، وقد روعي فيها المسلك الأدبي في التفسير ، وأدب القرآن ، بما يسعف عليه المعجم القرآني للمفردات القرآنية[1].

وحول الاتجاه الموضوعي الذي سلكته بنت الشاطىء في (التفسير البياني للقرآن الكريم) تقول فيه : (وقصدت بهذا الاتجاه إلى توضيح الفرق بين الطريقة المعهودة في التفسير ، وبين منهجنا الحديث الذي يتناول النص القرآني في جوِّه الإعجازي ، ويلتزم في دقةٍ بالغة مقولة السلف الصالح ((القرآن يفسر بعضه بعضا))) [2] .

وصف مجمل للميزان

يقع الميزان في (٨٠٤١) ثمانية آلاف وإحدى وأربعين صفحة ،وقد طبع حتى الآن ثلاث مرات ، كما ترجم إلى اللغة الفرنسية ، وقد بدأ المفسر بإلقائه محاضرات على طلابه في جامعة (قم) الدينية في إيران ، ثم ألح عليه طلابه أن يجمع تلكم المحاضرات لتكون تفسيراً مفيداً ، وسفراً نافعاً ؛ فاستجاب لطلبهم حتى صدر الجزء الأول من الميزان عام ١٣٧٥هـ _ ١٩٥٦م . وتوالت الأجزاء الأخرى في الصدور حتى اكتمل في عشرين مجلداً ، وقد فرغ المفسر من كتابة الجزء الأخير منه في الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٢هـ ، اثنتين وتسعين وثلاثمئة بعد الألف من الهجرة [3] .

وفي اعتقادي أن مما هدى المفسر إلى تسمية كتابه هذا (بالميزان) هو كثرة ما عرض فيه من آراء وأقوال للمفسرين وغيرهم ، وتعرضه لها بالمناقشة ، فكان

---

[1] ـ د. محمد إبراهيم شريف : اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في القرن العشرين ، ص : ٤٢٩.

[2] ـ بنت الشاطىء : التفسير البياني للقرآن الكريم ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦م ، ط٢ ، ١٤/١.

[3] ـ انظر : الميزان : ٣٩٨/٢٠.



كثيرا ما يوازن ويرجح بين الآراء السابقة عليه في الموضع الواحد مؤيداً لبعضها ورافضاً للبعض الآخر ، وهو ما سيأتي بيانه فيما بعد .

وأما بالنسبة إلى المنهج العام لهذا التفسير فقد جاء كما يأتي :

١ _ توزيع آيات السورة المراد تفسيرها على مقاطع قرآنية إمّا لأنها ينتظمها سياق واحد ، أو لأنها تعالج غرضاً من أغراض السورة ، وقد يكون المقطع آية واحدة [١] أو بضع آيات [٢] ولربما يربو على عشرٍ أو عشرين آية [٣] ، وأما السور القصار فقد تناول أغلبها مرة واحدة .

٢ _ في بداية تفسير كل سورة دأب المفسر على أن يضع بين يديها غرضها الأساس الذي عالجته ، والأغراض التي تعرضت لها آياتها ، ولاهتمام المفسر باستقلالية السور في مضامينها ومقاصدها ، فهو يرى _ كما هو شأن المفسرين اليوم [٤] _ أن لكل سورة نوعاً من وحدة التأليف والتمام لا يوجد بين أبعاض من سورة ولا بين سورة وسورة ، وعليه فالأغراض والمقاصد المحصلة من السور مختلفة ، وأن كل واحدة منها مسوقة لبيان معنًى خاص ولغرض محصل لا تتم السورة إلاَّ بتمامه [٥].

ففي بداية تفسيره لسورة المائدة بيَّن أن الغرض الجامع في السورة هو الدعوة إلى الوفاء بالعهود وحفظ المواثيق الحقة ، والتحذير البالغ من نقضها وعدم الاعتناء بأمرها ، واشتملت السورة على كثير من أحكام الحدود والقصاص وعلى مثل قصة

---

[1] ـ انظر : الميزان : ١٢١/١.
[2] ـ انظر : الميزان : ١٤٣/١٦.
[3] ـ انظر : الميزان : ٢٢٧/٢_٢٣٠ ، ١٤٥/١٠ ، ٢٥٧/١٤ ، ٣١٤/١٥.
[4] ـ انظر : د. عبد الله محمود شحاته: منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم ، القاهرة . ١٣٨٢ه ، ص : ٣٦ .
[5] ـ انظر : الميزان : ١٦/١.



المائدة ، وسؤال المسيح ، وقصة ابني آدم ، وعلى الإشارة إلى كثير من مظالم بني إسرائيل ، وكثير من الآيات التي يمتنُّ الله تعالى فيها على الناس [١] .

وفي الوقت نفسه يشير المفسر للأغراض المتعددة في السورة والتي تنطوي تحت الغرض العام لها . ففي تفسيره للآيات (٢٢٨ _ ٢٤٢) من سورة البقرة أوضح أن هذه الآيات تعالج أحكام الطلاق والعدة وإرضاع المطلقة ولدها ، وخلالها شيء من أحكام الصلاة [٢] وهكذا لسائر المقاطع القرآنية الأخرى .

٣ _ ينبه الطباطبائي في بداية تفسيره للسورة على مكيِّ الآيات ومدنيِّها ، وقد يتعرض أحيانا لمناقشة ما ورد من أقوال في هذا الشأن ، ولربما يردُّ بعضها لمخالفتها السياق العام للآيات [٣]

٤ _ يشرح في الآية معاني المفردات المقتضية بيانا لغويا ، بالقدر الذي يعين على بيان المعنى وكشف المقصود معتمداً في ذلك على كتب اللغة والتفسير [٤] دون أن يستطرد في استقصاء أقوال أهل اللغة . ففي تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسان من صَلْصالٍ مِّنْ حمإٍ مَّسْنُونٍ ۞ وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ من قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ اعتمد على الراغب في المفردات بأن أصل الصلصال تردد الصوت من الشيء اليابس ، ومنه قيل : صل المسمار ، وسمي الطين الجاف صلصالاً ، والسموم : الريح الحارة تؤثر تأثير السم [٥] . واعتمد على (الصحاح) في معنى (زُمَراً) في قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً ﴾ بأنها الجماعة من الناس[٦] .

---

[١] ـ انظر : الميزان : ١٥٧/٥ على سبيل المثال لا الحصر.

[٢] ـ انظر : الميزان : ٢٣٠/٢ ، ٣٨٢/٢ ، ٢١/١٧ على سبيل المثال لا الحصر.

[٣] ـ انظر : الميزان : ٢٨٤/١١ _ ٢٨٥ على سبيل المثال لا الحصر.

[٤] ـ انظر : صفحة ٦١ _ ٦٦ ، ٧٤ _ ٧٥ من هذه الرسالة.

[٥] ـ انظر : الميزان : ١٥١/١٢ والحجر : ٢٦ _ ٢٧.

[٦] ـ انظر : الميزان : ٢٩٧/١٧ والزمر : ٧١.



والشعر عند الطباطبائي لا يرقى أن يكون حجة لإثبات حقائق دينية [1] ، إلاّ أنه يستشهد بالشعر أحيانا لتأييد استعمال لغوي في الآية ، ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ يقول المفسر : أي حذر أن تضلّوا أو لئلا تضلوا . وهو شائع في الكلام . قال عمرو بن كلثوم :

فعجلنا القرى أن تشتمونا [2]

٥ _ يقدم المفسر من الإعراب القدر الذي يعين على فهم الآية ويزيل غموضها ، ولم يستطرد في استعراض الأقوال واستكثار الوجوه النحوية في الآية [3]. ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَـذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ .

يقول المفسر : (كرر الإنكار مستفهما بقوله : ((أسحر هذا)) ؟ فمقول القول في الجملة الاستفهامية محذوف إيجازاً لدلالة الاستفهام الثاني وقوله : ((ولا يفلح الساحرون)) يمكن أن يكون جملة حالية معللة للإنكار الذي يدل عليه قوله : ((أسحر هذا))) [4] .

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ :

إن السؤال هنا بمعنى الطلب والدعاء ، ولذا عُدِّيَ بالباء كما في قوله تعالى : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ وقيل : الفعل مضمن معنى الاهتمام والاعتناء ولذا عُدِّيَ بالباء ، وقيل الباء زائدة للتأكيد ، ومآل الوجوه واحد وهو طلب العذاب من

---

[1] ـ انظر : الميزان : ٣٠٢/٤.

[2] ـ انظر : الميزان : ١٥٤/٥ والنساء : ١٧٦ . وصدر البيت : (نزلتم منزل الأضياف منا) وهو في معلقته المشهورة التي مطلعها : (ألا هبي بصحنك فاصبحينا _ ولا تبقي خمور الأندرينا) انظر كتاب (معلقتان لعمرو بن كلثوم ، دراسة فؤاد أفرام البستاني ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية . ١٩٢٩ ، ص : ١٢).

[3] ـ للاطلاع انظر : الميزان : ٤٣٣/١ ، ٣٥٨/٢ ، ١٠٩/١٠ ، ٢٢٧/١٧.

[4] ـ انظر : الميزان : ١٠٩/١٠ ويونس : ٧٧.



الله كفرا وعتوا ، ورفض المفسر أن تكون الباء بمعنى (عن) لأن سياق الآيات التالية لا يلائم كون السؤال بمعنى الاستفسار والاستخبار[1] .

٦ _ ولربما يقدم صورة بلاغية أو أكثر في الآية لإسهامها في بيان نكتة أو فائدة كأسلوب الالتفات[2] والتنكير[3] والحذف[4] والاستعارة[5] وغير ذلك . فقد ذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ : أن تنكير العذاب للدلالة على التفخيم على أن لهم درجات ومراتب مختلفة من العذاب باختلاف كفرهم وفسوقهم فالإبهام أنسب[6].

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يقول المفسر : وكأن الالتفات في قوله : ﴿ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ من الغيبة إلى الخطاب فيه التشديد في الإنذار لأن الإنذار والتخويف بالمشافهة أوقع أثرًا وأبلغ من غيره[7] .

٧ _ ثم يبدأ بالنظر في الآية على مبدأ السياق الذي استخدمه المفسر في بيان المعنى كما سيأتي بيانه بالتفضيل .

٨ _ إلى جانب السياق استعان المفسر بآيات الكتاب العزيز في تفسير بعضها للبعض الآخر ، وهي قاعدته الأساس في هذا التفسير والتي سنتعرض لها بالتفصيل في الفصل القادم .

ومن خلال هذين المبدأين استطاع المفسر أن يقف على معاني الآيات مؤيدا إياها بالمأثور عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

---

[1] ـ انظر : الميزان : ٦/٢٠ ، والمعارج : ١ ، الدخان : ٥٥.
[2] ـ انظر : الميزان : ٥٦/٤.
[3] ـ انظر : الميزان : ٦٤/١٧.
[4] ـ انظر : الميزان : ١٧٧/١٤.
[5] ـ انظر : الميزان : ٦٥/١٦.
[6] ـ انظر : الميزان : ١٨/١٧ وفاطر : ٧.
[7] ـ انظر : الميزان : ٢٣/١٠ ، ويونس : ١٣.



٩ _ يكثر الطباطبائي من ذكر آراء المفسرين فيفيد من بعضها ، ويتعرض لبعضها الآخر بالمناقشة والتحليل حتى أن تحرره في الرأي دعاه أحيانًا إلى مخالفة جمهور المفسرين .

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ ﴾ ذكر المفسر : أن المراد بالآية _ على قول الجمهور _ النهي عما كان المشركون يحلونه كالميتة والدم وما أهل لغير الله به أو يحرمونه كالبحيرة والسائبة وغيرهما .

ولكن السياق _ على قول الطباطبائي _ يفيد أن الخطاب للمؤمنين أو لعامة الناس ، والخطاب للمؤمنين أقوى لما ورد قبلها في قوله تعالى : ﴿ إن كنتم إياه تعبدون فإن المؤمنين هم الذين يعبدون الله ولا يعبدون غيره ، والقصر في الجملة الذي يدل عليه تقديم المفعول على الفعل _ تعبدون _ قصر القلب ، وغيرهم وهم المشركون إنما يعبدون الأصنام والآلهة من دون الله ، ومن ثَمَّ فإن المراد بالآية هو النهي عن الابتداع بإدخال حلال أو حرام في الأحكام الجارية في المجتمع ، المعمولة بينهم ، من دون أن ينزل به الوحي فإن ذلك إدخال ما ليس في الدين وافتراء على الله وإن لم ينسبه واضعه إليه تعالى [1] .

كما أن للمفسر إثارات كلامية وفلسفية تعرض فيها لأقوال السابقين مفنداً تارة ومؤيداً أخرى ، ومن ذلك موقفه في العقائد من بعض المقولات الفلسفية وهو ما سنتعرض له بالتفصيل مع بيان شواهده فيما بعد [2] .

ومن مظاهر تمسكه بالنظر العقلي والجدل العلمي وتصديه للآراء استخدامه لأسلوب (فإن قُلْتَ _ بالفتح _ قُلْتُ : _ بالضم _) وهو شائع في تفسيره ، ففي كلامه عن توبة آدم (عليه السلام) ودفاعه عن عصمته ذكر : (فإنْ قُلْتَ : فما

---

[1] ـ انظر : الميزان : ٣٦٤/١٢ _ ٣٦٦. وسورة النحل : ١١٦ ، ١١٤.

[2] ـ انظر : صفحة ٢٨٣ وما بعدها من هذه الرسالة.

معنى التوبة حينئذ وقولهما : ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ قُلْتُ : التوبة هي الرجوع . والرجوع يختلف بحسب اختلاف موارده . فكما يجوز للعبد المتمرد _ على أمر سيده وإرادته _ أن يتوب إليه فيرد إليه مقامه الزائل من القرب عنده كذلك يجوز للمريض الذي نهاه الطبيب نهياً إرشادياً عن أكل شيء معين من الفواكه والمأكولات ، وإنما كان ذلك منه مراعاة لجانب سلامته وعافيته فلم ينته المريض عن نهيه فاقترفه فتضرر فأشرف على الهلاك فيجوز أن يتوب إلى الطبيب ليشير إليه بدواء إلى سابق حاله وعافيته ، فيذكر له أن ذلك محتاج إلى تحمل التعب والمشقة والعناء والرياضة خلال مدة حتى يعود إلى سلامة المزاج الأولية بل إلى أشرف منها وأحسن) [1] .

وقد يعبر عن هذه الصيغة أحيانا بالمجهول كقوله:(فإن قِيلَ : قِيلَ لهم) [2] ، وحين يريد المفسر إثبات أمر ما في الآية أو استنباط شيء منها لا يدَّعي القطع دائما كقوله (والله أعلم) وقوله (يمكن أن يكون المراد كذا) [3] ولعل السبب في ذلك شدة احتياطه في الدين ، وخوفه من أن يصدر منه تفسير بالرأي الذي ورد فيه النهي .

١٠ _ وكثيرا ما يعلق المفسر على الروايات التي يوردها في أبحاثه الروائية بعد كلمة (أقول) . فمرةً يضعف [4] ، وأخرى يوجه [5] ، ولربما يستعين بقسم منها في بيان المعنى كأسباب النزول وغيرها [6] وبعد كلمة (أقول) قد يدفع توهُّماً ظاهراً بين الروايات والآيات [7] .

---

1 ـ انظر : الميزان : ١٣٨/١ الأعراف : ٢٣ . وانظر : الميزان : ٦٣/١ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٢٨٥ ، ٣٧٩/٢ ، ٢٢/٣.

2 ـ انظر : الميزان : ٢٩٨/٣.

3 ـ انظر : الميزان : ٢١٤/٢ ، ٢٢٢ ، ٢٣٧، ٤٠١/٥ ، ٣٧٧/٦.

4 ـ انظر : الميزان : ٣٧٨/٢ ، ١٤/٩ ، ٧٩/١٢ ، ٢٤٥/١٩.

5 ـ انظر : الميزان : ١٣/٧ ، ١٩/١٢ ، ٩٣ ، ٢٥٧/٢٠.

6 ـ انظر : الميزان : ١٩٣/١.

7 ـ انظر : الميزان : ٢٨/٢.



١١ _ كما بسط الكلام في أبحاث عقلية وعلمية وفلسفية واجتماعية وتاريخية ، لتأكيد وتأييد صحة ما ذهب إليه من معنى في (البيانات).ومما تجدر الإشارة أليه أن هذه الأبحاث لا علاقة لها بالتفسير سوى زيادة في البيان وتأييدٍ للمعاني التي وقف عليها المفسر في(البيانات) [١]

١٢ _ وقد وقف المفسر عند بعض المفاهيم والمواضيع فأولاها عناية كبيرة ، وأفرغ لها أبحاثا قرآنية لتعيين معناها وتحديد مدلولها في القرآن الكريم ، كما فعل ذلك في كلامه عن عصمة الأنبياء والنبوة [٢] ، وفي كلامه عن العذاب في القرآن الكريم [٣].

١٣ _ يهتم المفسر غالباً بتقديم خلاصة للمعنى الذي قدمه في بيان الآيات ، ففي كلامه عن (المحكم والمتشابه والتأويل) لخص نتائج بحثه الواسع فيه بجملة نقاط من ذلك معنى المحكم والمتشابه ، والمقصود من التأويل ، وأن يفسر القرآن بعضه بعضا ، ومنه أيضا إرجاع متشابه القرآن إلى محكمه وغير ذلك [٤].

واهتم كذلك ببيان فوائد وحكم الآيات فبعد أن فسر قوله تعالى : وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ۞ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ قال : ويستفاد من الآيتين :

أ _ شمول حكم العبودية لجميع المخلوقات مما في السموات والأرض .

١- تراجع فهارس الميزان الموضوعة في نهاية كل جزء.

٢- انظر : الميزان : ١٣٤/٢ _ ١٣٩.

٣- انظر : الميزان : ١٠/٣.

٤- انظر : الميزان : ١٩/٣ _ ٦٧ وانظر الميزان _ أيضا _ : ٣٩٣/١ ، ١١٣/٩ ، ٣٦٩/١٧.

ب _ أن فعله تعالى غير تدريجي ، ويستدرج من هنا ، أن كل موجود تدريجي له وجه غير تدريجي به يصدر عنه تعالى كما قال : ﴿ إِنَّمَا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [1] .

١٤ _ شغل المفسر ما يدور في عصرنا الحاضر من أفكار ومفاهيم ، لذلك بسط الكلام في جملة أمور استدعتها متطلبات العصر ، وخص لها أبحاثا مستقلة كتوسعة في الكلام عن المرأة ومعالجات القرآن الكريم لشؤونها ومكانتها في المجتمع [2] ، وكلامه عن المرابطة في المجتمع الإسلامي وما يتعلق بها من علاقة الإنسان بالمجتمع ومبدأ الحرية وولاية المجتمع في الإسلام وغيرها [3] ، ومثلها أيضا مناقشة المفسر لفكرة داروين في إرجاع النوع الإنساني إلى أصل آخر [4] ، وكذلك فكرة إلغاء الملكية الخاصة وفي المقابل التطرف الرأسمالي . ومن ثم تحكيم الموقف الإسلامي السليم في هاتين النظريتين [5] ومنها أيضا كلامه في حقيقة العبودية ودفع ما ترددت من شبهات بشأن الرق وموقف الإسلام منه [6] وما عقده المفسر من بحث استدلالي على نفي فرية التحريف عن القرآن الكريم وأنه مصون عنها [7] وموضوع الدفاع عن النفس وضرورته [8] ومعنى الأخوة [9] وتأثير الإيمان في الفرد والمجتمع [10]، كما عالج بعضًا من هذه الجوانب الاجتماعية مستدلاً على

---

[1] ـ انظر : الميزان : ٢٦١/١ والبقرة : ١١٦ _ ١١٧ ، يس : ٨٢ ، القمر : ٥٠ . وانظر : الميزان : _ أيضا _ ٤٥/٢ ، ٥٥ ، ١٩٧ ، ٩٦/٩ ، ١١٤ ، ٣٢٢/١٣.

[2] ـ انظر : الميزان : ٢٦١/٢ _ ٢٧٧ ، ١٧٨/٤ _ ١٩٤.

[3] ـ انظر : الميزان : ٩٢/٤ _ ١٣٣.

[4] ـ انظر : الميزان : ١١٢/٢ ، ٢١٢/٣ ، ١٤٣/٤.

[5] ـ انظر : الميزان : ٣٤٠/٤ _ ٣٤١.

[6] ـ انظر : الميزان : ٣٣٨/٦ _ ٣٥٨.

[7] ـ انظر : الميزان : ١٠٤/١٢ _ ١٣٢.

[8] ـ انظر : الميزان : ٦٩/٢.

[9] ـ انظر : الميزان : ٣١٥/١٨.

[10] ـ انظر : الميزان : ٧/١٥.



صحتها ، ودافعاً عنها الشبهات كمسألة تعدد الزوجات [1]والقصاص [2] والإرث [3] ومسائل أخرى كثيرة [4] .

١٥ _ وأخيراً : فقد يرجئ التفصيل في بيان آية ما إلى موضع مناسب لاستيعاب موضوع ما ، أو على أساس من منهجه الموضوعي في التفسير . مثال قوله : (سيجيء بيانه) [5] ، و (سيجيء الكلام في معنى ...) [6] ، ولربما يرجئ تفسير الآية بتمامها إلى موضع آخر كما حصل على سبيل المثال في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ [7] كما أنه لم يكرر الكلام في تفسير آية ما إذا ما تعرض لمعناها آنفا [8].وإنَّما يدل هذا على تجنب المفسر للتكرار المخل ومن ثم فقد اهتم المفسر كثيرًا بترك الصوارف وما لا طائل تحته في بيان المراد من الآيات ، ومن ذلك إشاراته الكثيرة لمراجعة مطولات التفاسير في بعض الأقوال ، والمشاجرات بين المفسرين التي يطول ذكرها كاختلافهم في (آزر) أبي إبراهيم (عليه السلام) [9] ، وفي مسألة الوحي فقد تعرض لأقسامه الأساسية على ضوء ما تفيده الآيات واجتنب الاستطراد في ذكر الأقوال فيه وأوكل ذلك إلى مراجعة المفصلات في التفاسير [10]، وقد يعرض عن ذكر أغلب الروايات في الآية المراد تفسيرها حين لا يترتب عليه ما يؤدي إلى غموض المعنى[11].

---

[1]- انظر : الميزان : ١٨٢/٤.
[2]- انظر : الميزان : ٤٣٤/١ _ ٤٣٨.
[3]- انظر : الميزان : ٢٢٢/٤ _ ٢٣٣.
[4]- انظر : الميزان : ٤٧/١ _ ٤٨ ، ٤٣٥ _ ٤٣٨ ، ٣٠٠/٢ _ ٣٠٦ ، ٩٩/٤ ، ١١٠.
[5]- انظر : الميزان : ٢٨٤/١.
[6]- انظر : الميزان : ٣٣٠/١ ، ٣٢٧/٢.
[7]- انظر : الميزان : ٢١٩/١ و : البقرة : ٨٧.
[8]- انظر : الميزان : ٨٧/٤ ، ١٠٠ ، ٣٠٩/١٠.
[9]- انظر : الميزان : ١٦٢/٧.
[10]- انظر : الميزان : ٥٩/١٣ ، ٥١/١٢ ، ١٢٥/١٦ ، ٢٣٤ ، ٧٤/١٨ ، ١٦٢.
[11]- انظر : الميزان : ٢٠٦/١١ ، ٢٤٣/١٠.

الفصل الثاني

الجانب الأثري في الميزان



إن مسلكي الأثر والرأي في منهج أي مفسر ، كليهما يسهمان بتفاعل لبيان منهجه في التفسير ، فما نقله من مأثور إلى جانب نظراته العقلية في التفسير ، يتمِّمُ أحدهما الآخر لإظهار منهج تفسيري واضح .

وطريقتي في توزيع مسلكي الأثر والعقل في (الميزان) على فصلين مستقلين إنما كانت لأجل بسط الكلام في منهج المفسر،ومحاولة لاستيعاب فقرات البحث ليس إلا.

وقد عرضت في منهجه الأثري طريقته في (تفسير القرآن بالقرآن) وإفادته منها في تجلية النص القرآني ، وموارد استخدامه لهذه الطريقة ، بما في ذلك القصة في (الميزان) إذ تعتبر من ألوان التفسير الموضوعي ، وطريقته في (تفسير القرآن بالقرآن) تعد المنهج الأساس في هذا التفسير وهو ما سيجليه البحث في هذا الفصل وما بعده ، والآيات حين يفسر بعضها بعضاً يكون ذلك من قبيل القرائن المنفصلة على فهم النص القرآني ، ويكون السياق من القرائن الحالية في فهم ذلك النص ، لذا تكلمت عن مبدأ السياق في التفسير وأثره في تجلَية معاني الآيات . بعد ذلك تناولت مدى اعتماده على السنة في حقل التفسير ، ثم تكلمت عن موقفه من أقوال الصحابة والتابعين ، وأخيرا تعرضت لبيان موقفه من الإسرائيليات .

١ _ تفسير القرآن بالقرآن

لم يكن هذا اللون من التفسير غريبا على المفسرين ، القدامى منهم والمحدثين ، بل عده العلماء أول الطرق في تفسير القرآن الكريم لتصريحهم بأن من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن فان أعياه ذلك طلبه من السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحه له [1] . ورائد هذه الطريقة في التفسير هو الرسول نفسه صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ كان يستعين ببعض الآيات في تفسير بعضها الآخر ، ففي معنى قوله تعالى : ﴿ ويُسْقَى مِن مَّاء صديد ۞ يتجرَّعُهُ ولا يكادُ يُسيغُهُ ﴾ أخرج

---

[1] ـ ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق : د.عدنان زرزور ، بيروت ، ١٣٩٢هـ ط٢ ،ص : ٩٣ .
وانظر : السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، القاهرة ، ١٣٥٤هـ ، ١٧٥/٢ _ ١٨١ .

أحمد والترمذي عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره . يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ ﴾، ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً ﴾ [1] . وفسر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (الظلم) في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ بالشرك ، واستدل بقوله تعالى :﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2] .

ولم يقف هذا اللون من التفسير على عصر النزول فحسب وإنما تعداه إلى عصر الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ن يقول الذهبي : ((وهو _ يعني تفسير القرآن الكريم بالقرآن _ ما كان يرجع إليه الصحابة في تعرف بعض معاني القرآن)) [3]، لقد كانوا يستعينون بالقرآن في تفسير القرآن ، فابن عباس مثلا يفسر قوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ بأنهم كانوا أمواتًا في أصلاب آبائهم أو كانوا ترابًا قبل أن يخلقوا فهي ميتة ثم أحياهم فهذه إحياءة ثم يميتهم الميتة التي لا بد منها في الدنيا وهي ميتة أخرى ، ثم يحييهم ببعثهم يوم القيامة وهذه إحياءة أخرى وعلى هذا

---

[1] ـ مسند أحمد : ٢٦٥/٥ ضمن حديث أبي أمامة الباهلي . وسنن الترمذي : أبواب صفة جهنم : باب ما جاء في صفة شراب أهل النار . وانظر السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١٩٧٥ ، ٢٦٥/٤ والآيات على الترتيب ، إبراهيم : ١٦_١٧ ، محمد : ١٥ ، الكهف : ٢٩.

[2] ـ الجامع الصحيح للبخاري بحاشية السندي ، كتاب تفسير القرآن ، سورة الأنعام ، وسورة لقمان ، أخرجه البخاري بسنده عن ابن عباس : الأنعام : ٨٢ ، لقمان : ١٣ ، وانظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ ، ٤٤٤/٤.

[3] ـ الذهبي : التفسير والمفسرون ، ط٢ ، ٤١/١.

تحصل ميتتان وحياتان فهو قول الله تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1] .

وفي تفسير قوله تعالى:﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) استنبط أن أقل مدة للحمل ستة أشهر لقوله تعالى : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً ﴾[2] .

وتابع الصحابة على ذلك التابعون في تفسيرهم لبعض الآيات فقد ذكر الطبرسي في بيان معنى (الغاشية) في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ عن محمد بن كعب القرظي وسعيد بن جبير أن الغاشية هي النار تغشى وجوه الكفار وهو قوله تعالى:﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾[3].

ويصف الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) القرآن بقوله : ((ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض))[4].

ويقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في هذا المعنى : ((أسدّ المعاني ما دل عليه القرآن))[5]

وقد اهتم المفسرون بهذه الطريقة في التفسير وذلك لما تحتله من مكانة وتشريف بين سائر الطرق والمسالك في بيان معاني القرآن ، ولا يخلو تفسير منها .

1- الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر . القاهرة ، ٤١٨/١ و : غافر : ١١ ، البقرة : ٢٨ . وهو أيضا قول ابن مسعود وقتادة والضحاك (انظر القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق احمد عبد العليم البردوني ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ، ٢٩٧/١٥) وانظر (مصطفى الصاوي الجويني ، مناهج في التفسير . الإسكندرية ، ص ٣٥).

2- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ط٣ ، ١٣٧٣هـ ، ٤٤٥/٣.

3- الطبرسي ، مجمع البيان ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ ، ٤٧٨/١٠ ، و : الغاشية : ١ ، إبراهيم : ٥٠.

4- محمد عبده : شرح نهج البلاغة ، بيروت ، ١٧/٢ ، وانظر : تفسير الميزان : ١٠/١.

5- الزمخشري : الكشاف ، القاهرة ، المطبعة العامرة الشرقية ، ١٣٠٧هـ ، ١٩٣/٢.

يقول ابن تيمية :

((إن أصبح الطرق في ذلك _ يعني التفسير _ أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجمِلَ في مكانه فقد فُسِّرَ في موضع آخر ، ومِا اختُصِرَ في مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر)) [1].

ولعل الأساس لهذه الطريقة ، هو ما أشار إليه القرآن الكريم نفسه من أن آياته محكمات ومتشابهات ، وأن المحكم منها هن أم الكتاب والأصل الذي يرجع إليه ، كما أن القرآن الكريم _ كما هو معروف _ نزل تدريجيا ، وفيه الناسخ والمنسوخ ، والمطلق والمقيد ، والمجمل والمبين لأغراض ترتبط بالدعوة وأسلوبها وطريقة التدرج فيها . وهذا الأسلوب يفرض أن يكون بعض القرآن مفسراً للبعض الآخر ، وأن المفهوم الواحد يصار إلى تحديده في مجموعة من الآيات والمناسبات[2].

ولم يكن الطباطبائي ببعيد عن هذا الأسلوب الرائع والطريقة المثلى في التفسير وإنما جعلها أساس منهجه في بيان معاني الآيات [3] ، وعندما نتبين مقام الروايات من الآيات لدى المفسر نكون قد أدركنا عمق هذه الطريقة (التفسير بالقرآن)

1- ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق د. عدنان زرزور ، بيروت ، ١٣٩٢هـ ، ط٢ ، ص ٩٣ وتابعه ابن كثير في عمدة التفسير تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصر ، ١٣٧٦هـ ، ٤١/١ ، وأبد هذا المعنى السيوطي في الإتقان ١٧٧/٢.

2- ملاحظات ومتابعات للسيد محمد باقر الحكيم : منهج السنة الثالثة لكلية أصول الدين _ بغداد _ وإيضاحا لما سبق المحكم والمتشابه في تفسير القرآن بالقرآن _ انظر الميزان ٥٦/٣ _ ٦٧ وما سنوضحه من خلال بعض الأمثلة في العقائد ٢٣٥ من هذه الرسالة . وأما عن مسألة الناسخ والمنسوخ وأثرهما في هذه الطريقة فسنتعرض لها فيما بعد من خلال كلامنا عن موقف المفسر في النسخ . وأما عن تبيين المجمل والتفسير الموضوعي فسنتعرض له في الأمثلة _ التي سنذكرها وتطبيقات المفسر لهذه الطريقة.

3- الطباطبائي ، محمد حسين ، القرآن في الإسلام ، تعريب السيد أحمد الحسيني ، بيروت ط١ ، ١٣٩٣هـ ، ص ٦٤ _ ٦٨ ، وانظر الميزان : ١٧ : ١٦٥.

وسعة الاعتماد عليها في تفسيره ، فهو يرى أن الروايات مؤكدة ومؤيدة للمعاني المستنبطة من ضم الآيات بعضها إلى بعض والتدبر فيها [١] .

ومما يمتاز به هذا التفسير _ الميزان _ أن الطباطبائي نهج فيه نهجاً قرآنياً غاية في الاعتماد على القرآن ، واستنطاق آية والتدبر فيها للكشف عن معانيه والوقوف على مدلالوته ، ومن يطالع الميزان يقف على غزارة هائلة في البيان والاستدلال القرآنيين لغرض إيضاح معاني القرآن والكشف عن مضامين آياته ، وهذا ما ستكشف طرفاً منه الشواهد التي سنذكرها في كلامنا عن طريقته في تفسير القرآن بالقرآن ، فضلاً عما يكشفه مستقبل البحث خلال مواقفه من آراء المفسرين والروايات .

وقد خلص المفسر في تفسير قوله تعالى : أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غيْر اللّه لوجدُوا فيه اختلافا كثيرا إلى جملة أمور منها :

(أ) أن القرآن مما يناله الفهم الاعتيادي .

(ب) أن الآيات يفسر بعضها بعضا [٢] .

وذلك لكونه تعالى هو الذي دعاهم للتدبر في آي الكتاب في ضم بعضها للبعض الآخر حتى يظهر لهم أنه لا اختلاف بينها ، فضلاً عن أن القرآن متحدّى به فيلزم فهمهم له _ في الأقل _ حتى لا يكون تحديه لهم لغواً .

وإلى وضوح القرآن في دلالته على معانيه أشار ابن خلدون في المقدمة بقوله : ((إنّ القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه)) [٣].

---

[١] ـ انظر التفسير بالسنة في هذه (الرسالة).

[٢] ـ انظر الميزان : ٢٠/٥ ، والنساء : ٨٢.

[٣] ـ ابن خلدون : المقدمة ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ٧٩٢/٤.

وقد رد الذهبي على ابن خلدون رأيه هذا بأن الصحابة قد اختلفوا في فهمهم لبعض آيات القرآن الكريم [1].

والواقع أن اختلاف الصحابة في فهمهم لبعض آيات القرآن الكريم لا يعني عدم اتفاقهم في فهمها إجمالاً ، لأن الاختلاف إنما وقع في التفصيل .

ولا ريب فإن حجية ظواهر القرآن التي تستند إلى استقلالية القرآن في دلالته على معانيه مسألة متفق عليها في علم الأصول ، وقد أجمع علماء الأصول عند الإمامية على حجية ظواهر القرآن خلا الإخباريين الذين عولوا على الأخبار والأحاديث [2].وذكر المفسر أن حجية قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يجب أن تفهم من القرآن نفسه [3].

وأوضح أيضا أن القرآن لا يحتاج إلى شيء آخر في بيان مقاصده حتى يكون حجة ، إذ يقول : ((ومثل هذا الكتاب لو احتاج في بيان مقاصده إلى شيء آخر لم تتم به

---

[1] ـ التفسير والمفسرون : ٣٣/١ _ ٣٦.

[2] ـ انظر : أبو القاسم الخوئي ، معجم رجال الحديث ، النجف ، ١٣٩٠هـ ، المقدمة الأولى ، ٣٦/١ ، وانظر : البيان في تفسير القرآن لأبي القاسم الخوئي ، ص ٢٦٧ . والإخباريون هم فرقة من الشيعة ظهرت قبل أربعة قرون ، ومؤسس هذه الطائفة هو الشيخ أمين الأسترابادي ، وقد وقف الإخباريون عن العمل بالقرآن لطرو مخصصات من السنة ومقيدات على عمومه ولما ورد من أحاديث ناهية عن تفسير القرآن بالرأي (انظرا المقدمة للأستاذ محمد مهدي الآصفي لكتاب الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد _ تقريرات السيد أبي القاسم الخوئي _ بقلم غلام رضا عرفانيان ، ص ٢٣ _ ٢٧).

[3] ـ الطباطبائي ، محمد حسين ، القرآن في الإسلام : ص ٢٥ . وفي بيان أن القرآن يثبت حجية أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتفسيره بقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليكَ الذكرَ لتبيّنَ للناسِ ما نزّلَ إليهمْ ﴾ النحل : ٤٤ . وقوله : ﴿ وَمَا أرسَلنا من رَسُولٍ إلا ليُطاعَ بإذنِ اللهِ ﴾ النساء : ٦٤ وقوله : ﴿ وما آتاكُمُ الرَسُولُ فخذوهُ وما نهاكُمْ عنهُ فانتهوا ﴾ الحشر : ٧ . يتضح من هذه الآيات ومن غيرها أن الله سبحانه أفضى بيان ما نزل من القرآن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا البيان حجة لما تفيده مادة الأمر فيها من الامتثال ، وقد سدد الله قول نبيه وجعله وحيا بقوله تعالى ﴿ وَمَا ينطقُ عَنِ الهوَى{٣} إنْ هوَ إلا وَحيٌ يُوحَى ﴾ النجم : ٣ _ ٤ ، من هذا يتضح أن ثبوت حجية قول النبي تمت بدليل من القرآن الكريم.

الحجة ... وبعبارة أخرى لا يكفي أن يكون النبي رافعا للاختلافات القرآنية بدون شاهد لفظي من نفس القرآن لمن لا يعتقد بنبوته وعظمته)) [1].

ولا يعني اعتقاد المفسر بهذه الإمامة والريادة للقرآن الكريم في استقلاله في الدلالة على معانيه وإثباته لحجية قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إن السنة عديمة الأثر في بيان الآيات ، وإنما لها وظيفتها في بيان تفاصيل الشريعة والأحكام والقصص وغيرها [2].

وفي المأثور ، أشار المفسر إلى أن هناك أحاديث صحيحة ، وردت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حثت على الرجوع إلى القرآن الكريم ، عند حدوث الفتن وظهور المشاكل . وقد ثبت عن طريق العامة في أحاديث نبوية ، وعن طريق الخاصة أي الإمامية في روايات متواترة عن النبي وأئمة أهل البيت ضرورة عرض الأخبار على القرآن فما وافقه يؤخذ به وما خالفه فهو زخرف ومطروح [3].

---

[1] ـ القرآن في الإسلام : ص : ٦٤. وانظر مقدمة تفسير العياشي التي قدمها السيد المفسر نفسه . صفحة : ب.

[2] ـ انظر صفحة ١٧٢ _ ١٧٣ من هذه الرسالة.

[3] ـ انظر القرآن في الإسلام : ص ٦٧ . وري عن علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ستكون فتن قلت وما المخرج منها قال : كتاب الله . كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ... وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ...) انظر سنن الدارمي كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن . وروي بطرق أخرى _ عن علي (عليه السلام) . انظر سنن الترمذي أبواب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل القرآن . وانظر مسند احمد بن حنبل ٩١/١ ضمن مسند علي بن أبي طالب . وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال (إن الحديث سيفشو عني فما أتاكم عني يوافق القرآن فهو عني وما أتاكم عني يخالف القرآن ، فليس عني) . انظر الرد على سير الأوزاعي لأبي يوسف الأنصاري ، ص : ٢٥ . وقد تواتر هذا المعنى بطرق الإمامية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)وعن أئمة أهل البيت فقد روي عن الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) قوله (خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنى فقال : أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فانا قلته وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله) انظر (الكافي للكليني ، كتاب فضل العلم ، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب) وانظر (التبيان

=في تفسير القرآن للشيخ الطوسي ١٣٦٤هـ ، ٣/١) . وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف . انظر المصدر السابق نفسه وروي نحوه عن النبي (انظر تفسير الصافي للكاشاني ، طهران ، ص ٩) . ومع تضافر هذه الطرق والروايات في تثبيت مبدأ عرض السنة على القرآن حصلت معارضة شديدة لهذا المبدأ وكان على رأس هذه المعارضة المحدثون وغيرهم ممن ذهب إلى أن الكتاب والسنة في مرتبة سواء ، أو أن السنة قاضية على الكتاب فلم يأخذوا بهذا المبدأ وهاجموه بشده وضعفوا ما استند إليه الفريق الآخر من حديث عرض السنة على القرآن ومنعوا أن يكون هناك حديث صحيح مخالف للقرآن (انظر : د. عبد المجيد محمود ، الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري ، القاهرة ، دار الوفاء للطباعة ، ١٣٩٩هـ ، ص : ٢٠٥ . يقول ابن حزم (ت ٤٥٧هـ) : لا سبيل إلى وجود خبر صحيح مخالف لما في القرآن أصلا وكل خبر شريعة فهو إما مضاف إلى ما في القرآن ومعطوف عليه ومفسر لجملته ، وإما مستثنى منه ، مبين لجملته ، ولا سبيل إلى وجه ثالث . (انظر ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، القاهرة ، مطبعة الامتياز ، ١٣٩٨هـ ، ط١ ، ٢٥٥/٢ وما بعدها) . وقد رمى المحدثون حديث العرض هذا بالوضع (انظر : د. محمد بن محمد أبو شهبة ، أعلام المحدثين ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، ص ١٣ _ ١٤) . كما رماه ابن حزم بالضعف واتهم (الحسين بن عبد الله) أحد رجال إسناده بالزندقة . وبصدد رده على هذا =الحديث يقول : وعرضه على القرآن الكريم فانه يخالف قوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الحشر : ٧ . وقوله تعالى ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ النساء : ٨٠ . وقوله تعالى ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ النساء : ١٠٥ . (انظر : الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم : ٢٤٩/٢ _ ٢٥٤) . وقد استدل المحدثون بحديث يفيد عدم وجوب هذا العرض نحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه . إلا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما حرم الله) . (انظر سنن ابن ماجه : المقدمة : باب إتباع سنة الرسول) . ووقف على الجانب الثاني انصار مبدأ عرض الأخبار على القرآن فانتصر له أبو يوسف وتابعه في ذلك معظم الأحناف فجعلوا عرض السنة على الكتاب من أسس نقد الحديث ومنهم السرخسي أيضا وأيدهم على ذلك الشاطبي== == صاحب الموافقات كما ذهب الإمام مالك مذهب الأحناف مع اختلاف يسير (انظر : د. عبد المجيد محمود : الاتجاهات الفقهية ، ص ٢٠٢ _ ٢٠٥) حيث يرد الإمام مالك خبر الواحد إن لم يعاضد بعمل أهل المدينة أو قياس (انظر محمد أبو زهرة : ابن حنبل حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ، مصر ، دار الفكر العربي ، ص ٢١٨) . وقد انتصر الإمامية لهذا المبدأ لما تواتر لديهم فيه عن النبي وأهل البيت (ع) وبغض النظر عن تضعيف كل من الفريقين لما استند إليه الفريق الآخر من هذه الأخبار فان مبدأ عرض الأخبار على القرآن الكريم مارسه الصحابة من قبل . يقول أبو زهرة : إن أبا بكر جمع الصحابة وأمرهم أن يردوا كل حديث مخالف للكتاب . ورد عمر حديث فاطمة بنت قيس في المبتوتة أنها لا تستحق النفقة وقال لا نترك كتاب الله بقول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت . وردت عائشة تعذيب الميت ببكاء أهله وتلت قوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ الأنعام : ١٦٤ . ويضيف أبو زهرة :

ولما عرضنا من أمور جاء اختيار الطباطبائي لهذه الطريقة في التفسير (تفسير القرآن بالقرآن) منهجا أساساً في الكشف عن معاني القرآن والوقوف على مداليله ، فهو يحتكم إلى نتائج هذه الطريقة حين يريد أن يفسر الآيات ويقف على مقاصدها مستعيناً كذلك بالسنة في تأييد هذه المعاني المستنبطة بالتدبر في الآيات ويحتكم اليها أيضا في توجيه الروايات والموازنة بين آراء المفسرين .

ولندع الحديث الآن إلى المفسر نفسه ليسجل لنا بصريح اللفظ منهجه الأساس في التفسير : ((إن تفسير الآية بالتدبر والدقة فيها وفي غيرها ، والاستفادة من الأحاديث ... هو المنهج الأساس الذي توصلنا إليه ... وهو المنهج الذي حث عليه النبي وأهل بيته عليهم السلام فيما أُثِرَ عنهم ... أن هذه الطريقة غير الطريقة _

=أنهم بعرضهم الأحاديث على المحكم من الكتاب إنما كانوا معتمدين على الصحابة في هذا المجال وحاكوهم في منهاجهم فما كانوا مبتدعين ولكن كانوا متبعين (انظر ابن حنبل : حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ، ص ٢١٦) . وفي بيان سلامة هذا المبدأ يقول أستاذنا الدكتور عبد المجيد محمود : (ومما يدل على أن الفكرة _ عرض السنة على القرآن _ في حد ذاتها فكرة سليمة ، وأن الاختلاف فيها نشأ بسبب الظروف المحيطة بها والاختلاف في مفهومها أن المحدثين أنفسهم لم يغفلوها بل راعوها ، وجعلوها من أسس نقد الحديث . وجعلوا مناقضة الحديث لصريح القرآن من علامات الوضع في المتن . ويضيف قائلا : إن عرض الحديث على القرآن مبدأ لا غبار عليه من حيث الأصل والأساس ، بدليل استعمال لبن شبرمة له . وتقرير البخاري له وعدم إنكاره عليه) . (انظر الاتجاهات الفقهية : ص ٢٠٨ ، ٢٢٧) . وهذا المبدأ أصل يرجع إليه عند الاختلاف أو الشك في صحة بعض الأحاديث ، فإن أي فرد مسلم إذا قطع أو ظن ظنا راجحا أن حديثا ما قد قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يسعه إلا أن يذعن له ويسلم به دون توقف على شيء آخر . أما الخلاف فهو في الحقيقة محصور في النظر إلى السنة من حيث الرواية والثبوت وهو ما سوغ للمجتهدين أن يخالفوا الحديث في بعض الأحيان حين لا يطمئن قلبهم إلى صحته وسلامة طريقة أو لمعارضة لما هو أقوى منه . (انظر الاتجاهات الفقهية : ص ٢٠٨ ، ٢٢٢ وما بعدها) . ولم يكن الطباطبائي مبتدعا في تبنيه لمبدأ عرض السنة على القرآن فقد حكم هذا المبدأ في مظنون السنة أما ما يفيد القطع منها كالمتواتر والآحاد المحفوف بالقرائن المفيدة للعلم فهي حجة ولا تستلزم عرضا على الكتاب . وهو ما سنوضحه فيما بعد . وتنبغي الإشارة هنا إلى أن الطباطبائي أوجز البيان في آيات الأحكام في تفسيره هذا ، وجاء اهتمامه الواسع بهذا المبدأ (عرض السنة على القرآن) فيما خلا آيات الأحكام على وجه العموم . فالوثوق النوعي كاف عنده في حجية الرواية في الأحكام العملية فقط .

المنهيِّ عنها _ في الحديث النبوي المشهور ((من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)) ؛ لأنَّ الطريقة المذكورة تفسير للقرآن بالقرآن لا بالرأي)) [1] .

ثم أوضح قائلا : ((إن ما سواها من الطرق من قبيل التفسير بالرأي : محدودة لا تفي بالحاجات غير المحدودة وهي المسماة بالطريقة الحديثية)) [2] .

والذي ينبغي أن ننبه عليه أن منهجه في التفسير بالقرآن الكريم ، وان كان قد سبقه إليه آخرون ، إلاّ أن له منهجه المتميز وروحه القرآني البين ، وبمطالعتي للتفاسير السابقة عليه لم أقف غالبا على تشابه كبير لاستدلالاته القرآنية التي يستعين بها على فهم المعنى .

ويمكننا أن نتبين في طريقته هذه (تفسير القرآن بالقرآن) أنه سلك طرقاً متعددة ، هي :

(أ) الاستعانة ببعض آي القرآن لبيان معنى مجمل مبهم في الآية .

١ _ ففي قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة : ٦٨ .

أراد المفسر أن يبين معنى (لستم على شيء) لما فيها من غموض ، ولاحتمالها عدة معانٍ تحتاج إلى نظر وتدبر .

فاستعان بالآية نفسها وبآيات أخرى على أن معنى (لستم على شيء) هو كناية عن عدم اعتماد أهل الكتاب على شيء تثبت عليه أقدامهم فيقدرون بذلك على إقامة التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم ، على بيان أن من يريد أعمال قوة وشد وجب أن يعتمد على مستوى يستوي عليه أو يتصل به كمن أراد أن يجذب أو يدفع أو يحمل

[1] ـ الطباطبائي ، القرآن في الإسلام ص ٦٥ . انظر سنن الترمذي أبواب تفسير القرآن ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه.

[2] ـ القرآن في الإسلام : ص ٦٥.

أو يقيم شيئًا ثقيلاً فإنه يثبت قدميه على الأرض أولاً ثم يصنع ما يشاء ، وأضـاف أن هذا يجري في الأمور المعنوية كأفعال الإنسان الروحية مثلاً ، فـإن العبوديـة يتوقف نجاحها على حق التقوى والورع عن محارم الله لمتانته وقوته ، ولا سـيما في الرسالات التي هي من الثقل مالا يتيسر حمله للإنسان حتى يعتمد على أسـاس ثابت ، ولا يمكنه إقامته بمجرد هوى من نفسه كما أشار تعالى إلى ذلـك بالنـسبة للقرآن الكريم بقوله : ﴿ إنَّا سنُلْقي علَيْك قوْلا ثقيلا ﴾ وقوله : ﴿ لوْ أنزلْنـا هـذا الْقُرْآنَ علَى جبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خاشعاً مُّتَصدّعا مّنْ خشْية اللّه وتلْـك الْأمْثـال نـضْرِبُها للنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفكَّرُون ﴾ وقوله : ﴿ إنّا عرضْنا الْأمانة على الـسّماوات والْـأرض وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أن يحْمِلْنها وأشْفقْن منْها ﴾ وقال تعالى التوراة خطابا لموسى (عليه السلام) : ﴿ فَخذْها بقُوّة وأْمُرْ قوْمك يأْخذُواْ بأحْسنها ﴾ وقال تعالى خطاباً لبنـي إسرائيل ﴿ خُذُواْ ما آتيْناكم بقُوّة ﴾ وخطابا ليحيى (عليه السلام) : ﴿ يا يحْيى خُـذ الْكتَابَ بقُوَّة ﴾ . ثم أضاف أن الله سبحانه أنبأ بأن إقامة الدين لا تتيسر إلاّ بهدايـة منه سبحانه ، ولا يصلح لها إلاّ المتصف بالإنابة التي هي الاتصال بـالله وعـدم الانقطاع عنه بالرجوع إليه مرة بعد أخرى ﴿ اللّهُ يجْتبي إليْه من يـشاء ويهْـدي إِلَيْه من يُنيبُ ﴾ .وعلى هذا يكون المعنى _ كما يراه المفسر _ أن أهـل الكتـاب فاقدو العماد الذي يجب عليهم أن يعتمدوا عليه في إقامة دين الله الذي هو من الثقل والقوة مالا يتيسر حمله لكل إنسان . وهذا هو معنى (لستم على شيء) [1] .

٢ _ وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ ولوْ شاء ربُّك لجعل النّاس أُمّةً واحدة ولا يزالون مُخْتَلفينَ۞ إلاّ من رّحم ربُّك ولذلكَ خلَقَهُمْ وتمّتْ كلمةُ ربِّك لأمْلأنّ جهنّم من الجنّة وَالنَّاسِ أَجْمَعين ﴾ [2].

---

[1] ـ الميزان ٦٤/٦ _ ٦٦ : المزمل : ٥ والحشر : ٢١ والأحزاب : ٧٢ والأعراف ١٤٥ والبقرة : ٦٣ ومريم : ١٢ والشورى : ١٣.

[2] ـ هود : ١١٨ _ ١١٩.



رأى المفسر أن معنى (مختلفين) في الآية الاختلاف في أمر الدين ، وليس الاختلاف في الحياة والمعيشة وقد أشار إلى أن هذين الاختلافين جمعهما قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ فالأول هو الاختلاف في الحياة والمعيشة ، والثاني هو الاختلاف في الدين وعاد مفيدا من الآية الأولى أن الاستثناء في قوله تعالى:﴿ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ إخراج للطائفة المرحومة من الاختلاف في الدين إلاّ أنه لم يرفع الاختلاف في غير الدين حتى عن هذه الطائفة المرحومة . ثم إنّ قوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ يعني حقت كلمته تعالى وأخذت مصداقها منهم بما ظلموا واختلفوا في الحق من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم .

وللزيادة في الإيضاح ناظر المفسر هذا الذم على الاختلاف ببعض الآيات الناطقة بذم مثل هذا التفرق والإعراض عن الحق : منها قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ۝يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ۝ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءلُونَ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ [1].

---

[1]- انظر الميزان : ١١/٦٠ _ ٦٥ . و : البقرة : ٢١٣ ، الشورى : ١٣ ، الأنعام : ١٥٣ ، هود : ١١٠ ، الذاريات : ٨ _ ٩ ، النبأ : ١ _ ٣ . وللإطلاع انظر _ أيضا _ الميزان : ٧/١٦٢ _ ١٦٥.

(ب) يذهب المفسر أحيانا إلى معنى واحد من المعاني المطروحة في الآية معززاً إياه بقرائن مستفادة من الآية نفسها أو من آيات أخرى :

١ _ ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

اختار المفسر أن تكون الخلافة في الآية لله تعالى وليست لنوع من الموجود الأرضي كانوا في الأرض قبل الإنسان ، وأن الخلافة ليست مقصورة على شخص آدم عليه السلام بل بنوه يشاركونه فيها من غير اختصاص [1].

وقد أيد الطباطبائي عموم الخلافة بآيات من القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ وقوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ ﴾ وقوله : ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ [2] .

٢ _ وفي بيان وتأييد أن المراد بالنفس الواحدة وزوجها في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ آدم وزوجته اللذان هما أبوا هذا النسل الموجود الذي نحن منه ، واليهما ننتمي جميعا على ما هو ظاهر القرآن وليس المراد مطلق الذكور والإناث من الإنسان الزوجين اللذين عليهما مدار النسل [3].

---

[1] - ذهب ابن مسعود إلى عموم الخلافة (انظر التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي : ١٣١/١ _ ١٣٢) وتابعه على ذلك الحسن البصري (جامع البيان في تفسير القرآن للطبري : ٤٤٩/١) وانظر (مفاتيح الغيب للرازي : ٢٥٧/١) بينما ذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود بالخليفة هو آدم عليه السلام فحسب (انظر لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن : ٢٨/١) وانظر (تفسير الصافي للفيض الكاشاني : ٧١/١) و (وروح المعاني للآلوسي ٢٠٢/١).

[2] - انظر الميزان : ١١٥/١ _ ١١٦ . و : البقرة : ٣٠ ، والأعراف : ٦٩ ، يونس : ١٤ ، النمل : ٦٢.

[3] - المراد بالنفس الواحدة في الآية هو آدم عليه السلام عند جمهور المفسرين منهم السدي وقتادة ومجاهد وقوله خلق منها زوجها يعني حواء (انظر : التبيان في تفسير القرآن للطوسي : ٩٩/٣) و (أنور التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢٥٥/١) و (مجمع البيان للطبرسي ٢/٣) . وذهب الإمام محمد عبده في (المنار) إلى أن المراد بذلك مطلق الذكور والإناث من الإنسان (والقرينة على أنه

واستعان الطباطبائي ببعض الآيات لتأييد هذا المعنى كقوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وقوله ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ وقوله حكاية عن إبليس : ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً ﴾ [1] .

(جـ) وأحيانا يستعين المفسر ببعض الآيات زيادة في إيضاح المعنى واستشراقًا للمراد .

١ _ ففي قوله تعالى : ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ القيامة : ١٢ .

استعان ببعض الآيات لحصر المستقر إليه سبحانه يوم القيامة فلا مستقر إلى غيره ولا ملجأ يلتجأ إليه فيمنع عنه :

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾ .

وقوله : ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾.

وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [2] .

٢ _ وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ النمل : ٥٣ يقول المفسر : فيه تبشير للمؤمنين بالإنجاء وقد أردفه بقوله : ﴿ وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ، إذ التقوى كالمجن للإيمان وقد قال تعالى : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وقال : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [3].

=ليس المراد هنا بالنفس الواحدة آدم ، قوله ((وبث منها رجالا كثيرا ونساء بالتنكير وكان المناسب على هذا الوجه _ يعني الأول _ أن يقول وبث منهما جميع الرجال والنساء) انظر المنار : ٣٢٤/٤ . وتابعه آخرون منهم العلامة الشيخ مصطفى المراغي في تفسيره : ١٧٥/٤.

[1] ـ انظر الميزان : ١٣٥/٤ و : النساء : ١ ، الزمر : ٦ ، الأعراف : ٢٧ ، الإسراء : ٦٢ . وللاطلاع انظر الميزان : ١٢١/٨ _ ١٢٧ ، ٧/١٢ ، ٢٩٦/١٧.

[2] ـ الميزان : ١٠٥/٢٠ _ ١٠٦ : الانشقاق : ٦ والعلق : ٨ والنجم : ٤٢ ، والقصص : ٨٨.

[3] ـ الميزان : ٣٧٥/١٥ : الأعراف : ١٢٨ ، طه : ١٣٢ وانظر الميزان أيضا ١٢٩/١٥.

٣ _ وقد يرد على بعض الإشكالات في سبيل توضيح المعنى وذلك باستعانته ببعض الآيات .

ففي كلامه عن أهل الأعراف في قوله تعالى : ﴿ وعلى الأعْراف رجالٌ يعْرفون كُلاً بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وهُمْ يطْمعُون ﴾ الأعراف : ٤٦ .

استفاد من ظاهر الآية وما بعدها أن أهل الأعراف يكلمون أصحاب الجنة ويحيونهم بتحية الجنة ، ويكلمون أئمة الكفر والضلال والطغاة من أهل النار فيقرعون عليهم بأحوالهم وأقوالهم مسترسلين في ذلك من غير أن يحجزهم حاجز .

ثم يقول : ولا ينافي ما قدمناه من أوصافهم ونعوتهم أمثال قوله تعالى : ﴿ يوْم لَا تَمْلِكُ نفْسٌ لِّنفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يوْمئذ للّه ﴾

ولكن الله تعالى يأذن لمن يأذن له يوم القيامة فلا تعارض بعد،يقول تعالى: ﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائكةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذي كُنتُمْ توعدُون ﴾ وقوله : ﴿ ويوْم يقُومُ الْأشْهادُ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَا يَمْلكُ الَّذين يدْعُون من دُونه الشَّفاعة إلَّا من شهد بالْحقِّ وهُم يَعْلَمُونَ ﴾ [1].

٤ _ وقد يستطرد أحيانا في شواهد قرآنية لتأييد معاني بعض المفردات،فمثلا في مادة ((كتب)) في قوله : ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُواْ كُتب عليْكُمْ الصِّيامُ كما كُتب على الَّذينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . البقرة ١٨٣ .

أيد المفسر معانيها بآيات من القرآن الكريم _ يقول : الكتابة معروفة المعنى ويكنى بها عن الفرض العزيمة والقضاء الحتم كقوله : ﴿ كتب اللّهُ لأغْلبنَ أنا ورُسُلي

---

[1] ـ الميزان : ١٢٤/٨ _ ١٢٥ . و : الانفطار : ١٩ ، والأنبياء : ١٠٣ ، المؤمن : ٥١ ، الزخرف : ٨٦ . وانظر الميزان ٢٤٦/٤ _ ٢٤٧ ، ٢٣/١١.

﴾وقوله تعالى﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [1].

وفي مادة (الفرقان) في قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ۞ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ آل عمران ٣_٤ .

نقل عن الصحاح : أن الفرقان ما يفرق به بين الحق والباطل وزاد عليه المفسر بقوله : (واللفظ _ يعني الفرقان _ يدل على الأعم من ذلك وهو كل ما يفرق به بين شيء وشيء . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ وقال تعالى : ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ﴾وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ [2].

(د) الاستعانة بالقرآن الكريم لتعيين مصطلح معيَّن يرد في بعض آياته ، كتعيينه معنى الدعاء والاستجابة والتوبة والتوحيد والرزق والعبادة والجهاد وغيرها في القرآن الكريم [3].

ويعتمد المفسر في تعيين وبيان معاني هذه الموضوعات من خلال النظر ، وتجلية الآيات التي تعرضت لها ؛ وهذه الطريقة بالذات تعد من النظرة الموضوعية في التفسير ، فكثيراً ما انشغل المفسر في تعيين هذه المفاهيم ضمن أبحاث قرآنية عالج فيها جملة من الموضوعات الضرورية .

1ـ الميزان : ٧/٢ . وانظر لسان العرب : ١٩٣/٢ وفصل الكاف حرف الباء.

2ـ انظر الصحاح للجوهري : ١٥٤١/٤ باب القاف فصل الفاء . انظر الميزان : ٩/٣ والأنفال : ٢٩/٤١ والأنبياء : ٤٨ ، والبقرة : ٥٣ ، والفرقان : ١ . وللفائدة راجع الميزان : ١٨/١ ، ٢٣٠/٢ ، ٨٣/٥ ، ١٠/١٢ ، ٩٦ ، ١٤١ ، ٢٥٨/١٥ ، ٣١٦.

3ـ انظر الفهارس الموضوعة في نهاية كل جزء من أجزاء (الميزان) تجد جملة من الأبحاث القرآنية في تعيين عدد من المفاهيم القرآنية.

وفي الواقع أن النظرة الموضوعية في القرآن الكريم والتي تسمّى بالتفسير الموضوعي هو المنهج السليم للكشف عن معاني القرآن (لأن التفسير الجزئي للقرآن فيه من غير شك إخلال بمعنى الوحدة الموضوعية ، وما زال مجال غالبية تفاسيرنا حتى اليوم هذا النطاق الجزئي) [١] ولم يتعرض أحد من المفسرين القدامى لدراسة منهجية موضوعية كاملة لمعاني القرآن بجمع الآيات التي في موضوع واحد وترتيبها بحسب النزول مثلا[٢] .

وقد حصلت محاولات لجمع الآيات التي تعالج موضوعاً واحداً تحت عنوان واحد ، فبدأ المستشرق الفرنسي بول في (تفصيل آيات القرآن الكريم) غير أن هذا الجمع اقتصر على جمع النصوص فقط . وأنك إن بحثته وجدته جمع بعض الآيات وترك أكثرها [٣].

وهناك محاولة أخرى في جمع مثل هذه الآيات هي أثرى وأعم فائدة تقع في كتاب (المدخل إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) [٤].

وأخيراً بارك هذه النظرة الموضوعية في التفسير علماء وباحثون متخصصون ، ساروا عليها في استنطاق معاني القرآن والوقوف عليها من خلال النظرة الموضوعية فيه .

وتطبيقات هذا المنهج وشواهده حافلة بها صفحات الميزان ، ومزدانة بها أبحاثه ، ولسعتها وتعددها أشرنا إلى بعضها في الهامش ونقتصر على نماذج منها لبيان هذه النظرة الشاملة في تفسير (الميزان) :

١ _ في سبيل تعيين وبيان حقيقة الجهاد الذي يأمر به القرآن الكريم والمستفاد من قوله تعالى ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ... ﴾ البقرة : ١٩٠ _ ٢٩٥ .

١ـ انظر مصطفى الجويني : مناهج في التفسير ص ١٦٠.

٢ـ انظر محمد محمود حجازي : الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، مصر ، ١٣٩٠هـ . ص : ٢٥.

٣ـ المصدر السابق : ص : ٢٤.

٤ـ للأستاذ محمد باقر الموحد الأبطحي : النجف ، ١٣٨٩ هـ

جمع المفسر آيات القتال المتوزعة في سور الكتاب العزيز [1]، واستعان ببعض آخر على أن إقامة الدين حق فطري كقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فإقامته والتحفظ عليه أهم الحقوق الإنسانية المشروعة كما قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾.ثم بين أن الدفاع عن هذا الحق الفطري المشروع حق فطري آخر لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾. فبيّن أن قيام دين التوحيد على قدميه منوط بالدفاع عنه. ونظيره قوله تعالى:﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ وقوله : ﴿ يُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ فسمى الجهاد والقتال الذي يُدعى له المؤمنون محييا لهم لأنه في الحقيقة دفاع عن حق الإنسانية في حياتها ، ففي الشرك بالله سبحانه هلاك الإنسانية وموت الفطرة ، وفي القتال وهو دفاع عن حقها إعادة لحياتها وإحياؤها بعد الموت ، وأضاف المفسر انه لا فرق بين أن يكون هذا القتال دفاعاً عن المسلمين ، أو عن بيضة الإسلام أو كان قتالاً ابتدائيا.ثم أشار إلى جملة من الآيات المنبئة عن يوم موعود للمؤمنين على أعدائهم لا يتم انجاز هذا اليوم إلاّ بمرتبةٍ من القتال ومجاهدة الضلال ، منها قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ وقوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ .

---

[1] ـ الحج : ٤٠ ، الشورى : ١٣ ، البقرة : ١٩٠ ، التوبة : ٣٩ ، ٥ ، ٣٦ ، ١٢٣.

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ﴾ .

وأخيراً دفع المفسر الشبهة القائلة بأن تشريع الجهاد في القرآن خروج عن طور النهضات الدينية المأثورة عن الأنبياء السالفين ، والإسلام هو دين السيف والدم ودين الإجبار والإكراه واعتمد المفسر في مناقشة هذه الشبهة على جملة من الآيات ، وأفاد بأن القتال إنما يقع لغرض إذلال الطغاة ونسف الحواجز التي تخلفها أفكارهم البالية دون أن تحرق الحرب المقدسة حقوق المواطنين [1].

٢ _ وفي تعيين معنى (السكينة) في القرآن الكريم تدبر المفسر في جملة من الآيات الناظرة إلى هذا المعنى فوقف على أنها روح إلهي أو تستلزم روحًا إلهياً من أمر الله تعالى يوجب سكينة القلب واستقرار النفس وربط الجأش .

فاستفاد من بعض الآيات أن المؤمن في حياته يستند إلى سناد لا يتحرك وركن لا ينهدم ، وأما غير المؤمن فلا وليّ له يتولّى أمره بل خيره وشره يرجعان إليه نفسه فهو واقع في ظلمات هذه الأفكار التي تهجم عليه من كل جانب من طريق الهوى والخيال والإحساسات المشؤومة . من هذه الآيات قوله تعالى : وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقوله : ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ وقوله : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ وقوله : إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وقوله : ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ وقوله : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً وقوله :

---

[1] ـ الميزان : ٦٤/٢ _ ٧٤ . والروم : ٣٠ والشورى : ١٣ والحج : ٤٠ والبقرة : ٢٥١ والأنفال : ٨ ، ٢٤ والصف : ٩ والأنبياء : ١٩٥ والنور : ٥٥ والمائدة : ٥٤.

﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً ﴾ وقوله : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

فالآيات السابقة تضع كل خوف وحزن واضطراب وغرور في جانب الكفر وما يقابلها من الصفات في جانب الإيمان .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ .

وأضاف بأن الله تعالى بإفاضته النور على المؤمن تتبعه حياة جديدة على حياته التي يشاركه فيها الكافر بدليل قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ .

فأفاد من ذلك كله أن هذه الحياة إنما هي بروح منه وتلازم لزوم الإيمان واستقرار القلب فهؤلاء المؤمنون مؤيدون بروح من الله تستتبع استقرار الإيمان في قلوبهم والحياة الجديدة في قوالبهم والنور المضيء أمامهم [1] .

٣ _ وفي تعيين معنى العفو والمغفرة في القرآن الكريم .

استعان المفسر ببعض الآيات في تحديد معنييهما ؛ فالعفو في اللغة يعني القصد لتناول الشيء وعفت الريح الدار قصدتها متناولة آثارها . وأما المغفرة فتعني الستر [2] . ثم أوضح :

---

[1] ـ الميزان ٢٨٩/٢ _ ٢٩١ و : وآل عمران : ٦٨ ومحمد : ١١ والبقرة : ٢٥٧ ، والأعراف : ٢٧ ، وآل عمران : ١٧٥ ، والبقرة : ٢٦٨ ، والنساء : ١١٩ ، ويونس : ٦٢ ، والأنعام : ١٢٢ ، والحديد : ٢٨ ، والمجادلة : ٢٢.

[2] ـ انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ، القاهرة ، المطبعة الحسينية ، ١٩١٣م ، ١٠٣/٢ فصل الغين باب الراء ، وكذلك ٣٦٤/٤ فصل العين باب الواو والياء . وانظر الميزان : ٥١/٤.

أن الشيء كالذنب يؤخذ ويتناول أولاً ثم يستر عليه فلا يظهر ذنب المذنب عند نفسه ولا عند غيره قال تعالى : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا ﴾ وقال : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ ولكنهما بحسب المصداق واحد .

وأشار إلى أن معنييهما ليسا من المعاني المختصة به تعالى بل يصح إطلاقهما على غيره تعالى بدليل قوله تعالى : ﴿ إلاَّ أن يعْفُونَ أوْ يعْفُو الَّذي بيده عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ ، ﴿ قُل للَّذينَ آمَنوا يَغْفرُوا للَّذينَ لا يرْجُون أيَّام اللَّه و فاعْفُ عنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾

وأخيرا أفاد بأن معنييهما يمكن أن يتعلقا بالآثار التكوينية والتشريعية والدنيوية والأخروية جميعًا .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابكُم مِّن مُّصيبَة فبما كسبت أيْديكمْ ويعْفو عن كثير فالآية شاملة للآثار والعواقب الدنيوية قطعا ، ومثله أيضًا ظاهر قوله تعالى : والملائكة يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لمن في الْأَرْض وكذا قول آدم وزوجته فيما حكاه الله عنهما : ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أنفسنا وإن لَمْ تغْفر لنا وترحمْنا لنكوننَ منَ الْخَاسرِينَ ﴾ بناءً على أن ظلمهما كان معصية لنهي إرشادي .

وقوله : ﴿ وَمَن يُؤْمن باللَّه يَهْد قَلْبَهُ ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْديهِمْ وبأَيْمانهمْ يقولون ربّنا أتْممْ لنا نورنا وَاغْفِرْ لَنَا ﴾[1].

٤ _ سلك المفسر مسلكا قرآنيا في عرضه للقصة القرآنية فهو يجمع الآيات التي تتعرض لبيان قصة ما مرتبا إياها على تاريخ نزولها ، وعلى هذا تعتبر القصة

---

[1]- انظر الميزان : ٥١/٤_٥٣ والبقرة : ٢٨٦ والنساء : ٩٩ والبقرة : ٢٣٧ والجاثية : ١٤ وآل عمران : ١٥٩ والشورى : ٣٠ ، ٥ والأعراف : ٢٣ ، والتغابن : ١١ والتحريم : ٨ . وللاطلاع انظر_ أيضا _ الميزان : ١٢٥/١ _ ١٣٨ ، ٣٠/٢ _ ٣٥ ، ٢٤٤/٤ _ ٢٥١ ، ٨٦/٦ _ ٩١ ، ٢٤٠/١٧ _ ٢٤١.

القرآنية لونا من ألوان التفسير الموضوعي . وقد آثرت الكلام بالتفصيل هنا عن (القصة في الميزان) :

نزل القرآن الكريم هدى للعالمين ورسالة سماوية مخاطبة أناسا تعرجت عقائدهم وتلونت نفوسهم ، فما كان لضمائرهم وقلوبهم أن تحيا إلاَّ بما ينسجم مع تلك الاستعدادات والتصورات الصنمية فكان للقصة القرآنية أثرها البيِّن ودورها الكبير في هذا المضمار إذ راعت في عرض أحداثها الجانب الوجداني وتلمست بذلك أنسب السبل للوصول إلى غاياتها وإحاطة المخاطبين خبرا بعظمة المعاد ورهبة الحساب وعاقبة من سبقهم من الأمم الخالية [1].

وإزاء هذا الدور الكبير للقصة القرآنية تعددت أفهام المفسرين والباحثين لها فقد ذكر الشيخ محمود شلتوت أنه ساد المفسرين ثلاثة مناهج في فهم القصة القرآنية [2] .

١ _ **المنهج القصصي التأويلي** :

وهو صرف الكلام عن مدلوله اللغوي إلى معنىً آخر دون ما قرينة تدعو إلى هذا التأويل ومن ذلك قولهم بأن إحياء الموتى لعيسى (عليه السلام) كان إحياءً روحيًّا. وحمل النملة في قصة سليمان (ع) على أنها قبيلة ضعيفة ، وتأويل الكواكب في قصة إبراهيم (عليه السلام) بأنها جواهر نورانية نورها عقلي لا حسي . ونقل البيضاوي عن بعض الصوفية قولهم : إن المائدة التي أنزلها الله تعالى عبارة عن حقائق المعارف ، فإنها غذاء الروح ، كما أن الأطعمة غذاء البدن [3] .

٢ _ **منهج القائلين بالتخييل** :

ويتفق هذا المنهج مع المنهج الأول في ناحية ويخالفه في ناحية أخرى اذ صرف للألفاظ عن معانيها الحقيقية كما في المنهج الأول ، ولكن لا إلى واقع يزعم ويدعى

1- للاطلاع على فوائد القصص القرآني يراجع الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، تونس ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، ١٣٧٦هـ ، ٥٨/١ _ ٦٠.

2- الشيخ محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم ، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٥م ، ط٣ ، ٤١/١ _ ٥٠.

3- تفسير البيضاوي ، مطبعة الحرية في البلاد العثمانية ، ١٣٢٥هـ ، ص : ١٦٧.

أنه مراد . وإنما إلى تخييل ما ليس بواقع واقعًا فلا يلزم فيه الصدق ولا أن يكون إخباراً بما حصل . ومن ذلك حملهم لقصة آدم عليه السلام مع الملائكة وإبليس والشجرة على التخييل .

٣ _ منهج المفسرين في قبول الروايات :

وهو منهج جمهور المفسرين ، يقوم على الإفراط في تحكيم الروايات الواردة من طرق مختلفة في فهم القصة القرآنية واعتبار كل ما ورد متصلاً بالقصة بياناً وتفصيلاً لما جاء في القرآن ، واعتبروا الروايات الواردة في القصة مصدراً ثانياً للقصة بعد القرآن الكريم[١].

رفض الشيخ شلتوت أن يكون أحد هذه المناهج مقبولاً لديه ، وبين المنهج الذي اختاره بما خلاصته : الوقوف عند ما ورد في القرآن الكريم مع الاحتفاظ بدلالة الألفاظ اللغوية على معانيها وإفادتها لواقع هي تعبير صحيح عنه دون أن تزيد عليه بما لم يرد فيه اعتمادًا على روايات لا سند لها ودون تحيف لمعانيها باعتبار أن الكلام تخييل ، ودون صرف الألفاظ عن معانيها الوضعية الى معارف أخرى من غير صارف .

ولو تتبعنا الطباطبائي في منهجه القصصي القرآني لوجدناه ينسجم تمامًا مع نظرته الأساس في التفسير وهي (تفسير القرآن بالقرآن) وتبقى الروايات الواردة في قصةٍ ما مؤيدة لمعطيات النصوص القرآنية ودونما نزعة الى تأويل الكلام عن دلالته اللغوية أو حمل معناه على التخييل .

ومن خلال اهتمام المفسر بالقصص القرآني ونظرته القرآنية فيها أخذت القصة في (الميزان) مسلكين هما :

---

[١]- يعبر الدكتور (التهامي نقره) عن هذا اللون في المنهج القصصي في القرآن بـ (طريقة التبسيط والتفصيل) انظر : (سيكولوجية القصة في القرآن ، الحلقة الثالثة ، تونس . الشركة التونسية لفنون الرسم ، ١٩٧٤ ، ص ٢٩).

١ _ القصة القرآنية.

٢ _ القصة الروائية .

على أن تكون الثانية تابعة لمضمون القصة القرآنية وموضحة أحيانا لجوانب وجزئيات تفصيلية لم يتعرض لها القرآن الكريم حين لا تعارض نصًّا من الكتاب ولا تمس عقيدة من العقائد كعصمة الأنبياء والعدل الإلهي وغيرها .

ففي القصة القرآنية وجدنا المفسر يعتمد على الآيات الناظرة إلى قصة ما فيجمع ما توزع منها ويعرضها قصة كاملة مراعياً في ذلك ترتيب حوادثها ووقائعها كما جاءت في القرآن الكريم .

وتعد القصة القرآنية من ألوان التفسير الموضوعي الذي ازدادت الدعوة إليه في العصر الحديث [1].

وعلى سبيل المثال نقدم نموذجا للقصة القرآنية في (الميزان) وهي قصة عاد قوم هود (عليه السلام) كما رتبها المفسر بقوله : (والذي يذكره القرآن الكريم من قصتهم هو أن عاداً _ وربما يسميهم عاداً الأولى (النجم : ٥٠) وفيه إشارة إلى أن هناك عاداً الثانية _ كانوا قوماً يسكنون الأحقاف من شبه جزيرة العرب (الأحقاف : ٢١) بعد قوم نوح (الأعراف : ٦٩) كانت لهم أجساد طويلة (القمر : ٢٠ ، الحاقة : ٧) وكانوا ذوي بسطة في الخلق (الأعراف : ٦٩) أولي قوة وبطش شديد (حم السجدة : ١٥ ، الشعراء : ١٣٠) وكان لهم تقدم ورقي في المدنية والحضارة ، لهم بلاد عامرة وأراض خصبة ذات جنات ونخيل وزروع ومقام كريم (الشعراء وغيرها) وناهيك في رقيهم وعظيم مدنيتهم قوله تعالى في وصفهم : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ الفجر :٦ _ ٨ .

---

[1] د . عفت الشرقاوي : اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث ، ص : ٢٨٢.

لم يزل القوم يتنعمون بنعمة الله حتى غيروا ما بأنفسهم فتعرَّفت فيهم الوثنية ، وبنوا بكل ريع آية يعبثون ، واتخذوا مصانع لعلهم يخلدون ، وأطاعوا طغاتهم المستكبرين ، فبعث الله إليهم أخاهم هودًا يدعوهم إلى الحق ويرشدهم إلى أن يعبدوا الله ويرفضوا الأوثان ويعملوا بالعدل والرحمة (الشعراء : ١٣٠) فبالغ في وعظهم وبث النصيحة فيهم وأنار الطريق وأوضح السبيل وقطع عليهم العذر فقابلوه بالإباء والامتناع ، وواجهوه بالجحد والإنكار ، ولم يؤمن به إلاّ شرذمة منهم قليلون وأصر جمهورهم على البغي والعناد ، ورموه بالسفه والجنون ، وألحُّوا عليه بأن ينزل عليهم العذاب الذي كان ينذرهم ويتوعدهم به قال : إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون (الأحقاف : ٢٣) .

فأنزل الله عليهم العذاب ، وأرسل إليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلاّ جعلته كالرميم (الذاريات : ٤٢) ريحا صرصراً في أيام نحسات سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (الحاقة : ٧) وكانت تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر (القمر : ٢٠) .

وكانوا بادئ ما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم استبشروا وقالوا : عارض ممطرنا ، وقد أخطأوا بل كان هو الذي استعجلوا به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلاّ مساكنهم (الأحقاف : ٢٥) فأهلكهم الله عن آخرهم وأنجى هوداً والذين آمنوا معه برحمة منه (هود : ٥٨) [1] .

وعلى هذا فالطباطبائي لم يدخل في القصة القرآنية غريبا أو أجنبيا عن القرآن الكريم وإنما كان يجهد نفسه في حصول الترتيب الزمني للآيات فيخرج علينا بقصة قرآنية لا شائبة فيها . وجملة القول أن المفسر يعتمد في هذا المسلك على القرآن نفسه ، فعنه يصدر واليه يؤول .

---

[1] ـ الميزان : ٣٠٧/١٠ ـ ٣٠٨ . وانظر : أيضا ـ الميزان : ٣٦٢/٢ ، ٢٧٩/٣ ، ٢١٥/٧ ، ١٩٠/١٣ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ . ٤٠/١٦.

وقد تتحول القصة القرآنية في الميزان أحيانا إلى ردود قرآنية على جملة من المسائل كتعرض المفسر لاحتجاج القرآن على(مذهب التثليث وفداء المسيح نفسه)[1].

وأوضح الطباطبائي أن حقيقة القصة القرآنية هي الهدفية للدعوة والهداية وليس فيها ذكر الأنساب ومقدرات الزمان والمكان ولا مشخصات أخر؛ لأن القرآن لم يكن كتاب تاريخ ولا قصة ، وبهذا يدفع دعوى من يقول إن القصة القرآنية ينبغي أن تتوفر على عناصر الفن القصصي المعروف [2] كما أن ذلك يكفينا مؤونة التعويل على الروايات المتناقضة الواردة في القصص التي ذكرها القرآن الكريم .

وأما القصة الروائية في الميزان فقد اعتمد المفسر فيها على كتب الحديث والتفاسير والمغازي وكتب السير والتاريخ [3] والتوراة والإنجيل [4] ولم يكتف بالعرض الروائي حتى يدخل الموضوع والضعيف والإسرائيليات وإنما اهتم بتوجيه الروايات ورفض ما فيها من إسرائيليات تمس العقائد وعصمة الأنبياء [5] وعرض الروايات على معطيات النص القرآني والقصة القرآنية فإن وافقته أخذ بها [6] وإلاّ رفضها [7] وأما ذكره نصوصًا من التوراة والإنجيل فلغرض بيان موارد الاختلاف في القصة بين القرآن الكريم والكتب المقدسة [8]، وقد يذكر أحيانا هذه الفروق كما حصل له في قصة إبراهيم ، (عليه السلام) في القرآن والتوراة [9] .

---

[1]- الميزان : ٢٨٧/٣ _ ٣٠٥ وانظر الميزان : ٢٣٤/١٤ _ ٢٤٠.

[2]- الميزان : ١٦٥/٧ _ ١٦٧.

[3]- الميزان : ٢٦٨/٣ ، ٢٩/٩.

[4]- الميزان : ٣١٠/٣ ، ٢٥٢/١٠.

[5]- الميزان : ٢٣٨/١ ، ٦٩/١٤ ، ٧١ ، ٧٣ ، ١٦١/١٧.

[6]- الميزان : ٣٠٩/١٤ ، ٢١٦/١٧.

[7]- الميزان : ١٠/٤ ، ٧١/٧ ، ٣٣/٩ ، ٣٤ ، ٣١٧/١٠ ، ٢٢٦/١٤ ، ٣٠٩ ، ٣٦٩/١٥ ، ١٥٩/١٧ ، ١٦١، ٢١٦.

[8]- الميزان : ٣٥٩/١٠ ، ٣٢/١٤.

[9]- الميزان : ٤٥/١٦ _ ٤٦ ، ٣٥٩/١٠ ، ٢٥٥/١١ _ ٢٦٧ ، ٤٠/١٦.

ولربما يتوسع في مناقشة بعضها كدفاعه عن أن الذبيح هو (إسماعيل) عليه السلام كما ذكره القرآن الكريم وليس (إسحاق) (عليه السلام) كما هو في التوراة[1] .

وأحيانا أخرى يكتفي المفسر بالإشارة والتنبيه على هذه الفروق ، فبعد أن ذكر قصة زكريا وقصة يحيى (عليهما السلام) في القرآن الكريم والإنجيل علّق على ذلك بقوله : (وللمتدبر الناقد أن يطبق ما نقلناه في الأناجيل على ما تقدم حتى يحصل على موارد الاختلاف في القصة) [2].

وينبغي هنا أن نسجل على المفسر إسهابه وانسياقه خلف مطولات وأبحاث بعيدة عن وظيفته الأساس التي دائما ما كان يؤكدها ويحذر من صوارفها ؛ ففي قصة الطوفان أسهب المفسر في أبحاث علمية جيولوجية وأخرى تاريخية ، فضلاً عن أبحاث فلسفية مطولة في العقائد الوثنية[3] .

ولربما يقال : إن ذلك ليس إسهاباً يخرج بالمفسر عن دائرة التفسير باعتباره دفاعاً عن شبهات تثار حول القصص في القرآن إما في أصل وجودها التأريخي أو في تفاصيلها وليست مهمة المفسر مهمة تصورية هدفها الكشف عن الصور القرآنية فحسب ، بل يمكن أن يكون هدفها إلى جانب ذلك تصديقيًّا أي محاولة الإقناع بصحة هذه الصور وأحقيتها [4].

وهذا حق إلى حد كبير ، فإن ما يثيره الأعداء من شبهات حول الشريعة بما فيها القصص القرآني هو بحاجة إلى تزييف ، ولربما من خلال شمولية الموضوع واتساع أطرافه ، على ألا يكون التفسير مكانا لمثل هذه الأبحاث الموسعة ولا سيما أن التفسير وظيفته الكشف عن مداليل الآيات ومقاصدها .

1- الميزان : ٢٣١/١٦ ، ٢٣٤ _ ٢٤٠.
2- الميزان : ٢٧/١٤ _ ٣٢ و٢٢٥.
3- الميزان : ٢٥٢/١٠ _ ٢٩٦ . و: ٣٠٨/٣ _ ٣٣٠ و٢٦٠/١١ و٢٩٠/١٣ ، ٣٧٨ _ ٣٩٨.
4- ملاحظات ومتابعات للسيد محمد باقر الحكيم.

وأخيرا : فإن المفسر استخدم هذه الطريقة (تفسير القرآن بالقرآن) في الترجيح والموازنة بين الأقوال وآراء السابقين وفي الوقت نفسه اعتمدها أساسًا في قبول ورفض الروايات .

وسيأتي الكلام على هذا فيما بعد ....

٢ _ مبدأ السياق في التفسير :

ننبه هنا على أن من يستعين بالآيات في تفسير بعضها للبعض الآخر باعتبارها قرائن منفصلة في فهم الكلام ، ينبغي ألا يغفل سياق الآيات باعتباره أحد القرائن الحالية في فهم ذلك الكلام ، ومن ثَمَّ ينبغي أن تستفاد معاني الآيات ضمن سياقها ، ولا يشك أحد فيما لسياق الآيات من أثر كبير في الوقوف على معانيها ، والكشف عن مرادها ، كما لا ينبغي لمفسر أن يقتطع آية من القرآن ويفسرها بمعزل عن ظروفها الزمنية وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من الآيات .

فعلى سبيل المثال : لو فسرنا قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [١]، بمعزل عن سياقها لأعطت أن الله تعالى خلق العباد وخلق أفعالهم [٢] ولكن بملاحظة سياقها نجد أنها في واقعها حكاية قول إبراهيم (عليه السلام) لقومه وتنديده إياهم لعبادتهم الأصنام ، ويكون معناها في سياق التنديد أن ما يعبدونه من أصنام مادته مخلوقة كخلقهم (فملاحظة السياق والتناسب والترابط بين الفصول والمجموعات القرآنية ضرورية ومفيدة جدا في فهم مدى القرآن ومواضيعه وأهدافه) [٣]وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فقوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ تدل بسياقها على أنه الذليل الحقير [٤] .

---

[١] ـ الصافات : ٩٦.

[٢] ـ انظر منهج ابن القيم في التفسير ، محمد أحمد السنباطي ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ١٣٩٣هـ ، ص : ٥٨.

[٣] ـ انظر محمد عزة دروزة ، القرآن المجيد ، بيروت ، ص : ٢٠٤.

[٤] ـ انظر خالد عبد الرحمن العك ، أصول التفسير ، دمشق ، ١٣٨٨هـ ، ص ٧١ ، الدخان : ٤٩.

ويمكن أن يراد بالسياق (كل ما يكشف اللفظ الذي نريد فهمه من دوالّ أخرى ، سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاما واحدا مترابطا ، أو حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع) [1] .

واستخدم المعتزلة فكرة السياق في التفسير لما تستلزمه من نظر عقلي في الآيات ولا سيما في الآيات التي ظاهرها الجبر والتي احتج بها المجبرة بعد اقتطاعها من السياق . فالانتفاء الأبدي للهداية في وقوله تعالى : ﴿ ومنْ أظْلمُ ممَن ذُكر بآيات ربِّه فأَعْرضَ عَنْهَا ونسي ما قدّمتْ يداهُ إنّا جعلْنا على قلُوبهمْ أكنّة أن يفقَهوهُ وَفي آذَانهمْ وَقْراً وَإن تدْعُهُمْ إلى الْهُدى فلن يهتَدُوا إذا أبدا ﴾ _ على قول الزمخشري _ كان لشدة تصميمهم على الإعراض مستفيدا ذلك من سياق الآية ، واستفاد أيضا من (إذاً) في الآية بقوله : (إذاً جزاءٌ وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول ، بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجوب الاهتداء سببا في انتفائه) [2] .

بعد هذا كله هل لفكرة السياق أثر بيِّن في تفسيره الميزان ؟

في الواقع إن فكرة السياق لازمت الطباطبائي في تفسيره للآيات فكانت واضحة في (الميزان) ، وغالبا ما كان يصرِّح بها،ونذكّر هنا ببعض التطبيقات التي تكشف عن استخدامه الواسع للسياق :

أ _ استعان المفسر بالسياق في الكشف عن معاني الآيات وتجلية مقاصدها . ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ قُل لَوْ شاء اللّهُ ما تلوْتُهُ عليْكمْ ولا أدْراكم به فقدْ لبثْت فيكمْ عُمُراً مِّن قَبْله أَفلا تعْقلُون ﴾ . يقول : ومعناه على ما يساعد عليه السياق : إن الأمر فيه إلى مشيئة الله لا إلى مشيئتي فإنما أنا رسول ولو شاء الله أن ينزل قرآنا

---

[1] ـ انظر محمد باقر الصدر ، دروس في علم الأصول ، الحلقة الأولى ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ط١ ، ص : ١٣٠.

[2] ـ انظر الزمخشري ، الكشاف ، بيروت ، دار المعرفة ، ٤٨٩/٢ . والكهف : ٥٧.

غير هذا ولم يشأ هذا القرآن ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فإني مكثت فيكم عمراً من قبل نزول القرآن وعشت بينكم فوجدتموني لا خبر عندي من وحي القرآن ، ولو كان ذلك إليّ وبيدي لبادرت إليه قبل ذلك ، فليس لي من الأمر شيء وإنما الأمر في ذلك إلى مشيئة الله وقد تعلقت مشيئته بهذا القرآن لا غيره أفلا تعقلون [1].

وفي تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يقول المفسر : ظاهر السياق أن قوله : ﴿ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ بيان لقوله : ﴿ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ففيه إشارة إلى أن الحسرة إنما تأتيهم من ناحية قضاء الأمر، والقضاء إنما يوجب الحسرة إذا كان بحيث يفوت به عن المقضي عليه ما فيه قرة عينه وأمنية نفسه وروح سعادته [2]سيما وأن الآية واقعة في سياق الوعيد بالويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ، وأن الظالمين اليوم يعني القيامة ، في ضلال مبين [3] .

ب _ وقد يستعين الطباطبائي بالسياق لتعيين معاني بعض الألفاظ الواردة في الآيات . فنجده يقول في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : إن (تفصيل الكتاب) عطف على (تصديق) والمراد بالكتاب بدلالة من السياق جنس الكتاب السماوي النازل من عند الله سبحانه على أنبيائه،وليس القرآن الكريم[4].

---

[1]- انظر الميزان : ١٠/٢٨ _ ٢٩ ويونس : ١٦.

[2]- انظر الميزان : ١٤/٥٠ ، مريم : ٣٩.

[3]- الآيتان هما : ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم{٣٧} أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴾ سورة مريم ٣٧ _ ٣٨ . للاطلاع راجع الميزان : ١/١١٥ ، ١٩٢ ، ٢٥٨ ، ١٠/٦٥ ، ١٣/١٧٢ ، ١٤/١٦٨.

[4]- انظر الميزان : ١٠/٦٤ يونس : ٣٧.



وفي بيان (الفتنة) في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي ولا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ يذكر المفسر أنها من الممكن أن يراد بها أمران : إما الإلقاء إلى ما يفتتن به ويكون المعنى ائذن لي في القعــود وعــدم الخروج إلى الجهاد ولا تلقني في الفتنة بتوصيف ما في هذه الغزوة مــن نفــائس الغنائم ومشتهيات الأنفس فافتتن بها واضطر غالى الخروج ، وإما الأمــر الثــاني وهو الإلقاء في الفتنة والبلية الشاملة فيكون معنى الآية ائذن لي ولا تلقني إلى مــا في هذه الغزوة من المحنة والمصيبة والبلية ، مستهدياً في ذلــك الــسياق إذ هــذه الآيات تبيِّنُ حال المنافقين ، وتذكر بعضاً من أقوالهم وأفعالهم وخبائثهم [1].

جـــ _ استعان المفسر بالسياق في قبول الروايات ورفضها . وشاع هذا الأســلوب لديه في روايات أسباب النزول ، فقد اعتمد في قبول أكثرها على ما يلائم السياق ، ومن ذلك ما روي في الدر المنثور عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه الــسلام) قال : فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية : ﴿ ونزعْنا ما في صُــدُورهم مِّــنْ غِــلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ... الآية ﴾. وقد تعرض لها المفسر بقوله:وقــوع هــذه الجملة من الآية في سياق هذه الآيات المكية من سورة الأعراف يأبى نزولها يــوم بدر أو في أهل بدر،وقد وقعت الجملة أيضا في قوله تعالى:﴿ ونزعْنــا مــا فــي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِين ﴾ وهي أيضا في سياق آيــات أهــل الجنة ، وهي مكية[2] .

ومما حكم السياق في قبولها ؛ ما روي عن الإمام الصادق (عليه الــسلام) أن (صبغة الله) هي الإسلام في قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِــدونَ ﴾ . باعتبار أنها واقعة في سياق الآيات التي تتحدث عن اليهود

---

[1] ـ انظر الميزان : ٣٠٥/٩ والتوبة : ٤٩ . للاطلاع راجع الميزان : ٢٢٢/١ ، ٥٤/١٠ ، ٢٧٣/١٣ .

[2] ـ انظر : الميزان : ١٣٩/٨ والأعراف : ٤٣ والحجر : ٤٧.

والنصارى ودعوتهم إلى دين اليهودية والنصرانية ، ثم تقريع الله لهم بأنهم إن تولّوا فإنما هم في شقاق وسيكفي الله النبي إياهم وهو السميع العليم [1].

كما لم يأخذ المفسر بما روي في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ من أن النعلين كانتا من جلد حمار ميت . ولكن ذلك الخلع كان لاحترام الموقف _ على قول المفسر _ وإنما استفاد ذلك من سياق الآيات إذ الموقف موقف الحضور ومقام المشافهة [2] .

د _ استخدم المفسر سياق الآيات في الترجيح بين الآراء ، فقد استحسن قولاً للآلوسي في روح المعاني في خصوص طلب موسى (عليه السلام) الرسالة لأخيه هارون في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴾ ليكون شريكا له في أمره معينا مصدقا له في التبليغ لا فرارا من تحمل أعباء الرسالة ، لما يفيده السياق من وقوع (فأرسل) بين الآيات الثلاث [3] الواقعة قبلها، التي بعدها قوله : ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فآذن بتعلقه بها ولو كان تعللا وفراراً لأخَّرَ [4] .

كما رفض المفسر قولاً للزمخشري حين فسَّر العباد في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ بأنهم المخلصون أو المعصومون ، وذلك بأن لازمه _ على قول الطباطبائي _ كون الله سبحانه رضي بالإيمان لمن آمن ، ورضي الكفر لمن كفر إلاّ المعصومين فإنه أراد منهم الإيمان وصانهم عن الكفر ، وعليه فالسياق يأباه كل الإباء [5] بلحاظ صدر الآية وهو قوله تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ﴾ .

1- انظر الميزان : ٣١٥/١ ، والبقرة : ١٣٨ . وللاطلاع : انظر : الميزان : ٣٣٣/١ ، ٣٩/٦ ، ١٣٩/٨ ، ٢٨٠/١٦.

2- انظر الميزان : ١٣٩/١٤ و ١٥٩ ، طه : ١٢ ، وانظر الميزان : ١١٤/١٩.

3- الآيات ﴿ وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين {١٠} قوم فرعون ألا يتقون {١١} قال رب إني أخاف أن يكذبون ﴾ الشعراء : ١٠ _ ١٢.

4- الميزان : ٢٥٩/١٥ ، الشعراء : ١٣ ، ١٤.

5- الميزان : ٢٤٠/١٧ والزمر : ٧ . للاطلاع راجع الميزان : ٣١٧/١ ، ١٦٩/٦ ، ٨٢/١٠ ، ١٤٧ ، ٦٣/١٤ ، ٢٧٠ ، ٢٢٦/١٥ ، ٧٩/١٧ ، ١٤٧ ، ١٨٣ ، ٢٣٥.

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ نقل عن الزمخشري ثلاثة أوجه للآية :

١ _ معناه أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي .

٢ _ معناه أن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاما .

٣ _ معناه أن أكون أول من دعا نفسه الى ما دعا غيره لأكون مقتدًى بي في قولي وفعلي جميعًا ، ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون .

بعد ذلك رجَّح المفسر الوجه الثالث لأنه الأنسب لسياق الآيات ، ويلزمه سائر الوجوه [١] ، والحق كذلك لأنها واقعة في سياق آيات يأمر فيها الله سبحانه رسوله بالعبادة وإخلاص الدين له ، والخوف من عصيان رب العالمين .

هـ _ اعتبر المفسر سياق الآيات أساسا في التمييز بين المكي والمدني ، فإذا شهد السياق بأن مضامين هذه الآيات تناسب ما كان يجري عليه الحال في مكة أو في المدينة فهي مكية أو مدنية على الترتيب [٢].

وسيأتي تفصيل ذلك في كلامنا عن موقفه من المكي والمدني .

و _ وعلى أساس من السياق نجده يفضل بعض القراءات على غيرها ، ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ ﴾ ذكر المفسر أنه قرئ (حتى يقولَ الرسول و....) بنصب (يقول) ، والجملة على هذا في محل الغاية لما سبقها ، وقرئ برفع (يقولُ) وعليه فالجملة لحكاية الحال الماضية ، ويضيف بقوله : والمعنيان، وان كانا

---

[١] ـ انظر الميزان : ٢٤٨/١٧ ، والزمر : ١٢ . للاطلاع : راجع الميزان : ١٣١/١٣ ، ٩٣/١٦ ، ٢٢٣/١٨.

[٢] ـ انظر الميزان : ٢٣٥/١٣.



جميعا صحيحين لكن الثاني أنسب للسياق فإنَّ كون الجملة غاية يعلل بها قوله تعالى : ﴿ وَزُلْزِلُواْ ﴾ ؛ لا يناسب السياق كل المناسبة [1] .

٣ _ التفسير بالسنة [2] .

بعد أن وقفنا على أساس المنهج الذي سار عليه الطباطبائي في الكشف عن المراد من الآيات بضم بعضها للبعض الآخر ، وعرض المظنون من السنة على القرآن الكريم ، فهو يعزز ما خلص إليه من معنى ، وما ذهب إليه من كشف في الآية ، بالمأثور عن المعصوم [3] ، ومن ثَمَّ يبقى القرآن رائداً في الكشف والبيان ، لأن حجية قول الرسول والأئمة يجب أن تفهم من القرآن الكريم ، فكيف يتصور توقف حجية ظواهره على أقوالهم عليهم السلام ! وأضاف المفسر أن إثبات أصل النبوة يجب أن نتشبث فيه بالقرآن الذي هو سند النبوة ، على أن ذلك لا ينافي كون الرسول والأئمة عليهم بيان جزئيات القوانين وتفاصيل أحكام الشريعة التي لم نجدها في ظواهر القرآن [4].

---

[1] ـ انظر الميزان : ١٥٩/٢ ، البقرة : ٢١٤ ، للفائدة انظر مجمع البيان : ٣٠٧/١ ، للاطلاع انظر الميزان : ١٣٧/٤ ، ١١٧/٧ ، ٤/٢٠.

[2] ـ تعني السنة عند الإمامية الاثني عشرية قول المعصوم وفعله وتقريره ، فلا فرق بين أن يكون المعصوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الأئمة الاثني عشر . (انظر محمد تقي الحكيم : الأصول العامة للفقه المقارن ، بيروت ، ١٩٦٣م ، ط١ ، ص : ١٤٧_١٨٩ ، بحث في حجية سنة أهل البيت (عليهم السلام) ويقابل هذا ما ذكر من أن أقوال الصحابة وأفعالهم وتقاريرهم سنة يعمل بها ويرجع اليها . (انظر الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة ، شرح الشيخ عبد الله دراز ، مصر ، ٧٤/٤).

[3] ـ المعصوم عند الإمامية الاثني عشرية يعني النبي والأئمة الاثني عشر (فان الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش .. كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان ، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه ، حالهم في ذلك حال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة ..) انظر الشيخ : محمد رضا المظفر ، عقائد الإمامية ، النجف ، ص : ٦٧).

[4] ـ انظر ، الطباطبائي ، القرآن في الإسلام ترجمة : جعفر سبحاني ، ص : ٢٥_٢٦ وللفائدة انظر ، تفسير العياشي ، المقدمة للطباطبائي ، قم ، المطبعة العلمية ١٣٨٠هـ ، صفحة : ب.

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِم ولعلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يقول : إن المقصود بالذكر المنزل لفظ القرآن الكريم ، وبما نزل إليهم هو معاني الأحكام والشرائع وغيرها ، وفي ذلك دلالة على حجية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيان الآيات القرآنية ، وليس ما قيل بأنه مخصوص ببيان غير _ النص والظاهر _ من المتشابهات أو فيما يرجع إلى أسرار كلام الله وما فيه من التأويل [1] . وأوضح أن تعليم الكتاب في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بعث فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاته وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكتاب وَالْحِكْمَة هو بيان ألفاظ آياته وتفسير ما أشكل من ذلك ، ويقابله تعليم الحكمة وهي المعارف الحقيقية التي يتضمنها القرآن [2] .

وبعد أن فسر قوله تعالى : ﴿ وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نهاكُمْ عنهُ فانتهوا ضمن سياقها في توزيع (الفيء) على المسلمين قال : والآية مع الغض عن السياق عامة تشمل كل ما آتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حكم أمر به أو نهى عنه [3] ، وعليه فالسنة شارحة ومبينة للقرآن الكريم .

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا يقول الطباطبائي : ((وتفيد الآية أن بدء تشريع القصر في الصلاة إنما كان عند خوف الفتنة ، ولا ينافي ذلك أن يعم التشريع بعد ذلك جميع صور السفر الشرعي وان لم يكن هناك خوف ، فإنما الكتاب بيَّنَ قسماً منه ، والسنة بينت شموله لجميع الصور . وذكر لذلك روايات عديدة في إفادة الآية قصر الصلاة في السفر . منها : ما روي أن يعلى بن أمية قال : سألت عمر بن الخطاب قلت : ((ليس عليكم جناح

---

[1] ـ انظر الميزان : ٢٦١/١٢ ، النحل : ٤٤.
[2] ـ انظر الميزان : ٢٦٥/١٩ ، الجمعة : ٢ . وانظر الميزان : ٢٧١/١٩.
[3] ـ انظر الميزان : ٢٠٤/١٩ ، الحشر : ٧ ، وانظر الميزان : ٨٤/٣ ، ٤٠٢/٤ ، ٢٧٢/٥.

أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتتنكم الذين كفروا)) وقد أمن الناس ؟ فقال لي عمر : عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك فقال : صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته [1] .

وبشأن المحرمات من النساء قال المفسر : إنه صح عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال : (إن الله حرّم من الرضاعة ما حرّم من النسب) [2] ولازمه أن تنتشر الحرمة بالرضاع فيما يحاذي محرمات النسب من الأصناف السبعة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ ﴾ الآية [3]. في حين أن الآية لم تتعرض لجميع هذه الأصناف من الرضاع .

وفي بيان جواز زواج الأخت بعد موت أختها الأولى أو طلاقها أحال ذلك على السيرة القطعية بين المسلمين المتصلة بزمان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حين أن الآية أبقت على عدم جواز الجمع بين الأختين في قوله تعالى ضمن ذكر المحرمات من النساء : ﴿... وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ ولم تتعرض الآية لمثل هذا التفصيل الذي أفاده من السنة المشرفة [4] .

ولا يرتاب العلماء في حجية الإخبار المقطوع بصدورها سواء كانت متواترة ، أو غير متواترة لكنها محفوفة بقرائن قطعية الصدور عن الرسول[5]. ويصرح

---

[1] ـ انظر الميزان : ٦١/٥ ، ٦٤ _ ٦٧ ، النساء : ١٠١ . انظر سنن الترمذي ، أبواب التفسير ، تفسير سورة النساء . انظر سنن ابن ماجة ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب تقصير الصلاة في السفر.

[2] ـ انظر البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا تنكح المرأة على عمتها . انظر صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب ما يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة . انظر جامع الترمذي ، أبواب الرضاع ، باب ما جاء يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

[3] ـ انظر الميزان : ٢٦٤/٤ ، ٢٨٣ ، النساء : ٢٣.

[4] ـ انظر الميزان : ٢٦٥/٤ ، النساء : ٢٣.

[5] ـ انظر ، الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام ، حققه أحد الأفاضل ولم يذكر اسمه ، القاهرة ، ١٣٧٨هـ ، ١٥/٢ ، وانظر ، محمد تقي الحكيم ، الأصول العامة للفقه المقارن ، ص : ١٩٦ وما بعدها.



الطباطبائي بذلك فيقول : إذا كان الخبر متـــواتراً أو محفوفا بقرينـــة قطعية فـــلا ريب في حجيته [1].

---

[1] انظر الميزان : ٣٥١/١٠ . وينقسم الحديث إلى متواتر وآحاد (فالمتواتر : هو الذي بلغت رواته في الكثرة مبلغا أحالت العادة تواطؤهم على الكذب ، واستمر ذلك الوصف في جمع الطبقات حيث تتعدد فيكون أوله كآخره ، ووسطه كطرفيه ، وهو يفيد العلم ويجب العمل به . وأما الآحاد : فهو الذي لم يبلغ حد التواتر ولو في طبقة واحدة . انظر الشهيد الثاني زين الدين العاملي ، الدراية في علم مصطلح الحديث ، النجف ، مطبعة النعمان ، ص : ١٢ ، وانظر . الطيبي . الحسين بن عبد الله الخلاصة في أصول الحديث ، تحقيق صبحي السامرائي ، بغداد . ١٣٩١هـ ، ص : ٣٢ . وأما الخبر المحفوف بقرينة قطعية فهو الخبر غير المتواتر سواء كان مشهورا أم غير مشهور على أن يحتف بقرائن توجب القطع بصدوره عن المعصوم ، والمدار في حجيته هو حصول العلم منه كالخبز المتواتر (انظر الأصول العامة للفقه المقارن ص ١٩٦ وما بعدها) . وأما عن القرائن التي إذا ما حفت بالخبر أفادته العلم : فهذه القرائن كثيرة وشخصية ، فلكل شخص قرائنه التي تفيده الوثوق والاطمئنان بصحة نسبة الخبر إلى المعصوم باعتبار أن التثبت شرط من شروط العمل بالدليل . والقرائن على نوعين : ١ _ قرائن تحف بالسند . ٢ _ قرائن تحف بالمتن .

وكلاهما يؤدي غرضا واحدا وهو صدق الراوي حيث تكون النتيجة صدق نسبة ما نقله عن المعصوم ، ونذكر هنا من الأمثلة لتلك القرائن على سبيل الاستشهاد لا الحصر والتقصي . ومن تلك القرائن ما لو نقل أحد خبرا أمام جمهور المسلمين وسكت الجمهور فسكوتهم يؤدي معنى (صدقت) . (انظر تقريب كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ، ص : ١٠٩ _ ١١٠) . فهذه قرينة تدل على صحة نسبة الرواية إلى الرسول عليه الصلاة والسلام باعتبار الأمة معصومة عن الوقوع في الخطأ ، وإلا لو كان ناقله كاذبا لوجب على الأمة ردعه ، ومن هذه الأمثلة : عمل الصحابة برواية أبي بكر (رض) (الأئمة من قريش) انظر مسند أحمد بن حنبل . مصر . المطبعة الميمنية ١٣١٣هـ ، ٤٢١/٤ ، وعمل عثمان وعلي (ع) بقول فريعة بنت مالك بن سنان أخت أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قالت : جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استأذنه بعد وفاة زوجي في موضع العدة فقال : (امكثي حتى تنقضي عدتك) وقد شاع ذلك وذاع من غير نكير (انظر سنن الترمذي ، أبواب الطلاق واللعان ، باب ما جاء أين تعتد المتوفى عنها زوجها) . (انظر أصول الفقه لغير الحنفية ، تأليف جماعة من أساتذة جامعة الأزهر ، كلية الشريعة ، مقرر السنة الثانية ، ١٩٦٣م ، مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة ص ١٤٤ _ ١٤٥) . وربما يكون من هذا الباب ما ذهب إليه الإمامية من أن خبر الواحد قد ينقله أحد أئمتهم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فيعتبر ذلك قرينة على صدق الخبر وصحة نسبته إلى الرسول (ص) لاعتقادهم بعصمة الأئمة عليهم السلام . وعن المتن : كما لو قام الإجماع على العمل بمضمون الخبر الواحد ، فبما أن الإجماع دليل قطعي وقد جعلوا الخبر مستندا لهم فهذه قرينة قطعية على صحة ثبوت الخبر ونسبته إلى المعصوم لأن القول بخطأ الخبر يفضي بنا إلى خطأ الإجماع وهو ما قام الدليل القطعي على نفيه . (انظر حاشية العطار على شرح جمع

ويرى الطباطبائي حجية المقطوع من السنة حتى وان لم يؤيده ظاهر القرآن إلاّ أنه في الوقت نفسه يكشف ذلك الغموض ، والتوهم الظاهري بين الآية والرواية ويدفعهما ، لأن ما نقل عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يمكن استفادته من الكتاب العزيز [1] ، وعليه فلا يمكن أن يقع بين أحكام القرآن والسنة تخالف أو تعارض [2] فضمن آيات الميراث في قوله تعالى : ﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ .

يقول المفسر : ولا ينافي تقدم الوصية في الآية على الدين ما ورد في السنة من أن الدين مقدم على الوصية ؛ لأن الكلام ربما يقدم فيه غير الأهم ، وربما لا يحتاج الأهم لمكانته وقوة ثبوته إلى ما يحتاج إليه غيره من التأكيد والتشديد ، ومن التقديم وعلى هذا فقوله : أو دين في مقام الإضراب والترقي طبعا .

وذكر لذلك ما روي في مجمع البيان عن الإمام علي (عليه السلام) قوله : إنكم تقرؤون في هذه الآية الوصية قبل الدين ، وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قضى بالدين قبل الوصية [3] .

=الجوامع ، ١٥٢/٢) . وتنظر الأصول العامة للفقه المقارن للحكيم ، ص ٢٥٦ _ ٢٥٧ . وقد ذكر المفسر _ في معرض تعليقه على روايات التفسير والقصص _ إن هذه الروايات سوى أخبار الأحكام العملية ، إذا كانت آحادا فلا حجية فيها إلا إذا أقامت قرائن قطعية على صحة متونها ، ومن ذلك موافقة متن الرواية لظواهر الآيات الكريمة ، كما أكد على البحث عن حال السند للتوسل إلى تحصيل القرائن القطعية التي تتعلق به ، كإثبات صدق الراوي وصحة نسبة الخبر للمعصوم (انظر الميزان : ٢١١/٩ _ ٢١٢ ، ١٢٤/١٤ _ ١٢٥) . وقد عرضنا في كلامنا عن (التفسير بالسنة) شيئا من موافقة هذه الروايات للقرآن الكريم.

[1] ـ انظر الميزان : ٨٥/٣.

[2] ـ انظر أصول الفقه : للخضري ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٥هـ ، ط٥ ، ص : ٢٦٨.

[3] ـ انظر الميزان : ٢٢١/٤ ، و: النساء : ١١ وانظر مجمع البيان : ١٥/٢ . وانظر الدر المنثور : ١٢٦/٢ . وانظر صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب تأويل قوله تعالى : ﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ . وانظر صحيح الترمذي ، أبواب الوصايا ، باب ما جاء يبدأ بالدين قبل الوصية وانظر سنن ابن ماجة ، كتاب الوصايا ، باب الدين قبل الوصية ، كما روي هذا المعنى نفسه عن الإمام الصادق

وأما أخبار الآحاد فهي لا تفيد يقيناً وإنما تفيد الظن عند جمهور العلماء [1] .

وقد ذهب الحنفية والشافعية وجمهور المالكية إلى وجوب العمل به وفق جملة من الشروط ، فيشترط في الراوي لصحة التحمل التمييز والضبط كما يشترط فيه لصحة الأداء البلوغ والإسلام والعدالة والضبط ، وأما بالنسبة إلى لفظ الخبر فيشترط فيه إلا يحذف الراوي منه ما يتوقف تمام المعنى عليه ، ويشترط فيه معناه إلا يعارضه ما هو أقوى منه ، واشترط الكرخي وبعض الحنفية ألا يكون موضوع الحديث مما تعمُّ به البلوى ، إذ لو كان كذلك لذاع واشتهر ؛ فعدم ذيوعه حينئذ يورثه شكاً .

وقيل : إن خبر الواحد العدل يوجب العلم لأنه يوجب العمل بالدليل ولا عمل إلاّ عن علم ، وهو مذهب داود الظاهري ، وحكي عن مالك وروي عن أحمد واختاره ابن حزم وأطال الاحتجاج له .

وقال الخوارج والمعتزلة : إنه لا يوجب العمل لأنه لا يوجب العلم ، ولا عمل إلاّ عن علم [2].

والذي استقر عليه الإمامية الاثنا عشرية أخيرا : حجية خبر الواحد في الأحكام العملية فقط[3].

عليه السلام إذ قال : أول شيء يبدأ به من المال الكفن ، ثم الدين ، ثم الوصية ، ثم الميراث . (انظر الكافي ، كتاب الوصايا ، باب أنه يبدأ بالكفن ثم بالدين ثم بالوصية).

[1] ـ إن أبو العينين بدران ، أصول الفقه ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٥م ، ط٢ ص ٨٣.

[2] ـ انظر علي حسب الله ، أصول التشريع الإسلامي ، مصر مطبعة العلوم ، ٢٣٧٢هـ ط١ ، ص ٤٣ _ ٤٨ وانظر بدران أبو العينين بدران ، أصول الفقه ، ص ٨٣ _ ٩٥ . وانظر محمد أبو زهرة ، أصول الفقه ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، ١٣٧٧هـ ، ص ١٠٣ _ ١٠٤ . وانظر زكي الدين شعبان ، أصول الفقه ، مصر ، مطبعة دار التأليف ، ١٩٦٥م ، ط٣ ، ص ٦٦ _ ٧٤ . وانظر محمد جمال الدين القاسمي ، قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث تحقيق محمد بهجة البيطار ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٠ ه ، ط٢ ص ١٤٧ _ ١٤٩.

[3] ـ السيد أبو القاسم الخوئي ، البيان في تفسير القرآن ، ص ٣٩٩ _ ٤٠٠.

والى هذا أشار الطباطبائي بقوله : (وأما الشيعة فالذي ثبت تقريبا عندهم في علم أصول الفقه حجية خبر الواحد الموثوق الصدور في الأحكام الشرعية ولا يعتبر في غيرها) [1] .

وعن آحاد الروايات أيضا يضيف قائلا إنها : (لا تكون حجة إلا إذا كانت محفوفة بالقرائن المفيدة للعلم أعني الوثوق التام الشخصي سواء كانت في أصول الدين أو التاريخ أو الفضائل أو غيرها إلاّ في الفقه ، فإن الوثوق النوعي كاف في حجية الرواية ، كل ذلك بعد عدم مخالفة الكتاب) [2] .

وتوضيحًا لذلك يقول المفسر : إن الحجية الشرعية من الاعتبارات العقلية اذ تستتبع وجود أثر شرعي في المورد . يقبل الجعل والاعتبار الشرعي ، وأما القضايا التاريخية والأمور الاعتقادية فلا معنى لجعل الحجية فيها لعدم استتباعها أثرا شرعيا ، ولا معنى لحكم الشارع بكون غير العلم علما وتعبيد الناس بذلك ، وأما الموضوعات الخارجية وان أمكن أن يتحقق فيها أثر شرعي ، فإنَّ آثارها جزئية ، والجعل الشرعي لا ينال إلاَّ الكليات [3] .

وعليه فإن الطباطبائي يعتمد على السنة حين تفيد القطع ، وأمَّا أخبار الآحاد الموثوقة الصدور وغير المحفوفة بالقرائن المفيدة للعلم فإنها حجة في الأحكام العملية فقط ، وأما في غيرها فيراها مؤيدة للمعاني المستنبطة من الآيات إن وافقتها وإلاّ ردّها . وهذا ما تؤيده الأحاديث النبوية القائلة بعرض الأخبار على القرآن الكريم[4].

---

[1] ـ الطباطبائي ، القرآ، في الإسلام ، ص : ٧٤ _ ١٣٢ . وانظر محمد تقي الحكيم ، الأصول العامة للفقه المقارن ، ص ٢٠٥ _ ٢٠٦.

[2] ـ انظر الميزان : ١٤١/٨.

[3] ـ انظر الميزان : ٣٥١/١٠.

[4] ـ انظر ص ١٤٧ _ ١٥٥ _ من هذه الرسالة . وللاطلاع راجع ، باقر المجلسي ، بحار الأنوار ، باب اختلاف الأخبار ، وانظر الميزان : ١٦٥/١٧.

ويؤيد هذا ما ذكره المفسر في بيان منهجه التفسيري : (الاستعانة بالروايات عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) في تأييد المعنى المستفاد من الآية ، أو بمعنى أصح عرض الروايات على الآيات وإثبات مضامين الروايات وذلك عن طريق تأييد الآيات لما جاء في مضمون تلك الروايات من دون التعرض لأسانيد تلك الروايات بعد ما تبين لنا مطابقة مضمونها لنص القرآن ... فالأصل إذن هو المعنى المستفاد من الآية ومن ثم الاستعانة بالآية في إثبات صحة ما ثبت في الرواية ، والاستعانة بالرواية لتأكيد ما ثبت في الآية [1].

ويمكن أن يفسر هذا الموقف العام للمفسر من مظنون السنة بأمرين :

الأول : أن شدة اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن هو الذي جعله ينظر إلى هذا النوع من السنة على أنه مؤكد ومؤيد ، وهذا يعني أن الملحوظ هو المتن حينئذ لا السند .

الثاني : انه رأى أن غالبية المأثور ضعيف السند بأحد وجوه الضعف من الإرسال أو الوضع أو عدم وثاقة بعض الرواة ... الخ [2] .

ومن استعانته بالمأثور عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تأييد ما يقف عليه من معان للآيات بالنظر فيها وفي غيرها .

١ _ في تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذين آمَنُواْ لا تُبْطِلُواْ صَدقَاتكم بِالمنّ وَالأذَى ﴾ . يقول المفسر :

تدل الآية على حبط الصدقة بلحوق المن والأذى ، وربما يستدل بها على حبط كل معصية أو الكبيرة خاصة لما يسبقها من الطاعات ، ولا دلالة في الآية على غير المن والأذى بالنسبة إلى الصدقة .

---

[1] ـ عن رسالة بريدية بعثها لنا المفسر إملاء على أحد طلابه في (قم) غرة صفر ١٣٩٨هـ

[2] ـ ملاحظات ومتابعات . للسيد محمد باقر الحكيم.

ثم أيد هذا المعنى بما أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : وفي تفسير القمي قال الصادق عليه السلام قال رسول (صلى الله عليه وآله وسلم): من أسدى إلى المؤمن معروفاً ثم آذاه بالكلام أو منَّ عليه فقد أبطل صدقته [1] .

٢ _ في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ .

يقول الطباطبائي : إن التقوى نوع من الاحتراز فإذا كان تقوى الله سبحانه كان تجنبا وتحرزا من عذابه كما قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وذلك إنما يتحقق بالسير على ما يريده ويرتضيه فهو امتثال أوامره تعالى ، والانتهاء عن نواهيه . وجملة القول إن تقوى الله سبحانه أن يطاع ولا يعصى ويخضع له فيما أعطى أو منع .

ثم أيد هذا المعنى بما روي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ابن مسعود قال : قال رسول الله : اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يُعصى ، ويذكر فلا يُنسى [2].

٣ _ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ{١٢} وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

ذكر المفسر أن هؤلاء الذين كفروا يستميلون بدعوتهم هذه الذين آمنوا أول مرة ، ولكنهم لا يحملون خطاياهم بعينها فهي لازمة لفاعليها لكنهم حاملون أثقالا وأحمالا من الأوزار مثل أوزار فاعليها من غير أن ينقص من فاعليها فيحملونها مضافا إلى أثقال أنفسهم وأحمالها لما أنهم ضالون مضلون ، يقول تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ فـ (مَنْ) في الآية

---

[1]- انظر الميزان : ٣٨٩/٢ ، ٤٠٢ ، البقرة : ٢٦٤ ، تفسير القمي ٨٦/١.

[2]- انظر الميزان : ٣٦٧/٣ ، ٣٧٧ ، آل عمران : ١٠٢ ، البقرة : ٢٤ ، الدر المنثور : ٥٩/٢ . انظر مستدرك الحاكم النيسابوري ، كتاب التفسير ، مطبعة النصر الحديثة ، الرياض ، ٢٩٤/٢.

تبعيضية لأنهم لا يحملون جميع أوزارهم بل أوزارهم التي ترتبت على إضلالهم خاصة بشهادة السياق ، فالتبعيض إنما هو لتمييز الأوزار المترتبة على الإضلال من غيرها ، وليس للدلالة على تبعيض كل وزر من أوزار الإضلال وحمل بعضه على هذا ، وبعضه على ذاك ، ولا تقسيم مجموع أوزار الإضلال وحمل قسم منه على هذا ، وقسم منه على ذاك مع تعريته عن القسم الآخر .

وقد أيد المفسر هذا المعنى بما روي عن (صلى الله عليه وآله وسلم): من سنَّ خيراً فاستُنَّ به كان له أجره ومن أجور من تبعه غير منتقص من أجورهم شيئا ، ومن سنَّ شراً فاستن به كان عليه وزره ومن أوزار من تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئا [1].

وقد تقدم أن الإمامية الاثني عشرية تعني بالسنة قول المعصوم وفعله وتقريره وتعني بالمعصوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) .

واستعان الطباطبائي كذلك بالروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في تأييد المعاني التي يقف عليها في تفسير الآيات بالنظر فيها وفي غيرها .

١ _ ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ يا عبادي الَّذين آمنوا إنَّ أرضي واسعةٌ فإيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ ذكر المفسر : أنه تعالى بعد أن وبَّخ من ارتد عن دينه من المؤمنين خوف الفتنة عطف الكلام على بقية المؤمنين ممن استضعفهم المشركون بمكة وكانوا يهددونهم الفتنة والعذاب فأمرهم أن يهاجروا منها إن أشكل عليهم أمر الدين وإقامة فرائضه ، وسعة الأرض كناية عن أنه إن امتنع في ناحية من نواحيها أخذُ الدين الحق والعمل به فهناك نواح غيرها لا يمتنع فيها ذلك .

[1] انظر الميزان : ١٠٨/١٦ ، ١١١ ، ٢٣١/١٢ ، العنكبوت : ١٢، ١٣ ، النحل : ٢٥ ، انظر الدر المنثور : ١٤٣/٥ . انظر جامع الترمذي ، أبواب العلم ، باب فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة ، وانظر مسند أحمد بن حنبل ، ٥٠٥/٢ . للفائدة راجع الميزان : ٤٠٤/٢ ، ٣٤٨/١٢ ، ١١٢/١٩ ، لا على سبيل الحصر.

وذكر الطباطبائي تأييداً لهذا المعنى رواية في تفسير القمي عن الإمـام الـصادق (عليه السلام) : أنه لا تطيعوا أهل الفسق من الملوك فإن خفتم أن يفتنوكم عن دينكم فان أرضي واسعة ، وهو يقول : فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض . فقال : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ [1] .

٢ _ وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ{٨} وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ ﴾ يقول المفسر : فإذا النجوم طمست أي محي أثرها من النور وغيره ، والطمس إزالة الأثر بالمحو قال تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ . وقوله : ﴿ وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ ﴾ أي انشقت والفرج والفرجة : الشق بين الشيئين قال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ ﴾ .

ثم أيد ذلك بما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير القمي قوله تعالى : فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ قال : يذهب نورها وتسقط ، وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام) طمسها ذهاب ضوئها . وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ ﴾ . قال : تفرج وتنشق [2].

٣ _ وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ .

أفاد المفسر منها ومن غيرها أن موسى (عليه السلام) وأهله قد ضلوا الطريق فرأى من جانب الطور وقد أشرفوا عليه ناراً فأمر أهله أن يمكثوا ليذهب إلى ما آنسه لعله يجد هناك من يخبره بالطريق أو يأخذ قطعة من النار فيصطلوا بها ، وقال

---

[1] ـ انظر الميزان : ١٤٤/١٦ ، ١٤٦ ، العنكبوت : ٥٦ ، النساء : ٩٧ ، وانظر تفسير القمي : ٢١٠/١.

[2] ـ انظر الميزان : ١٤٩/٢٠_١٥٠ ، المرسلات : ٨_٩ ، التكوير : ٢ ، الانشقاق : ١ . انظر تفسير القمي : ١٨٥/٢.

تعالى : ﴿ لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ وهو أدل على كـونهم ضلوا الطريق .

وذكر تأييدا لذلك ما روي عن أبي جعفر الإمام الباقر (عليه السلام) فـي مجمـع البيان . قال : لما قضى موسى الأجل وسار بأهله نحو البيت أخطأ الطريق فـرأى نارًا فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً [١] .

وقد يستعين الطباطبائي بروايات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يكون أحد الأئمة الاثني عشر طريقها إلى الرسول . ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

يقول المفسر : توفية الأجر إعطاؤه تاماً كاملاً ، والسياق يفيد أن القصر في الكلام متوجه إلى قوله : ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فالجار والمجرور متعلق بقوله : ﴿ يُـوَفَّى ﴾ صفة لمصدر يدل عليه . والمعنى لا يعطى الصابرون أجرهم إلاّ إعطـاءً بغيـر حساب ، فالصابرون لا يحاسبون على أعمالهم ولا ينشر لهم ديوان ولا يقدر أجرهم بزنة عملهم .

وذكر لهذا المعنى ما روي في مجمع البيان عن الإمام الصادق قال : قال رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينـصب لأهل البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان . ثم تلا هذه الآية [٢] .

ومثل هذه الروايات تقرب إلى حد كبير من صورة المراسيل عند أهل السنة والتي تعني حديث التابعي الكبير الذي لقي جماعة من الصحابة وجالسهم [٣] .

وقد اختلف العلماء في القدر الذي يحتج فيه المرسل من الأحاديث بعد أن تعـددت أنماطها وتنوعت.

---

[١] ـ انظر الميزان : ٣١/١٦ ، ٣٩ ، القصص : ٢٩ ، طه : ١٠ ، انظر : مجمع البيان ٢٥٠/٤ وما بعدها.

[٢] ـ انظر الميزان : ٢٤٤/١٧_٢٤٥ ، الزمر : ١٠ . انظر مجمع البيان : ٤٩٤/٤.

[٣] ـ ابن الصلاح ، عثمان عبد الرحمن ، علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح ، مصر ، ١٣٢٦هـ ، ص :٢٠.



ولكن ما يرويه الإمام المعصوم عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعدُّ عند الإمامية الاثني عشرية بحكم المرفوع إلى رسول الله [1].

وإنّما حظي الأئمة _ الاثنا عشر _ بهذه المنزلة لأنهم معصومون وأنهم أحد الثقلين اللذين تركهما الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في الأمة بعد أن التحق بالرفيق الأعلى بقوله : (يا أيها الناس إني تارك فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي)[2] .

إلى جانب استعانته بالسنة نراه يتعرض لبعض ما ذكره من روايات عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فيقف منها موقف المحقق الخبير لمتونها دون الاهتمام الكبير بأسانيدها ، فهو لا يقبل رواية إلاّ بعد أن تحصل على شاهد من القرآن نفسه يؤيد مضمونها ويؤكد معناها ، ولا ريب فالمأثور عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يندب الى عرض الأخبار على القرآن [3] وعليه فالملاك في اعتبار الروايات عند المفسر هو موافقتها للكتاب [4].

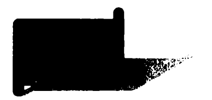
١ _ فقد تعرض المفسر لرواية في الدر المنثور عن عبادة بن الصامت وفحواها أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : أيكم يبايعني على هذه الآيات الثلاث وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ... الآيات ﴾ ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): فمن وفى بهن فأجره على الله ، ومن انتقص منهن شيئا فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته ، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء آخذه وإن شاء عفا عنه .

[1] ـ انظر الأصول العامة للفقه المقارن للأستاذ محمد تقي الحكيم ، ص : ١٤٧.

[2] ـ انظر ، السيد عبد الحسين شرف الدين ، المراجعات ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ ، ط١٩ ، ص : ١٤_١٥ . وانظر سنن الترمذي ، أبواب المناقب ، مناقب أهل بيت النبي.

[3] ـ انظر ص : ١٥٥_١٥٦ من هذه الرسالة.

[4] ـ انظر الميزان : ٢١٢/٩.



وعلق عليها المفسر بقوله : إن فيما ذكر في الآيات الشرك بالله ولا تكفي فيه عقوبة الدنيا ولا تناله مغفرة في الآخرة بنص القرآن . يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللّه لا يغْفرُ أن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كفَرُوا وماتُوا وهُمْ كُفَّارٌ أُولئك عليْهِمْ لعْنةُ اللّه وَالْمَلاَئكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ{١٦١} خَالدين فيها لا يُخفَّفُ عنْهمْ الْعذابُ ولا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [1] .

٢ _ وفي قصة ورقة بن نوفل المعروفة في بشارته للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتقبل المفسر ما خالف من رواياتها القرآن الكريم ، فقد أورد إشكالين على القصة ذاتها لما فيها من شك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في كون ما شاهده وحياً إلهياً من ملك سماوي ألقى إليه كلام الله ، وتردده بل ظنه أنه من مس الشياطين بالجنون ، وأشكلُ منه سكون نفسه في كونه نبوة إلى قول رجل نصراني مترهب وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنّي على بيِّنةٍ مِّن رَّبّي ﴾ وأي حجة بينة في قول ورقة ؟ وقال تعالى : ﴿ قُلْ هـذه سبيلي أدْعُو إلى اللّه على بصيرةٍ أنا ومن اتَّبَعَنِي ﴾ فهل بصيرته (صلى الله عليه وآله وسلم) هي سكون نفسه إلى قول ورقة ؟ وبصيرة من اتبعه سكون أنفسهم إلى سكون نفسه إلى مالا حجة فيه قاطعة ؟ وقال تعالى:﴿ إِنَّا أَوْحيْنَا إِليْكَ كما أوْحيْنا إلى نُوحٍ والنَّبيِّين من بعْده ﴾ فهل كان اعتمادهم في نبوتهم على مثل ما تقصه ؟ وأضاف : أن وحي النبوة والرسالة يلازم اليقين من النبي والرسول بكونه من الله تعالى [2] .

---

[1] ـ انظر الميزان : ٣٨٤/٧ ، الأنعام ١٥١_١٥٣ ، النساء : ٤٨ ، البقرة : ١٦١ . انظر الدر المنثور: ٥٤/٣ . انظر صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، الباب الحادي عشر ، وانظر صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب الحدود كفارات لأهله.

[2] ـ انظر الميزان : ٣٢٩/٢٠ ، الأنعام : ٥٧ ، يوسف : ١٠٨ ، النساء : ١٦٣ . وانظر صحيح البخاري : كتاب الحيل ، باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله من الوحي والرؤيا الصالحة ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي . وللاطلاع : راجع الميزان : ٢٦/٢٠ ، ١٥٠/٧ ، ٢٨٦/١٢.

٣ _ وتعرض المفسر لرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير العياشي مفادها : أن موسى (عليه السلام) لما سأل ربه النظر إليه وعد الله أن يقعد في موضع ، ثم أمر الملائكة تمر عليه موكباً موكباً بالرعد والبرق والريح والصواعق فكلما مر به موكب من المواكب ارتعدت فرائصه فيرفع رأسه فيسأل : أيكم ربي ؟ فيجاب هو آت وقد سألت عظيما يا ابن عمران .

وعلق عليها : إنها موضوعة وما تشتمل عليه لا يقبل الانطباق على شيء من مسلمات الأصول المتخذة من الكتاب والسنة [١] ومنها عصمة الأنبياء والملائكة .

٤ _ وما روي عن الصحابة والتابعين فقد تعرض لها هي الأخرى بالعرض على القرآن الكريم [٢] .

فما رواه الطبري عن قتادة مثلا ، قال : كانت الآية تنسخ الآية وكان نبي الله يقرأ الآية والسورة وما شاء الله من السورة ثم ترفع فينسيها الله نبيه . فقد رفضها المفسر ونظائرها في معنى الإنساء لمخالفتها الكتاب باعتبار آية النسخ : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ مدنية ، وقوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ مكية ، فلا يجوز عليه النسيان بعد قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَنسَىٰ ﴾ والاستثناء في الآية إثبات إطلاق القدرة نظير قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [٣] .

٥ _ وحتى الروايات التاريخية ، فهو يرفضها حين لا توافق الكتاب العزيز ، فقد رفض المفسر أن يكون (كهف أفسوس) الذي يقع على مسافة كيلو متر واحد أو أقل من (أفسوس) المدينة الواقعة في تركيا ، هو الكهف المذكور في القرآن ،

١ـ انظر الميزان : ٢٦٠/٨ ، تفسير العياشي : ٨٨/١.

٢ـ سيأتي الكلام مفصلا عن موقفه من أقوال الصحابة والتابعين.

٣ـ انظر الميزان : ٢٥٤/١_٢٥٦ ، البقرة : ١٠٦ ، الأعلى : ٦ ، هود : ١٠٨ . انظر تفسير الطبري : ٤٧٤/٢.

لكون ما ذكره القرآن من أوصاف له لا تنطبق على أوصاف كهف أفسوس ، قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وإذا غربت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ أي في مرتفع منه ، وقوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ ظاهر في أنهم بنوا على الكهف مسجدا ، كل هذه المشخصات لم تتوفر في كهف أفسوس [1] .

وعلى هذا المنوال يجري المفسر في رفض الروايات التي تناقض النصوص القرآنية ، وأما ما وافق منها القرآن الكريم فإنه يأخذ بها ويستعين على تأييد ما خلص إليه من معنى للآية [2].

وإزاء الأخبار التي تعنى بفضائل السور فهو على قدر كبير من الحذر ، لأن كثيراً منها عده العلماء من قبيل الموضوعات كالحديث الذي أخرجه أبو عصمة نوح بن أبي مريم الملقب بنوح الجامع ، إذ قيل له من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذه الأحاديث حسبة [3].

ثم يبين ابن الصلاح حال الحديث الطويل الذي يروى عن أبيّ بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في فضل القرآن سورة سورة . فيقول : بحث باحثٌ عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه وان أثر الوضع لبين عليه ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم [4].

---

[1] ـ انظر الميزان : ٢٩٥/١٣_٢٩٧ ، الكهف : ١٧_٢١ . للاطلاع انظر الميزان : ٣٨١/١٣ وما بعدها.

[2] ـ انظر الميزان : ٢٠٥/١ ، ٣١٥ ، ٢٢/٩ ، ١١٤/١٩ ، ١٩٠.

[3] ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، ط١ ، ص : ٣٧ . وانظر : د.صبحي الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه ، جامعة دمشق ١٣٧٩هـ ص : ٢٨٣ . وانظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، ص :١٩.

[4] ـ انظر مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، ص : ٣٨.

ولم يتوسع الطباطبائي في سرد هذه الأخبار وإنما يكتفي بالإشارة المقتضية لها [١].
وفي الغالب الأعم يغمض عن ذكر هذه الأخبار للعلة ذاتها ، ففي فضائل ليلة القدر يقول (الروايات في ليلة القدر كثيرة جداً ... أغمضنا عنها) [٢].
ومما يقلل رفضه للروايات اعتناؤه برفع التعارض الظاهر بين الروايات بملاحظة ما توصل إليه من معنى للآية وعرض مضمون هذه الروايات عليه . ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ ، ذكر المفسر ثلاث روايات عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في **معنى اللغو** :
الأولى : كل قول ليس فيه لله ذكر فهو لغو .
الثانية : أن يتقول الرجل عليك بالباطل أو يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه لله .
الثالثة : إنه الغناء والملاهي .
ظاهر هذه الروايات أنها متعارضة في معنى اللغو ، وقد عالجه المفسر بقوله : (إن الرواية الأولى من التعميم ، والأخيرتين من قبيل ذكر بعض المصاديق) [٣].
ومثله أيضا في تفسير قوله تعالى : ﴿ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ أفاد المفسر أنَّ التدبر في الآية يعطي أن الصلاة غير الرحمة بوجه ، ويشهد به جمع الصلاة وإفراد الرحمة ، وقد قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾ . ثم أضاف قائلا : وهذا لا ينافي كون الصلاة بنفسها ومن مصاديقها ، فان الرحمة في القرآن على ما يعطيه التدبر في مواردها هي العطية الإلهية ، والموهبة العامة الربانية كما قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾،وقوله تعالى:﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ فكل خلق وأمر رحمة ، كما أن كل خلق وأمر عطية تحتاج إلى غنى قال تعالى :

---

[١]- انظر الميزان : ٦٢/١٧.
[٢]- انظر الميزان : ٣٣٥/٢٠.
[٣]- انظر الميزان : ١٢/١٥ وما بعدها ، المؤمنون ٣ . وانظر مجمع البيان : ٩٩/٤.

﴿ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ ومن عطيته الصلاة ، فهي أيضا من الرحمة ، غير أنها رحمة خاصة [1] .

ثم ذكر المفسر روايتين عن الإمام الصادق(عليه السلام) في (الكافي)قال: قول الله :﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّه وإِنَّـا إِلَيْه راجعون۞ أُولـئِك علـيهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾، فهذه واحدة من ثلاث خصال ، ورحمة اثنتان ، وأولئك هـم المهتدون ثلاث .

وعنه (عليه السلام) : الصلاة من الله رحمة ، ومن الملائكة تزكية ، ومن النـاس دعاء . فالرواية الأولى تَعُدُّ الصلاة غير الرحمة ، بينما الرواية الثانية تَعُدُّها رحمة ، وقد علق المفسر على ذلك بقوله : إنه لا تنافي بين الروايتين ، فـالأولى منهـا يساعد عليه ظاهر الآية ﴿ أُولـئِك عليهِمْ صلوات مِّن رَّبِّهِمْ ورحمـة ﴾ ، والرواية الثانية تنسجم مع كون الصلاة رحمة خاصة [2]

ولربما ينبه المفسر في أحيان معينة على قيمة الرواية من جانب سندها ، ففي رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مفادها : أن الله سبحانه غضب على ملك وقص جناحه ... الرواية وكان في إسنادها (مفـضل بن صالح) .

ذكر المفسر أن (مفضل) كان كذّاباً يضع الحديث ، فضلا عمّا في الحـديث مـن قدح في عصمة الملائكة،وقد نص القرآن الكريم على عصمتهم ونزاهة ساحتهم من الذنب والخطيئة [3]

وفي رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) في معنى ﴿ كتب عليكم الصِّيامُ كمـا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ من قَبْلِكُمْ ﴾ مفادها : إنَّما فرض الله صيام شهر رمـضان علـى

---

[1] ـ انظر الميزان : ٣٦١/١ ، البقرة : ١٥٧ ، الأحزاب : ٤٣ ، الأعراف : ١٥٦ ، الأنعام : ١٣٣ ، الإسراء : ٢٠.

[2] ـ انظر الميزان : ٣٨٤/١ . وانظر أصول الكافي للكليني ، ٩٣/٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الصبر . للاطلاع راجع الميزان : ٢٢٨/٢ ، ٢١٤/٣ ، ١٥/٧ ، ٣٣٣/١٨.

[3] ـ انظر الميزان : ٦٩/١٤.



الأنبياء دون الأمم ، ففضل به هذه الأمة ، وجعل صيامه فرضًا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى أمته .

ذكر المفسر أن الرواية ضعيفة بـ (إسماعيل بن محمد) في سنده فضلاً على أن ظاهر الآية لا يساعد على كون المراد بـ (الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) الأنبياء خاصة [1] .

وفي الأبحاث الروائية في الميزان نرى المفسر حين يورد حديثًا أو خبرًا ينسبه إلى مصدره ، كقوله : (وفي الدر المنثور .. الخبر) ، (وفي تفسير القمي .. الخبر) ، (وفي الكافي والعلل ... الخبر) [2] .

وفي أحيان أخرى لا ينسبها إلى مصادرها ولكنه يذكر في إسنادها من خرّجها في كتبه من المحدثين كقوله : (روى الصدوق ، قال : سُئِلَ الصادق (عليه السلام) عن الآية فقال ... الخبر) [3] ، ومِنْ ثَمَّ يتيسر للدارسين الوقوف على أصل الخبر في مدونات هذا المحدث .

وإذا كان الطباطبائي لا يورد أحيانًا إسناد الروايات كما هي في الصحاح والجوامع وكتب الحديث ، فإشارته إلى مصدر الرواية من كتب الحديث والتفسير والتاريخ والسير وغيرها يسهل كذلك الوقوف على مسلسل الإسناد لهذه الروايات ، وهذا السبيل نفسه ينزع إلى الاختصار ، وضغط المعاني دون ترقيق لمتون الميزان وصرفه عن أصالته التفسيرية .

---

[1] ـ انظر الميزان : ٢٦/٢ ، البقرة : ١٨٣ . انظر من لا يحضره الفقيه للصدوق أبي جعفر القمي ، تحقيق حسن الخراساني ، مطبعة النجف ، ١٣٧٧هـ ، ط٤ ، ٦٢/٢ . للاطلاع راجع الميزان : ٢٢٤/١ ، ٣٧٨/٢ ، ٢٥٤/١١ ، ١٤٨/١٢ ، ١٢/١٨ ، ٢٤٥/١٩.

[2] ـ انظر الميزان : ٧٦/٩ ، ٨٥/١١ ، ٢٤٥/١٧.

[3] ـ انظر الميزان : ٩٠/١ . الصدوق : هو الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي وهو شيخ من مشايخ الشيعة ورئيس المحدثين ، توفي سنة ٣٨١هـ ، من مؤلفاته ١ _ علل الشرائع ٢ _ عيون أخبار الرضا ٣ _ الأمالي ٤ _ الخصال ٥ _ ثواب الأعمال ٦ _ من لا يحضره الفقيه .(روضات الجنات : ١٣٢/٦ _ ١٤٤).

وفي أحيان أخرى يذكر أسانيد هذه الروايات كما وردت في مصادرها كقوله : (في تفسير القمي بإسناده عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن رفاعة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ... الخبر) [1].

ومثال آخر يقول فيه : (في الدر المنثور أخرج عبد الرزاق وأحمد والبخاري وعبد بن حميد ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابنا حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن عائشة قالت ... الخبر) [2].

ومما زان هذا التفسير اعتماده على طرق الفريقين في الرواية فلم ينزع نزعة مذهبية جامدة على طرق أهل الشيعة وإنما اعتمد على طرق أهل السنة في الحديث كذلك ، فقد يذكر الرواية من طرق أهل الشيعة كما في تفسير قوله تعالى : لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ يقول : (وفي تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : البينة محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) [3].

وأحيانا يذكر رواية من طرق أهل السنة ، ففي تفسير قوله تعالى : وجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء ﴾ يقول : (وفي الدر المنثور أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال الله : وجئنا بك شهيدا على هؤلاء قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قرأ هذه الآية فاضت عيناه) [4] .

---

[1] ـ انظر الميزان : ١٠٢/١٢ ، انظر تفسير القمي ٦٣/١.

[2] ـ انظر الميزان : ٩٦/١٥ ، انظر الدر المنثور : ٢٤/٥.

[3] ـ انظر الميزان : ٣٤١/٢٠ ، البينة : ١.

[4] ـ الميزان : ٣٢٦/١٢ ، وما بعدها ، النحل : ٨٩ ، انظر الدر المنثور ١٢٧/٤.

وقد يذكر رواية عن أحد الفريقين ثم يشير إلى تحققها في طرق الفريق الثاني فبعد أن أورد رواية من طرق أهل الشيعة عقب عليها : (أقول:وهو مروي من طرق أهل السنة أيضا) [١]

ومن اعتنائه بالمتون نجده أحيانا يذكر متناً لرواية ما ويشير إلى نظير لها مع ذكر الاختلاف في ذات المتن ، ففي سبب نزول قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴾ .

يقول : (وفي الدر المنثور أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة : ((حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ)) قال ذكر لنا أنها نزلت في الذين قتل الله يوم بدر .

أقول : وروي مثله عن النسائي عن ابن عباس ولفظه قال : هم أهل بدر) [٢].

وعندما يكون الموضوع ذا أهمية معينة يشير المفسر إلى طرق أخرى للرواية التي يذكرها [٣] أو يشير إلى روايات قريبة من المعنى نفسه[٤] وقد ينبه على مصادر أخرى ذكرت هذه الروايات [٥] .

ولربما يفرد بحثًا روائيًا كاملاً لعناوين هي غاية في الدقة والأهمية كما في مسألة (تحريف القرآن) فقد دافع المفسر دفاعًا شديداً إزاء هذا الادعاء ، ومن ضمن دفاعه كان بحثًا روائيًا في نفي فرية التحريف عن القرآن الكريم [٦] .

ومنها أيضاً مسألة (الجبر والتفويض) التي هي غاية في التعقيد وما زالت هناك آراء كلامية متعددة قائمة تحتفظ كل منها بأدلتها وأطرها الفكرية ، فقد رفض

---

[١] ـ الميزان : ٤٠٧/١٥ ، انظر الميزان : ٢١٩/٤ ، ٢٧٨ ، ١٧٨/١٠ ، ٥٢/١٤ ، ٣٧٦/١٩.

[٢] ـ الميزان : ٥٠/١٥ ، المؤمنون : ٦٤ ، انظر الدر المنثور : ١٢/٥ ، الميزان : ١٢/٧ ، ٧١/٢٠.

[٣] ـ انظر الميزان : ٢٤/١٥ ، ١٤١/١٩ ، ١٩١ ، ٢٤٥.

[٤] ـ انظر الميزان : ٢٩/٢ ، ٢٨/١٦ ، ٣٦/١٩ ، ١٢٧ ، ١٩١.

[٥] ـ انظر الميزان : ٧٣/١٦ ، ٣٤/١٩ ، ١١٨ ، ١٩٦.

[٦] ـ انظر الميزان : ١٠٧/١٢.



المفسر أن يكون هناك جبر مطلق أو تفويض مطلق وإنَّما أنبأ على وسطية في القول (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين) وهو قول الإمام الصادق أحد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) [١] .

ومنها أيضا مسألة (التوحيد) التي هي من أعمق المعارف الكلية وأصعبها تصورًا وإدراكًا ، وعليها تبنى قواعد الشريعة ، ومن خلالها تتأكد نظرة المسلم إلى الكون والحياة ، فقد أفرغ بحثا روائيا واسعا في تناوله لمسألة التوحيد ، ولم يخرج على أئمة مذهبه الإمامي في شيء من موارد هذا الأصل [٢].

ولربما تكون لمثل هذه العنوانات خصوصية مذهبية كمعتقد الرجعة [٣] ومسألة المتعة [٤] مثلا فيسهب المفسر في إثباتها ودفع ما يرد عليها من إشكالات ، ويفرغ لها أبحاثا روائية لتأييد ما ذهب إليه في بياناته الكاشفة عن معاني الآيات .

وقد يترك المفسر بعض (البيانات) الكاشفة عن معاني الآيات ، بلا أبحاث روائية ولا يورد عليها أي حديث لتأييد معناها [٥] .

٤ _ **موقفه من أقوال الصحابة والتابعين :**

أخذ المفسر بأقوالٍ للصحابة والتابعين ، فاستعان بها على بيان الآيات على خلاف ما ادعاه (جولد زيهر) من أن الطريق الوحيد إلى الوثوق الشرعي عند الإمامية ما ثبت عن أئمتهم [٦] . ويعني قوله هذا أن الإمامية لا يلتفتون إلى الروايات الواردة

١- انظر الميزان : ٩٧/١_١٠٥ ، انظر أصول الكافي للكليني ، كتاب التوحيد ، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين.

٢- انظر الميزان :٩١/٦_ ١٠٣.

٣- انظر الميزان : ١٠٦/٢.

٤- انظر الميزان : ٨٧/٢ _ ٩٥ ، ٢٨٩/٤ _ ٣١٠.

٥- انظر الميزان : ٥٦/١ _ ٥٨.

٦- جولد زيهر ، المذاهب الإسلامية في التفسير ، تحقيق د. عبد الحليم النجار ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ ، ص : ٣٠٤.

في التفسير عن غير أئمتهم بمن في ذلك الصحابة والتابعون مهما علا مصدر هذه الروايات [١].

وفي الواقع أن هذه الدعوى لا تثبت على إطلاقها لدى التحقيق فأقطاب مفسري الإمامية كأبي جعفر الطوسي في تفسير ((التبيان)) ، والفضل أبي علي الطبرسي في ((مجمع البيان)) وغيرهما استعانوا بأقوال الصحابة والتابعين وأفادوا منها في بيان الآيات [٢] إلاَّ أنَّ هذه الأقوال لم تكن حجة بذاتها ، وتبقى خاضعة للمناقشة ، ولكنها في الوقت نفسه مقدمة على غيرها من أقوال المفسرين لما هم عليه من فهم واضح للنص القرآني وذلك لإفادتهم من عصر النزول أو لقربهم منه [٣].

ومن عموم هذا الموقف انطلق الطباطبائي مفيدًا من أقوال الصحابة والتابعين ومتعرضًا لقسم آخر منها بالنقد والتحليل . وقد وردت أقوال كثيرة للصحابة والتابعين في تفسير الميزان أفاد منها ، فقد استعان الطباطبائي بقسم من الموقوفات التي هي (ما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم أو أفعالهم ونحوها فيتوقف عليهم ولا يتجاوز به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) [٤].

مثاله :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ . يقول المفسر : ومعناه فعلم ما في قلوبهم من صدق النية وإخلاصها في مبايعتهم لك ، فقوله ﴿ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ تفريع على قوله تعالى :

١ـ كاصد الزيدي ، منهج الطوسي في تفسير القرآن ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ١٩٧٤م _ رسالة دكتوراه _ مخطوط _ ص : ٥٥.

٢ـ انظر الشيخ الطوسي ، تفسير التبيان ، تحقيق أحمد حبيب العاملي ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي ٢٤٦/١ ، ٢٩٠ ، ٣٨١ ، ٢٧٨/٦ ، ٤٠٦ ، ٤٤٨ لا على سبيل الحصر . وانظر مجمع البيان : ٢١٤/٤ ، ٣٠١ ، ٤٥٩ ، ١٥٠/٥ ، ٢٩٨ ، ٥١١ ، لا على سبيل الحصر.

٣ـ انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، ص : ٩٥.

٤ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، ص : ١٨.

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ ﴾ فإن العمل إنما يكون مرضيًّا عند الله لا بصورته وهيئته بل يصدق النية وإخلاصها .

ثم ذكر لذلك ما روي عن ابن عباس في الدر المنثور قوله : ((إنَّما أنزلت السكينة على من علم منه الوفاء)) [1].

ومثال آخر :

في تفسير قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۞ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

يقول الطباطبائي ((ولدينا مزيد)) أي ولهم عندنا ما يزيد على ذلك _ على ما يفيده السياق _ وإذ كان لهم كل ما أمكن أن تتعلق به مشيتهم مما يتعلق به علمهم من المطالب والمقاصد فالمزيد على ذلك أمر أعظم مما تتعلق به مشيتهم لكونه فوق ما يتعلق به علمهم من الكمال)

ثم ذكر لذلك ما روي عن أنس بن مالك في الدر المنثور قوله في (ولدينا مزيد) قال : يتجلّى لهم الرب عز وجل [2] .

واستعان كذلك بالمقطوع من الأخبار الذي (هو غير المنقطع .. ويقال في جمعه المقاطع والمقاطيع وهو ما جاء من التابعين موقوفًا عليهم من أقوالهم أو أفعالهم) [3] .

مثاله : في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ .

ذكر المفسر معنيين للمسجور :

١ _ السجر تهييج النار وذلك عن الراغب الأصفهاني في المفردات .

٢ _ المسجور المملوء يقال سجرت التنور أي ملأتها نارًا .

وهذا منقول عن مجمع البيان .

---

[1] ـ انظر الميزان : ٢٨٥/١٨ ، ٢٩٢ ، الفتح : ١٨ ، الدر المنثور : ٧٤/٧.

[2] ـ انظر الميزان : ٣٥٥/١٨ ، ٣٥٨ ، ق : ٣٤ _ ٣٥ ، الدر المنثور : ١٠٨/٦.

[3] ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، ص : ١٩.

وأوضح بأن الآية فسرت بكلا المعنيين . ثم ذكر رواية عن قتادة تفيد أن البحر المسجور هو المملوء [1].

مثال آخر :

ذكر المفسر تأييداً لظاهر قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ۝ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ ما روي عن السدّي في الدر المنثور قوله : لو استغفروا وأقروا بالذنوب لكانوا مؤمنين ، وكيف لا يعذبهم الله تعالى وهم لا يستغفرون [2] .

إلى جانب ذلك تعرض الطباطبائي لجملة من هذه الأقوال بالمناقشة والتحليل ، لأنه لا يرى _ في الأصل _ حجية فيها ، ففي معرض تعليقه على كلام منسوب إلى ابن عباس يقول:(وأما انتساب القول إلى ابن عباس فعلى تقدير ثبوته لا حجية فيه)[3] .

وقد رد المفسر ما نسب إلى ابن عباس من أن القرية في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّه فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ هي مكة ، وذلك لأنَّ سياق الآيات يدفعه ويلائم كونه مثلاً عامًا مذكورًا توطئة وتمهيدًا لما ستذكره الآيات من حلال الأكل وحرامه ، والنهي عن تشريع الحلال والحرام بغير إذن الله [4] .

---

[1] ـ انظر الميزان : ٧/١٩_٨ ، الطور : ٦ ، المفردات للراغب : ص ٢٢٤ ، مجمع البيان ١٦٣/٥.

[2] ـ انظر الميزان : ٦٨/٩ ، ٧٢ ، ٨٤ ، الأنفال : ٣٣ ، الدر المنثور : ١٨١/٣.

[3] ـ انظر الميزان : ١٤٢/١٣ ، وممن سبق إلى هذا ، البغوي الفراء في تفسيره (معالم التنزيل) على هامش تفسير الخازن ، مصر مطبعة التقدم العلمية ١٣٣١هـ ، ط١ فقد رد على ابن عباس (٩٦/١) ، وعلى ابن مسعود (١٢٨/٢) ، وعلى الحسن البصري (١١/٥) أقوالهم . وانظر للفائدة (محمد إبراهيم شريف ، البغوي ومنهجه في التفسير ، كلية دار العلوم ، رسالة ماجستير ، مخطوط ، ١٩٧٣م ، ص ٢٠٦ _ ٢٠٩).

[4] ـ انظر الميزان : ٣٦٢/١٢ ، النحل : ١١٢ ، انظر مجمع البيان : ٣٩٠/٣.

وردَّ كذلك ما روي عن قتادة في الدر المنثور من حمله العهد والميثاق في قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ ينقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ على ما يدور بين الناس من قبيل هذه العهود والمواثيق، فقال : إن السياق يخالفه ، وظاهر هذا السياق أن جملة لا ينقضون الميثاق عطف تفسيري على جملة الذين يوفون بعهد الله . فالمراد بالميثاق الذي لا ينقضونه هو عهد الله الذي يوفون به ، والمراد بهذا العهد والميثاق بقرينة ما ذكر في الآية السابقة : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ من تذكرهم هو ما عاهدوا به ربهم وواثقوه بلسان فطرتهم أن يوحدوه ويجروا على ما يقتضيه توحيده من الآثار فإن الإنسان مفطور على توحيده تعالى وما يهتف به هذا التوحيد ، وهذا عهدٌ عاهدته الفطرة وعقد عقدته [1].

والذي يتضح مما سبق أن المفسر لم يرفض أقوال الصحابة والتابعين في تفسير القرآن الكريم إلاّ أنَّه يعتقد بأنها فاقدة للحجية بذاتها وتبقى خاضعة للرأي والمناقشة كأي نصٍّ آخر ، ولكنه يعدُّها ويقدمها على غيرها من نصوص المفسرين وغيرهم ، ولعل السبب في ذلك قربهم من عصر النزول الأمر الذي يسمح لهم بالاطلاع على القرائن الحالية ، وأسباب النزول ، والاستعارات ، والكنايات ، التي هي من قبيل القرائن الحالية ، إلى غير ذلك من العوامل التي يكون فيها الاقتراب من عصر النزول سببًا في فهم النص القرآني ، ويتجلى هذا الاعتبار بشكل واضح في موقفه مما روي عن الصحابة والتابعين من أسباب النزول التي سيأتي الكلام عليها فيما بعد .

ولا يفوتنا أن نؤكد هنا أن المفسِّرَ يضعف الروايات في ضوء متونها غالبا . فقد ضعف روايات وردت عن أئمة أهل البيت ، إمَّا لعدم تأييد القرآن لمضامينها أو

---

[1] ـ انظر الميزان : ٣٤٢/١١ ، ٣٤٨ ، الرعد : ١٩_٢٠ . وانظر الدر المنثور : ٥٦/٤ . وانظر الميزان : ٢٧١/٢ ، ٢٢٤/٦ ، ٢٨٨/٨ ، ٤٩/١٠ ، ١٦٧/١١ ، ٦/١٢ ، ١٤٠/١٣ ، ٣٢٩/١٤.

لاضطراب في متونها أو في معانيها [1] ، وقد عد المفسر مجموعة من الأخبار عن أئمة مذهبه أنها من التطبيق دون التفسير وإن كانت في حق أئمة المذهب .

منها ما ذكره المفسر عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه سُئِلَ عن قول الله عز وجل : ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾ فقال : هو مثل ضربه الله لنا فالنبي والأئمة من دلالات الله وآياته التي يهتدى بها إلى التوحيد ومصالح الدين وشرائع الإسلام والسنن والفرائض .

وعلق عليها بقوله : (الرواية من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق ، وقد وردت عدة من الأخبار من طرق الشيعة في تطبيق مفردات الآية على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) وهي من التطبيق دون التفسير) [2].

والذي دفعني أن أسجل هذه للمفسر مؤخَّرًا ذلك لبيان موقفه من آحاد السنة النبوية غير المحفوفة بالقرائن القطعية ما عدا الأحكام العملية ، ومنها أيضا أقوال أئمة أهل البيت التي لم تثبت قطعية صدورها عنهم ، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين . فإنه يتعرض لها جميعها بالمناقشة والتحليل والعرض على الكتاب .

---

[1] - انظر الميزان : ٨١/٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٨٥/١١ ، ١٦/١٨ ، ٢٦٠.

[2] -انظر الميزان : ١٤١/١٥ وما بعدها ، ٦٩/١٨ ، انظر روضة الكافي للكليني ، ١٣٨٩هـ ، ط٢ ، ص : ٣٨٠ . يعتبر المفسر التطبيق من قبيل الباطن أو الإشارة إلى بعض المصاديق ، والمعتمد لديه في التفسير ما يظهر من ظاهر اللفظ ولغة الآية . وفي الواقع أن مسألة تضعيف الروايات والأخبار تمثل عموم الموقف لدى الإمامية الاثني عشرية من الأحاديث الواردة في جوامعهم الحديثية والمعروفة بالكتب أربعة : ١ _ الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني ٢ _ من لا يحضره الفقيه لمحمد بن علي بن بابويه القمي ٣ _ تهذيب الأحكام ٤ _ الاستبصار ، وكلاهما لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، فما تحمله هذه الكتب من أحاديث وأخبار خاضعة للجرح والتعديل والتثبيت وليس هناك من يقول بصحة كل ما ورد في هذه الكتب إلا بعض الإخباريين من الشيعة ، ولقد قامت محاولات =عدة لدراسة متون هذه الأحاديث وأسانيدها ولعل (معجم رجال الحديث) للإمام السيد أبي القاسم الخوئي أشهر هذه الدراسات ، وعلى أية حال فلم تسم هذه الكتب صحاحا لما فيها من غير الصحيح.

٥ _ رفضه للإسرائيليات :[١]

لم تكن الرواية الإسرائيلية حديثة عهد بالتفسير،فقد أقحمت فيه منذ عصر الصحابة ذاته (حتى أن بعض الصحابة نقل عن الإسرائيليين ، روي أن عبد الله بن عمرو بن العاص أصاب في واقعة اليرموك حمل زاملتين من كتب أهل الكتاب)[٢] .

وذلك للوشائج القريبة بين ثقافات الأديان السابقة على الإسلام من يهودية ونصرانية على وجه التخصيص ، فضلاً عن أن العرب _ كما يقول ابن خلدون _ لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوقوا إلى شيءٍ من أسباب المكونات وبدء الخليقةو أسرار الوجود،فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم[٣].

وللقصة كذلك أثرها الكبير في الترويج لقبول الإسرائيليات بين المسلمين ، وكان القصاصون يغرفون من المرويات الإسرائيلية غير أنَّ هذا القصص كان عرضة للزيادة والنقص مما كان يباعد بينه وبين ما جاء في القرآن[٤].

---

[١]- يقول الدكتور السيد أحمد خليل : (إن هذه الكلمة _ يقصد الإسرائيليات _ يهودية الأصل وقد غلبت على كل ما نقل من اليهودية إلى الإسلام وما نقل عن الأديان الأخرى ولكنها خصت بهذا الاسم لان أغلب ما نقل عن اليهودية والأديان الأخرى كان طريقه غالبا أولئك الإسرائيليون ... وقد دخل قسم منهم الإسلام فكثرت أحاديثهم التي نقلوها من اليهودية كالتوراة وتأثره بالنقل منهم كثير) نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن . الاسكندرية ط١ سنة ١٣٧٣هـ ص : ٣٧ . والى هذا المعنى أشار الدكتور محمد حسين الذهبي في (التفسير والمفسرون) ١٦٥/١.

[٢]- ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير ص ٩٨ ، ويقول الدكتور محمد حسين الذهبي (نستطيع أن يقول : إن دخول الإسرائيليات في التفسير ، أمر يرجع إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم) التفسير والمفسرون ١٦٩/١.

[٣]- ابن خلدون ، المقدمة ، ٧٩٣/٤ _ ٧٩٤ . ومما سهل ذلك الإقحام اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل ، ولما عليه من الإيجاز . والبسط والإطناب في التوراة والإنجيل (التفسير والمفسرون ١٦٩/١).

[٤]- د . الشحات السيد زغلول ، الاتجاهات الفكرية في التفسير ، الاسكندرية ١٣٩٧ ، ط٢ ، ص : ٢٤٩.

وكان لاعتمادهم الكبير على النقل دون الترجيح والموازنة أثر كبير في دخول الغث والسمين ، فالحركة الأولى في تفسير القرآن كان يعتمد فيها على النقل وليس ثمة مجال للعمل الفكري الذي ينفي ويثبت ، وإنما الأمر مرده إلى الرواية المحضة [1] .

بعد هذا كله لابد من أن نعرف موقف الطباطبائي من هذه الدواعي والأسباب التي شجعت هذا الإقحام الإسرائيلي في تفسير القرآن .

فقد أرجع المفسر السبب في ذلك إلى أمرين :

١ _ القصة وأثرها في الرواة والمفسرين من السلف .

٢ _ الإفراط في الركون إلى الآثار وقبول الحديث كيفما كان وإن خالف صريح العقل ومحكم الكتاب .

فعن القصة وأثرها يقول :

إنَّ القصة مما اعتنى به أهل الكتاب كما يستفاد من رواياتها ، وقد بالغ المسلمون في أخذ الرواية وتوسعوا فيه وأخذوا ما عند غيرهم ، بخاصة قد اختلط بهم قوم من علماء أهل الكتاب كوهب بن منبه وكعب الأحبار .

وأوضح المفسر : أن القصص القرآني يقتصر على مختارات من النكات الهادفة دون أن يبسط القول فيها وهذا على العكس مما عند أهل الكتاب من قصص ، حتى جاء المفسرون من السلف فراموا اتصال الآيات بضم المتروك من أطراف القصص إلى المختار المأخوذ منها لتصاغ بذلك قصة كاملة الأجزاء مستوفاة الأطراف [2] .

---

[1] ـ د . أحمد خليل ، نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن ، ص : ٣٥.

[2] ـ الميزان : ١٣/٢٩١_٢٩٢ ، ١٧/١٥٩ ، وقد توقف المفسر من أغلب ما روي عن كعب الأحبار ووهب بن منبه.

وقد نعى المفسر على الركون التام إلى الآثار وقبول جميع المرويات من غير نظر وتمحيص حتى دخل من الإسرائيليات ما يمس العقيدة وعصمة الأنبياء والمخالف لصريح العقل والنقل الصحيح [1].

وينبغي أن نذكر أنَّ موقفه من المرويات هو موقف الناقد الحصيف فلا يأخذ بها إلاَّ بعد عرضها على الكتاب . فإن وافقته ، ولم يوجد المعارض لها الموافق للكتاب ، أخذ بها وإلاَّ ردَّها [2] .

وقد حذر من هذه الإسرائيليات ونبه على أن جملة من المفسرين ركنوا إلى المأثور دون نظر فيه فوقعوا في الإسرائيليات وامتلأت تفاسيرهم بها ولم يروا لمعارف الدين محتدًا وراء الحس ، ولا للمقامات المعنوية الإنسانية كالنبوة والولاية والعصمة والإخلاص أصلاً إلاَّ الوضع والاعتبار نظائر المقامات الوهمية الاعتبارية الدائرة في مجتمع الإنسان الاعتباري التي ليست لها وراء التسمية والمواضعة حقيقة تعتمد عليها وتطمئن إليها ، فيقيسون نفوس الأنبياء الكرام على سائر النفوس العامية [3] .

ففي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ .

ذكر المفسر : أن معناها عند بعض المفسرين : أنها همت بالفاحشة وأنه هم بمثله ، لولا أن رأى برهان ربه لفعل ، ونسب ذلك إلى ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والحسن وغيرهم ، ثم علق عليها بقوله : (لكن هؤلاء المتعلقين بهذه الأقوال المختلفة والإسرائيليات والآثار الموضوعة إذ يتهمون جده إبراهيم (عليه السلام) في زوجته ساره ، لا يبالون أن يتهموا نجله (عليه السلام) في زوجة غيره .

---

[1] - الميزان ١٣٣/١١ _ ١٣٤.

[2] - يراجع التفسير بالسنة في هذه الرسالة.

[3] - انظر الميزان : ١٣٤/١١ ، تفسير الطبري : ٣٤/١٦ _ ٣٩.

وأضاف : أنه لو وقعت من يوسف (عليه السلام) أدنى زلة لنعيت عليه في القرآن الكريم وذكرت توبته واستغفاره ، كيف وقد أُثني عليه وسمي مخلصًا [١] .

وعلى هذا السبيل نفسه وانطلاقًا من الاعتقاد بعصمة الأنبياء رد المفسر ما روي بطرق عديدة عن ابن عباس وجمع من التابعين أسطورة الغرانيق ، باعتبار أن الأدلة القطعية على عصمة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تكذب متن هذه الروايات ولما فيها من انتساب أقبح الجهل وأشنعه إليه (عليه الصلاة والسلام) [٢] .

وأمَّا قصة سليمان (عليه السلام) ، والسحر والشياطين وما كثر من الروايات حولها فقد عدها المفسر من صنع اليهود ، وأنها من جملة القصص الواردة في عثرات الأنبياء (عليهم السلام) المذكورة في كتبهم [٣] .

وعن الحية والطاووس يقول المفسر : (وفي بعض الأخبار ذكر الحية والطاووس عونين لإبليس في إغوائه إياهما يعني _ آدم وحواء _ لكنها غير معتبره أضربنا عن ذكرها وكأنها من الأخبار الدخيلة ، والقصة مأخوذة من التوراة) [٤] .

ومما يمتاز به هذا التفسير أن المفسر يهتم بترك الصوارف التي تصرف المفسر عن وظيفته الأساسية في التفسير وهي كشف المراد من آيات الكتاب الكريم ، وقد أسهم اهتمامه هذا في عدم اعتنائه بالروايات التي تهتم بأخبار لا طائل تحتها في عملية التفسير ، التي قد تنطوي على قسم من الإسرائيليات والأخبار الموضوعة .

ففي قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء{٢٤} تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾ .

أشار المفسر إلى أن الكلمة الطيبة والشجرة والحين اختلف المفسرون في تعيينها ، وبعد أن بين معانيها المتبادرة من ظواهر ألفاظها علق عليها بقوله : (والاشتغال

---

[١] ـ انظر الميزان : ١٣٢/١١ ، وما بعدها ، يوسف : ٢٤ ، انظر الدر المنثور ١٣/٤_١٤.

[٢] ـ انظر الميزان : ٣٩٦/١٤.

[٣] ـ انظر الميزان : ٢٣٨/١ وما بعدها.

[٤] ـ انظر الميزان : ١٤٠/١.



بأمثال هذه المشاجرات مما يصرف الإنسان عما يهمه من البحث عن معارف كتاب الله والحصول على مقاصد الآيات الكريمة وأغراضها) [١] .

وعلى هذا المنوال أعرض المفسر عن ذكر مجموعة من الروايات المتعلقة بقصة يوسف (عليه السلام) وخزائن الأرض وعلاقته بملك مصر فقال : (والروايات في هذا المقام كثيرة أغلبها غير مرتبطة بغرض تفسير الآيات ، ولذلك تركنا نقلها) [٢] ولم يتردد المفسر في رفض الإسرائيليات حتى لو كانت مروية في كتب الشيعة أو كان في منتهى إسنادها عدة من الصحابة .

وهذا ما حصل في قسم من قصة هاروت وماروت ، ورماها المفسر بأنها قصة خرافية تنسب إلى الملائكة المكرمين _ الذين نص القرآن على نزاهة ساحتهم وطهارة وجودهم _ أقبح المعصية وأغلظ الشرك [٣] .

وحتى لو نسب القول إلى صحابي كعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وابن عباس مثلاً فهو يرفضه حين يتسلط على عصمة الأنبياء ، فنزه المفسر يوسف (عليه السلام) من كلام نسب إلى الصحابيين الجليلين ، ورمى الرواية بالوضع [٤] .

ولربما ينقل المفسر نصوصًا من التوراة والإنجيل ليقابلها بالقصص القرآني في الموضوع الواحد ويكشف ما بينها من الاختلاف حتى يسقطها عن الاعتبار ويظهر إفلاسها من الواقع ، وهذا في اعتقادي إنما يرومه المفسر لإسقاط الروايات المتضمنة لهذه المعاني الغريبة عن معطيات القصص القرآني ، لا سيما وأنه قد

---

[1] ـ الميزان : ٥١/١٢ ، إبراهيم ٢٤ _ ٢٥.
[2] ـ الميزان : ٢٠٦/١١ _ ٢٠٧.
[3] ـ الميزان : ٢٣٩/١ ، ١٦١/١٧ ، من هؤلاء الصحابة : ابن عباس وابن مسعود ، وعلي ، وأبو الدرداء ، وعمر ، وعائشة ، وابن عمر . (انظر تفسير الطبري ، ٤٢٧/٢ _ ٤٣٤ ، وانظر تفسير المنثور ، ٩٦/١ _ ١٠٣).
[4] ـ الميزان : ١٦٧/١١.

أشار إلى بعض الأخبار والقصص _ المروية في جوامع الحديث ومطولات التفاسير وقصص الأنبياء _ بأنّها معدلة عما ذكر في نفس التوراة .

ثم يذكر النصوص من التوراة ليسهل الوقوف على القصد في وضع هذه المرويات التي هي في حقيقتها من كتب أهل الكتاب .

ومثاله قصة داود (عليه السلام) وما ذكر من الروايات بشأن الحمامة التي وقعت في محرابه ، وعلاقته بامرأة أوريا بن حيان ثم الخصمين الذين تسوروا المحراب...

فقد ذكر المفسر الرواية من الدر المنثور ثم ذكر نصًّا من التوراة ليقابل بينهما وجه الشبه وعلق عليها : (والقصة _ يعني الرواية في الدر المنثور _ مأخوذة من التوراة غير أن التي فيها_ يعني التوراة _ أشنع وأفضح فعدلت بعض التعديل) [1].

والذي يستفاد مما تقدم أن المفسر يحتكم إلى العقل ، والمسلمات الإسلامية وما تسوقه إليه المعاني التي يقف عليها من خلال معطيات النصوص القرآنية وذلك في رفضه الإسرائيليات .

[1]ـ انظر الميزان : ١٩٨/١٧ وما بعدها ، وانظر الدر المنثور ٣٠٠/٥ _ ٣٠٤ ، للاطلاع : أنظر الميزان : ٣٦٨/١٥ ، وما بعدها و ٤٤/١٦.

الفصل الثالث

الجانب العقلي في الميزان

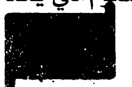


الجانب العقلي في الميزان

سلك المفسر _ فضلاً عن منهجه الأثري _ مسلكًا عقليًا كانت رؤاه واستنباطاته واضحة فيه ، ويعرف ذلك بالرأي الذي يطلق على الاعتقاد والقياس والاجتهاد ، ويراد به هنا _ كما أسلفنا _ الاجتهاد ، فإن لم تحكم هذا الاجتهاد القواعد الشرعية واللغوية والعلمية الحقة [١] يكن ضربًا من الهوى والاستحسان وهو المنهي عنه في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) [٢] .

وتعرض الطباطبائي من جانبه إلى هذا الحديث وبيّن أن المقصود بذلك هو القول بغير علم [٣]، وقد روي هذا المعنى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار) [٤] ، أضاف المفسر : أن هذا النهي يرد على من يفسر القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي فيقيس كلامه تعالى على كلام الناس ، وقد نهى الله تعالى عن القول بغير علم،﴿ **وَلاَ تَقْفُ** مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾وقال تعالى أيضًا:﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** ﴾ ، ولا يشمل حديث النهي ، التفسير العقلي إذا روعي فيه ما يحتاجه المفسر من الأدوات اللازمة في التفسير [٥] كالإحاطة باللغة والتاريخ وعلوم القرآن والفقه وأصوله والعقائد وعلوم أخرى [٦] .

١ـ انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ، ٢/٥٩_٦٠ ، (شروط التفسير بالرأي).
٢ـ انظر سنن الترمذي ، أبواب تفسير القرآن ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه.
٣ـ انظر الميزان : ٣/٨٠.
٤ـ انظر سنن الترمذي ، أبواب تفسير القرآن ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه.
٥ـ انظر الميزان : ٣/٥٧_٨١ ، الإسراء : ٣٦ ، النساء : ٤٦.
٦ـ انظر الإتقان للسيوطي ٤/٢١٣_٢١٥ (العلوم التي يحتاجها المفسر).



وتستدعينا هنا وقفة قصيرة لمعرفة نظرة الطباطبائي للعقل :

١ _ ذكر المفسر أن في القرآن ما يزيد على ثلاثمئة آية تتضمن دعوة الناس إلى التفكر أو التذكر أو التعقل ، أو تلقّنُ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحجة لإثبات حق أو لإبطال باطل كقوله تعالى : ﴿ ومنْ آياته يُريكمُ البرق خوفا وطمعا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي به الأرْض بعْد موْتها إنّ في ذلك لآيات لقوْم يعْقلون ﴾ ، وحكاية قول لقمان لابنه : ﴿ وإذْ قال لقْمانُ لابْنه وهو يعظه يا بُنيّ لا تُشرك بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قالت رُسلُهم أفي الله شك فاطر السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ كما أشار المفسر المفسر إلى أن الله تعالى لم يأمر في كتابه العزيز ، ولا في آية واحدة أن يؤمنوا به أو بشيء من عنده إيمانا أعمى ، أو يسلكوا على العمياء وهم لا يشعرون ، حتى أنه سبحانه أحاطنا بما يفهم معنى العلل التي تجري مجرى الاحتجاجات لجملة من الأحكام والشرائع كقوله تعالى ﴿ إن الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفحْشاء والْمنكر ولذكْرُ الله أكبر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ما يريد اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ولكن يُريدُ ليُطهّركمْ وليتم نعمته عليكم لعلكم تَشْكُرُونَ ﴾ [1] ، كما أشار المفسر إلى أن الله سبحانه ذم التقليد الساذج في موارد كثيرة من كتابه العزيز [2] .

٢ _ ذكر المفسر أن القرآن دعا إلى استعمال الطرق العقلية الصحيحة فقال تعالى ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ۞ الَّذِينَ يستمعُون القوْل فيتبعُون أحسنهُ أولئك الذين هداهم الله وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ . وأفاد المفسر منها أن أولي الألباب هم ذوو العقول ، وأن العقل هو الذي به الاهتداء إلى الحق وآيته صفة إتباع الحق [3] . كما استفاد ذلك أيضا من قوله تعالى: ﴿ ومن يرْغبُ عن ملّة إبْراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ [4] .

---

[1] ـ انظر الميزان : ٢٥٥/٥ ، الروم : ٢٤ ، لقمان : ١٣ ، إبراهيم : ١٠ ، العنكبوت : ٤٥ ، المائدة : ٦.

[2] ـ انظر الميزان : ٤٢١/١ _ ٤٢٤.

[3] ـ انظر الميزان : ٢٥٨/٥ ، ٢٥١/١٧ ، الزمر : ١٧ _ ١٨.

[4] ـ انظر الميزان : ٣٠٠/١٠ ، البقرة : ١٣٠.

وأيد هذا المعنى في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ فقال : أريد بالعقل الالتزام بمقتضى ما يدعون إليه من الحق بتعقله والاهتداء العقلي إلى أنه حق ومن الواجب أن يخضع الإنسان للحق ، ومما تفيده الآية هو وجوب تعقل الحق وإلاّ كان سببا مباشرا لدخول جهنم [١] .

وقد رد الطباطبائي على ما قيل : من أن المنطق لو كان طريقا موصلا لم يقع الاختلاف بين أهل المنطق ، فبين أن الخطأ إنما وقع في استعمال المنطق وليس في المنطق نفسه ، فالمنطق آلة الاعتصام عن الخطأ ، وذلك كالسيف فإنه آلة القطع ولكن لا يقطع إلاَّ عن استعمال صحيح [٢].

تتضح مما تقدم مكانة العقل عند الطباطبائي ، واهتمامه به بوصفه مما يتبع به دين الله . ولابد من أن يكون لهذا الاهتمام بالعقل من المفسر أثر في منهجه وهو ما سنتناول موارده في هذا الفصل فيما يأتي :

١ _ مناقشته لأقوال المفسرين وإدلاؤه برأيه .

٢ _ النزعة العلمية لدى الطباطبائي في التفسير ، وتتوزع على مستويين :

أ _ موقفه كمفسر من النظريات العلمية الحديثة .

ب _ الجانب الفلسفي في الميزان .

٣ _ النزعة الاجتماعية في الميزان .

٤ _ موقفه من الغيبيات والمبهمات في القرآن الكريم .

٥ _ الطباطبائي والتفسير بالباطن .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مسلكه في العقائد ولو أنه يعد من منهجه العقلي لما ينطوي عليه هذا المسلك من نظر وتدبر ، إلاّ أن هذه العقائد لسعتها واستقلالها عقدنا لها فصلاً مستقلاً تحت عنوان :(الطباطبائي وعقائد الإمامية).

---

[١]ـ انظر الميزان : ٣٥٣/١٩ ، الملك : ١٠.

[٢]ـ انظر الميزان : ٢٥٦/٥.



١ـ مناقشته لأقوال المفسرين وإدلاؤه برأيه :

تتجلّى في الميزان ظاهرة هي غاية في الوضوح والشمول ، فقارئ الميزان تطالعه على الدوام آراء المفسرين السابقين وأقوالهم ، فما يكاد يتنقل بين نصوصهم وأقوالهم في تفسير آية ما حتى تطالعه أقوال أخرى لمفسرين آخرين في آية ثانية ، يتعرض لها المفسر إما لزيادة في وضوح المعنى ، أو لأجل مناقشتها والرَدِّ عليها ، وقد تكلمنا على شيء من ذلك عارضين أمثلة متعددة لمناقشته أقوال المفسرين ، وقد يصرح المفسر بأسماء هؤلاء المفسرين [١] وقد لا يصرح بأسمائهم مشيراً إليهم بعبارات مختلفة مثل : ذكر جمع من المفسرين [٢] وذكر بعض المفسرين [٣]، وكقول بعضهم [٤] ، وما ذكره آخرون [٥] ، وما ذكره بعض الناس [٦] ، وذكره جماعة من المفسرين [٧] وقال قوم [٨] وذكره جمهور المفسرين [٩] ، وذكر الجمهور [١٠] ، وقول آخرين [١١] وقد ذكر جمع من مفسري السلف [١٢] وما في بعض التفاسير [١٣]، وقوله : (ربما قيل)[١٤] وهو للضعيف .

والكلام هنا يقع على قسمين :

١ـ انظر ص ٥٤ _ ٧٦ من هذه الرسالة.
٢ـ انظر الميزان : ٤٥/٢ ، ٣٨/٥.
٣ـ انظر الميزان : ١٣٥/٤.
٤ـ انظر الميزان : ٩٩/٥.
٥ـ انظر الميزان : ١٢٦/٢.
٦ـ انظر الميزان : ٣٤٨/١.
٧ـ انظر الميزان : ٢٦٨/٤.
٨ـ انظر الميزان : ١١/٢.
٩ـ انظر الميزان : ١٢/٨.
١٠ـ انظر الميزان : ٣٦٥/١٢.
١١ـ انظر الميزان : ٢٥/١٢.
١٢ـ انظر الميزان : ١٦٩/٦.
١٣ـ انظر الميزان : ١٣٦/٤.
١٤ـ انظر ص : ١٤٧ _ ١٥٩ من هذه الرسالة.

١ _ اسس الترجيح في مناقشته هذه الأقوال .

٢ _ أسلوبه في التعبير عن الترجيح بين الأقوال .

فأما عن أسس الترجيح فان الطباطبائي لم يرجِّح قولاً على آخر أو يرفضه إلاّ ومعه علته ، وقد يتوسع في بيان وجه هذا الرفض أو ذلك الترجيح ، ولربما يكتفي بالإشارة إليه موكلاً للقارئ مقارنته مع ما قدمه المفسر نفسه من بيان ووجه ارتضاه في الآية .

ولكن على أي أساس يتم رفضه وقبوله لهذه الآراء ؟

لقد استند المفسر في ذلك إلى :

أ _ القرآن الكريم والمعاني التي يخلص إليها من خلال قاعدته الأساس في التفسير (تفسير القرآن بالقرآن) .

ب _ وحدة السياق في الآيات .

ج _ الأسس الاعتقادية .

ونتعرض هنا لبيان هذه الأسس فيما يأتي :

أ _ اعتمد المفسر على آي الكتاب العزيز في استنطاق بعضها للبعض الآخر ، وهذا شائع في تفسيره (الميزان) وسبق أن تكلمنا عنه [1] ففي مواجهة أقوال المفسرين اعتمد الطباطبائي أساسًا على القرآن الكريم في قبولها أو رفضها .

مثال :

ردّ المفسر على من قال بإبطال السيئة للحسنة وإسقاطها عن التأثير بصورة عامة [2] واستند في ذلك إلى قوله تعالى : وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً

---

[1] ـ انظر الميزان : ٢٥٦/٥.

[2] ـ ذكر الشهرستاني هذا المعنى منسوبا إلى هشام بن عمر الفوطي المعتزلي (ت ٢٢٦هـ) إذ قال : (من أطاع الله جميع عمره ، وقد علم الله أنه يأتي بما يحبط أعماله ولو بكبيرة لم يكن مستحقا للوعد ، وكذلك على العكس) انظر الملل والنحل : ٧٣/١ . كما ذكر الشهرستاني : أن (الجبائية والبهشمية) من المعتزلة يقولون : من ارتكب كبيرة فهو في الحال يسمى=

صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ باعتبار أن الآية ظاهرة في اختلاف الأعمال وبقائها على حالها إلى أن تلحقها توبة من الله سبحانه وهو ينافي التحابط بمعنى إبطال السيئة لأثر الحسنة بشكل عام . كما أن هناك آيات كثيرة تفيد بأن الجزاء على الحسنة يكون على حدة ، وعلى السيئة كذلك ، إلاّ في بعض السيئات من المعاصي الكبيرة كالارتداد قال تعالى : ﴿ ومن يرْتَددْ منكُمْ عَن دِينِه فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حبطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيا والآخرة وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ وكالكفر بآيات الله والعناد فيه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بغيْر حَقٍّ ويقْتُلون الَّذين يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بعَذَابٍ أَلِيمٍ۞ أولَـئك الّذين حبطتْ أعْمَالُهمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ ، وكالمشاقّة مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كفرُوا وصدُّوا عَن سَبِيلِ اللّهِ وشاقّوا الرّسُول من بعْد ما تبيَن لَهُمُ الهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ۞ يا أيُّها الّذين آمنُوا أطيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ .

وكرفع الصوت فوق الصوت النبي قال تعالى: ﴿ يا أيُّها الّذين آمنُوا لا ترْفعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كجهْر بعْضكُمْ لبعْض أن تحْبط أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ . نعم هناك آيات كثيرة وردت في إبطال الحسنة للسيئة لا العكس كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحسنات يُذْهبْن السَّيِّئات ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فأولَـئك يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾[1].

=فاسقا لا مؤمنا ولا كافرا وان لم يتب ومات عليها فهو مخلد في النار) (انظر الملل والنحل : ٨١/١)

[1] ـ انظر الميزان : ١٧٠/٢ _ ١٧٣ . والتوبة : ١٠٢ ، البقرة : ٢١٧ ، آل عمران : ٢٢ ، محمد : ٣٢ _ ٣٣ ، الحجرات : ٢ ، هود : ١١٤ ، الفرقان : ٧٠.

مثال آخـر :

وعلى من قال : إن توبة فرعون إذ أدركه الغرق لم ترد وليس في القرآن ما يـدل على هلاكه الأبدي [1] . رد المفسر مستدلا بقوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ ﴾ . وأوضح المفسر : أن الندامة حينئذ ندم كاذب يسوقه النادم لمشاهدته وبال الذنب ونزول البلاء .

وأضاف قائلا : لو كان كل ندم توبة وكل توبة مقبولة لدفع ذلك قوله تعالى حكاية لحال المجرمين يوم القيامة : ﴿ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الحاكية لندمهم على ما فعلوا وسؤالهم الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحا ، ويرد عليهم بأنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون[2] .

مثال آخر : رد المفسر على ما قيل في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾ من أن المراد بالحياة بقاء الاسم والذكر الجميل على مر الدهور ، وليست الحياة الحقيقية . فذكر الطباطبائي أن ذلك لا يناسبه آخر الآية وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾ بل كان المناسب له أن يقال مثلاً: بل أحياء ببقاء ذكرهم الجميل وثناء الناس عليهم بعدهم ، كما أن

---

[1] ـ من أمثال هذه التوبة ما روي عن ابن عباس : قال : إن قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يغفرُ أن يُشركَ بهِ ويغفرُ ما دُونَ ذلكَ ﴾ . النساء : ١١٦ يفيد انه تعالى حرم المغفرة على من مات وهو كافر ، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته فلم ييئسهم من المغفرة (انظر تفسير الطبري : ١٠١/٨ ، الدر المنثور : ١٣١/٢) كما روي عن عبد الله بن عمرو قبول التوبة حتى لو كان بينها وبين الموت (فواق) وهو فواق الناقة وأصله الوقت بين الحلبتين إذا فتحت يدك وقبضتها ثم أرسلتها عند الحلب ، وهذا مما يريدون به الزمن القليل القصير ،(انظر تفسير الطبري ١٠٠/٨) .ومن استنباطات الرازي العقلية في بيان أنواع التوبة قال : الذين لم يجزم الله تعالى بقبول توبتهم أوردها هم الذين يعملون السيئات على سبيل العمد ثم يتوبون ، وقد تركهم الله تعالى إلى مشيئته حيث قال : ﴿ ويغفرُ ما دُونَ ذلكَ لمن يشاءُ ﴾ النساء : ١١٦. انظر مفاتيح الغيب ٨/١٠ ، ١٥٤/١٧ _ ١٥٧).

[2] ـ انظر الميزان : ٢٤٧/٤ . النساء : ١٨ ، سبأ : ٣٣.

ظواهر كثير من الآيات تصف حياتهم بعد القتل بما ينافي هذا المعنى كقوله تعالى : ﴿ ولاَ تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتلُواْ في سَبيلِ اللّه أَمْوَاتاً بلْ أَحْيَاء عند ربِّهمْ يُرْزَقُون ﴾ [1] .

ب _ وحدة السياق بين الآيات :

اعتمد المفسر في مناقشة كثير من الأقوال على سياق الآيات وقد عرضنا أثر السياق في مناقشة الأقوال فيما سبق [2] ونذكر هنا مثالا يوضح ذلك .

مثال :

عن مصير الرجل المؤمن الذي جاء يسعى من أقصى المدينة في قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يا ليْت قوْمي يعْلمُون ۞ بما غفر لي ربِّي وجعلني من الْمُكْرَمين ﴾ . أفاد المفسر أن القوم قتلوه فنودي من ساحة العزة أن أدخل الجنة كما يفيده السياق ، ويؤيده قوله تعالى بعده : ﴿ وما أنزلْنا على قومه من بعده من جند مِّن السَّمَاء وما كُنَّا مُنزلين ﴾ فوضع قوله تعالى : ﴿ قيل ادخُل الجنَّة ﴾ موضع الإخبار عن قتلهم إياه إشارة إلى أنه لم يكن بين قتله بأيديهم وبين أمره بدخول الجنة أي فصل وانفكاك كأن قتله بأيديهم هو أمره بدخول الجنة ، وعلى هذا فالمراد بالجنة جنة البرزخ دون جنة الآخرة .

وأما ما قيل إن القائل في (ادخل الجنة) هو القوم إذا قالوا له ذلك حين قتلوه ، استهزاءً به فقد رد المفسر هذا المعنى لأنه لا يناسب ما تقدم من معنى ، فهو لا يلائم ما أخبر الله سبحانه عنه بقوله بعد : ﴿ يا ليْت قومي يعْلمُون ۞ بما غفر لي ربِّي وجَعلني منَ الْمُكْرمين ﴾ فإن ظاهره أنه تمنى علم قومه بما هو فيه بعد استماع نداء (ادخل الجنة) [3] .

---

[1] ـ وهذا المعنى مستفاد مما روي من كلام الإمام علي عليه السلام : (هلك خزان الأرض والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة) . (انظر مجمع البيان للطبرسي : ٢٣٦/١) وانظر الميزان : ٣٤٥/١ _ ٣٤٧ ، والبقرة : ١٥٤ ، آل عمران : ١٦٩.

[2] ـ انظر ص ١٤٦ _ ١٤٨ من هذه الرسالة.

[3] ـ انظر الميزان : ٧٩/١٧ . يس : ٢٦ _ ٢٨.

جـ _ الأسس الاعتقادية :

اتفق المسلمون على أسس عقائدية نص عليها القرآن الكريم والسنة المشرفة ، وشجع عليها العقل ولم يدع إلى خلافها كتوحيد الله والاعتقاد بعدله سبحانه ، إلاّ أن الإمامية كغيرهم من الفرق الإسلامية كانت لهم نظرات في هذه الأصول الاعتقادية اختلفوا ببعض مواردها مع غيرهم من الفرق الإسلامية ، وقد عقدنا فصلاً مستقلاً عن (الطباطبائي وعقائد الإمامية) واتضح لنا كيف أن المفسر لم يخرج على أصل من أصول الإمامية بل دافع عنها جميعها مما أدى به ذلك إلى مخالفة جملة من المفسرين الذين لا يتفقون مع الإمامية في بعض المسائل الاعتقادية كمسألتي التوحيد والعدل الإلهيين فقد رد على المجسِّمة والمشبِّهة ، كما ناقش أهل الجبر والتفويض في مواضع كثيرة من الميزان بوصفه من العدلية ذات الوسطية بين الجبر والتفويض كما سيأتي بيانه فيما بعد ، وكمسألة العصمة ، وقد عرضت في كلامي عن موقف المفسر من الإسرائيليات شيئا من تعرضه للأقوال والآراء التي تمس عصمة الأنبياء إيمانا منه على أنها مسلمات يحتكم إليها دون مساس بأيٍّ منها.

الثاني : **أسلوبه في التعبير عن الترجيح بين هذه الأقوال :**

ظهر لي من قراءة الميزان أن المفسر يلتزم أسلوبًا في التعبير عن الترجيح بين أقوال المفسرين يكاد يكون شاملاً ملازمًا له على الدوام ، فبعد أن يكشف عن المراد في الآية يعرض أقوالاً لبعض المفسرين ثم يعطف النظر إلى ملاحظة هذه الأقوال بمقارنتها مع ما قدمه من معنى وبيان للآية لتأخذ نصيبها من التأييد أو الرفض ، فإذا كان بعضها موافقًا لما قدمه المفسر من البيان أشار إليه بأحد التعابير التي تدل على ذلك ، مثل : وأعدل الوجوه آخرها [1] وقوله : والوجوه الأربعة

---

[1] ـ الميزان : ١٠/١٩٠ _ ١٩٢.

مترتبة في الوجاهة وأوجهها أولها [1] وقوله : وأرجح الوجــوه المتقدمــة أولهــا وخامسها [2] وقوله : والوجوه الأربعة مختلفة في القرب من الفهم فأقربها ثالثها ثم الرابع ثم الأول[3] .

وفي مخالفة بعض هذه الأقوال لما قدمه من معنى في الآية الى ذلك بأحد التعــابير التي تدل عليه أيضا كقوله : وفي معنى الآية بعض وجوه رديئة أخرى منها .. [4] .

وفي مواضع أخرى يحاول المفسر أن يوقف القارئ على مــواطن الــضعف فــي الرأي الثاني بإثارته أشكل الوجوه عليه بعد أن يعــرض المفــسر المعنــى الــذي يرتضيه.

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ لا تكلّمُ نفسٌ إلاَ بإذْنه ﴾ . أوضح المفسر أنه لا اختيار للإنسان في تكلمه وإنّما منوط بإذن الله ومشيئته ، ثم يذكر قولاً لبعضهم في الآيــة ومعناه أنها لا تتكلم فيه إلاّ بالكلام الحسن المأذون فيه شرعاً ، لأن الناس مُلجؤون هناك إلى ترك القبائح فلا يقع منهم قبيح ، وقولاً آخر هو أنه لا يــتكلم أحــد فــي الآخرة بكلام نافع من شفاعة ووسيلة إلاّ بإذنه.

وقد أثار المفسر على الأول منهما أنه تخصيص من غير مخصص ، فاليوم لــيس يوم عمل حتى يؤذن فيه إتيان الفعل الحسن ، ولا يؤذن في القبيح ، والإلجاء الذي منشؤه كون الظرف ظرف جزاءٍ لا عمل ، لا يفرق فيه بين العمل الحسن والقبــيح مع كون كليهما اختياريين ، لأنَّ الحسن والقبح إنَّما يعنون بهما الأفعال الاختيارية ، ويقول تعالى : ﴿ هذا يَوْمُ لا ينطقون۞ ولا يُؤذَنُ لهمْ فيعْتذرُون وعليه فالإتيان بالأعذار ليس من الفعل القبيح في شيء .

1- الميزان : ٣٦٧/١٣.
2- الميزان :٨١/٢٠.
3- الميزان : ١٤٥/١٨ _ ١٤٦.
4- الميزان : ١٣٦/٥ _ ١٣٧ ، ٦/٤.



وعلى القول الثاني أثار أنه تقييد من غير شاهد عليه ، ولو كان المراد ذلك لكان من الحق القول _ لا تكلم نفس عن نفس ، أو في نفس إلاّ بإذنه _ كما وقع في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً ﴾ [1] .

من خلال هذه التطبيقات وما يماثلها في الميزان يمكن القول أيضا إن المفسر لم يلتزم بتقديم أو تأخير الوجه الذي يرتضيه في الأقوال التي يذكرها ، وإنَّما يذكرها جميعًا دونما ترتيب مطرد لديه ثم ينبه على صوابها أو خطئها وقد يطول وقوفه أحيانًا عند مناقشة الرأي الثاني .

٢ _ النزعة العلمية لدى الطباطبائي في التفسير :

نتكلم في هذه النزعة على مجالين :

أ _ موقف الطباطبائي _ كمفسر _ من النظريات العلمية الحديثة .

ب _ الجانب الفلسفي في الميزان .

أ _ موقفه من النظريات العلمية الحديثة في التفسير :

يقصد بهذا اللون من التفسير ما يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن الكريم وحملها على وجه يطابق ما وصلت إليه علوم العصر [2] وقد انقسم العلماء في بيان موقف المفسرين من العلوم الطبيعية والكونية وأمثالها منذ عصر مبكر إلى قسمين ، فعلى رأس المؤيدين من الأقدمين وقف الإمام أبو حامد الغزالي [3] وتابعه على ذلك السيوطي [4] .

وقد ازدهرت هذه المحاولات التوفيقية بين القرآن والعلم على أيدي باحثين محدثين ومعاصرين ، فمن مؤيدي هذا اللون من التفسير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

---

[1] ـ الميزان : ١٤/١٠ _ ١٥ ، هود : ١٠٥ ، المرسلات : ٣٥ ، الانفطار : ١٩ . ينظر الميزان : ٢٠٦/٨ _ ٢٠٧ ، ٥٨/١٠ _ ٦٠.

[2] ـ انظر التفسير والمفسرون للذهبي : ٤٧٤/٢.

[3] ـ انظر إحياء علوم الدين للغزالي ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى ، ٣٧٠/٤ _ ٣٨١ ، وانظر جواهر القرآن للغزالي ، مصر ، مطبعة كردستان العلمية ١٣٢٩هـ ، ط١ ، ص ٣١ _ ٣٤.

[4] ـ انظر الإتقان للسيوطي : ٢١٧/٢.

حيث نجده يقول : (ولعل متحققا بهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن وأحكم النظر فيه وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم .. لاستخرج منه إشارات كثيرة تومىء إلى حقائق العلوم ... وأن في هذه العلوم الحديثة لعونًا على تفسير بعض معاني القرآن والكشف عن حقائقه) [١] .

وقد وجدت محاولات كثيرة لشرح النظريات الحديثة في تفسير المنار [٢] ، وممَّنْ برع في ذلك أيضا الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره (الجواهر) الذي جاء مشبعا بالاستطرادات العلمية ، محاولاً انتزاع الوجه الدلالي من الآيات القرآنية على قسم من الحقائق العلمية أو استفادة هذه الحقائق من الآيات . كما حصلت محاولات عديدة أخرى لربط الآيات العلمية بالعلوم الحديثة[٣] .

ولكن فكرة التفسير العلمي هذه جوبهت بمعارضة شديدة عند بعض الأقدمين ، وكان على رأسهم أبو إسحاق الشاطبي حيث نجده يقول : إنَّ علوم اللغة العربية وعلم القراءات والناسخ والمنسوخ وما أشبه ذلك ، هي من الوسائل المطلوبة إلى فهم القرآن الكريم ، ولا يمكن أن يكون وسيلةً ، ما عده بعض الناس وسيلة لفهم القرآن كعلم الهيئة ، وما زعمه ابن رشد في كتابه (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) أن علوم الفلسفة مطلوبة إذ لا يفهم المقصود من الشريعة على الحقيقة إلاَّ بها [٤] .

ومن المحدثين الذين عارضوا وأنكروا هذا اللون من التفسير الشيخ أمين الخولي والأستاذ عباس العقاد والشيخ شلتوت وغيرهم [٥] .

---

[١]- انظر مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تحقيق محمد سعيد العريان . القاهرة ، مطبعة الاستقامة .١٩٤٠م ، ط٤ ، ص : ١٢٥.

[٢]- انظر تفسير المنار : ٩٢٩/٨ ، ٦٠/٩.

[٣]- انظر اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث للشرقاوي ، ص : ٣٧٢.

[٤]- انظر الموافقات في أصول الشريعة ، ٣٧٥/٣ _ ٣٧٦.

[٥]- انظر اتجاه التفسير في العصر الحديث لمصطفى الطير ، ص ٢٦١ _ ٢٦٢.

وفي خضم نزاع الرفض والقبول في التفسير العلمي بين المفسرين قد نكون بحاجة إلى الإجابة على القول الثاني : ما هو الموقف السليم من هذا التفسير ؟

في الواقع ، لا يمكننا أن ننزل القرآن العظيم بثبوت حقائقه منزل العلوم المتغيرة ، ولا نسرف في التأويلات المستكرهة للتوفيق بين النصوص القرآنية وبين العلوم الحديثة ، كما لا ينبغي أن يحملنا هذا على إنكار التفسير العلمي إنكاراً تامًّا فهناك إشارات قرآنية واضحة لحقائق علمية ثابتة [1] ، وهذه الإشارات إنَّما هي للحث على التأمل والبحث والنظر [2] .

ولكي ندع للقرآن عظمته وجلاله ونحفظ عليه قدسيته ومهابته فلا من بد أن نتجنب تلك الإقحامات العلمية في التفسير ، وبهذا الموقف المعتدل تجاه هذا اللون من التفسير والبعيد عن الإفراط في تحكيم المصطلح العلمي ، وغير المتجاهل للإشارات العلمية في القرآن الكريم ، نستطيع أن نترسم الاعتدال بهذا المسلك في التفسير .

بعد ذلك كله لابد أن نعرف أين وقف الطباطبائي من هذه النزعة العلمية في التفسير؟

يذكر الطباطبائي أن القرآن الكريم معجز من جميع الجهات ، فهو آية البليغ والفقيه والاجتماعي والعالم الحكيم ولجميع العالمين فيما لا ينالونه كالغيب والاختلاف في الحكم والعلم والبيان[3]. فالقرآن من الناحية العلمية فيه حث على التدبر والتأمل والنظر في ملكوت السموات والأرض ، والآفاق الإنسانية والكونية وغيرها [4]. وكذلك الإشارات العلمية التي تثيرها نصوصه لتأكيد أغراضه العقائدية ، هذا كله

---

[1] ـ انظر اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث للشرقاوي ، ص : ٣٧٥.

[2] ـ انظر تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت ، القاهرة ، مطبعة دار القلم ، ص : ٢٢ من المقدمة . وانظر القرآن المجيد للأستاذ محمد عزة دروزة ، ص : ١٩٠ _ ١٩٢.

[3] ـ انظر الميزان : ٦٠/١.

[4] ـ انظر القرآن في الإسلام للطباطبائي : ص ١١٢ _ ١١٣.

يؤهل المفسر لاتخاذ موقف علمي في تفسير هذه الآيات ، ولكن الطباطبائي على ما يبدو في تفسيره لم يثقله بالنظريات العلمية ، ولم يدلل بالآيات على صحة هذه النظريات ، ولم يدافع عمن سلك من المفسرين هذا المسلك العلمي في التفسير ، وإنَّما يُعنى بالآية من حيث دلالة ألفاظها وظواهرها مبسطًا القول فيها دون اكتراث بما حققه العلم الحديث من إنجاز وفرضيات علمية حديثة ، لكنها قد يكتفي أحيانا بالتلويح إلى إشارات علمية يمكن استفادتها من الآيات ... ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً ﴾ يقول : من ألطف التعبير في الآية وأوجزه تعبيره هذا عن الحياة الأرضية فإن الانتقال المكاني على الأرض مع الوقوع تحت الجاذبية الأرضية من أوضح خواص الحياة المادية الأرضية [1] .

كما استفاد مبدأ (الزوجية) في الكون من بعض الآيات كقوله تعالى : سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وقوله : وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ وقوله: وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

بينما رد على الشيخ طنطاوي جوهري استفادته (الزوجية) من قوله تعالى : وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ إذ ظاهر هذه الآية _ على قول المفسر _ لا يساعد عليه ، والذي يفيده أن نفس الثمرات زوجان اثنان وليست مخلوقة من زوجين اثنين [2] .

وفي تفسير قوله تعالى : وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ بعد تعرضه للغة الآية وبيان ألفاظها ، يقول : إن جري الشمس هو حركتها ، وان الأبحاث العلمية تقتضي بأن للشمس مع سياراتها حركة انتقالية نحو النسر الواقع ،

---

[1] ـ انظر الميزان : ٢٠٨/١٣ ، الإسراء : ٩٥.

[2] ـ انظر الميزان : ٢٩٢/١١ ، يس : ٣٦ ، لقمان : ١٠ ، الذاريات : ٤٩ ، الرعد : ٣.

ثم يضيف أن محصل المعنى كون الشمس ما تزال تجري ما دام النظام الـدنيوي على حاله حتى تستقر وتسكن بانقضاء أجلها فيبطل هذا النظام ، وأمَّا حمل جريها على حركتها الوضعية حول مركزها فهو خلاف لظاهر الجري الدال على الانتقال من مكان إلى مكان [1] .

ب _ الجانب الفلسفي في الميزان :

حفل الميزان بأبحاث فلسفية عديدة في موضوعات مختلفة ، ويرجع ذلك الى مقدرة المفسر العلمية ، وعمق نظرته الفلسفية بوصفه (من أعـاظم الفلاسـفة وأكـابر المحققين في الفلسفة الإسلامية وشتى علومها ، صرف برهة من عمره في تحصيل الفلسفة وتدريسها حتى استبطن دقائقها وأحصى مسائلها) [2].

وفلسفة الطباطبائي في (الميزان) تبدو ممزوجة بآي القرآن الكريم ، ولكن هـل يعني ذلك أن المفسر نضد الآيات في نظريات فلسفية كما فعل الفلاسفة من قبل ؟ أم أن هذه الأبحاث الفلسفية عقدها لتأييد المعاني القرآنية التي وقف عليها في(بياناته) ؟ ونذكّر هنا بشيء من التفسير الفلسفي الذي سلكه الفلاسفة من قبل ، كما عرضـنا بعض أمثلة على هذا المسلك فيما سبق [3] .

يقول ابن سينا في تفسير قوله تعالى : ﴿ ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ : (إنَّ الكلام مستفيض في استواء الله تعالى على العرش ومن أوضاعه أن العرش نهاية الموجودات المبدعة الجسمانية وتدَّعي المتشبهة من المتشرعين أن الله تعالى على العرش لا على سبيل حلول ... وأما في التعبير الفلسفي فإنهم جعلـوا نهايـة الموجودات الجسمانية الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك ... وقد ذاع في الشرعيات أن الملائكة أحياء قطعًا لا يموتون كالإنسان الذي يموت ، فإذا قيل : إنَّ الأفـلاك

---

[1]- انظر الميزان : ١٧/٨٩ ، يس : ٣٨.

[2]- الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري ، مقدمة كتاب أصول الفلسفة للسيد الطباطبائي (المفسر) ، النجف ، ١٣٨٥هـ ، ص : ٢٣ _ ٢٤ .

[3]- انظر ص : ١٠٥ وما بعدها من هذه الرسالة.

أحياء ناطقة لا تموت والحي الناطق غير الميت يسمى ملكًا فالأفلاك تُسمَّى ملائكة ، وبذلك يتضح أن العرش محمول ثمانية أفلاك [1].

وسنتعرف الآن على موقف المفسر من الفلسفة ، والقرآن الكريم ، وعلى أيٍّ منهما عوّل في بيان الآيات .

في الواقع ، لم تستهو الفلسفة مفسرنا منهجًا للتفسير ، ولم تسيطر النظريات الفلسفية على تفسيره ، كما عاب هو نفسه على المسلك الفلسفي في التفسير إذ قال : (وأمَّا الفلاسفة : فقد عرض لهم ما عرض للمتكلمين من المفسرين من الوقوع في ورطة التطبيق وتأويل الآيات المخالفة بظاهرها للمسلمات في فنون الفلسفة بالمعنى الأعم ، أعني : الرياضيات والطبيعيات والإلهيات والحكمة العملية ، وخاصة المشائين ، وقد تأولوا الآيات الواردة في حقائق ما وراء الطبيعة وآيات الخلقة وحدوث السماوات والأرض وآيات البرزخ وآيات المعاد ، حتى ارتكبوا التأويل في الآيات التي لا تلائم الفرضيات والأصول الموضوعة التي نجدها في العلم الطبيعي : من نظام الأفلاك الكلية والجزئية وترتيب العناصر والأحكام الفلكية والعنصرية إلى غير ذلك) [2].

كما أنَّ الأبحاث الفلسفية التي عقدها المفسر في الميزان تعبر عن تأييدها للمعاني التي استفادها من الآيات ، وفي أحيان أخرى عبرت هذه الأبحاث عن رفضها لمقالات فلسفية تعارض ظواهر القرآن والسنة :

١ _ ففي معنى (الحمد لله) قال المفسر : إنَّه الثناء على الجميل الاختياري . واستفاد ذلك من القرآن نفسه ، قال تعالى : ذلكم الله ربكم خالق كل شيء يعني أن كل شيء هو مخلوق لله سبحانه ، وهذا الشيء يجب أن يكون حسنا ، قال تعالى : الَّذي أحسن كلَّ شيءٍ خلقهُ ، كما أنه لم يخلق ما خلق بقهر قاهر بل

---

[1] ـ انظر تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات لابن سينا ص ٨٧ _ ٨ ، الحاقة : ١٧.

[2] ـ انظر الميزان : ٦/١ (مقدمة التفسير).

خلقه عن علم واختيار ، فما من شيء إلاَّ وهو فعل جميل اختياري ، قال تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ، وقال : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [1] . وقد أعقب المفسر هذا المعنى في (الحمد لله) ببحث فلسفي قال فيه : (البراهين العقلية ناهضة على أن استقلال المعلول وكل شأن من شؤونه إنَّما هو بالعلة ، وأنَّ كل ماله من كمال فهو من فيض وجود علته ، فلو كان للحسن والجمال حقيقة في الوجود فكماله واستقلاله للواجب تعالى ، لأنَّه العلة التي تنتهي إليه جميع العلل ، والثناء والحمد هو إظهار موجود ما بوجوده كمال موجود آخر وهو لا محالة علته ، وإذا كان كل كمال ينتهي إليه تعالى فحقيقة كل ثناء وحمد تعود وتنتهي إليه تعالى ، فالحمد لله رب العالمين) [2].

٢ _ وعن سريان العلم في الموجودات استعان المفسر بجملة من الآيات في إثباته ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ فإن قوله: ﴿ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ ﴾ دليل على كون التسبيح منهم عن علم وإرادة لا بلسان الحال ، ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ ومن هذا أيضا الآيات الدالة على شهادة الأعضاء ونطقها وتكليمها لله والسؤال منها خاصة ما ورد في نهايتها من قوله تعالى : ﴿ أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ . ثم أعقبه المفسر ببحث فلسفي قال فيه : حقق في مباحث الفلسفة أنَّ العلم وهو حضور شيء يساوي الوجود المجرد لكون ما له من فعلية الكمال حاضرًا عنده تعالى من غير مقابلة للفعل ، فكل وجود مجرد يمكنه أن يوجد حاضرًا وما أمكن لمجرد بالإمكان العام فهو له بالضرورة ، فالعلم يساوي الوجود والوجودات المادية لا يتعلق بها علم

---

[1] ـ انظر الميزان : ١٩/١ ، الفاتحة : ٢ ، غافر : ٦٢ ، السجدة : ٧ ، الزمر : ٤ ، طه : ١١١.
[2] ـ انظر الميزان : ٢٢/١.



وليس لها علم بشيء لكنّ لها _ على رغم كونها مادية متغيرة متحركة لا تستقر على حال _ ثبوتا من غير تغير ولا تحول لا ينقلب عما وقع عليه ، فلها من جهة التجرد تشابه محض مع الموجودات المحضة العقلية المثالية في سريان العلم [1].

بينما رفض المفسر في بعض أبحاثه الفلسفية بعض النظرات الفلسفية التي تخالف بمؤدّاها الكتاب العزيز .

١ _ في تفسير قوله تعالى : وبالآخرة هُمْ يُوقنون ردَّ المفسر على قول الفلاسفة بعدم جواز التعويل على غير المحسوسات في العلم ، محتجين بأن العقليات المحضة يكثر وقوع الخطأ والغلط فيها مع عدم وجود ما يميز به الصواب من الخطأ وهو الحس والتجربة [2].

وعلق على ذلك الطباطبائي قائلا : إنَّ الحجة مدحوضة باطلة لأمور :

أولا : أنَّ جميع المقدمات المأخوذة فيها الحجة ذاتها عقلية غير حسية فهي حجة على بطلان الاعتماد على المقدمات العقلية بمقدمات عقلية فيلزم من صحة الحجة فسادها .

ثانيا : أنَّ الغلط في الحواس لا يقل عدداً عن الخطأ والغلط في العقليات .

ثالثا : أنَّ التجربة (وهي تكرار الحس) ليست لوحدها آلة للتمييز بين الخطأ والصواب .

---

[1] ـ انظر الميزان : ٣٨١/١٧ _ ٣٨٢ . الآيات : الإسراء : ٤٤ ، فصلت : ١١ ، الزلزال : ٤_٥ ، فصل : ٢١ . وللإطلاع انظر الميزان : ٣٦٤/١ ، ٤٤٢ ، ١٩١/٩ ، ٧٣/١٣ ، ٧٥.

[2] ـ من هؤلاء الفلاسفة الحسيين ، فرنسيس بيكون (ت١٦٢٦م) الذي تطرف في اعتماده على الطريقة الاستقرائية في البحوث الطبيعية وقصر البحث العلمي على المشاهدة وجمع الملاحظات والتجربة . (انظر د. عبد الرحمن بدوي ، مدخل جديد إلى الفلسفة . بيروت . ١٩٧٥م . ص : ٧٧) ومن هؤلاء الفلاسفة كذلك دافيد هيوم (ت ١٧٧٦م) . (انظر . محمود فهمي زيدان . الاستقراء والمنهج العلمي ، بيروت ، ١٩٦٦م ، ص : ١١٠ _ ١١١) . وللفائدة انظر (منهج الاستقراء في الفكر الإسلامي ، أصوله وتطوره ، رسالة دكتوراه (مخطوط) عبد الزهرة محمد بندر . جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، ١٩٧٨م ، ص : ١٥١ _ ١٥٣) . البقرة : ٤.

بل هي إحدى المقدمات من قياس يحتج به على المطلوب إلى جانب مقدمات عقلية غير حسية ولا تجريبية .

رابعاً : على افتراض أنَّ جميع العلوم الحسية مؤيدة في باب العمل لكـن التجربـة نفسها لم تثبت بتجربة أخرى ، وهكذا إلى ما لا نهاية ، بل العلم بصحته من طريق غير طريق الحس ، فالاعتماد على الحس والتجربة اعتماد على العلم العقلي وجوبا.

خامسا : أنَّ الحس لا يباشر ولا يتعامل إلاَّ مع أعداد محدودة من الجزئيات وتكرار المشاهدة لصياغة القانون العام الذي تندرج تحته عموم هذه الجزئيات غير كافٍ إلاَّ بنظر عقلي ، فلو جربنا عدداً معيناً من المعادن وتبيَّنَ لنا أنها تتمدد بالتسخين ، فمن تكرار هذه المشاهدات الجزئية يمكن الحكم عقليًّا بأنَّ جميع المعادن تتمدد بالتسخين ، وهذا الحكم العام الذي استخلصناه من المشاهدات الجزئية هو حكم عقلي ، وعليه فلو اقتصرنا في الاعتماد والتعويل على ما يستفاد من الحس والتجربة فحسب مـن غير ركون إلى العقليات لم يتم لنا أدراك كلي ولا فكر نظري ولا بحث علمي [1] .

٢ _ وفي معنى (الكلام) قال المفسر : ذكر الحكماء : أنَّ ما يسمَّى عنـد النـاس قولاً وكلاماً هو نقل الإنسان المتكلم ما في ذهنه من المعنى بواسطة أصوات مؤلفة موضوعة لمعنى ، إلى ذهن المخاطب أو السامع فيحصل بذلك الغرض منه وهـو التفهيم والتفهم . وقد ربطوا بين هذا المعنى وبين معنى الوجودات الخارجية تبعـاً لقاعدة السنخية (المجانسة) القائلة بمطابقة المعلول لعلته أي أن المعلول يحكي عن علته فهو كلام لها ولما كان العالم الممكن معلولاً لله تعالى فهو كلامه الذي يظهـر المكنون من كمال أسمائه وصفاته أي أن الله تعالى متكلم بالعالم.

لكن الطباطبائي يستبعد هذا المعنى ، ولا يرى لتلك الدلالة صحة على أنَّ العالم هو كلام الله ، باعتبار ما ورد في القرآن الكريم من آيات لا تدل على المعنى أعـلاه ، ولا يمكن حملها إلاّ على أنها كلام حقيقي لله غير متمثل بالعـالم ولا الوجـودات

---

[1] ـ انظر الميزان : ٤٧/١ _ ٤٨.

الخارجية التي عُدَّتْ كلاماً لدى الحكماء . ومن هذه الآيات التي ذكرها المفسر لبيان حقيقة الكلام كما أفادتها ظواهرها :

قوله تعالى : ﴿ مِنْهُم مَن كلَّمَ اللَّهُ ﴾ ، ﴿ وكلَّم اللَّهُ موسى تكْليما ﴾ . ﴿ قال اللَّهُ يا عيسَى ﴾ ، ﴿ فقُلْنا يا آدمُ ﴾ ، ﴿ إنّا أوْحيْنا إليْك ﴾ . ﴿ نبّأني العليمُ الخبيرُ ﴾ [1].

٣ _ النزعة الاجتماعية في الميزان :

سبق أن تكلمنا عن النهضة الحديثة التي أرسى قواعدها الإمام المجاهد جمال الدين الأفغاني [2] ، وكيف أنها عنيت بعرض الفكر الإسلامي في مواجهة الأفكار الوضعية ، وإبراز الوجه الإسلامي المشرق من خلال القرآن الكريم فاستعان رواد هذه النهضة بالنصوص القرآنية لبيان مسائل عديدة في مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية [3] ، وتجلت هذه النزعة الحديثة في التفسير لدى الإمام محمد عبده في تفسير المنار ، ومما تميزت به مدرسته التفسيرية أنها نهجت بالتفسير نهجاً اجتماعيًا ، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ، ونظم الاجتماع ، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة ، ومشاكل الأمم عامة بما أرشد إليه القرآن الكريم [4] واهتمت بتنظيم الحياة الاجتماعية على أساس من هدى القرآن [5] ، وعنيت هذه المدرسة بالتفسير وفهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة . فهو المقصد الأعلى ، وما وراء هذا من المباحث تابع له او وسيلة إلى تحصيله [6] .

---

[1] - انظر الميزان : ٣٢٥/٢ _ ٣٢٦ . الآيات البقرة : ٢٥٣ ، النساء : ١٦٤ ، آل عمران : ٥٥ ، طه : ١١٧ . النساء : ١٦٣ ، التحريم : للاطلاع . انظر الميزان : ٢١٠/١٠ _ ٢١٣ ، ١٨٧/١٣ .

[2] - انظر اتجاه التفسير في العصر الحديث للشيخ الطير ، ص : ٢١ .

[3] - انظر صفحة ١٢١ وما بعدها من هذه الرسالة .

[4] - انظر التفسير والمفسرون للذهبي ، ط٢ ، ٥٤٩/٢ .

[5] - انظر منهج الإمام محمد عبده في التفسير للدكتور عبد الله شحاته : ص ١٦٩ _ ١٩٢ .

[6] - انظر تفسير المنار ١٧/١ ، وللاطلاع انظر تفسير المنار : ٦/١ ، ٧ ، ٢٥ ، ٥٧ ، ٣٠١ .

وعن دروس الإمام محمد عبده في التفسير يقول محمد رشيد رضا : إنها كانت أحفل الدروس وأنفعها في الدين والاجتماع والسياسية والأدب والبلاغة [١]. وكان مذهبه مذهب المصلح الإسلامي المفكر الذي أعطى التفكير النظري كل حقه ولكنه أخذ منه حق العمل على الإصلاح الرشيد المستنير [٢] . وأن تفسيره يحي العواطف ويحرك المشاعر أكثر مما يستقصي بحث المسائل العلمية وكان الإمام محمد عبده ينظر إلى حال المسلمين نظرة إشفاق في عقيدتهم وأعمالهم فيبث كل ما يرى من إصلاح حول تفسير آيات القرآن الكريم [٣] .

وعن اهتمام تفسير المنار بهذه النزعة في التفسير يقول الشيخ محمد رشيد رضا : (ولما كان تفسيرنا هذا تفسيراً علميًّا عمليًّا أثريًّا عصريًّا وجب علينا في هذا المقام أن نبين حال مسلمي عصرنا فيه مع مغتصبي بلادهم والجانبين على دينهم ودنياهم) [٤]. ثم عقد فصلاً تكلم فيه عن دار الإسلام ودار الحرب ، وحقوق الأديان والأقوام في هذا العصر ، وعرض لبيان حال المسلمين منذ عهدهم الأول حتى عصره _ عصر الشيخ رشيد رضا _ وكانت تلوح على كلامه علامات التيقظ والوعي ، ومناشدة المسلمين بالوحدة ، وتحمل المسؤولية [٥] .

أمَّا الطباطبائي فانه لم يغفل هذه النزعة في تفسيره بل أغناها بأبحاث عديدة عالج فيها مسائل ضرورية وموضوعات معاصرة كثيرة ، فعن (المرأة) : عقد بحثاً واسعًا تعرض فيه للأدوار الحالكة التي عاشتها في ظل الأمم السالفة حين كانت ممتهنة الحقوق وضيعة الوزن ، ثم عرج على دورها ومكانتها في ظل الإسلام ،

١ـ انظر الشيخ محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، مصر ، ١٣٥٠هـ ، ٧٦٩/١.

٢ـ انظر عباس محمود العقاد ، عبقري الإصلاح والتعليم الأستاذ الإمام محمد عبده ، مصر ، ص : ٢٥٠.

٣ـ انظر أحمد أمين : كتاب محمد عبده ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص : ٩٣.

٤ـ انظر تفسير المنار : ٣١٢/١٠.

٥ـ انظر المصدر السابق نفسه : ٣١٣/١٠ _ ٣٢١.



وما أبدع لها من وزن ومكانة إلى جانب الرجل لاشتراكها معه في الإنسانية ، وبعد بحث مسهب في بيان حقوقها وواجباتها في ظل الإسلام ، عرض لبيان مأساوية المرأة في ظل الجاهلية الحديثة والمدنية الغربية [1] .

وعن (المرابطة) في المجتمع الإسلامي ، تناول المفسر فيها الإنسان وطبيعته الاجتماعية مؤكِّداً ضرورة هذا الاجتماع الإنساني وأنه فطري ، وعرج على بيان عناية الإسلام بالاجتماع الإنساني وبرابطة الفرد والمجتمع ، ثم دفع شبهة من يحظر على الإسلام ديمومته واستمراره سُنَّةً اجتماعيةً حاكمةً ، وزيف الاجتماع المدني الحاضر باختلاف أشكاله لطوفانه المادي ، ثم أبرز الجانب الأخلاقي وأثره في خدمة الصالح العام ، وعرض بعد ذلك لمعنى الحرية في الإسلام وصفوة قوله فيها أنها التحرر من قيود الغير إلاّ العبودية لله وحده ، وردَّ على من قال بديالكتيك العقائد وحتمية تحولها وصيرورتها أمراً جديداً وزيَّفَها ، لأن ثبوت المعارف والعلوم الإلهية المهمة لا يقدح في تكامل المجتمع ورقيه . وأخيرًا ، تكلم عمن يتقلد ولاية المجتمع في الإسلام ، وعن سيرته ، وأن ثغر الدولة الإسلامية يكون بالاعتقاد دون الحدود الطبيعية أو الاصطلاحية من جنس أو لون وغيرها . ثم عاد فأكد أنَّ الإسلام اجتماعي بجميع شؤونه وأنَّ الدين الحق هو الغالب على الدنيا والآخرة [2].

وعقد المفسر أبحاثا أخرى في موضوعات شتى عنيت ببنية المجتمع الإسلامي نشير إليها ، مثل كلامه في الإرث ، والتوبة ، والأخوة ، والدعاء ، والجهاد ، ونفي الإكراه في الدين ، والإنفاق ، والأخلاق ، وتأثير الإيمان ، والرق ، والزكاة ، والسعادة والشقاء ، والقصاص [3]. وأمور عقائدية أخرى في التوحيد والعدل الإلهي

---

[1] ـ انظر الميزان : ٢٦٠/٢ _ ٢٧٧.

[2] ـ انظر الميزان : ٩٢/٤ _ ١٣٣.

[3] ـ انظر الميزان : ٣٧٠/١ ، ٣٠/٢ ، ٦٤ ، ٣٤٢ ، ٢٨٣ ، ٢١٢/٤ ، ٢٤٤ ، ٩٥/٨ ، ٣٨٦/٩ ، ٧/١٥، ٣٨٣/١٦ ، ٣١٥/١٨ ، لا على سبيل الحصر.

لمواجهة الملحدين ، والجاحدين بأنعم الله سبحانه وإبطال ما لديهم من شكوك وشبهات [1].

مما تقدم يتضح أنَّ المفسر بهذه الأبحاث وغيرها يكشف عن شعوره العميق بالمسؤولية الإسلامية ، ورؤيته الإصلاحية الواعية ، ومهما يكن أمر هذه الأبحاث ، فإن التيار الإصلاحي عند من سبقه يبقى ذا أثر واضح في إضفاء هذا الروح على أبحاث الميزان ، فضلاً على ما كان يسود بيئة الطباطبائي ونشأته العلمية من نشاط فكري كبير ووعي إسلامي رفيع [2].

موقفه من الغيبيات والمبهمات في القرآن الكريم :

هناك كثير من الحقائق الغيبية التي ذكرها القرآن الكريم كالعرش والكرسي والقلم واللوح والملائكة والجن والشيطان والجنة والنار وغيرها ، إلى جانب مبهمات سكت عنها القرآن الكريم .

وقد اختلفت مسالك المفسرين في معالجة هذه الحقائق الغيبية :

١ _ فقد حرم أكثر أهل السلف الكلام في هذه الحقائق وأوجبوا الالتزام بظواهر الآيات بشأنها ليس إلاَّ ، لأنه ليس في مقدور أحد أن يتأولها بل عدَّها قسم من السلف من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلاَّ الله سبحانه [3].

فقد روي عن الإمام مالك في معنى قوله تعالى :﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أن الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[4].

---

[1] ـ انظر الميزان : ٨٦/٦ ، ١١٨/٧ ، ٢٤٦ ، ٨٦/١٢ ، ٧٢/١٣ ، ٣٢٤/١٥ ، ٢٤٠/١٧.

[2] ـ انظر صفحة ١٥ وما بعدها من هذه الرسالة.

[3] ـ انظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية _ رسالة الإكليل _ بيروت ، ١٣٩٢هـ ، ط٢ ، ٢٣/٢ _ ٢٤ . وانظر الميزان : ١٥٣/٨.

[4] ـ ابن تيمية : الرسالة التدمرية ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ ، ص : ٣٥ ، الأعراف : ٥٤.

٢ _ وأمَّا الفلاسفة فقد اعتمدوا ما فرضه علم الهيئة على مسلك بطليموس لتنظيم الحركات العلوية الظاهرة للحس وطبقوا عليه ما ذكره القرآن الكريم من هذه الحقائق الغيبية [١] .

فهذا ابن سينا فسر العرش بأنه الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك ، وأمَّا الأفلاك الثمانية فهم الملائكة الثمانية التي تحمل العرشوهكذا بالنسبة إلى كثير من الآيات المماثلة لهذه الغيبيات [٢]

٣ _ وهناك من يرى أن هذه البيانات القرآنية الناظرة إلى تلك الحقائق الغيبية مبينة على التمثيل والتخييل لا أكثر ، فمثلا نجد الزمخشري في تفسير قوله تعالى : وسع كُرْسِيُّهُ السَّمَاوات والأَرْض يقول : (تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله : وما قدرُوا اللّه حق قدْرِه والأرض جميعا قبْضتُهُ يوْمَ القيامة والسّماواتُ مطْويّاتٌ بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين ، وإنَّما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي) [٣].

بعد كل ما قدمناه بطرح هنا سؤال : ما هو موقف الطباطبائي من هذه الغيبيات ؟

يقول الطباطبائي :

البحث الصحيح يوجب أن نفسر هذه البيانات اللفظية _ يعني الغيبيات في القرآن _ على ما يعطيه اللفظ في العرف واللغة ، ثم يعتمد في أمر المصداق على ما يفسر به بعض الكلام بعضاً ، ثم ينظر ، هل الأبحاث العلمية تنافيها أو تبطلها ؟ فإن أثبتت ؛ فبها ؛ وإن نفت ؛ فلا حاجة للركون إلى هذه العلوم الطبيعية [٤] . إذ ليست لها القدرة على النفي في أمر غيبي ، لأنها تتناول الحس ثم بيَّن أن معاني هذه البيانات القرآنية هي التي نفهمها من هذه الألفاظ نفسها ؛ لكن مصاديقها غير

١ـ الميزان : ١٥٤/٨.

٢ـ ابن سينا : تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات . بمبي ، ١٣١٨هـ ، ص : ٨٣.

٣ـ الزمخشري : تفسير الكشاف ، بيروت _ دار المعرفة _ ٣٨٥/١.

٤ـ الميزان : ٨٩/١.



المصاديق المألوفة لدينا ، فلها هناك مصاديق _ حقيقية خارجية _ على ما يليق بساحة قدسه تعالى [١] .

وردَّ المفسر على جمهور المفسرين حين حملوا الآيات التي تعني بالحياة الآخرة على ضروب المجاز والاستعارة ، باعتبار أن ظواهر كثير من الآيات يدفع هذا الحمل [٢].

١_ فعن إبليس يقول المفسر : (إن إبليس لعنه الله موجود مخلوق ذو شعور وإرادة يدعو إلى الشر ويسوق إلى المعصية) [٣].

٢ _ وبالنسبة إلى الجن ، يقول : الجن نوع من الخلق مستورون عن حواسنا يصدق القرآن الكريم بوجودهم ... ثم يعرض المفسر صفاتهم كما أفصح القرآن الكريم [٤] .

٣ _ وعن العرش يقول : إنَّ في الوجود عرشًا وهو حقيقة عينية وأمر من الأمور الخارجية وهو المقام الذي يرجع إليه أزمة التدابير الإلهية والأحكام الربوبية ، فالعرش مقام العلم كما أنه التدبير العام الذي يسع كل شيء وكل شيء في جوفه ، وهذا من غير تحديد لمصداقه الحقيقي هناك [٥].

والذي نفهمه مما تقدم :

١_ أنَّ المفسر لم يذهب مذهب المشبهة في تحديد مصداق هذه الغيبيات القرآنية [٦] ، كما لم يذهب إلى انعدام مصداقها الخارجي على سبيل التخييل والكناية والتمثيل ، وكذلك لم يسلك ما سلكه الفلاسفة بشأن هذه الأمور _ كما مر ذكره _ .

---

[١]_ الميزان : ١٥٥/٨.

[٢]_ الميزان : ٩٢/١.

[٣]_ الميزان : ٤٣/٨.

[٤]_ الميزان : ٣٩/٢٠.

[٥]_ الميزان : ١٥٨/٨_١٥٩ ، وانظر الميزان : ٣١٤/٢_٣٢٥ ، ١٢٢/٨ ، ١٢/١٦_١٣.

[٦]_ انظر الميزان : ١٢٧/٨ ، ٣١٩/١٥.



إلاّ أنه يعتقد بوجود خارجي لهذه الغيبيات هناك ، وأن هذه المصاديق على غير ما ألفناه ، كما ينبغي أن تفسر هذه المصاديق بما ينسجم وساحة قدسه سبحانه دون أن يحدد المفسر هذا المصداق .

٢ _ فسر هذه البيانات اللفظية على ضوء ما يعطيه اللفظ في العرف واللغة ، وأما في أمر المصداق فيعتمد على الآيات الناظرة والمفسرة لها دونما تعيين له _ المصداق_على صورة ما نألفه ونأنس به من المصاديق في حياتنا الدنيا.

بينما سكت المفسر تماما عن مبهمات سكت عنها القرآن الكريم وترك الخوض في تفسيرها :

١ _ في قوله تعالى : ﴿ وجَاء منْ أَقْصى الْمدينة رجُلٌ يسْعى ﴾ علق المفسر على الرجل المذكور في الآية بقوله : (ولا يهمنا الاشتغال بذلك _ يعني اسم الرجل واسم أبيه وحرفته وشغله وغير ذلك _ في فهم المراد ولو توقف عليه الفهم ولو بعض التوقف لأشار سبحانه في كلامه إليه ولم يهمله ، وإنما المهم هم التدبر في حظه من الإيمان في هذا الموقف) [1] .

٢ _ وعن الدابة في قوله تعالى : ﴿ وإذا وقع الْقوْلُ عليْهمْ أخْرجْنا لهُمْ دابةً منَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنّ النَّاسَ كانُوا بآياتنا لا يُوقنُون ﴾ .

لم يكلف المفسر نفسه في تعيين الدابة وصفتها وكيفية خروجها وماذا تتكلم به ، فبعد أن بيَّن أنها آية خارقة للعادة من الآيات الموعودة ، قال : ((سياق الآية نعم الدليل على أن القصد إلى الإبهام)) [2] .

٣ _ وعن هوية القائل من أخوة يوسف _ عليهم السلام _ في قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ ﴾

---

[1]ـ الميزان : ٧٥/١٧ ، ٧٦ . يس : ٢٠.

[2]ـ الميزان : ٣٩٦/١٥ ، النمل : ٨٢.



قال المفسر : (واختلف المفسرون في اسم هذا القائل .... فقيل هو روبين ابن خالة يوسف ، وقيل : هو يهوذا ، وقد كان أسنهم وأعقلهم ، وقيل : هو لاوي ، ولا يهمنا البحث فيه بعد ما سكت القرآن عن تعريفه باسمه لعدم ترتب فائدة هامة عليه) [1] .

٥ _ الطباطبائي والتفسير بالباطن :

روي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : (أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكلِّ حدٌّ ومطلع) [2] .

وقد تعددت أفهام المسلمين فيه وتباينت مسالكهم ، فمنهم من عدَّ باطن القرآن هو المقصود دون ظاهره ، ومنهم الباطنية [3]، والقرامطة ، وقد جروا الويلات على الفكر الإسلامي ، وحار الناس في غيبوبة الباطن ، يقول الفاضل ابن عاشور : (الذين نزعوا إلى النحلة الباطنية عطلوا دلالة التراكيب وأنكروا أن تكون المعاني مستفادة منها بطريق الوضع اللغوي والتأليف النحوي والبلاغي ، فجنحوا إلى الإشارات بإبراز الأعداد وأسرار الحروف) [4].

ولا يعني هذا الكلام انه يجب الوقوف عند ظواهر الآيات ودونما تفكر وتدبر لما في معاني الكتاب العزيز بعد أن ندب القرآن الكريم إلى التدبر في آياته . قال تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ [5] وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [6]. ولا ريب فإن النظر في كتاب الله العزيز على سبيل استبطان معانيه إذا حكمه الهوى والاعتقاد جعله

---

[1] ـ الميزان : ١١/٩٧ ، يوسف : ١٠.
[2] ـ انظر مصابيح السنة للبغوي ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣١٨هـ ، ١/١٥ ، (كتاب العلم).
[3] ـ انظر النعمان بن حيوان التميمي الفاطمي ، أساس التأويل ، تحقيق عارف تامر.
[4] ـ انظر ابن عاشور ، التفسير ورجاله ، ط٢ ، ص : ١٨.
[5] ـ سورة النساء : ٨٢.
[6] ـ سورة محمد : ٢٤.



مجانبًا للصواب ، بعيدا عن الحق ، وعليه فلابد من ضوابط معينة تمنح ذلك الاستبطان في آيات الكتاب العزيز درجة من القبول والرضا عند أهل النظر والعلم.
وفي الواقع أن علماء المسلمين لا ينكرون الذهاب إلى الباطن بشرط أن لا تتجاوز هذه المعارف ما عرف من أصول الإسلام كما يشترطون وجوب الإيمان والعمل بالظاهر على أنه أساس الدين [1] .
وقد وجدنا بعض الصوفية أفاد من الآيات إشارات خفية غير ظاهرة بواسطة رياضات روحية عالية ، وانقداحات وجدانية يتوفرون عليها ، وفي الوقت نفسه كانوا لا يعدُّون هذه الإشارات هي المقصود من مراد الله تعالى . وقد تعرضنا فيما سبق إلى المنهج الصوفي الإشاري والباطني وميزنا بين كل منهما [2] .
وقد جمع الغزالي إلى قوله بالتأويل الباطني تمسكه بالظاهر [3] .
أما الطباطبائي فيقدم الظاهر ويعتقد أنه المقصود ، فيقول : (ولا نجد دليلاً على أنه يقصد من كلماته _ يعني القرآن الكريم _ غير المعاني التي ندركها من ألفاظه وجمله) [4].
وعدَّ الطباطبائي في الكشف عن باطن القرآن أمرين :
أحدهما : ظواهر الآيات نفسها .
والأمر الآخر : ظواهر الشريعة المباركة ومن ثَمَّ لا يكون الباطن مناقضا لمعطيات ظواهر الكتاب وحقائق الشريعة .
يقول المفسر : (إنَّ القول بأن تحت ظواهر الشريعة حقائق هي باطنها حق ، والقول بأن للإنسان طريقًا إلى نيلها حق ، ولكن الطريق إنَّما هو استعمال الظواهر

---

[1] ـ انظر جولد تسيهر ، المذاهب الإسلامية في التفسير ، كلام للمحقق ، د . عبد الحليم النجار . القاهرة ، ١٣٧٤هـ ، ٢٠٣/١.
[2] ـ انظر صفحة ١١٧ _ ١١٨ من هذه الرسالة.
[3] ـ انظر د. الشحات السيد زغلول : الاتجاهات الفكرية في التفسير : ص ٢٢.
[4] ـ انظر الطباطبائي ، القرآن في الإسلام ، ص : ٢٤.

الدينية على ما ينبغي من الاستعمال لا غير ، وحاشا أن يكون هناك باطن لا يهدي إليه الظاهر ، والظاهر عنوان الباطن وطريقه ... وحاشا أن يكون هناك باطن حق ولا يوافقه ظاهره ، وحاشا أن يكون هناك حق من ظاهر أو باطن ، والبرهان الحق يدفعه ويناقضه ، وحاشا أن يكون هناك شيء آخر أقرب مما دل عليه شارع الدين غفل عنه أو تساهل في أمره أو أضرب عنه لوجه من الوجوه بالمرة وهو القائل عز من قائل : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [1] .

ويقول الطباطبائي إن للقرآن ظاهرًا وباطنًا أو ظهرًا وبطنًا ، وكلا المعنيين واقعان في الطول لا في العرض ، فإنَّ إرادة الظاهر لا تنفي إرادة الباطن ، وإرادة الباطن لا تزاحم إرادة الظاهر [2] .

وألقى المفسر باللائمة على من ناقض ظواهر الدين وحكم العقل بالباطن ودعا إليه ومن ذلك بعض المتصوفة وأهل الباطن الذين اعتقدوا أن ما يصلون إليه من الباطن هو المقصود وان الباطنيات لا ينالها فهم أهل الظاهر ، وأضاف المفسر بقوله : ولو كان الأمر على ما يدعون وكانت هي لب الحقيقة وكانت الظواهر الدينية كالقشر عليها لكان مشروع الشرع أحق برعاية حالها وإعلان أمرها كما يعلنون ، وان لم تكن هي الحق فماذا بعد الحق إلاَّ الضلال ؟ [3].

ومن الأمثلة على الباطن الذي ذهب إليه المفسر :

١ _ قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ﴾ .

أبان المفسر أن النظرة البدائية في هذه الآية هي النهي عن عبادة الأصنام ولكن بعد التدبر فيها وفي غيرها من الآيات ، فإنها تفيد كذلك النهي عن عبادة غير الله من

1ـ الميزان : ٢٨٣/٥ ، النحل : ٨٩.

2ـ الطباطبائي : القرآن في الإسلام ص ٢٨.

3ـ الميزان : ٢٨١/٥ ، ولزيادة الإطلاع ، انظر الميزان : ٧/١ (مقدمة التفسير).

دون إذنه ، وأكثر من ذلك فهي تنهى عن عبادة الإنسان نفسه بإتباع شهواتها ، وأكثر من هذا أيضًا أنها تفيد النهي عن الغفلة عن الله تعالى والتوجه إلى غيره .

فإرادة هذه المعاني لا تنفيها إرادة الظاهر من الآية الكريمة وإرادة الباطن لا تزاحم إرادة الظاهر .

والآيات التي أفاد منها المفسر في تجلية هذه المعاني هي :

قوله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ .

وقوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾

وقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾

وقوله : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [1].

فقد تبين أن المفسر حين يستبطن بعض المعاني من الآيات فإنما يستعين بالقرآن نفسه على ألا تكون هذه المعاني خارجة عن حقائق الشريعة .

٢ _ لكن بقي أن أذكِّر بموقف المفسر من أغلب ما روي من الباطن عن أسلافه من المذهب الإمامي ، فبعد أن فسر الطباطبائي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، بحقيقة ما وضعت له ألفاظها [2] ذكر رواية عن

---

[1] ـ الطباطبائي : القرآن في الإسلام ، ص ٢٧ _ ٢٨ ، وانظر الميزان : ٢٥٣/٤ _ ٢٥٤ ، الحج : ٣٠ . يس : ٦٠ ، الجاثية : ٢٣ ، الأعراف : ١٧٩.

[2] ـ الميزان : ١٢٥/١٥ ، النور : ٣٥.



الإمام الصادق مفادها : أنه سئل عن هذه الآية المباركة فقال : هو مَثَلٌ ضربَهُ اللهُ لنا ، فالنبيُّ والأئمةُ من دلالاتِ اللهِ وآياتِهِ التي يُهْتَدَى بها .

وقد اطمأنَّ المفسر إلى هذه الرواية على أنها إشارة إلى مصاديق للآية غير ظاهرة فقال : الرواية من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق ، والآية تعم بظاهرها غيرهم من الأنبياء (عليهم السلام) والأوصياء والأولياء ، وأضاف : أن هذا ليس من التفسير وإنما من تطبيق الآية على ما تحتمله من معان باطنة[1] .

٣ _ وبعد أن فسر قوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ۞ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ على ما تعطيه اللغة والسياق ، ذكر رواية عن ابن عباس مفادها أنهما علي وفاطمة وبينهما النبي محمد (صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم)، ويخرج منهما الحسن والحسين .

علَّق المفسر عليها بأنَّها من الباطن [2] .

٤ _ وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ .

سكت المفسر عما سكت عليه القرآن الكريم بشأن (الدابة) في الآية ، وأفاد بأنها آية خارقة من الآيات الموعودة . وأضاف : أنه لم يوجد في كلامه تعالى ما يصلح لتفسير هذه الآية وأن هذه الدابة التي سيخرجها لهم من الأرض فتكلمهم ، ما هي ؟ وما صفتها ؟ وكيف تخرج ؟ وماذا تتكلم به ؟ باعتبار أن سياق الآية نعم الدليل على أن القصد إلى الإبهام _ هذا ما قاله المفسر _ ثم ذكر رواية في تفسير القمي فيها إشارة إلى علي بن أبي طالب ، (عليه السلام) ، واكتفى المفسر بالتعليق عليها

---

[1] ـ انظر الميزان : ١٤١/١٥.

[2] ـ انظر الميزان : ١٠٣/١٩ ، الآيات الرحمن : ١٩ _ ٢٢ . وللاطلاع انظر _ الميزان : ٧٠/١٧.

بأن الروايات في هذا المعنى كثيرة من طرق الشيعة ليس إلاّ [1] ، دون أن ينبه على أنها تفسير أو إشارة إلى بعض المصاديق .

وقد تعرض المفسر في الأبحاث الروائية للميزان إلى جملة من المرويات عن أئمة أهل البيت ، وعدَّها من قبيل (الجري وعدِّ المصاديق) وهو ما سنتعرض له في كلامنا عن أسباب النزول .

وباختصار فالجري هو عين القاعدة الأصولية المعروفة ((العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)) وعليه فإن القرآن الكريم يجري على الماضي والحاضر والمستقبل . ولا يقف عند المناسبات الأولى لنزول آياته ، والجري يستبطن أحياناً ما عرف بالباطن الذي يقابل الظاهر ، وقد أشار إلى هذا المعنى:الطباطبائي نفسه بقوله : وقد يعدُّ بطن القرآن مثل الجري أحيانا [2].

مما تقدم تبين :

١ _ أن المفسر يقدم الظاهر المتبادر من ألفاظ الآية بالنظرة البدائية وما يقف عليه من باطن لا يسميه تفسيراً ؛ لأنَّ التفسير وحده هو الذي يكشف عن ظاهر اللفظ . وعليه فالمراد لديه هو الظاهر وليس الباطن .

٢ _ قد يستفيد معاني غير ظاهرة من الآيات ، باستعانته بآيات الكتاب العزيز الناظرة إليها على أن لا تعارض حقائق الشريعة .

٣ _ أن ما روي من هذه المعاني غير الظاهرة من طرق مذهبه الإمامي فقد يقر قسماً منها على أنها ليست المعاني المقصودة من اللفظ القرآني وليست من التفسير ، وإنَّما هي من جملة المصاديق الباطنية للألفاظ القرآنية ، وقد يسكت عن قسم آخر منها لسكوت القرآن عنها وليست ثمة مساعدة ملحوظة من جانب اللفظ عليها ، وإنَّما يوردها في البحث الروائي فحسب .

---

[1] ـ انظر الميزان : ٣٩٦/١٥ ، ٤٠٦ ، النمل : ٨٢ ، وانظر تفسير القمي : ١٠٣/١.

[2] ـ انظر القرآن في الإسلام للطباطبائي : ص: ٥٢.

ولربما لا يشير بالمرة إلى قسم آخر منها [١]. ومما يؤيد هذا أن المفسر متشدد عمومًا في قبول ما روي من طرق الفريقين _ وقد مرَّ الكلام فيه _ .

[١] ـ انظر الميزان : ٢٠٤/١ _ ٢٠٥ ، ٣٠٠/١٧ ، ٢٣٣/١٨ ، ٣٨٦/٢٠.

الباب الثالث

علوم القرآن والعقائد في (الميـزان)

الفصل الأول: موقف الطباطبائي من موضوعات في علوم القرآن

الفصل الثاني: الطباطبائي وعقائد الإمامية.



الفصل الأول

موقف الطباطبائي من موضوعات



نبذة مختصرة في علوم القرآن :

إن الموضوعات القرآنية سواء ما يتعلق منها باللغة أو بمضمون النص أو ظروفه لم تدرس ضمن أبحاث مستقلة ، ولم تتخذ وضعاً مستقلاً في العصور الإسلامية الأولى . ولو تتبعنا كتب التفسير في هذه العصور نجد أن مفسريها قد تعرضوا لبيان هذه الموضوعات متفرقة : كأسباب النزول ، أو الناسخ والمنسوخ ، ومفردات القرآن الكريم ، وغيرها دون أن يخصصوا لها أبحاثًا ودراسات مستقلة مستوفية .

وقد صنفت كتب _ فيما بعد _ عالجت هذه العلوم وأولها كتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي (ت ٧٩٤هـ) كما تصدّى السيوطي (ت ٩١١هـ) لذلك ، فوضع كتاب (الإتقان في علوم القرآن) وهكذا انتظمت هذه الدراسات وأوفاها الدارسون حقها في البحث ، وأخذت علوم القرآن الصدارة واهتمام الباحثين فيها وعولجت مفصلة في دراسات مستقلة .

وتنبغي الإشارة هنا إلى أنَّ العلماء عدُّوا هذه الموضوعات وغيرها شروطًا ينبغي على من يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يتوفر عليها [١]. وعليه فإن دراسة علوم القرآن لدى أي مفسر تسهم في الكشف عن منهجه وإظهار جوانبه المتعددة .

وفي الواقع أن تنوع علوم هذا الفن وتعدد موارده [٢] يجعل من الصعب الإحاطة بها جميعًا ، كما أنَّ الانسياق وراء مطالبه يجعل من هذا البحث دراسة في علوم القرآن وليس بحثاً في منهج تفسيري ، وعليه فقد قمت بانتخاب عدد من علوم القرآن وبينت موقف المفسر فيها ، فضلاً عن بعض الموارد الأخرى من هذا الفن التي تعرضت لها أثناء البحث كإشاراته اللغوية ، وموقفه من الإسرائيليات ، ولعل هذه الموارد تسهم هي الأخرى في إظهار منهج الطباطبائي في التفسير .

---

[١] ـ انظر صفحة ١١٣ من هذه الرسالة.

[٢] ـ ذكر أن الشافعي عدَّ ثلاثة وسبعين نوعا من أنواع علوم القرآن (انظر الإتقان في علوم القرآن _ المقدمة _ ١٧/١).



١ _ موقفه من التأويل

يحسن أن أتعرض للمعنى اللغوي لكل من التفسير والتأويل _ ولو بشكل إجمالي _ وكذلك ما حصل للتأويل من تطور أدَّى إلى بعد الشقة بينه وبين التفسير .

فالتفسير في اللغة : هو الإيضاح والتبيين ، فالفسر : (البيان فَسَر الشيء يفسِره بالكسر ويفسُره بالضم فسراً وفسَّره : أبانه ، والتفسير مثله ... الفَسْر المغطى ، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل) [١].

وعلى هذا فالتفسير يراد به الكشف الحسِّيُّ والكشف المعنويُّ ، وأمَّا التأويل لغة فهو من (الأَوْلُ) بمعنى الرجوع (آلَ الشيءُ يَؤُولُ أَوْلاً ومآلاً رجعَ ، وأوَّلَ إليه الشيء رَجَعَهُ ... وأوَّلَ الكلامَ وتأوَّلَهُ دبَّرَهُ وقدَّرَهُ ، وأوَّلَهُ وتأوَّلَهُ فَسَّرَهُ) [٢].

وقال في القاموس : (آلَ) إليه أَوْلاً ومآلاً رَجَعَ .. وأوَّلَهُ إليهِ رَجَعَهُ ... وأوَّلَ الكلامَ تأويلاً وتَأَوَّلَهُ دبَّرَهُ وقدَّرَهُ و فَسَّرَهُ [٣] .

وبهذا فالأَوْلُ هو الرجوعُ إلى أحد المعاني اللغوية التي يحتملها اللفظ .

من ذلك يتبين أنَّ النشأة اللغوية لكل من التفسير والتأويل متقاربة بل واحدة . والى هذا أشار ابن منظور بقوله : (وسُئِلَ أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال : التأويل والمعنى والتفسير واحد) [٤].

لكن التأويل بوصفه مصطلحًا عند المتأخرين من الفقهاء والكلاميين والمحدثة والمتصوفة ونحوهم أصبح يعني (صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به).

---

[١] ـ انظر : الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، فصل الفاء ، باب الراء . وانظر : ابن منظور : لسان العرب ، فصل الفاء حرف الراء.

[٢] ـ انظر ابن منظور ، لسان العرب فصل الهمزة ، حرف اللام.

[٣] ـ انظر الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، فصل الهمزة ، باب اللام.

[٤] ـ انظر ابن منظور ، لسان العرب : ج١١ ، فصل الهمزة ، حرف اللام.

وهذا يتطلب وضع ضوابط معينة لمثل هذا الصرف ، وإلاّ يستحيل تأويلاً مستكرها يحكمه الهوى والاعتقاد . وعليه فالمتأول فيه مطالب بأمرين :

١ _ بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه .

٢ _ بيان الدليل الموجب للصرف إليه في المعنى الظاهر [1] .

لقد رفض الطباطبائي أن يكون التأويل من قبيل صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المرجوح بدليل ، وأوضح أن معنى قولهم هذا ما اعتقدوه من أن المتشابه ما أريد به خلاف ظاهره ، ووصفه بأنه اصطلاح محض ولا يمكن استفادته من قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ ﴾ .

وأضاف : أن المتشابه إنَّما هو متشابه من حيث تشابه مراده ومدلوله وليس المراد من التأويل المعنى المراد من المتشابه حتى يكون المتشابه متميزا عن المحكم بأنَّ له تأويلا ؛ بل التأويل يشمل المحكم والمتشابه ، كما أنَّ ليس في القرآن آية أريد فيها ما يخالف ظاهرها ، وما يوهم ذلك من الآيات إنَّما أريد بهامعان تعطيها لها آيات أخر محكمة والقرآن يفسر بعضه بعضًا [2]

بينما بقي التأويل _ عند السلف _ هو تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربًا أو مترادفًا [3] .

وهذا قريب من الوحدة اللغوية للاصطلاحين كما أشرنا إليه قبل قليل .

ولكن يبقى هناك معنى ثالث للتأويل ذهب إليه ابن تيمية وهو : أنَّ المراد بالتأويل هو نفس المراد بالكلام ، فإن كان الكلام طلبًا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وإن

---

[1] ـ انظر ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى _ رسالة الإكليل _ بيروت ، ١٣٩٢هـ ٢/١٧.

[2] ـ الميزان : ٣/٣٨ ، آل عمران : ٧.

[3] ـ ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى _ رسالة الإكليل _ ٢/١٧.



كان خبرًا كان نفس الشيء المخبر به ، وعليه فالتأويل هو نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلة فإذا قيل : (طلعت الشمس) فتأويل هذا نفس طلوعها ، وهذا الوضع والعرف ، وهو لغة القرآن التي نزل بها ، فتأويل الأحاديث التي هي رؤيا المنام التي تأولها يوسف (عليه السلام) هي نفس مدلولها الذي تؤول إليه [1] .

بعد ذلك كله ماذا يعني التأويل عند الطباطبائي ؟

يقول الطباطبائي :

((الحق في تفسير التأويل أنه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة ، وأنه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها ، وأنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ ، بل هي من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ ، وإنَّما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب فهي كالأمثال تضرب لتقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع)) [2] .

وفي مكان آخر بين المفسر : أنَّ التأويلات حقائق واقعية تنبعث من مضامين البيانات القرآنية [3] وهو عين موقف ابن تيمية من التأويل .

ويستفاد مما تقدم أن المفسر لا يؤوِّلُ إلاَّ ضمن ضابط قرآني ، فهو يستهدي بالبيانات القرآنية للوقوف على الحقائق التي تستند إليها هذه البيانات ، وهذا ما تؤيده الشواهد التي سنذكرها فيما بعد.

---

[1] ـ ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى _ رسالة الإكليل _ ١٨/٢ ، وانظر : التفسير والمفسرون للذهبي : ١٧/١.

[2] ـ الميزان : ٤٩/٣ . ويقول الدكتور مصطفى زيد : ((وجميع هذه المواضيع التي استعمل القرآن فيها لفظ التأويل _ أريد به الأمر العملي الذي يقع في المال تصديقًا لخبر أو رؤيا أو تصديقًا لعمل غامض يقصد به شيء في المستقبل)) . (دراسات في التفسير ، القاهرة ، ١٩٧١م ص : ١٧).

[3] ـ الميزان : ٨/١٨.

ولنا أن نذكر نماذج كاشفة عن حقيقة التأويل عند الطباطبائي :

١ _ في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلك خيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ .

يقول المفسر : المراد من التأويل في الكيل والوزن وضع اقتصادي خاص يوجد في السوق بواسطة البيع والشراء والنقل والانتقال ، والتأويل بهذا المعنى ليس معنى خلاف الظاهر من الكيل والوزن ، بل هو حقيقة خارجية وروح أوجدت في الكيل والوزن تقوى وتضعف بواسطة استقامة المعاملة وعدم استقامتها علمًا أنَّ الآية لم تدل دلالة لفظية على هذه الحقيقة الخارجية [1] .

وقد استفاد المفسر هذه الحقيقة التأويلية من الآية نفسها باعتبار أن الناس إذا خسروا بالتطفيف ونقص الكيل والوزن اختلت عليهم الحياة ، وانعدم الأمن العام بينهم . وأمَّا إذا أقيم الوزن بالقسط فإن الرشد يطل عليهم وتستقيم أوضاعهم الاقتصادية بإصابة الصواب فيما قدروا عليه معيشتهم ، وتوفر الثقة بأهل السوق واستقرار الأمن العام بينهم [2] .

٢ _ وفي ما حكاه القرآن الكريم من قول يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِه إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِه قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ﴾ .

ذكر المفسر : أن معنى ﴿ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ أي بتأويل ذلك الطعام وحقيقته وما يؤول إليه أمره [3].

وفي معنى تأويل رؤيا ملك مصر في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ . يقول المفسر : (تعبرون) مأخوذ من عبور

---

[1]- انظر الطباطبائي : القرآن في الإسلام : ص ٤٥ _ ٤٦ ، الإسراء : ٣٥.

[2]- انظر الميزان : ٩١/١٣ _ ٩٢.

[3]- انظر الميزان : ١٧٢/١١ ، يوسف : ٣٧.



النهر ونحوه كأنَّ العابرَ يعبرُ من الرؤيا إلى ما وراءها من التأويل ، وهو حقيقة الأمر التي تمثلت لصاحب الرؤيا في صورة خاصة مألوفة له [١] .

٣ _ وفي معنى (كلمات) في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ _ ذكر المفسر : أنَّ معنى الابتلاء هو الامتحان والاختبار كاختبار الشجاعة أو السخاء أو العفة عند من تريد اختباره ، ولذلك لا يكون الابتلاء إلاَّ بعمل ، فإنَّ الفعل هو الذي يظهر الصفات الكامنة في الإنسان دون القول الذي يحتمل الصدق والكذب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾ فتعلق الابتلاء بالكلمات إن كان المراد بها الأقوال إنَّما هو من جهة تعلقها بالعمل وحكايتها عن العهود والأوامر المتعلقة بالفعل ، كقوله تعالى : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾ أي عاشروهم معاشرة جميلة [٢] .

ثم أضاف المفسر :

أنَّ جميع ما نسب إليه تعالى من الكلمة في القرآن الكريم أريد به القول كقوله تعالى : وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ﴾ وقوله : ﴿ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ﴾ وقوله : ﴿ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾ وغيرها من الآيات الكريمة . ففي هذه ونظائرها أريد بالكلمة القول من جهة أن القول توجيه ما يريد المتكلم إعلامه للمخاطب كما في الإخبار ، أو لغرض تحميله عليه كما في الإنشاء ، ولذلك ربما تتصف في كلامه تعالى بالتمام كقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ فكأنَّ (الكلمة) إذا صدرت عن قائلها فهي ناقصة بعد لم تتم ، حتى تلبس لباس العمل .

---

[١] ـ انظر الميزان : ١٨٦/١١ ، يوسف : ٤٣.

[٢] ـ انظر الميزان : ٢٦٨/١ ، البقرة : ١٢٤ ، القلم : ١٧ ، البقرة : ٢٤٩ ، ٨٣.

ثم استعان المفسِّرُ على تأييد ذلك بما شاع في الاستعمال العربي كقول عمرو بن الإطنابة :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي [1]

أي ويريد بالقول توطين النفس على الثبات والعزم ، على لزومها مكانها لتفوز بالحمد إنْ قُتِلَ ، وبالاستراحة إنْ غُلِبَ.

مِمَّا تقدم أفاد المفسر أنَّ (كلمات) في الآية يراد بها قضايا ابتليَ بها إبراهيم ، وعهودٌ إلهية أُريدت منه (عليه السلام) كابتلائه بالكواكب والأصنام ، والنار والهجرة ، وتضحيته بابنه وغير ذلك [2] .

٢ _ موقفه من (المناسبة)

المناسبة في اللغة : تعني المقاربة . النِّسبةُ والنُّسبةُ والنَّسَبُ : القرابةُ ، وفلان يناسب فلانًا فهو نسيبه ، أي قريبه [3] .

والمناسبة علم شريف تحزر به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول [4] وفائدة هذا العلم جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط . يقول ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) : ارتباط آي القرآن بعضها ببعض أن تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني ، منتظمة المباني [5].

والواقع أن ذلك الارتباط راجع إلى حقيقة الترتيب الحاصل بين الآيات من ناحية ، وبين السور من ناحية أخرى . فأمَّا ترتيب الآيات فتوقيفي على الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ، للإجماع الوارد به والنصوص المترادفة فيه ، فقد نقل ذلك عن

---

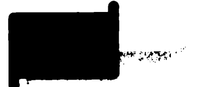
[1] ـ انظر ابن جني : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، بيروت ، دار الهدى ، ط٢ ، ٣٥/٣ ، وانظر الأعلام للزركلي : ٢٥٠/٥.

[2] ـ انظر الميزان : ٢٦٩/١ _ ٢٧٠ . الأنعام : ٣٤ ، يونس : ٦٤ ، الأنفال : ٧ ، الزمر : ٧١ ، الأنعام : ١١٥ . الأعراف : ١٣٧.

[3] ـ انظر القاموس المحيط : فصل النون ، باب الباء ، وانظر لسان العرب : فصل النون حرف الباء.

[4] ـ انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي : ٣٥/١.

[5] ـ المصدر السابق ٣٦/١.



القاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) وعن مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) وعن البغوي الفراء (ت ٥١٦ هـ) وعن الزركشي صاحب البرهان (ت ٧٩٤هـ) وغيرهم [١].

ومن النصوص :

ما روي عن ابن الزبير قال قلت لعثمان بن عفان ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً** ﴾ نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال يا ابن أخي لا أغير شيئًا من مكانه [٢] .

وكذلك ما أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب قال : ما سألت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه في صدري . وقال : ((تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء)) [٣] .

ففي الرواية الأولى نجد عثمان لم يستطع باعترافه أن يتصرف في مكان الآية ، لأنه لا مجال للرأي فيه . كما وجدنا في الرواية الثانية كيف دل النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) على موضع تلك الآية من سورة النساء وهي : ﴿ **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ** ﴾ [٤].

وأمَّا عن ترتيب السور في القرآن الكريم فقد حصلت فيه ثلاثة أقوال :

١ _ ترتيب السور على ما هو عليه الآن ، لم يكن بتوقيف النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنَّما كان باجتهاد من الصحابة ، وينسب هذا القول إلى جمهور العلماء منهم مالك والقاضي أبو بكر الباقلاني .

١_ انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٢١١/١ _ ٢١٦ ، وانظر البرهان للزركشي : ٤٠/١ وما بعدها.

٢_ انظر مناهل العرفان للزرقاني : ٣٤٨/١ ، البقرة : ٢٤٠.

٣_ انظر صحيح مسلم ، كتاب الفرائض ، باب ميراث الكلالة.

٤_ النساء : ١٧٦.



٢ _ أنَّ ترتيب السور كلها توقيفي بتعليم الرسول كترتيب الآيات ، وأنه لم توضع سورة في مكانها إلاَّ بأمر منه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

٣ _ أنَّ ترتيب بعض السور كان بتوقيف من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وترتيب بعضها الآخر كان باجتهاد من الصحابة [١].

وأمام هذه الأقوال لوحظ ثمة اختلاف بين مصاحف الصحابة في ترتيب السور ، وورود بعض الروايات التي لا تفيد توقيفية الترتيب بين السور ، من ذلك ما روي عن ابن عباس من أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قُبِضَ ولم يبيِّن أن سورة (براءة) من سورة (الأنفال) أم لا ، فوضعتا في السبع الطوال دون أن يكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) [٢].

وإلى جانب ذلك وردت بعض الأحاديث التي تفيد أن قسمًا من السور كان ترتيبها توقيفيًّا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، منها ما أخرجه ابن ماجة عن أوس بن حذيفة الثقفي قال : كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف ، حتى جاء في الرواية أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : (طرأ علي حزب من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أتمه) . قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل [٣].

ومن خلال ما حصل في توقيفية الترتيب لبعض السور دون البعض الآخر اضطر إلى ترجيح القول الثالث . يقول الزرقاني : (وقد ذهب الى هذا الرأي _ يعني القول الثالث _ فطاحل من العلماء ، ولعله أمثل الآراء) [٤] .

---

[١]- انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني : ط٣ ، ٣٥٣/١ _ ٣٥٨.

[٢]- انظر جامع الترمذي ، أبواب تفسير القرآن ، سورة التوبة.

[٣]- انظر سنن ابن ماجة ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب في كم يستحب نختم القرآن.

[٤]- انظر مناهل العرفان للزرقاني : ٣٥٦/١.

بعد ذلك كله ، ما هو موقف الطباطبائي من ترتيب السور والآيات ؟

في الواقع أنَّ الطباطبائي لم يعتن ببيان ترتيب السور ، ولم يتعرض لبيان الترابط والمناسبة بين مختتم السورة ومفتتح السورة التي تليها ، لكنما حصل لديه مثل هذا الاعتناء في موارد قليلة . منها المناسبة بين مضمون سورة الفيل وسورة قريش لما فيهما من ائتلاف يتضمن الثانية الامتنان على قريش بإيلافهم الرحلتين عقب صد غزاة البيت الحرام ، وجعلهم كعصف مأكول في السورة الأولى[1].

لكنه عني كثيرًا بالترابط والمناسبة بين الآيات حيث كان يستفرغ وسعه في إيجاد وجه للمناسبة بين الآيات ، ولا شك في أنه لا تتم وحدة السياق بين الآيات ما لم يكن ثمة ترابط ومناسبة بينها تكشف عن ظروفها وملابساتها ، وتبين عن حالة المتكلم . هذا طبعًا على عكس السور التي يرجح المفسر أن يكون الترتيب فيها بين توقيف على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين اجتهاد من الصحابة كما بيناه .

ففي بيان قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ يقول المفسر : لا تخلو من مناسبة بالنسبة إلى آيات القتال (٢٤٤ _ ٢٥٢ من سورة البقرة) التي تأتي بعدها في الترتيب ، وذلك لما في الجهاد من إحياء الملة بعد موتها [2] .

وهكذا حين يكون بين الآيات ما هو من قبيل العطف أو التفريع أو التعليل ، أو تكون بعض الآيات بمثابة تمهيد وتوطئة للآيات التي تليها ؛ نجده يشير الى ذلك ويوضح وجه هذا الارتباط ، ومن ذلك أيضاً في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ يقول المفسر : فيها تمهيد لما في الآية التالية من الإذن في القتال في قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ

---

[1] ـ انظر الميزان : ٣٦٤/٢٠.

[2] ـ انظر الميزان : ٢٧٩/٢ ، البقرة : ٣ ، ٢.

ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ وهذا التمهيد كون الله سبحانه يدافع عن الذين آمنوا ، وإنَّما يدفع عنهم المشركين ، لأنه يحب هؤلاء ولا يحب أولئك لخيانتهم وكفرهم فهو إنما يحب هؤلاء لأمانتهم وشكرهم ومِنْ ثَمَّ فهو سبحانه يدافع عن دينه الذي عند المؤمنين [1] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وما بينهما فاعْبُدْهُ واصْطبر لعبَادَته ﴾ قال المفسر : إنَّ صدر الآية تعليل لقوله تعالى في الآية السابقة : ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذلكَ وَمَا كان ربُّك نسيًا ﴾ أي كيف لا يملك ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وكيف يكون نَسيًّا وهو تعالى رب السموات والأرض وما بينهما ؟ ورب الشيء هو مالكه المدبر لأمره فملكه وعدم نسيانه مقتضى ربوبيته [2] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفرأيْت الَّذي كفر بآياتنا وقال لأُوتينَ مالا وولدا ﴾ ذكر المفسر: أن الآية متفرعة بفاء التفريع على ما تقدم من قولهم: ﴿ أيُّ الفريقيْن خيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نديًا ﴾ لأنَّ كفر هذا القائل وقوله : ﴿ لأُوتينَ مالا وولدا ﴾ من نفس كفرهم ، ومبنيٌّ على قولهم للمؤمنين لا خير عند هؤلاء ولا سعادة الحياة وعزة الدنيا ونعمتها ولا خير إلاّ ما عند الكفار وفي ملتهم [3] .

ولربما يتحقق الطباطبائي من وجود المناسبة بين مفتتح السورة وختامها ، ففي سورة إبراهيم المفتتحة بقوله تعالى : ﴿ الر كتابٌ أنزلْناهُ إليْك لتُخرج النَّاس من الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور ﴾ ذكر المفسر : أنَّه ينطبق على ختام السورة ويقابله وهو قوله تعالى : ﴿ هـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاس ولِيُنذَرُواْ به وَلِيعْلَمُواْ أَنَّمَا هُو إِلَـهٌ واحدٌ ولِيذَّكَر

1- انظر الميزان : ٣٨٣/١٤ ، الحج : ٣٨ ، ٣٩.

2- انظر الميزان : ٨٤/١٤ ، مريم : ٦٥ ، ٦٤.

3- انظر الميزان : ١٠٣/١٤ ، مريم : ٧٧ ، ٧٣.



أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ وذلك لما يفيد أنَّه من أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالدعوة والتبليغ إلى صراط الله العزيز الحميد [1] .

وفي بيان غرض سورة الرعد وهو إظهار أنَّ ما نزل على النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من الكتاب هو الحق وأنَّه آية الرسالة ، ذكر المفسر أن ذلك يدل عليه مفتتح السورة وهو قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ واختتامها كذلك وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [2] .

ولا يكتفي المفسر في إيجاد المناسبة بين الآيات ، بل يتعرض غالبًا لبيان الترابط الوثيق بين أجزاء الآية الواحدة ؛ ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعرض المفسر وجه المناسبة بين لفظتي (الناس) و (ربكم) فيقول : (والنكتة في توجيه الخطاب إلى الناس دون المؤمنين خاصة وتعليق التقوى بربهم دون أن يقال : اتقوا الله ونحوه ، فذلك الوصف يعني جميع الناس من غير أن يختص بالمؤمنين وهو من أوصاف الربوبية التي تتكفل أمر التدبير والتكميل لا من شؤون الإلهية) [3].

وهكذا يبدو مما تقدم أنَّ المفسر لم يغفل (النظم) بين الآيات وإنَّما جهد نفسه كثيرًا في استجلاء جوانب عديدة منها ، فمراعاة نظم الكلام تعد من واجبات أي مفسر [4]

٣ _ موقفه من المكي والمدني

للعلماء في تعريف المكي والمدني ثلاثة آراء ، فمنهم من عدَّ مكان النزول أساساً في التفريق بين المكي والمدني ، ومنهم من رأى أن المخاطبين هم الأساس في ذلك

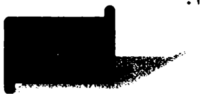
---

[1] ـ انظر الميزان : ٦/١٢ ، ٩٠ ، إبراهيم : ١ ، ٥٢.

[2] ـ انظر الميزان : ٢٨٤/١١ ، ٣٨٣ ، الرعد : ١ ، ٤٣.

[3] ـ انظر الميزان : ١٣٤/٤ ، النساء : ١ . وللاطلاع على نماذج أخرى لوجوه المناسبة بين الآيات انظر الميزان : ٢٢٢/١ ، ٢٥٩ ، ٣١٧ ، ٣٩٣ ، ٩٥/٢ ، ٤٤٠ ، ٢٢٢/٣ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ١٥١/٤ ، ٢٧٩ ، ٣٨٧ ، ١٥٢/٥ ، ٢٧/٦ ، ٢٠٤/٨ ، ٣٥٣ ، ١٤١/٩ ، ٢٢٧/١٣ ، ٤٠٥ ، ٧٥/١٤ ، ٣٦٢ ، ٧١٢ ، ٤١٢ ، ٢٢٨/١٧.

[4] ـ انظر البرهان للزركشي : ٣١٧/١.



، فالمكي ما وقع خطابًا لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة ، والمشهور أنَّ المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة [1] .

ولمعرفة مكي الآيات ومدنيها فوائد ، أهمها : التعرف على الناسخ والمنسوخ ، وذلك إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد ، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفًا للحكم في غيرها ، ثم عرف أنَّ بعضها مكي وبعضها مدني ، فالثاني يكون ناسخًا للأول باعتبار تأخره عنه [2].

ومن تلك الفوائد يذكر الطباطبائي أنَّ للعلم بمكية السورة ومدنيتها ثم ترتيب نزولها أثرًا مهمًّا في الأبحاث المتعلقة بالدعوة النبوية وسيرها الروحي والسياسي والمدني في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحليل سيرته الشريفة [3].

وفي كيفية معرفة المكي والمدني ذهب بعض العلماء الى أنَّ السبيل الوحيد إليه هو ما ورد عن الصحابة في ذلك . وهذا لا ينافي الاعتماد على الاجتهاد وإعمال الفكر الى جانب الروايات الصحيحة [4] ، ولا سيما لو تطلعنا الى التناقض والتعارض فيما روي بشأن مكي الآيات ومدنيها [5] . فبعد أن اختار الطباطبائي زمن الهجرة أساسًا في التمييز بين المكي والمدني [6]. ذكر أنه في تحقيق كون الآيات مكية أو مدنية ، يعتمد على التدبر في سياقها والاستمداد بما يتحصل من القرائن والأمارات ، فإذا شهد السياق بأن مضامين هذه الآيات تناسب ما كان يجري عليه الحال في

---

[1] ـ انظر البرهان للزركشي : ١٨٧/١.

[2] ـ انظر الاتقان للسيوطي : ٣٦/١ ، ومناهل العرفان للزرقاني : ١٩٥/١ وانظر علوم القرآن المنتقى . فرج توفيق الوليد وفاضل شاكر النعيمي ، بغداد ، دار الحرية ، ١٩٧٨م ، ص : ٨٢.

[3] ـ انظر الميزان : ٢٣٥/١٣.

[4] ـ انظر مناهل العرفان : ١٩٦/١ وبعدها . وانظر علوم القرآن المنتقى : ص ٧٢ _ ٧٣.

[5] ـ انظر الاتقان : ٣٨/١ _ ٦٧.

[6] ـ انظر القرآن في الإسلام للطباطبائي : ص ١٢٠ _ ١٢١.

مكة أو في المدينة فهي مكية أو مدنية على الترتيب [1] . فسورة (يس) _ على سبيل المثال _ مكية [2] بشهادة سياق آياتها ودلالة مضامينها إذ إنَّ أغراض السورة بيان الأصول الثلاثة للدين (التوحيد والنبوة والمعاد) [3].

وكذلك الحال في سورة (ص) فهي مكية [4] إذ يدور الكلام فيها حول كون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مُنْذِرًا بالقرآن الداعي الى التوحيد وإخلاص العبودية له

---

[1]- انظر الميزان : ٢٣٥/١٣ . وضع العلماء ضوابط للسور المكية والسور المدنية وحتى الآيات يمكن التمييز بينها بمراعاة أسلوبها وسياقها ، فقد ذكر السيوطي : أن ما كان خطابه (يا أيها الذين آمنوا) فهو مدني وما كان خطابه (يا أيها الناس) فمكي . ولكن ورد عليه جملة أمور هي : أن (يا أيها الذين آمنوا) صحيح وأما (يا أيها الناس) فقد يأتي في المدني . وقال ابن الحصار : اتفق الناس على أن سورة النساء مدنية وأولها (يا أيها الناس) وعلى أن سورة الحج مكية وفيها ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا ﴾ آية رقم : ٧٧ . وذكر أيضا أن سورة البقرة مدنية وفيها ﴿ يا أيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ . آية رقم ٢٠١ . و ﴿ يَا أيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأرْضِ ﴾ آية رقم ١٦٨ . وسورة النساء مدنية وأولها : (يا أيها الناس) . وقال مكي : هذا إنما هو في الأكثر ، وليس بعام وفي كثير من السور المكية (يا أيها الذين آمنوا) _ انظر : الاتقان ٦٨/١ _ ٦٩ . ونقل السيوطي : أن كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فإنما نزل بمكة ، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة . وكل سورة فيها (كلا) أو فيها قصة آدم وإبليس سوى (البقرة) فهي مكية ، أو أولها حرف تهج سوى البقرة وآل عمران فهي مكية كذلك ، وكل سورة فيها سجدة فهي مكية أيضا ، وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت . (انظر : المصدر السابق نفسه) . كما أن السور المكية تنحو في الأغلب نحو التسجيع والتوازن ، وتتكثف فيها الدعوة الى التوحيد ومحاربة الشرك والدعوة الى المكارم الاجتماعية والروحية والإنسانية وكذلك التعرض للقصص ومشاهد الآخرة والحديث عن الملائكة والجن كما تزخر بالإنذار والتبشير والوعد والوعيد بينما هذه الصيغة نجدها تقل في الأسلوب المدني ففي السور المدنية تشريع الجهاد وقائعه وظروفه واصطباغ المبادئ والتكاليف التعبدية والأخلاقية والاجتماعية والقضائية والسلوكية بصيغة التقنين والتقعيد . كما أن لهجتها عن اليهود لهجة شديدة في الدعوة والتعنيف والتنديد وفيها صور عن مواقفهم وأحوالهم . (انظر محمد عزة دروزة : القرآن المجيد ، ص ١٢٤ _ ١٢٦) . وعلى ضوء من هذه المميزات ومع استلهام المضمون والسياق للآيات والسور يتمكن الباحث من التمييز بين المكي والمدني . وهذه الطريقة أقرب للصواب _ على ما اعتقد _ من الركون الى الروايات المتناقضة والمتدافعة بصدد بيان المكي والمدني من السور والآيات.

[2]- انظر الاتقان : ٤٣/١ ، ٤٩.

[3]- انظر الميزان : ٦٢/١٧.

[4]- انظر الاتقان : ٤٢/١ ، ٤٩.



تعالى ، وفيها أيضًا ذكر اعتزاز الكفار وشقاقهم واستكبارهم عن إتباعه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكر قصص عباده الأولين ، وفيها ذكر مآل حال المتقين الطاغين ، وكون السورة أيضاً تأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بإبلاغ دعوته الى توحيد الله [١] .

وأيد المفسر ما وري عن ابن عباس من أن سورة الرعد مكية ، بينما رفض أن تكون مدنية بتمامها أو بعض منها ، وهو المروي عن أنس بن مالك والحسن وعكرمة وقتادة [٢] ، والذي يفيد أنها مكية سياق آياتها وما تشتمل عليه من المضامين باعتبار أنَّ غرض السورة بيان ما نزل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الكتاب أنه الحق الذي لا يخالطه باطل ، فإن الذي يشتمل عليه القرآن من كلمة الدعوة هو التوحيد الذي تدل عليه آيات الكون من رفع السموات ومد الأرض وتسخير الشمس والقمر وأمثالها [٣] .

وعن سورة النساء يقول المفسر : إنَّها مدنية لشهادة مضامين آياتها المتعرضة لجملة من الأحكام كالزواج والمواريث والصلاة والجهاد والشهادات والتجارة وغيرها ، وتعرضها لحال أهل الكتاب [٤] على خلاف ما زعم النحاس أنَّها مكية [٥]

٤ _ موقفه من أسباب النزول :

إنَّ معرفة نزول الآيات القرآنية ضرورية جدًّا ، لأنها تسهم في فهم المعنى وتبين المراد من بعض آيات التنزيل .

١ـ انظر الميزان : ١٨١/١٧.
٢ـ انظر الاتقان : ٤٨/١.
٣ـ انظر الميزان : ٢٨٤/١١.
٤ـ انظر الميزان : ١٣٤/٤.
٥ـ انظر الاتقان : ٤٧/١.

قال الواحدي : (إذ هي _ يعني أسباب النزول _ أوفى ما يجب الوقوف عليها ، وأولى ما تصرف العناية إليها ، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها ، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) [1] .

وعليه ، فإنَّ للوقوف على أسباب النزول والعناية بها أهمية كبيرة في فهم معاني الآيات _ هذا ما قرره العلماء _ .

وإلى هذه الأهمية أشار الطباطبائي بقوله : ((إنَّ الحوادث والأحداث التي وقعت أيام الدعوة ، وكذلك الحاجات الضرورية من الأحكام والقوانين الإسلامية هي التي تسببت في نزول كثير من السور والآيات ، ومعرفة هذه الأسباب يساعد إلى حد كبير في معرفة الآية المباركة وما فيها من المعاني والأسرار)) [2].

وبناءً على هذا ، اهتم المفسر بأسباب النزول لكونها تساعد في فهم المراد ، ولاعتقاده أنها قرائن يمكن أن توضح النص القرآني وتوجهه وجهة معينة .

مثاله : في قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ۞ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ...﴾ الآيات .

ذكر المفسر أنَّها تصف حال بعض المنافقين حين أظهروا الإيمان والطاعة أوّلاً ثم تولوا .

---

[1] ـ الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري ، أسباب النزول ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٧٩هـ ، ص٤ . والى هذا المعنى أشار ابن دقيق العبد بقوله (بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن) _ (الاتقان : ٣٠/١) . وتابع على ذلك ابن تيمية بقوله (معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب) _ (ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير : ص ٤٧) . وأشار الى هذا المعنى أيضا السيوطي في الاتقان : ٣٠/١.

[2] ـ الطباطبائي : القرآن في الإسلام ص ١٢٣ . ويقول الطباطبائي في موضع آخر : ((إن الأهداف القرآنية العالية التي هي المعارف العالية الدائمة .... لا تحتاج كثيرا أو لا تحتاج أبدا الى أسباب نزول)) _ القرآن في الإسلام : ١٢٦ . وهذا ينسجم مع كون القرآن نزل قسم منه عقب واقعة أو سؤال والقسم الآخر نزل ابتداءً _ هذا ما قاله الجعبري _ (الاتقان : ٣٠/١).

وقد ذكر لها ثلاث روايات ذات معنى واحد ، فحواها أنّ رجلاً من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود حكومة فدعاه اليهودي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعاه المنافق الى كعب بن الأشرف فنزلت الآيات [1].

مثال آخر :

في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا۞ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾ حتى قوله تعالى ﴿... كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ .

ذكر المفسر رواية عن ابن عباس (أنّ مشركي مكة سألوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا : متى تقوم الساعة ؟ استهزاءً منهم . فنزلت الآيات) [2] .

ولكثرة ما ورد من روايات أسباب النزول وما فيها من اختلاف وتعارض ، تردد جملة من المفسرين في قبولها وتلمسوا لقسم منها شواهد قرآنية تؤيدها ورفضوا القسم الآخر [3].

وقد وقف الطباطبائي من غالبية هذه الروايات موقف الناقد الخبير فضلاً عن إشارته إلى أسانيد بعضها بالضعف ، فهو يعتقد أنّ كثيرًا من هذه الأسباب المروية اجتهادية وليس بسبب شاهده الراوي بالعيان وضبطه بحدوده الدقيقة ، ودليله على ذلك التناقض الكثير في هذه الروايات بمعنى أنّ الآية الواحدة تذكر فيها عدة روايات في أسباب النزول يناقض بعضها بعضًا ولا يمكن جمعها بشكل من الأشكال [4] . وضمن كلام المفسر عن مناسبات نزول جملة من الآيات التي تعنى

---

[1] ـ انظر الميزان : ١٥٧/١٥ ـ ١٥٨ ، النور : ٤٧ ـ ٥٧.

[2] ـ انظر الميزان : ١٩٨/٢٠ ، النازعات : ٤٢ ـ ٤٦ . وللاطلاع انظر الميزان : ٩٦/١٥ ـ ١٠١.

[3] ـ أشار الى هذا المعنى الأستاذ محمد عزة دروزة بقوله : (إن هناك روايات كثيرة في أسباب النزول ومناسباته وقد حشرت في كثير من كتب التفسير التي كتبت في مختلف الأدوار لا تثبت على النقد والتمحيص طويلا ، سواء بسبب ما فيها من تعدد وتناقض ومغايرة أو من عدم الاتساق مع روح الآيات التي وردت فيها وسياقها بل ونصوصها أحيانا ومع آيات أخرى متصلة بموضوعها أو موضحة لها أو عاطفة عليها) . انظر : كتاب القرآن المجيد ، لبنان ، ص : ٢١٧.

[4] ـ انظر القرآن في الإسلام للطباطبائي : ص ١٢٤.

بقصة غزوة (أحد) أشار إلى أنَّ كلها أو جلها نظرية بمعنى أنهم يـــروون غالبـــا الحوادث التاريخية ثم يشفعونها بما يقبل الانطباق عليها في الآيات الكريمة فيعدونها أسباب نزول وربما أدَّى ذلك الى مخالفة السياق أو النظم ، ثم أشار إلى أنَّ للعامل السياسي والمذهبي أثرًا كبيرًا في مثل هذا التطبيق [1].

---

[1]- انظر الميزان : ٧٤/٤ ، ٢٨٧ ، ١١٤/٦ _ ١١٥ . ومفهوم التطبيق بهذا المعنى يعاكس التفسير ويمسخ روحه بمعنى أن لدى المفسر قبليات من الأفكار والحوادث وغيرها ثم يشفعها بما يقبل الانطباق عليها من الآيات الكريمة (انظر مجلة دراسات إسلامية ، جامعة النجف الدينية ، الموضوع للأستاذ محمد هادي معرفة ، ١٣٨٤هـ ، ٤٥/٢) . وننقل هنا ما ذكره السيوطي في الاتقان حول تعدد أسباب النزول والنازل واحد ، فيقول السيوطي : كثيرا ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسبابا متعددة وطريق الاعتماد في ذلك عدة حالات :

أ _ إن عبَّر أحدهم بقوله نزلت في كذا ، والآخر نزلت في كذا وذكر أمرا آخر ، فإن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول ، فلا منافاة بين قوليهما ؛ إذا كان اللفظ يتناولهما .

ب _ وإن عبَّر واحد بقوله نزلت في كذا ، وصرح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد وذاك استنباطه .

ج _ وإن ذكر واحد سببا ، وآخر سببًا غيره ، فإن كان إسناد أحدهما صحيحا دون الآخر، فالصحيح المعتمد .

د _ أن يستوي الإسنادان في الصحة فيرجح أحدهما بكون راويه حاضر القصة أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات .

ه _ أن يمكن نزولها عقيب السببين أو الأسباب المذكورة ، بأن لا تكون معلومة التباعد فيحمل على ذلك .

و _ أن لا يمكن ذلك فيحمل على تعدد النزول وتكرره .

(الاتقان : ٣٣/١ _ ٣٥ ، بتصرف) وهذا لا ينافي موقف الطباطبائي المتشدد من قبول روايات أسباب النزول المتباينة فهو يرى أيضا أن أسباب النزول المروية لا تأبى أن تتعدد وتجتمع عدة منها في آية واحدة لجواز وقوع عدة حوادث تنزل بعدها آية تشتمل على حكم جميعها (الميزان : ٢٠٦/٢ ، ٣٣١/٣ ، ٢١٧/٤) . لكن المفسر _ في اعتقادي _ لا يتفق تماما مع السيوطي في جميع هذه الحالات ، فالسيوطي يعتبر صحة السند أساسا في قبول الرواية وترجيحها على الأخرى ، وفي أحيان أخرى يستفيد الترجيح من متن الروايات بينما يهتم الطباطبائي بمتون هذه الروايات غالبا ويعتبرها أساسا لصحة الرواية وضعفها أن وافقت النص القرآني أو خالفته على الترتيب . (انظر الميزان ٤٠/٩ ، ٥٦ ، ٨٦/١٤ ، ١٦٨/١٩ _ ١٦٩) . ولعل اهتمام الطباطبائي بالمتون ناشىء من كونه يرى أن الأسانيد متساوية من حيث الضعف غالبا ، وهو لا يريد أن يرفض سبب النزول مطلقا فيتناول المتن كقرينة واضحة على الرفض أو القبول.

وعلى أساس من هذا بنى المفسر موقفه من روايات أسباب النزول ، فإذا لم تكن متواترة أو قطعية الصدور ، يجب عرضها على القرآن الكريم .

وأضاف :

أنَّ هذه الطريقة تسقط أكثر روايات أسباب النزول عن الاعتبار ، إلاَّ أنَّ الباقي منها يكسب كل الاعتبار والوثوق [١].

وفضلاً عمَّا قدمناه من أمثلة ، نذكر مثالاً يؤيد أخذه بالروايات التي تنسجم مع روح الآيات .

ففي قوله تعالى:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ولَوْ شاء اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَ اللَّهَ عزيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

يقول : في الآية إشعار بل دلالة على نوع من التخفيف والتسهيل ، حيث أجازت المخالطة لليتامى ، ثم قيل ولو شاء الله لأعنتكم ، وهذا يكشف عن تشديد سابق من الله تعالى في أمر اليتامى يوجب التشويش والاضطراب في قلوب المسلمين حتى دعاهم الى السؤال عن أمر اليتامى ، ثم ذكر رواية عن ابن عباس في الدر المنثور ، مفادها لما نزل قوله تعالى : ﴿ ولا تقرَبُوا مال الْيتيم إلاَ بالَّتي هي أحسنُ وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يأْكُلونَ أموال الْيتامى ظُلْما إنَّما يأْكُلون في بُطُونِهمْ نارا ﴾ انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه وشرابه ... فاشتدَّ ذلك عليهم حتى سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك فأنزل الله : ﴿ ويسألونك عن الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ واللَّهُ يعْلَمُ الْمُفْسد من الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حكيمٌ ﴾ [٢].

[١] ـ القرآن في الإسلام ، ص ١٢٥ _ ١٢٦.

[٢] ـ الميزان : ١٩٧/٢ _ ٢٠١ ، البقرة : ٢٢٠ ، الأنعام : ١٥٢ ، النساء : ١٠ ، انظر الميزان : ١٩٣/١ ، ٤٠/٩ ، ٥٦ ، ٨٦/١٤ ، ١٦٨/١٩ _ ١٦٩.



ويطرح من الروايات ما خالف منها الكتاب وسياق الآيات ، أو لوجود المعارض لها الموافق للقرآن .

مثاله : ففي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .

أفاد المفسر أن في الآية عتابًا للمؤمنين على ما عرض لقلوبهم من القسوة وعدم خشوعها لذكر الله والحق النازل من عنده تعالى وتشبيهاً لحالهم بحال أهل الكتاب ، ثم ذكر في سبب نزولها رواية عن الأعمش في الدر المنثور تفيد أن أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن قدموا المدينة أصابهم من لين العيش لما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا فنزلت الآية .

وعلق عليها المفسر بأنَّها أعدل الروايات في النزول ثم ذكر رواية عن ابن مسعود تفيد أن هذه الآيات مكية ، فلم يأخذ بها المفسر لكون سياق آيات السورة يأبى إلاَّ أن تكون مدنية .

وطرح أيضا روايتين _ في الموضوع نفسه _ إحداهما عن ابن عباس لمخالفتها السياق [1].

ويبدو مما تقدم أن المفسر اعتمد أيضا مبدأ الترجيح والموازنة بين روايات أسباب النزول ، وتبين كذلك أنه رد بعض ما عن الصحابة والتابعين في أسباب النزول ولكنه عندما يطمئن لرواية هي سبب للنزول فهو يعدُّها ويشير إلى طرقها الأخرى

---

[1] ـ انظر الميزان : ١٦٨/١٩ _ ١٦٩ ، الآية : الحديد ، ١٦ . وانظر الميزان : ١٩٠/١٩ . ولم يذكر المفسر بالمرة (ما رواه الواحدي عن مقاتل والكلبي في (أسباب النزول) بان هذه الآية نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة) (أسباب النزول للواحدي : ص ٢٣١) وفي تقديري : أنها تخالف الكتاب والآية صريحة في خطاب (الذين آمنوا) ولا تخص المنافقين.

إن وجدت [١] ، وهذا يدل على اهتمامه بروايات أسباب النزول لاعتقاده بأنها قرائن توضح النص القرآني .

أمَّا المصادر التي اعتمدها المفسر في روايات أسباب النزول في الغالب فهي جوامع الحديث وكتب التفسير [٢].

وأمَّا موقفه من القاعدة الأصولية المعروفة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) فهو يميل الى أنَّ المراد من ذلك هو عموم اللفظ ، لأن ما ورد من شأن النزول ، لا يوجب قصر الحكم على الواقعة ، فالمورد إذن لا يخصص الوارد لأنَّ البيان عام والتعليل مطلق ، فإن المدح النازل في حق أفراد من المؤمنين أو الذم النازل في حق آخرين معلل بوجود صفات فيهم ، لا يمكن قصرها على شخص مورد النزول مع وجود عين تلك الصفات في قوم آخرين بعدهم . وهكذا [٣] .

ومما يساعد على هذا الاعتقاد إيمان المفسر بأنَّ (القرآن نزل هدى للعالمين يهديهم الى واجب الاعتقاد وواجب الخلق وواجب العمل . وما بيَّنه من المعارف النظرية حقائق لا تختص بحال دون حال ، ولا زمان دون زمان ، وما ذكره من فضيلة أو رذيلة أو شرعة من حكم عملي لا يتقيد بفرد دون فرد ، ولا عصر دون عصر لعموم التشريع) [٤] .

---

[١] ـ انظر الأمثلة السابقة . الميزان : ١٩٣/١.

[٢] ـ الميزان : ٦٥/٤ _ ٦٦ وانظر الأبحاث الروائية في الميزان.

[٣] ـ الميزان : ٤٢/١ . وهذا المعنى يطابق ما ذهب إليه ابن تيمية : (والناس وان تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب ، هل يختص بسببه ؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين أن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين ، وإنما غاية ما يقال : إنها تختص بنوع ذلك الشخص فتعم ما يشبهه) (مقدمة في أصول التفسير : ص ٤٧) والى هذا المعنى أشار السيوطي في الاتقان : ٣١/١.

[٤] ـ الميزان : ٤٢/١.

ففي قوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ يقول المفسر : واختصاص المورد بآيات النبوة لا يوجب تخصيص الآية،لأنَّ المورد لا يخصص[1] .

وقد يعبر عنها بعض المفسرين بالجري ، وهو شائع عند مفسري الإمامية .

فالجري عين القاعدة الآنفة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) .

وتعبير آخر لها [2] وقد أخذ لفظ الجري من نصوص عدة نذكر منها قولاً للإمام محمد الباقر (عليه السلام) أحد أئمة الإمامية الاثني عشرية : (ولو أنَّ الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السموات والأرض ولكل قوم آية يتلونها ، هم منها من خير أو شر) [3] .

وقوله أيضا : (.. ظهره _ يعني القرآن _ تنزيله وبطنه تأويله ، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر،كلما جاء منه شيء وقع)[4] .

ولا ريب ، فالنصوص القرآنية بما تحمله من عموم لكون أحكام القرآن سارية على كل الناس فيجري في الغائب كما يجري في الحاضر وينطبق على الماضي والمستقبل كما ينطبق على الحال فيكون مورد النزول مخرجًا لبعض أفراد النص القرآني ، لأنَّ آيات الكتاب (لا تختص بمورد جزئي حتى تلك الآيات التي وردت في مورد خاص وفسرت على ذلك الأساس فإنَّها بصدد بيان معنى عام يستفيد منه الجميع ، وأنَّ المورد الذي نزلت فيه ... ليس في الحقيقة إلاّ بعض مصاديق

---

[1] ـ الميزان : ٣٧٧/١١ . والرعد : ٣٩.
[2] ـ ويعبر المفسر عنها أحيانا بالانطباق وعد المصاديق ، وهو غير التطبيق الذي مر ذكره.
[3] ـ تفسير العياشي : محمد بن مسعود العياشي ، ص : ٢٠ ، وانظر الميزان : ٧٣/٣.
[4] ـ انظر المصدر السابق نفسه . وانظر الميزان : ٤٢/١.

المفهوم القرآني ... وذكر بعض موارد التنزيل لا يوجب تخصيص الآيــة بــذلك المورد) [1] .

وهذا يماثل ما قاله الطباطبائي من (أنَّ للقرآن اتساعًا من حيــث انطباقــه علـى المصاديق وبيان حالها ، فالآية منه لا تختص بمورد نزولها بل يجري فــي كـل مورد يتحد مع مورد النزول ملاكًا كالأمثال التي لا تختص بمواردها الأول ، بـل تتعداها الى ما يناسبها . وهذا المعنى هو المسمى : بجري القرآن) [2] .

وقد استخدم المفسر هذه القاعدة في تصنيفه لبعض المنقولات في تفسيره من رواية أو قول على أنها من الجري دون التفسير .

مثاله : في تفسير قوله تعالى : ﴿ الْحمْدُ للَه فاطر الــسَماوات والْــأَرْض جاعـل الْمَلَائكَة رُسْلا أُولي أَجْنحة مَثْنى وثُلَاث ورُباع يزيدُ في الْخلْق ما يــشاءُ إنَ اللَّــه عَلَى كُلِّ شيْء قَديرٌ ﴾ .

فَسَّرَ الطباطبائي (يزيد في الخلق ما يشاء) بأنَّ منهم من يزيد أجنحته على أربعــة بحسب السياق .

وقد أورد ثلاث روايات في معنى الآية :

فعن الرضا (عليه السلام) في عيون الأخبار قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حــسنا ، وقُرِئ : (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) . وعن الصادق (عليه السلام) في التوحيد : أن القضاء والقدر خلقان من خلق الله (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ).

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : هــو الوجــه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن .

---

[1] ـ السيد إسماعيل الصدر ، محاضرات في تفسير القرآن الكريم ، النجف ، ص ٧ _ ٨ . انظر : محمد الفاضل بن عاشور : التفسير ورجاله ، تونس ، ١٩٧٢م ، ط٢ ، ص : ٢٠.

[2] ـ الميزان : ٦٧/٣ وانظر الميزان : ٧٢/٣.

وعلق المفسر على هذه المعاني بأنَّها من قبيل الجري والانطباق ، لا التفسير [1].
والجري يعاكس التطبيق بمعناه الاصطلاحي الذي يعني أنَّ لدى المفسر قبليات من الأفكار والحوادث وغيرها يشفعها بما يقبل الانطباق عليها من الآيات الكريمة .
وأمَّا الجري فهو انطباق الآية على بعض مصاديقها كما ذكرنا .
وعليه فقد يطلق الجري ويراد به التطبيق بمعناه اللغوي .
وأشار المفسر الى أن أغلب روايات (الجري) هي ما كان أئمة أهل البيت يطبقون فيها الآية من القرآن على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد وإن كان خارجًا من مورد النزول ، على أن الاعتبار يساعد هذا الانطباق لما في القرآن من عموم زماني ومكاني واتساع لمعارف نظرية لم تكن على مستوى واحد من الإدراك [2].
مثاله :
في قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ ﴾ .
أورد المفسر رواية عن أبي الحسن _ أحد أئمة أهل البيت _ في معنى الصبر في الآية . فقال : الصبر يعني الصيام ، فإذا نزلت بالرجل النازلة الشديدة فليصم ، فإنَّ الله عز وجل يقول : (واستعينوا بالصبر ، يعني الصيام) .
ويعلق عليها المفسر فيقول هذا من باب المصداق والجري [3] .
وقد يفيد الجري أحيانا معاني غير ظاهرة من اللفظ وهو ما يسمى بالباطن وقد عرفنا به فيما سبق [4].
إنَّ المفسر باستخدامه لهذه القاعدة في التفسير ، وتصنيفه لكثير من الروايات على أنَّها من قبيل الجري وعدَّ المصاديق دون التفسير ، ومنها الروايات التي جاءت من

---

[1] ـ الميزان : ٧/١٧ ، ١٢ ، فاطر : ١ . وانظر الميزان : ٣١٨/٩ ، ٢٠٠/١٦ ، ١٧٧/٢٠ ، لا على سبيل الحصر.
[2] ـ الميزان : ٤٢/١.
[3] ـ الميزان : ١٥٣/١ والبقرة : ٤٥ وانظر الميزان : ٤٦/١ ، ٤٢٧.
[4] ـ انظر صفحة ٢٣٢ وما بعدها من هذه الرسالة.



طرق الإمامية عن أئمتهم وبعضها في حقهم ؛ يكون قد أخذ بهذا التفسير كثيراً صوب الاعتدال ، وتجاوز عائق الجمود المذهبي .

٥ _ موقفه من النسخ في القرآن الكريم

انشغل أهل النظر في النسخ حتى تبلور علمًا من علوم القرآن يدعى بعلم النسخ أو علم الناسخ والمنسوخ . ولأهميته في التفسير (قال الأئمة لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلاّ بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ) [١]. فقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنَّهُ دخل يومًا جامع الكوفة فرأى فيه رجلاً وقد تحلق عليه الناس يسألونه وهو يخلط الأمر بالنهي والإباحة بالحظر ، فقال له علي : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا . قال (عليه السلام) : هلكت وأهلكت [٢] .

وقد صنف فيه جماعة كثيرون منهم قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ) ، وأبو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ، وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، وهبة الله بن سلام الضرير (ت ٤١٠هـ) ، وابن العربي (ت ٥٤٦هـ) ، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، وابن الأنباري (ت٣٢٨هـ) ، ومكي بن أبي طالب المقرئ (ت ٤٣٧هـ) وآخرون [٣].

ومر (النسخ) بأدوار عديدة حتى استقر مؤخرًا على معناه الأصولي الذي سيأتي بيانه . وفي شيء من الخلط وقع بعض الباحثين لعدم تفريقهم بين النسخ التفسيري والنسخ الأصولي فادَّعوا أن هناك عددًا كبيرًا من دعاوى النسخ [٤] ، وينكشف هذا الخلط بمعرفة الفارق بين النسخين المذكورين من خلال وقوفنا على الأدوار

---

[١] ـ انظر الاتقان للسيوطي ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م ، ٦٦/٣.

[٢] ـ الميزان : ٤٢/١ . انظر الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة ، على هامش أسباب النزول للواحدي النيسابوري ، بيروت ، عالم الكتب ، ص : ٥ _ ٦.

[٣] ـ انظر البرهان للزركشي ، ٢٨/٢ _ ٢٩.

[٤] ـ مقدمة المحقق الأستاذ عبد الهادي الفضلي لكتاب الناسخ والمنسوخ لكمال الدين عبد الرحمن بن محمد العتائقي الحلي ، ص : ٨.

التطورية لمفهوم النسخ وما حصلت له من معان في اللغة والتفسير والاصطلاح الأصولي ، ولو بشيء من الاقتضاب .

النسخ في اللغة يطلق على عدة معان هي :

١ _ النقل : قال في لسان العرب : نسخ الشيء ينسخه نسخًا وانتسخه واستنسخه : اكتتبه عن معارضه . النسخ اكتتابك كتابًا عن كتاب حرفًا بحرف . والأصل نَسخة والمكتوب عنه نُسخة ، لأنّه قام مقامه . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾أي نستنسخ ما تكتب الحفظة من الملائكة الكرام فيثبت عند الله [١]

٢ _ الإبطال : قال في اللسان : النسخ إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ .

والعرب تقول : نَسَخَتْ الشمسُ الظلَّ ، وانتسخته : أزالته .

والمعنى أذهبت الظل وحلت محله .

ومن الإبطال ما يقال : نسخت الريح آثار الديار أي غيرتها وأبطلتها وأزالتها وهو رفع الحكم وإبطاله من غير أن يقيم له بدلا [٢] .

وقد حصل من جرّاء التساهل في إطلاق كلمة النسخ على تلك المعاني اللغوية وعدم تحديد مفهومه أن كثرت دعاوى النسخ . وكثر استعماله في هذه المعاني وغيرها على ألسنة الصحابة والتابعين فكانوا يطلقون على المخصص والمقيد لفظ الناسخ [٣] وعلى سبيل المثال نذكر ما روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدّي ، أنَّ الحكم في قوله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ منسوخ بقوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [٤] وفي الواقع لم يكن ثمة نسخ بين

---

[١] ـ انظر لسان العرب ، فصل النون ، حرف الخاء ، الجاثية : ٢٩.

[٢] ـ المصدر السابق نفسه ، البقرة : ١٠٦.

[٣] ـ انظر د.مصطفى زيد : النسخ في القرآن الكريم : ٧٣/١ ، ١١٠.

[٤] ـ انظر تفسير الطبري : ٣٨٠/١٣ وما بعدها . وتفسير الرازي : ١٦٦/٥.

الآيتين ، بل العلاقة بينهما من باب التبيين وتفصيل المجمل إن فسرت الأنفال بالغنائم [1].

وروي عن ابن عباس أن الحكم في قوله تعالى : ﴿ والشُّعراء يتَّبعُهمْ الغاوُون۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهيمُونَ۝ وأَنَّهمْ يقولُون ما لا يفعلُون ﴾ نسخه الحكم في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذينَ آمنُوا وعَملُوا الصَّالحَات وذكرُوا اللَّه كثيرا وانتصرُوا من بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ [2] ، بينما في الواقع ليس ثمة نسخ بينهما ، والعلاقة بينهما علاقة الاستثناء من العموم ، ولكل منهما حكمه المستقل عن الآخر وهو (شمول الحكم الأول لمن عدا المستثنى) و (شمول الحكم الثاني للمستثنى فقط) [3] .

وقد كان الصحابة والتابعون يرون أن النسخ هو مطلق التغيير الذي يطرأ على بعض الأحكام سواء رفعها وحل محلها ، أو خص ما فيها من عموم أو قيد ما فيها من إطلاق ، وأمثالها من أساليب البيان [4]. وتابع الصحابة على ذلك المفسرون ، حتى أخذت كلمة النسخ تعني لديهم ما يشمل التخصيص والتقييد والاستثناء وترك العمل بالحكم ، لانتهاء أمده أو لتغيير ظرفه أو تبدل موضوعه وغيرها [5] .

النسخ في الاصطلاح :

وجدت كلمة النسخ طريقها إلى الاختصار والتخلص من تكاثر هذه المعاني على يد الأصوليين ، ولعل الإمام الشافعي أول من التفت الى هذه المسألة حين ميز النسخ من بين الإطلاقات الواسعة ، وعدَّ التخصيص والتقييد من باب بيان المراد بالنص ، وأن النسخ رفع حكم النص بعد أن يكون ثابتًا [6] . وعليه فإنَّ كلمة النسخ عند

---

1 ـ انظر علوم القرآن المنتقى : ص / ١٦٨.

2 ـ انظر الدر المنثور للسيوطي :٩٩/٥ ، الشعراء : ٢٢٧.

3 ـ انظر علوم القرآن المنتقى : ص ١٦٨.

4 ـ المصدر السابق نفسه : ص ١٦٩.

5 ـ انظر مقدمة المحقق الفضلي لكتاب الناسخ والمنسوخ للعتائقي الحلي : ص ٧.

6 ـ انظر الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة ، شرح الشيخ عبد الله دراز ، ٦٥/٣ وانظر النسخ في القرآن الكريم للدكتور مصطفى زيد : ٧٤/١.

المفسرين كان لها إطلاق واسع يشمل كل تصرف في النص السابق ، ولكنها عند الأصولي أصبح لها مصطلح يقابل المصطلحات الأخرى . وعليه فالنسخ في الاصطلاح الأصولي : (هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر) .

فقولنا (رفع) خرج عنه ما ليس يرفع كالتخصيص فإنه لا يرفع الحكم ، وإنَّما يقصره على بعض أفراده ، وقولنا (الحكم الشرعي) قيد أخرج المباح بحكم الأصل ، وذلك كإيجاب الصلاة ، فإنَّه رافع لبراءة ذمة الإنسان منها قبل ورود الشرع بها ؛ لأنَّ هذه البراءة حكم عقلي لا شرعي . و (الشرعي) يبين أنه ليس لأحد غير الشارع أن ينسخ حكمًا شرعيًّا ، كما أنه ليس لأحد أن ينكر على الشارع أو يرفض قوله النسخ . وقولنا (بدليل شرعي) يخرج به رفع حكم شرعي بدليل عقلي كالرفع بالموت والجنون والغفلة ، لأنَّ هذه العوارض ليست بدليل شرعي ، وقولنا (متأخر) يخرج ما يقرر لمدة مؤقتة ابتداءً [1] .

وهكذا نجد كلمة (النسخ) كمصطلح علمي تأخذ مسارين مختلفين أحدهما مسار التفسير والمفسرين ، والآخر مسار أصول الفقه والأصوليين .

النسخ ممكن عقلا وسمعا :

بعد بيان معنى النسخ في اللغة والتفسير والاصطلاح الأصولي ، يتعين علينا أن نعرض للنسخ من ناحية كونه ممكناً عقلاً وواقعاً سمعاً .

فقد أجمع العلماء على أنَّ النسخ جائز عقلاً وواقع سمعاً . وقد ذكر ذلك الزركشي في البرهان [2] حيث إنَّ النسخ لا محظور فيه عقلاً ، وكل ما كان كذلك فهو جائز عقلاً ، ولو أنَّ النسخ لم يكن جائزاً عقلاً ، وواقعاً سمعاً لما جوز المنكرون له أن يأمر الشارع عباده بأمر مؤقت ينتهي بانتهاء وقته ، وأن النسخ لا معنى له إلاَّ انتهاء الحكم الأول لميقات معلوم عند الله ، وكذلك فالنسخ لو لم يكن جائزاً عقلاً ،

---

[1] ـ انظر مناهل العرفان للزرقاني : ٢/١٧٦ ـ ١٧٧ ، وانظر علوم القرآن المنتقى : ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

[2] ـ انظر البرهان : ٢/٣٠.



وواقعاً سمعاً لكانت الشرائع الأولى باقية ، ولو كانت باقية ما ثبتت رسالة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الناس كافة . ومما يفيد وقوع النسخ سمعاً وجود موارد عديدة أفادت النسخ في التوراة ، والإنجيل . وفي القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ وقوله : ﴿ يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ وقد نزلتا رداً على من طعن بوقوع النسخ في الشريعة المطهرة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ ووجه الدلالة فيها أن التبديل يتألف من رفع الأصل وإثبات البدل وذلك هو النسخ . وقوله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ وجه الدلالة فيها أنها تفيد تحريم ما أحل من قبل وما ذلك إلاَّ نسخ . وكلمة (أُحِلَّتْ لَهُمْ) يفهم منها أن الحكم الأول كان حكما شرعيا لا براءةً أصلية . كما أن القرآن الكريم فيه آيات كثيرة نسخت أحكامها [١] سنتعرض لبعض منها من خلال النماذج التي نذكرها للمفسر . إلاَّ أنَّ هناك مَنْ وقف من النسخ موقف رافضٍ لوقوعه في القرآن الكريم ، ومنهم أبو مسلم المفسر (ت ٣٧٢هـ) . يقول الفخر الرازي : (اتفق الجمهور على وقوع النسخ في القرآن الكريم وقال أبو مسلم بن بحرانة لم يقع) [٢] محتجًّا بقوله تعالى : ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ وشبهته في الاستدلال أن هذه الآية تفيد أن أحكام القرآن لا تبطل أبدًا ، والنسخ فيه إبطال لحكم سابق [٣] .

وفي الواقع أن هذا التأويل لا يتحمله ظاهر الآية ، فمعناها أنَّ عقائد القرآن موافقة للعقل ، وأحكامه مسايرة للحكمة ، وأخباره مطابقة للواقع ، وألفاظه محفوظة من

---

[١] ـ انظر مناهل العرفان : ١٨٦/٢ _ ١٩٣ البقرة : ١٠٦ ، الرعد : ٣٩ ، النحل : ١٠١ ، النساء : ١٦٠.

[٢] ـ انظر مفاتيح الغيب : ٢٢٩/٣.

[٣] ـ انظر مناهل العرفان : ٢٠٧/٢ وفصلت : ٤٢.

التغيير والتبديل . يقول تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ ولربما يكون هذا المعنى أقرب إلى إثبات وقوعه منه الى نفيه وامتناعه لأنَّ النسخ تصرف إلهي حكيم تقتضيه الحكمة وترتبط به المصلحة [1].

كما خالف اليهود فكرة النسخ فادَّعوا استحالة النسخ تمامًا وتذرَّعوا لذلك بأنه يستلزم الجهل وعدم الحكمة . ولكن قولهم مرفوض (باعتبار أنَّ الحكم المجعول مقيد بزمان خاص معلوم عند الله مجهول عند الناس ، ويكون ارتفاعه بعد انتهاء ذلك الزمان ، لانتهاء أمده الذي قيد به ، وحلول غايته الواقعية التي أنيط بها) [2] فضلاً عن وقوع النسخ في التوراة نفسها [3] . وإلى هذا المعنى يشير الطباطبائي بقوله إلى : (أنَّ وضع حكم مؤقت ، في حين لم تتم مقتضيات الحكم الدائم ثم وضع الحكم الدائم وإبدال الحكم المؤقت به ، شيء ثابت لا إشكال فيه) [4].

مما تقدم تبين إمكان وقوع النسخ في القرآن الكريم ، ولكن ينبغي أن نعلم أن النسخ يمكن أن يتصور على عدة أشكال اختلف العلماء في تحديد ما وقع منها في القرآن الكريم :

١ _ إنَّ الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بالسُّنَّةِ أو بالإجماع .

٢ _ إنَّ الحكم الثابت بالقرآن يُنسخ بآية أخرى . فمرة تكون هذه الآية (الناسخة) ناظرة الى الحكم المنسوخ ومبينة لرفعه ، ومرة أخرى تكون هذه الآية (الناسخة)

---

[1] ـ المصدر السابق نفسه : ٢٠٨/٢ ، الحجر : ٩ ، الإسراء : ١٠٥.

[2] ـ انظر البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي : ص ٢٨٠ _ ٢٨٤.

[3] ـ انظر محمد جواد البلاغي : الهدى الى دين المصطفى ، صيدا ، ١٣٣٠هـ ، ٢٨٦/٢ _ ٢٩٩.

[4] ـ انظر القرآن في الإسلام للطباطبائي : ص ٥٠ _ ٥١ وانظر الميزان : ٢٤٥/١٢.

ر ناظرة الى الحكم المنسوخ وإنَّما يلتزم بالنسخ لمجرد التنافي بينهما فيلتــزم بــأنَّ الآية المتأخرة ناسخة لحكم الآية المتقدمة [١] .

فأمَّا نسخ الكتاب والسُّنَّة فقد أجمع المحققون على أن خبر الواحد لا ينسخ القــرآن باعتبار أن الظَّنِّي لا يقاوم القطعي فيبطله [٢] .

ويرى الطباطبائي أنَّ السُّنَّة بنوعيها المتواتر والآحاد لا تنسخ القرآن ؛ لبطلان هذا القسم من النسخ من أصله ، لكونه مخالفًا للأخبار المتواترة بعرض الأخبار علــى الكتاب وطرح ما خالفه والرجوع إليه [٣] . وهو قول الإمام الشافعي : (إنَّه إنَّمــا نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب ، وإنَّ السُّنَّة لا ناسخة للكتاب وإنَّما هي تبع للكتاب بمثل ما نزل نصًّا ، ومفسرة معنى ما أنزل الله منه جملاً) [٤]، بينما أجاز الجمهور نسخ الكتاب بالسُّنَّة [٥] .

وكذلك الإجماع القطعي الذي يعني _ عند الإمامية _ الإجماع الكاشف عــن رأي المعصوم [٦] الذي هو سُنَّة في أصله .

١- انظر البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي : ص ٢٨٦، وانظر الأصول العامة للفقه المقارن للسيد محمد تقي الحكيم : ص ٢٤٧ ، ٢٧٤.

٢- انظر الموافقات للشاطبي : ١٠٦/٣ وانظر الأصول العامة للفقه المقارن : ص ٢٤٧.

٣- انظر الميزان : ٢٧٥/٤.

٤- الرسالة للشافعي تحقيق وشرح أحمد محمود شاكر ، مصر ، ١٣٥٨هـ ، ط١ ، ص ١٠٦ . وانظر التفسير الكبير للفخر الرازي.

٥- انظر أصول التشريع الإسلامي للأستاذ علي حسب الله ، ط١ ، ص : ٢٧٨.

٦- انظر البيان للسيد الخوئي : ص ٢٨٦ . يقول الأستاذ علي حسب الله : (أما نسخ الكتاب بالإجماع فهو ممنوع عند الجمهور لأن النص إن كان قطعيًا امتنع انعقاد الإجماع على خلافه ، وإن كان ظنيا لم ينعقد على خلافه إلا بدليل فهذا الدليل هو الناسخ) انظر : أصول التشريع الإسلامي ، ص : ٢٧٩ _ ٢٨٠ . وأما القياس فلا ينسخ نصا لأنه إنما يقع عادة بعد زمن الرسالة أي بعد زمن النسخ وما يقال من أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قاس فإن المسائل التي قاس فيها (على فرض وقوع القياس منه) قد صارت سنة بإقراره على أحكامها (انظر : النسخ في القرآن الكريم ، د.مصطفى زيد : ١٧٩/١ _ ١٨٠).

واختار المفسر من النسخ ما يكون بغرض التنافي بين الناسخ والمنسوخ بحسب الظهور اللفظي فتكون الآية المتأخرة ناسخة لحكم الآية المتقدمة [١].

ولتوضيح موقفه من النسخ ينبغي أن أعرف بالتعارض ، والقدر المتيقن منه في النسخ ، وتفريقه بين النسخ وبين أساليب البيان الأخرى ومن عمومٍ وخصوص وإطلاقٍ وتقييد ومجمل ومبين .

فالتعارض عند الأصوليين هو :

(أن يقتضي أحد الدليلين المتساويين في القوة نقيض ما يقتضيه الآخر) [٢]. والذي يعنيه الطباطبائي من التنافي بين النَّصَّين في النسخ إنَّما هو التعارض الظاهر وليس التعارض الحقيقي ، لأنَّ كلام الله جلَّ جلالُهُ منزه عن الاختلاف كما قال تعالى : ﴿ ولوْ كان منْ عند غيْرِ اللّهِ لوجدُواْ فيهِ اخْتلافاً كثيراً ﴾ [٣]. وأكد المفسر هذا المعنى ، فأوضح بقوله : (والنسخ كما أنه ليس من المناقضة في القول وهو

١ـ أجاز المحققون وقوع هذا القسم من النسخ في القرآن الكريم فقد نقل الزركشي قولا للأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني (ت ٤١٨هـ) : (إذا تعارضت الآي وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ وترك المتقدم منها بالمتأخر ويكون ذلك نسخا له) ـ انظر البرهان : ٤٨/٢ . ونقل السيوطي في الاتقان (٢٥/٢) كلاما لابن الحصار يقول فيه : (وقد يحكم به ـ يعني النسخ ـ عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر) وأشار الى هذا المعنى الشيخ الخضري في أصول الفقه : ص : ٢٩٨ . إلا أنَّ المحقق الكبير السيد الخوئي زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف ينفي أن يكون هذا القسم من النسخ واقعا في القرآن ويستدل بقوله تعالى : ﴿ ولوْ كان منْ عِندِ غيْرِ اللهِ لوجدُوا فيهِ اختلافا كثيرا ﴾ النساء : ٨٢ ، على نفي مثل هذا التناقض ويرى أن هذا =القسم من النسخ من باب المسامحة في إطلاق النسخ بعد أن استقر على معناه الأصولي المعروف وتخلص من تلك المعاني اللغوية وغيرها . (انظر البيان في تفسير القرآن ، ص : ٢٨٧) . ولكت الطباطبائي ـ في الواقع ـ لم يتسامح الى هذه الدرجة التي تسمح بقبول دعاوى النسخ من غير تثبت في تحقق وجه التنافي وهذا ما ستؤيده بعض الأمثلة التي نذكرها أو نشير اليها ، كما صرح بنفي مثل هذا التناقض بين الآيات كما هو مذكور أعلاه.

٢ـ انظر علي حسب الله : أصول التشريع الإسلامي ، ص : ٢٧٣.

٣ـ انظر الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ٤٥/٢ والنساء : ٨٢ . يقول الشاطبي : (إن كل من تحقق بأصول الشريعة فأدلتها عنده لا تكاد تتعارض ... لأنَّ الشريعة لا تعارض فيها البتة ... وإن التعارض يعتبر من جهة نظر المجتهد لا من ما في نفس الأمر) انظر الموافقات : ٢٩٤/٤.



ظاهر، كذلك ليس من قبيل الاختلاف في النظر والحكم وإنما هو ناشيء من الاختلاف في المصداق من حيث قبوله انطباق الحكم يوماً لوجود مصلحة فيه وعدم قبوله الانطباق يومًا آخر لتبدل المصلحة من مصلحة أخرى توجب حكمًا آخر) [1].

هذا التعارض الظاهر هو مبنى النسخ في آيات الكتاب الكريم عند المفسر، وأوضح الطباطبائي أنَّ النسخ لا يختص بالأحكام الشرعية بل يشمل التكوينات أيضا [2] ولابد في النسخ من طرفين: ناسخ ومنسوخ. والأول مشتمل على ما في الثاني من كمال أو مصلحة، وأضاف أن الرافع للتنافي بين الناسخ والمنسوخ _ بحسب الظهور اللفظي _ هو الحكمة والمصلحة الموجودة بينهما. وقد ميز المفسر بين الرافع للتنافي الحاصل بين الناسخ والمنسوخ من جهة وبين الرافع للتنافي الحاصل بين العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين من جهة أخرى

---

[1] - انظر الميزان: ٦٧/١. وفي الواقع لا يوجد تعارض حقيقي بين آيات الكتاب العزيز (فترتب النسخ على وقوعه دليل على أنه لم يبق بين النصين تعارض حقيقي من حيث إن الحكمين منسوخ أحدهما بالآخر يجب أن يختلف زمن العمل بهما، فاتحاد الزمان بين الحكمين _ وهو شرط لتحقق التعارض _ مانع من النسخ، واختلاف الزمن فيهما _ وهو شرط لوقوع النسخ _ مانع من التعارض). انظر النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: ١٦٩/١.

[2] - حين يقع النسخ في أفق التشريع يسمى بنسخ الأحكام وما يكون منه في أفق التكوين يسمى (بداء) _ (انظر التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي ١٢/١ _ مقدمة التفسير). وقد عالج الإمامية (البداء) ضمن مفهوم علاقة الفعل الإنساني بالعلم الإلهي. فرغم قابلية الإنسان على توجيه الفعل المنسوب إليه بالاختيار فان ذلك لا يغير من طبيعة العلم الإلهي الذي تعلق بالفعل. ولذلك ذهبت جميع الاتجاهات التي فسرت (البداء) بالظهور أو التغيير. الى أنه مختص بلوح القدر (لوح المحو والإثبات) الذي بينته الآية الكريمة: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ _ الرعد: ٣٩. وأما العلم الإلهي المشمول بأم الكتاب فهو ثابت لا يتصف بأيِّ نوع من أنواع التغيُّر. ولقد تبرأ الإمامية على اختلاف اتجاهاتهم في تفسير هذه المسألة من التهمة المنسوبة إليهم والقائلة بتغير العلم الإلهي، وهو المعنى الذي رفض اليهود من أجله القول بالنسخ لأنه يوجب البداء إذ أنهم فسروا البداء بكونه علامة تغير في العلم الإلهي ويوجب عليه العلم بعد الجهل تعالى الله عن ذلك. انظر: عبد الزهرة البندر = نظرية البداء عند صدر الدين الشيرازي، النجف ١٣٩٥هـ، ص ١٨٨ _ ١٩٠. وقد ناقش المؤلف الاتجاهات كافة في الموضوع ذاته بحيث دلل على الموقف الطبيعي للإمامية من _ البداء _.

باعتبار الثاني هو قوة الظهور الموجودة في الخاص والمقيد والمبين بالنسبة لما يقابلها من العام والمطلق والمجمل . وقد ألحق المفسر المحكم والمتشابه بها باعتبار أنَّ قوة الظهور اللفظي في المحكم ترفع التنافي الظاهر بينه وبين المتشابه وبالنتيجة فهو يختلف عن الرافع للتنافي بين الناسخ والمنسوخ [١] .

وألمح المفسر الى أنَّ الآيات المنسوخة لا تخلو من إيماء وتلويح بالنسخ كما في قوله تعالى : ﴿ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ فإنَّ هذه الآية _ مثلاً _ لا تخلو من إشعار بأن الحكم مؤقت سيلحقه نسخ [٢] ولا يعني ذلك أن ما يفيد الغاية في الآيات المنسوخة هو مبنى النسخ لدى المفسر ، وإنَّما هو مشعر به وملوح إليه . إذ إن الغاية تعد من المخصصات الكلامية وهذا ما يراه المالكية والشافعية والحنابلة . أمَّا الحنفية فهم لا يعتبرونها مخصصات وإنَّما هي جزء من الكلام متصلة به لا غنى لها عنه ، ولا استقلال لها من دونه [٣].

وقد رد المفسر دعاوى كثيرة للنسخ باعتبارها فاقدة لشرط التنافي الظاهر بحسب اللفظ بين الناسخ والمنسوخ منها :

١ _ ذكر المفسر أنه روي عن ابن عباس في الدر المنثور أن قوله تعالى : ﴿ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ منسوخة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ﴾ .

وقد ردَّ دعوى النسخ هذه ، لأنَّ النسبة بين الآيتين ليست نسبة الناسخة الى المنسوخة ، مبيناً أنَّ الآية الثانية لا تنافي بمضمونها مضمون الآية الأولى ، فإنَّ

---

[١] ـ انظر الميزان : ٢٥٢/١ _ ٢٥٣.

[٢] ـ انظر الميزان ٢٥٢/١ _ ٢٥٣ ، البقرة : ١٠٩.

[٣] ـ انظر النسخ في القرآن الكريم للدكتور مصطفى زيد : ١١٤/١.

الأكل في الآية الأولى المجوزة مقيد بالمعروف ، وفي الآية الثانية المحرمة بالظلم ، ولا تنافي بين تجويز الأكل بالمعروف وتحريم الأكل ظلمًا ، وعليه فإنَّ الآية غير منسوخة [1].

٢ _ وذكر المفسر عن تفسير القمي أنَّ قوله تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾ منسوخة بقوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ... ﴾ وردَّ هذه الدعوى بقوله : (ولا وجه لهذا النسخ وإنَّ الآية الأولى بيان كلِّي لحكم المواريث ولا تنافي بينها وبين سائر آيات الإرث المحكمة حتى يقال بانتساخها بها) [2].

وإلى جانب موقفه الأصولي هذا من دعاوى النسخ ، فقد أيَّدَ المفسر ما يتفق منها وفرض التنافي بين الناسخ والمنسوخ بحسب الظهور اللفظي :

١ _ ففي قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذين آمَنوا إذا ناجيْتُمُ الرَّسُول فقدِّمُوا بين يدي نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ... ﴾.

ذكر المفسر أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ .. ﴾ [3]

وهذا في الواقع ينسجم مع فرض المفسر بأن الرافع للتنافي بين الناسخ والمنسوخ وهو تحقق المصلحة الموجودة بينهما (فإعراضهم عن المناجاة يفوِّتُ عليهم كثيرا من المنافع والمصالح العامة ، ومن أجل حفظ تلك المنافع رفع الله عنهم وجوب

---

[1] ـ انظر الميزان : ١٧٨/٤ النساء : ٦ ، ١٠ ، وانظر الدر المنثور : ١٢١/٢ _ ١٢٢.

[2] ـ انظر الميزان : ٢٠٤/٤ ، النساء : ٧ ، ١١ . وانظر تفسير القمي : ١٠٢/١ ، وللإطلاع راجع الميزان : ٢٢٠/١ ، ٢٣٢ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ١٢/٢ ، ٦٢ ، ١٧٨/٤ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٨٠/٥ ، ٣٨٠/٧.

[3] ـ انظر الميزان : ١٨٩/١٩ ، المجادلة ١٢ ، ١٣ . وانظر الدر المنثور : ١٨٥/٦ _ ١٨٦.

الصدقة بين يدي المناجاة تقديمًا للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وعلى النفع الخاص بالفقراء وأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله) [١].

٢ _ وأيّد المفسر كذلك ما ذكر من أنّ الآية : ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ نسخت بقوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحد مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ... ﴾ على بيان أن الفاحشة في الآية تعني (الزنا) [٢].

والذي يبدو أن التنافي الظاهر بحسب اللفظ بين الآيتين يرفعه تحقق المصلحة الموجودة في الآية الناسخة لما فيه من انضباط الحد وإنهاء حالة الإمساك التي هي مرنة في حد ذاتها .

٦ موقفه من القراءات

تخفف المفسر من مسألة القراءات وعلاقتها بالتفسير ، فهو لا يعني بها كثيراً بل لم يرها (مع بعض من البحوث اللغوية والبديع وما أشبهها) من تفسير القرآن في شيء ، لأنها ليست ذات تأثير في معرفة محصل مدلول الآية لدى المفسر [٣] .

ولكن هل تخلى المفسر تمامًا عن مسألة القراءات خلال تفسيره الآيات ؟ .

إنّ سكوت المفسر عن التعرض للقراءات يكشف عن اطمئنانه للقراءة الصحيحة المعتمدة في المصحف الشريف-هذا على وجه عام -، ولكن قد يذكر أحيانا قراءة أخرى في الآية تتفق بمؤدّاها مع قراءة المصحف الإمام مبينا وجه ذلك الاتفاق .

فحول (إنّي) في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يقول المفسر : القراءة المعروفة (إنّي) بكسر الهمزة على تقدير القول وقرئ (أَنِّي) بفتح الهمزة بنزع الخافض والتقدير (بأنّي) لكم نذير مبين ، والجملة على

١ـ انظر البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي : ص ٣٧٦.

٢ـ انظر الميزان : ٢٣٤/١٤ ، النساء : ١٥ ، النور : ٢.

٣ـ الطباطبائي : القرآن في الإسلام ، ص : ٧٥.



أي حال بيان إجمالي لما أرسل به ، فإنَّ جميع ما بلَّغه قومه عن ربه وأرسل به إليهم إنذار مبين فهو نذير مبين [١].

وفي كثير من الأحيان يذكر المفسر قراءة أو أكثر لغرض اطلاع القارئ وإيقافه عليها في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ بين المفسر معنى (أَمَرنا) بفتح الهمزة ثم الميم المخففة ثم ذكر أنَّ هناك قراءة (آمرنا) بالمدِّ وقراءة أخرى بتشديد الميم [٢].

وقد يرجح على قراءة المصحف قراءة أخرى معتمداً فيه على سياق الآيات فحول (زُبُرًا) في قوله تعالى: فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ رجح قراءة ابن عامر (زُبَراً) بفتح الباء وهو جمع زبرة وهي الفرقة فيكون المعنى : وتفرقوا في أمرهم جماعات وأحزابًا ثم علق عليها بقوله : وهي أرجح [٣] ' وهذا على ما هو ظاهر من اعتماد المفسر على سياق الآيات في الترجيح لما يفيده معنى الحزب في الآية وما قبلها من لفظ (أمة) في قوله إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [٤] .

وأما القراءات الشاذة فهو ينكرها ويشدد عليها خاصة حين يكون السياق نابيًا لها منفرًا عنها ، أو أن نصوص القرآن لا تؤيد ذلك المعنى . ففي قوله تعالى : فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ رمى المفسر قراءة من شدد النون في (روحنا) على أنه اسم الملك الذي أرسل الى مريم _ بأنها قراءة ردية _ [٥] .

---

[١] ـ الميزان : ١٩٨/١٠ ، هود : ٢٥ ، انظر الميزان : ١٣٣/١ ، البقرة : ٣٧ ، ٢٨٢/١ ، البقرة : ١٢٦ ، ٥٠/٩ _ ٥٣ ، الأنفال : ٢٥ ، ٩/١٠ ، يونس : ٢ ، ٣٧/١٠ _ ٣٨ ، يونس : ٢٣.

[٢] ـ الميزان : ٦٢/١٣ والإسراء : ١٦ . وانظر الميزان : ٣٤١/٥ والمائدة : ٤٢ ، ٢٤/٧ ، الأنعام : ١٠ ، ٣٨/١٠ ، يونس : ٢٣ ، ٢٢٩/١٠ ، هود : ٤١.

[٣] ـ الميزان : ٣٥/١٥ ، المؤمنون : ٥٣ ، انظر الميزان : ١٥٩/٢ ، البقرة : ٢١٤ ، ٣٧٤/٢ ، البقرة : ٢٦٠ ، ١٣٧/٤ . النساء : ١ ، ٢٣٦/٦ ، المائدة : ١١٥ ، ١١٧/٧ ، الأنعام : ٥٧ ، ١٩/٩ ، الأنفال : ٧ ، ٤٠/٢٠ ، الجن : ٢.

[٤] ـ المؤمنون : ٥٢.

[٥] ـ الميزان : ٣٦/١٤ ، مريم : ١٧ ، انظر الميزان : ١٢٤/٧ ، الأنعام : ٥٩ ، ٢٢٩/١٠ ، هود : ٤١.

وفي قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ ذكر المفسر قراءة شاذة وهي (مفاتيح) بزيادة ياء بعد التاء ومع إشارته إلى أن المعنيين واحد إلاَّ أنه رجح قراءة المصحف باعتبار (مفاتح الغيب) تعنى خزائنه وهذا ما تكرر ذكره في موارد عدة من القرآن الكريم كقوله تعالى:﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ﴾ وقوله تعالى:﴿ لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ ﴾وقوله تعالى:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ وقوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وقوله﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ [1] .
وحرصاً على قراءة المصحف الشريف فقد يعد بعض القراءات من التفسير دون النزول اللفظي كما في قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ذكر المفسر عدة روايات من الفريقين بإضافة (إلى أجل مسمى) وعلق عليها بقوله : (ولعل المراد بأمثال هذه الروايات الدلالة على المعنى المراد من الآية دون النزول اللفظي) [2].
مما تقدم يتضح أنَّ المفسِّر ليس لديه منهج واسع ثابت في معالجة القراءات ، فبينما وجدناه _ أحيانًا _ يعتمد قراءة المصحف ويقدمها ، رأيناه _ أحيانًا أخرى _ يرجح عليها قراءات أخرى باعتبارها تناسب السياق ، أو أنَّ لها ما يؤيدها من القرآن الكريم وبشكل عام لم يعقد المفسر اهتمامًا كبيرًا على القراءات في التفسير .

٧_ موقفه من آيات الأحكام

لم يشتمل الميزان على أبحاث فقهية موسعة ، كما أنَّ المفسر لم يحض في أقوال الفقهاء ومذاهبهم ، ولم يتعرض لمناقشات تخص مسائل الفقه وآيات الأحكام وإنَّما بقدر يسير يكشف فيه عن مراد الآية ، وبهذا يبقى المفسر وفيًّا للمنهج الذي رسمه لنفسه في إيجاز البيان في آيات الأحكام لرجوع ذلك إلى الفقه_على قول المفسر_[3]

[1]ـ انظر الميزان : ١٢٤/٧ _ ١٢٥ ، الأنعام : ٥٩ ، الطور : ٣٧ ، الأنعام : ٥٠ ، الحجر : ٢١ ، المنافقون : ٧ ، ص: ٩.
[2]ـ انظر الميزان : ٢٨٩/٤ ، النساء : ٢٤.
[3]ـ الميزان : ١١/١ _ المقدمة.



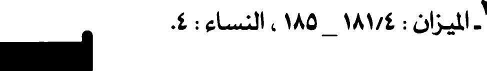
ولربما ينبئ هذا المنهج عن افتقاد الميزان للشمولية ، أو أنه يوهم أن ليس ثمة اطلاع للمفسر في هذا الفن ، وإنصافًا له فقد أمضى ردحًا كبيرًا من حياته في دراسة الفقه وأصوله حتى حصل على ملكة الاستنباط في هذا الفن ، وقد ترك المفسر آثاراً عدة في هذا المضمار [1] .

وإيجازه البيان في آيات الأحكام يمكن أن يقال فيه إنَّ أحد أسبابه هو تطور هذه الأبحاث الفقهية الى درجة كبيرة يجعل البحث فيها شبيهًا بالأبحاث الاستطرادية وخروجًا عن التفسير خصوصًا أنَّ مصادر الأحكام من السنة كثيرة وما ذكر في القرآن إنَّما هو مجرد بيان للحكم الأساس . وهناك تفريعات وتقييدات وحالات عديدة تعرضت لها السُّنَّة الشريفة .

وكذلك لا يعني إيجازه البيان في آيات الأحكام خلو تفسيره من مباحث فقهية أو أصولية معينة ، فكثيرًا ما كان يستدل بالآيات على بعض الأحكام منبهًا على بعض المصطلحات الأصولية فيها . ففي قوله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ يقول المفسر : (ولعل إمكان توهم عدم جواز تصرف الزوج في المهر أصلاً حتى برضى من الزوجة هو الموجب للإتيان بالشرط في قوله : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ مع ما في اشتراط الأكل بطيب النفس من تأكيد الجملة السابقة المشتملة على الحكم ، والدلالة على أن الحكم وضعي لا تكليفي) [2].

وفي أحيان أخرى وحين يكون ثمة نزاع بين الفقهاء في بعض آيات الأحكام قد يستدعيه الأمر الى ذكر آراء في المسألة ومناقشتها وبيان رأيه فيها .

ففي مسألة الإفطار في شهر رمضان أثناء السفر والمرض هل هو رخصة ، أم عزيمة ؟



[1] ـ انظر الصفحة ٤٠ _ ٤٧ من هذه الرسالة.

[2] ـ الميزان : ٤/١٨١ _ ١٨٥ ، النساء : ٤.

ذكر المفسر أنَّ معظم أهل السُّنَّة والجماعة يستدلون بقوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ على أنَّ الإفطار بعارض المرض أو السفر رخصة ، وليس عزيمة ، فالمريض والمسافر مخيران بين الصوم والإفطار [1] وقدَّروا ذلك في الآية تقديراً : (فمن كان مريضًا أو على سفر فأفطر فعدة من أيام أخر) [2].

وقد ذهب المفسر الى القول بأنَّ الفطر في ذلك عزيمة وليس رخصة مبيِّنًا :

١ _ أنَّ قوله تعالى : ﴿ فَمَن كانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ متفرع على صدر الآية قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ وعلى قوله تعالى أيضا : ﴿ أَيَّاما مَّعْدُودَات ﴾ أي أنَّ الصيام مكتوب مفروض والعدد مأخوذ في الفرض ، وكما لا ترفع اليد عن أصل الفرض كذلك لا ترفع اليد عن العدد ، فلو عرض عارض يوجب ارتفاع الحكم الفرض عن الأيام المعدودات (أيام شهر رمضان) كعارض المرض والسفر ، فإنه لا يرفع اليد عن صيام عدة من أيام أخر خارج شهر رمضان .

٢ _ أنَّ ما قدِّر في الآية (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فأفطر ...) خلاف الظاهر ولا يصار إليه إلاَّ بقرينة ، ولا قرينة من الكلام نفسه عليه .

---

[1] ـ يقول القرطبي (واختلف العلماء في الأفضل من الفطر أو الصوم في السفر فقال مالك والشافعي في بعض ما روي عنهما : الصوم أفضل لمن قوي عليه ، وجل مذهب مالك التخيير ، وكذلك مذهب الشافعي . قال الشافعي ومن اتبعه : هو مخير ، ولم يفصل وكذلك ابن علية لحديث انس قال ، سافرنا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم خرجه مالك والبخاري ومسلم ، وروي عن عثمان بن أبي العاص الثقفي وأنس بن مالك أنهما قالا : الصوم في السفر أفضل لمن قدر عليه وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وروي عن عمرو ابن عباس : الرخصة أفضل . وقال به سعيد بن المسيب والشعبي وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة والأوزاعي وأحمد وإسحاق . كل هؤلاء يقولون الفطر أفضل لقول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ العُسرَ ﴾ . البقرة ١٨٥ . الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٠/٢.

[2] ـ وقال القرطبي : (قوله تعالى ﴿ فعِدَّة مِّن أيَّام أخَرَ ﴾ في الكلام حذف ، أي من يكن مريضا أو على سفر فأفطر فليقض) . انظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٨١/٢.

ولو صح هذا التقدير فإنَّه لا يدل على الرخصة وذلك ، لأنَّ المقام هنا مقام تشريع وليس مقام بيان نوع الحكم التكليفي ، وبعبارة أخرى أنَّ غاية ما يدل عليه التقـــدير إفطار المريض والمسافر إنَّما هو جائز وليس معصية (وهذا كله داخل في مقـــام التشريع بخلاف الابتداع) والمقصود بالجواز هنا الجواز بالمعنى الأعم الشامل لكل الأحكام التكليفية إلزامية كانت أو غير إلزامية . وعلى فرض أنَّ الشارع هنا فـــي مقام بيان نوع الحكم التكليفي وهو الجواز بالمعنى الأخص أي غير الإلزامي مـــن ندب وكراهة وجواز لوجب عليه أنْ يبين وإلاً فترك البيان في مقام البيان لا يليـــق بالمشرع الحكيم [1].

تبين مما سبق أن المفسر تعرض لمناقشة الوجه الاستدلالي في الآية ومدى دلالتها على الحكم ، بينما نجده في آيات الأحكام الأخرى التي ليس ثمة نزاع في فهمهـــا وفي دلالاتها على الأحكام ، يوجز البيان كما أشرنا قبل قليل .

وفي الواقع أنَّ المفسر يعتقد بأنَّ الأبحاث الفقهية المسهبة هي صـــوارف لوظيفـــة المفسر الأساسية لذلك نراه يجتنب الإطناب ويؤثر الاختصار في آيات الأحكـــام ، وكثيرًا ما أرشد المفسر الى كتب الفقه وجوامع الحديث التي هي مظان هذه الأبحاث [2] خشية الإطناب .

1ـ انظر الميـزان : ٢/١٠ _ ١١ ، البقـرة : ١٨٣ _ ١٨٤ . وانظـر الميـزان : ٢/٢٠٨ _ ٢١٠ ، ٢١٢ _ ٢١٣ . ٢١٨/٤ . ٢٢١/٥ _ ٢٢٣.

2ـ انظر الميزان : ١٣/١.



الفصل الثاني

الطباطبائي وعقائد الإمامية



نبذة مختصرة عن الفرق الإسلامية

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتعلق بمسائل غاية في الأهمية كمسألة الرؤية وصفات الله وخلق القرآن وقضية أفعال العباد هل هي من خلق الله أم من خلق الإنسان أم لها شأن آخر ومسائل أخرى .

وقد قرأ السلف هذه الآيات وآمنوا بها دون أن يتكلموا في شيء منها . وفي آخر عصر الصحابة ظهرت القدرية وأول من تكلم في القدر من المسلمين هو معبد بن خالد الجهني (ت٨٠هـ) إذ كان يقول : (لا قدر والأمر آنف) [١] . وقد وصفه الذهبي بأنه تابعي صدوق في نفسه ولكنه سنّ سنة سيئة إذ كان أول من تكلم في القدر [٢] .

وتمثل فكرة حرية الإرادة الإنسانية ردّاً وإنكارًا لفكرة الجبر المطلق التي شجعت عليها السياسة الأموية [٣].

ثم ظهرت الجهمية في وقت متأخر عن عصر الصحابة ، والتي تنتسب الى جهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ) وهو من الجبرية الخالصة . ذكر الشهرستاني : أنَّ جهمًا وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية ، واختلف معهم بأشياء ، منها : أنه لا يجوز وصف الباري بصفة يوصف بها خلقه ، لأن ذلك يقتضي تشبيها فنفى كونه حيّاً عالمًا ، وأثبت كونه قادرًا فاعلاً ، خالقًا ، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق ، وأنَّ الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنَّما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار [٤] .

١ـ انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ، مصر ، مطبعة المعارف ، ١٩١٠م ص ١٤ ، ٩٨ .

٢ـ انظر الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، مطبعة عيسى الحلبي ، ١٤١/٤ .

٣ـ انظر الدكتور علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٨م ، ط٧ ، ٣١٤/١ .

٤ـ انظر الملل والنحل للشهرستاني : ٨٦/١ _ ٨٧ .



ومما يعلل به قيام جُهم بنشر آرائه ، هو أن آراء معبد الجهني في القدر راعت جهمًا ، فقام في خراسان يدعو الى اعتناق فكرة الجبر المطلق [١] .

وظهرت المعتزلة التي تنتسب جميعًا الى واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ) شيخ المعتزلة الأول وقديمها [٢] ، وراحوا يفندون ما أثبته الجبريون ، وينفون ما أثبته الصفاتيون ، واتفقوا على أصول خمسة عرف بها مذهبهم الاعتزالي وهي :

(التوحيد ، العدل ، المنزلة بين المنزلتين ، الوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) [٣] .

واحتدم الصراع بينهم وبين أهل السلف وخاصة في مسألة الصفات الإلهية ، قال الشهرستاني : (اعلم أنَّ جماعة كبيرة من أهل السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعزة والعظمة ، ولا يفرقون بين صفات الفعل ، بل يسوقون الكلام سوقًا واحدًا ، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والرجلين ، ولا يؤولون ذلك إلاّ أنهم يقولون : هذه الصفات قد وردت في الشرع فنسميها صفات خبرية . ولما كان المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون ، سمِّيَ السلف صفاتية والمعتزلة معطلة) [٤] .

وبعدَ ظهور المعتزلة ظهرت موجة أخرى من الكلام كان واضحًا فيها أبو الحسن الأشعري ، وتابعه من بعد شيوخ المذهب كالباقلاني والجويني والغزالي والشهرستاني والرازي وغيرهم . وهم نمط آخر من أهل السلف إلاّ أنهم جوزوا

---

١ ـ انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار : ٣٣٤/١.

٢ ـ انظر المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، مصر ، دار الرجاء للطباعة ، ٥٤/٣.

٣ ـ انظر القاضي عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة.

٤ ـ الملل والنحل للشهرستاني : ٩٢/١.



الكلام في المسائل الاعتقادية على نحو مغاير لما عليه السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم حين حرموا الكلام فيها ، وأوجبوا الإيمان بها على ما هو ظاهر من نصوص الكتاب و السُنّة الشريفة [1] .

بعد هذا التعريف الموجز بهذه الفرق التي ظهرت آنذاك ينبغي أن نتبين موقف الطباطبائي من هذه المسائل الاعتقادية ، مبينين استدلالاته القرآنية فيها ، لنعرف مدى وفاء المفسر للمنهج القرآني الذي رسمه لنفسه في هذا التفسير ، ولمعرفة ما إذا كان قد سار على أصول مذهبه الإمامي ، أو خالف شيئًا منها ، وهذه الأصول هي :

(**التوحيد ، العدل ، النبوة ، الامامة ، والمعاد**) [2] .

وتجدر الإشارة هنا الى أننا لم نعقد هذا الفصل لبيان مسلكه الكلامي فيه بقدر تأكيدنا منهجه في العقائد كمفسر ، وهل استهدى بظواهر الآيات وأجال نظره فيها ؟ أو تعسف في التأويل رغبة منه في تحقيق عقائده الكلامية ؟

ونبدأ الآن بعرض أصول الإمامية الاثني عشرية وموقف الطباطبائي منها كمفسر .

١_ التوحيد :

اعتقد المسلمون جميعا بهذا الأصل ، ولكنَّ الإمامية بلغوا في تحليله مبلغًا واسعًا فاعتقدوا أن الله تعالى واحد أحد ليس كمثله شيء ، قديم لم يزل ولا يزال ، هو الأول والآخر ، عليم حكيم عادل حي قادر غني سميع بصير ، لا يوصف بما توصف به المخلوقات ، فليس هو بجسم ولا صورة وليس جوهرًا ولا عرضًا ، وليس له ثقل أو خفة ، ولا حركة أو سكون ، ولا مكان ولا زمان ، ولا يشار إليه كما لا يد له ولا شبه ولا ضد ولا صاحبة له ، ولا ولد ولا شريك ، لا تدركه

---

١ ـ انظر الدكتور مصطفى حلمي ، قواعد المنهج السلفي والنسق الاسلامي في مسائل الالوهية والعالم والإنسان عند ابن تيمية ، القاهرة ١٣٩٦هـ ، ط١ ، ص : ٩١.

٢ ـ انظر إبراهيم الموسوي الزنجاني : عقائد الإمامية الاثني عشرية ، بيروت ١٣٩٣هـ ص : ١١١.

الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وعليه يجب توحيد الله من جميع الجهات بما في ذلك الذات والصفات [1] .

ويتفق المعتزلة مع الإمامية في هذا الأصل إلى حد كبير ، فذكروا :

(أنَّ الله واحد ليس كمثله شيء ، وليس بجسم ولا شبح ، ولا جثة ولا صورة ... ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض ... ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ... ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حَدَثِهم ... ولا تدركه الحواس... ولم يزل عالمًا قادراً حيًّا ولا يزال كذلك ...) [2] .

وسنتعرض هنا إلى جملة مسائل تنطوي تحت أصل التوحيد فنتعرف من خلالها على موقف المفسر من هذا الأصل بمعناه المتقدم لدى الإمامية :

مسألة الصفات :

ذكر المفسر كلامًا للإمام الرضا _ أحد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) _ يقول فيه : (للنَّاس في التوحيد ثلاثة مذاهب : نفي ، وتشبيه ، وإثبات بغير تشبيه ، فمذهب النفي لا يجوز ، ومذهب التشبيه لا يجوز ؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء ، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه) [3] .

وقد علق عليه الطباطبائي : بأنَّ المراد بمذهب النفي نفي معاني الصفات عنه تعالى كما ذهبت إليه المعتزلة ، ومذهب التشبيه أن يشبهه تعالى بغيره ، أي أن يثبت له من الصفة معناها المحدود ، وأمَّا المراد بمذهب الإثبات من غير تشبيه هو أن يثبت له تعالى من الصفات أصل معناها مع نفي خصوصيتها التي قارنتها في الممكنات

---

١ ـ انظر عقائد الإمامية الاثني عشرية للشيخ المظفر ، ص : ٥٩ _٦٠.

٢ ـ انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ، ٢٣٥/١ ، ٢٣٦ وانظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ، تحقيق د.عبد الكريم عثمان ، القاهرة ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، ١٩٦٥م ، ط١ ، ص : ١٢٨ _ ١٣١ ، ١٥١ وما بعدها.

٣ ـ انظر تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني : ١٦٩/٢.

المخلوقة [1] وقد سار المفسر على المذهب الأخير الذي يعبر عن مذهبه الإمامي في الصفات الإلهية [2] وأكد الطباطبائي أنَّ من الثابت بالضرورة في الكتاب و السُّنَّة أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يوصف بصفة الأجسام ، ولا ينعت بنعوت الممكنات مما يقضي بالحدوث ويلازم الفقر والحاجة اللذين هما الملاك في سلب معنًى من المعاني عنه تعالى فإذا لم يصاحب المعنى نقص وحاجة لتجريده عنه صح إسناده إليه تعالى ، بل وجب [3] .

أ _ فما نسب من كلمة (اليد) إليه سبحانه حملها المفسر في الآيات التي ذكرت هذه النسبة على أنحاء متعددة من المجاز ، لنفي ما يلحق من تشبيه وتجسيم لله جل شأنه ليثبت له سبحانه أصل معاني هذه الصفات على نحو لا يقبل التشبيه .

فاليد موضوعة في اللغة للجارحة وإنَّما استعملت في غيرها من المعاني على نحو الاستعارة ، فما يثبته الكتاب والسنة من اليد يختلف معناه باختلاف الموارد .

إذ يراد باليد القدرة وكمالها في قوله تعالى : وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أَيْدِيهِمْ ولُعِنُواْ بِما قَالُواْ بلْ يداهُ مبْسُوطتان يُنفق كيف يشاء .

وكذلك قوله تعالى : قال يا إبْليسُ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أَمْ كُنت مِن الْعَالين لما فيه من الإشعار أو الدلالة على إعمال كمال القدرة .

ويراد بها الملك والسلطة كما في قوله تعالى بيدك الخير . وقوله تعالى : فَسُبْحَانَ الَّذي بِيَده مَلَكُوتُ وقوله : تبارك الَّذي بيده الملك ويراد بها الحضور ونحوه في قوله تعالى : يا أيها الَّذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورَسُولِه واتَّقُوا اللَّه إنّ اللَّه سميعٌ عليم [4] .

---

١ ـ انظر الميزان : ٤١/٧ _ ٤٢ ، و الملل والنحل للشهرستاني : ٤٤/١ ، ١٠٣.

٢ ـ انظر عقائد الإمامية للشيخ المظفر : ص ٦٢ _ ٦٣.

٣ ـ انظر الميزان : ١٠٣/٢ _ ١٠٤.

٤ ـ الميزان : ٣٢/٦ _ ٣٤ . المائدة :٦٤ ، ص : ٧٥ ، آل عمران : ٢٦ ، يس : ٨٣ ، الملك : ١ ، الحجرات : ١.

ب _ وعما ذكر من الآيات التي تنسب (السمع ، والبصر) إليه سبحانه يقول المفسر في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ : أن الجملة كناية عن المراقبة والنصرة [1].

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .

يقول : والمراد بالسمع في قوله : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ استجابة الدعوة وقضاء الحاجة من باب الكناية [2].

ويقول الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ : (البصير : من أسمائه الحسنى ومعناه العلم بالمبصرات) [3] .

ج _ وعما نسب من الرضا والسخط والأسف في بعض الآيات إليه سبحانه قررها المفسر على الشكل الآتي :

ففي قوله تعالى : لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ قال : الرضا هيئة تطرأ على النفس من تلقي ما يلائمها وتقبله من غير دفع ويقابله السخط ، وإذا نسب إلى الله سبحانه كان المراد الإثابة والجزاء الحسن دون الهيئة الطارئة والصفة العارضة الحادثة لاستحالة ذلك عليه ، فرضاهُ سبحانه من صفات الفعل لا من صفات الذات [4] .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ : قال : الإيساف الإغضاب ، والغضب منه تعالى إرادة العقوبة ، وهو الخالق للأشياء لا لحاجة فإذا كان لا لحاجة استحال الحد والكيف فيه [5].

١ـ الميزان : ١٥٦/٤ ، طه : ٤٦.
٢ـ الميزان : ١٧٨/١٩ ، المجادلة : ١.
٣ـ الميزان : ٢٢٩/١ ، البقرة : ٩٦.
٤ـ الميزان : ٢٨٤/١٨ ، الفتح : ١٨ ، وانظر الميزان : ٢٤٠/١٧ _ ٢٤١ ، ١٩٧/١٩ ، ٣٤٠/٢٠.
٥ـ الميزان : ١١١/١٨ _ ١١٢ الزخرف : ٥٥.

ويستمر المفسر في التأويل وحمل هذه الآيات وأمثالها على المجاز والكناية دفعًا لما تلحقه ظواهرها من التشبيه والتجسيم بالله سبحانه .

(فالأخذ) في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ كناية عن التعذيب [١]

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ .

قال : القبضة كناية عن انحصار التسلط عليه في القابض ، واليمين ، في الآية كناية عن القدرة [٢] .

د ـ وما جاء في الآيات الكريمة التي تنسب القرب لله سبحانه فقد ذهب المفسر إلى تأويلها بالإحاطة والعلم . ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ .

يقول المفسر : (أي إنّا أقرب إليه منكم لإحاطتنا به وجودًا ورسلنا القابضون لروحه أقرب إليه منكم ولكن لا تبصروننا ولا رسلنا) [٣] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ .

يقول : نحن أقرب إلى الإنسان من حبل وريده المخالط لأعضائه المستقر في داخل بدنه فكيف لا نعلم به وبما في نفسه ؟) [٤] .

مما تقدم من أمثلة يتضح لنا أنَّ المفسر كان يحاول بما أوتي من بيان وتأويل أن يدفع أيَّ تشبيه وتجسيم تلحقه ظواهر هذه الآيات بالله سبحانه مستفيدًا ذلك من بعض الآيات كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وقوله : ﴿ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ وقوله:

---

١ ـ الميزان : ٣٨/١٧ فاطر : ٢٦.

٢ ـ الميزان : ٢٩٢/١٧ ، الزمر : ٦٧ ، انظر الميزان : ٢٧٤/١٨.

٣ ـ الميزان : ١٣٩/١٩ ، الواقعة ٨٥.

٤ ـ الميزان : ٣٢/٢ ، ق : ١٦.



﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وغيرها من الآيات [1] . وهذا أمر يستوي فيه المعتزلة والأشاعرة [2] والإمامية . ولكن المعتزلة ذهبوا إلى نفي الصفات القديمة أصلاً فقالوا : (هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة . هي صفات قديمة ، ومعان قائمة به ، لأنَّهُ لو شاركته الصفات في القدم لشاركته في الإلهية) [3].

ولربما حصل ذلك من المعتزلة لإيغالهم في التنزيه فوقعوا في النفي .

ولكن الإمامية يختلفون عن المعتزلة بهذا الشأن ، وإن قالوا : بأنَّ صفات الله عين ذاته [4] كما قال به المعتزلة [5] . فبينما ذهب المعتزلة إلى نفي الصفات نجد أنَّ الإمامية توسَّعوا في ذلك فأثبتوا لله سبحانه من الصفة أصل معناها ونزهوه عن خصوصياتها الممكنة ، كما أوضح ذلك قول الإمام الرضا (عليه السلام) الذي مر ذكره .

ولنعد الآن إلى المفسر لنرى كيف عالج هذا الموقف :

ذكر المفسر أَنَّ صفات الكمال التي نثبتها لله سبحانه كالحياة والقدرة والعلم ونحو ذلك مع نفي جهات الحاجة والنقص التي تلازمها ، إنَّما تثبت بالإذعان لملكه سبحانه جميع الكمالات الحاصلة في دار الوجود ، وهذا الإذعان ناتج من شعورنا بالحاجة من خلال ارتباط أنفسنا وقوانا وأفعالنا مع الكون الخارجي الذي هو من مستدعيات قوانا العاملة لإبقائنا . وبعبارة أخرى إننا نقضي بذات تقوم بسد حاجاتنا

---

١ ـ انظر الميزان : ١٠٣/٢ ، الشورى : ١١ ، فاطر : ١٥ ، الزمر : ٦٢.

٢ ـ انظر الملل والنحل للشهرستاني : ٩٤/١ ، وانظر تفسير الرازي : ٢١٨/٥ ، ٤٣/١٢ ، ٢٧٧/١٩ ، ٢١٨/٢٥ ، ٢٤/٢٥ ، ١٧٣/٣١.

٣ ـ انظر الملل والنحل للشهرستاني : ٤٤/١.

٤ ـ انظر الشيخ المفيد ، أوائل المقالات ، شرح فضل الله الزنجاني ، النجف ، ١٣٨١ھ ، ط٣ ، ص : ٥٥ ، ٦١ . وانظر : السيد المرتضى ، جُمَلُ العلم والعمل ، تحقيق رشيد الصفار ، النجف ، ١٣٧٨هـ ، ص : ٣٠.

٥ ـ انظر ضحى الإسلام : ٢٨/٣.



من خلال حاجتنا وما نحن عليه من نقص . وهذه الذات هو الله سبحانه الذي ينتهي إليه كل شيء يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاء إِلى اللَّه وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ [1] ، ومن ثَمَّ فالإذعان لمثل هذه الذات من لوازم الفطرة الإنسانية ، وأنَّ أقدم ما نواجهه في البحث عن المعارف الإلهية هو أننا نذعن بانتهاء كل شيء إليه فهو يملك كل شيء إذ لو لم يملكها لم يكن له أن يفيضها ويفيدها لغيره ، فله الملك _ بضم الميم وكسرها _ على الإطلاق[2].

ويوضح المفسر ذلك بمثال فيذكر أنَّ العلم في الإنسان أحاطه حضورية بالمعلوم من طريق انتزاع الصورة وأخذها بقوى بدنية من الخارج ، أمَّا الذي يليق بساحته سبحانه أصل معنى الإحاطة الحضورية ، وأمَّا كونه من قبيل الحاجة إلى آلات بدنية ، والحاجة الى وجود معلوم في الخارج ، فهو من النقص ، الذي يجب تنزيهه عنه ، ومثله الحياة والقدرة ونحوها من الصفات ، وملخصه : أنْ نثبت له سبحانه أصل المعنى الثبوتي ، ونسلب عنه خصوصية المصداق المؤدية إلى الحاجة والنقص .

وأخيرًا نبَّهَ المفسر على بطلان قول المعتزلة بنفي الصفات لتنزيهه سبحانه عن صفات خلقه ، إذ معنى العلم والقدرة والحياة عندهم عدم الجهل والعجز والموت وكذا في سائر الصفات العليا [3] . وذلك يستلزم نفي جميع الصفات الكمالية عنه تعالى . والصواب عند الطباطبائي الإمامي إثبات معاني الصفات بالإذعان الفطري المتقدم بيانه مع نفي وجه الحاجة والنقص في هذه الصفات [4] .

١ـ فاطر : ١٥.

٢ـ البقرة : ١٠٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ، آل عمران : ٢٦ ، ١٨٩ ، المائدة : ١٧ ، ١٨ ، ٤٠ ، ١٢٠ ، يونس : ٣١ ، على سبيل الايضاح والاطلاع.

٣ـ انظر ضحى الإسلام : ٣٠/٣.

٤ـ انظر الميزان : ٣٤٣/٨ ، ٣٤٩ _ ٣٥١.

رؤية الله سبحانه :

وفي الرؤية خالف المفسر أهل السنة في تجويزهم رؤية الله سبحانه واتفق مع المعتزلة الذين أجمعوا على أنَّ الله سبحانه لا يرى بالأبصار [1].

وهو رأي مذهبه الإمامي الاثني عشري [2].

واختلفت المعتزلة في أنَّه : (هل يرى الله سبحانه بالقلوب ؟ فقال : (أبو الهذيل) وأكثر المعتزلة : نرى الله بقلوبنا بمعنى أن نعلمه بقلوبنا ، وأنكر (هشام الفوطي) و (عبادة بن سليمان) ذلك)[3] .

وقد ذهب الطباطبائي إلى إثبات الرؤية القلبية دون البصرية لتنزيهه سبحانه عن الجسمية ولوازمها [4] .

وأنَّ موسى (عليه السلام) إنَّما طلب الرؤية القلبية في قوله تعالى:﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [5].

وقد فسر الطباطبائي الرؤية بحصول العلم الضروري بالله سبحانه وهو قول _ أبي القاسم البلخي [6] _ وإنَّما سمي العلم الضروري بها _ أي الرؤية _ لمبالغة في الظهور ونحوها .

واستدل المفسر على تسمية العلم الضروري بالرؤية بالشكل الآتي :

---

١ ـ الأشعري ، أبو الحسن ، مقالات الإسلاميين ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ ، ط٢ ، ٢٣٨/١.

٢ ـ انظر : أبو جعفر الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق أحمد حبيب قصير ، النجف ، ١٣٨٣ه ، ٥٣٤/٤ _ ٥٣٥ وانظر دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر ، القاهرة ، دار العلم للطباعة ، ١٣٩٦هـ ، ط١ ، ١٩٣/١.

٣ ـ الأشعري ، مقالات الإسلاميين : ٢٣٨/١.

٤ ـ الميزان : ١١٢/٢٠.

٥ ـ الميزان : ٢٩٢/٧ والأعراف : ١٤٣.

٦ ـ الطبرسي ، مجمع البيان ، شركة المعارف الإسلامية ، ١٣٧٩هـ ، ٤٧٥/٤ ، أبو القاسم البلخي ، عبد الله بن أحمد بن محمود ، من متكلمي المعتزلة البغداديين ، صاحب التصانيف في علم الكلام ، توفي سنة ٣١٩هـ . (طبقات المفسرين للداودي : ٢٢٢/١ _ ٢٢٣).

إنَّ الآيات المثبتة للرؤية مثل : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وقوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ وقوله : ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ وغيرها كلها تثبت علمًا ما ضروريًّا . على أنَّه ليس كل علم ضروري رؤية ، وذلك كعلمنا مثلاً بوجود إبراهيم الخليل (عليه السلام) ولم نره وكذلك العلم بوجود (لندن) لمن لم يرها ، وأوضح من ذلك علمنا الضروري بالبديهيات الأولى التي هي لكليتها غير مادية ولا محسوسة مثل قولنا (الواحد نصف الاثنين) و (الإضافة قائمة بين طرفين) فإنها علوم ضرورية يصح إطلاق العلم عليها ولا يصح الرؤية البتة .

ثم يقول المفسر :

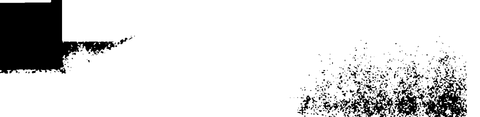
ولكن بين معلوماتنا ما لا نتوقف في إطلاق الرؤية عليه واستعمالها فيه كقولنا : (أرى أني أنا ، وأراني أريد كذا ، وأراني أحب كذا ، وأكره كذا ، وأبغض كذا) وهذا كله علم ضروري دون مشاهدة حسية ، فتسمية هذا القسم من العلم رؤية مطردة والله سبحانه فيما أثبت من الرؤية يذكر معها خصوصيات وقرائن تدل على أنَّ المراد بالرؤية هذا القسم من العلم الذي نسميه فيما عندنا رؤية ، ومن هذه الآيات :

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ۝ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝ ﴾ .

فإنَّ اللقاء في الآية ليس على نحو اللقاء الحسي لما في الآية من قرائن إحاطته تعالى بكل شيء وشهادته على كل شيء تفيد بأنَّ الله لا يختص بجهة دون جهة ولا بمكان دون مكان ولا بشيء دون شيء ، فلو وجده شيء لوجده على ظاهر كل شيء وباطنه وعلى نفس وجدانه وعلى نفسه .

ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ .

فالحاجب عنه تعالى رين المعاصي والذنوب فحال بين أنفسهم وبين ربهم ، فحجبهم



عن تشريف المشاهدة ولو رأوه لرأوه بقلوبهم أي أنفسهم لا بأبصارهم وأحداقهم .
وهناك قسم آخر من الرؤية وراء رؤية الجارحة كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ .
وهذا نوع شعور في الإنسان يشعر بالشيء بنفسه من غير استعمال آلة حسية أو فكرية ، ويجده وجدانًا من غير أن يحجبه عنه حاجب ولا يجره إلى الغفلة عنه إلاَّ اشتغاله بنفسه وبمعاصيه التي اكتسبها [1].
ثم أضاف المفسر :أنَّ هذا العلم المسمى بالرؤية واللقاء يتم للصالحين من عباد الله يوم القيامة كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .ونفى أن يقع ذلك العلم الضروري بالله ورؤيته سبحانه في الدنيا لما تفيده (لن) من النفي التأبيدي في قوله تعالى جوابا لموسى (عليه السلام) : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾ واستدرك أن هذا التأبيد في النفي لا ينافي ثبوت هذا العلم الضروري في الآخرة فإن قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ يمكن أن تكون بمثابة المقيد لما في قوله تعالى:﴿ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [2].

خلق القرآن :

ذهب المعتزلة إلى خلق القرآن وحدوثه [3] في الوقت الذي كان السلف يرون أنَّ الله وصف نفسه بصفات : من قدرة وإرادة وعلم وكلام وسمع وبصر ... فيجب أن نؤمن بها كما جاءت ولا نتعرض لتأويلها وشرحها [4]. وإلى جنبهم فريق آخر من الحنابلة يرون أن الكلمات والحروف هي بعينها كلام الله ويجب أن تكون أزلية غير

١ـ ٢٣٦/١ _ ٢٤٠ القيامة : ٢٢ _ ٢٣ ، النجم : ١١ ، العنكبوت : ٥ ، فصلت : ٥٣ ، المطففين : ١٤ ، التكاثر : ٥ _ ٧ ، الأنعام : ٧٥.
٢ـ الميزان : ٢٤١/٨ _ ٢٤٢ ، الأعراف : ١٤٣ ، القيامة : ٢٢ _ ٢٣.
٣ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ٤٥/١.
٤ـ أمين ، أحمد ، ضحى الإسلام ، بيروت ، ط١٠ ، ٣٧/٣.

مخلوقة ، ولكن هذا القول الأخير ظاهر البطلان ، وذلك لإثباته القدم لأشياء مادية حادثة [1].

وأمَّا الأشاعرة فقد ناهضوا المعتزلة على قولهم بخلق القرآن ، فذهبوا إلى قدمـــه ؛ لكون المراد بالكلام هو المعاني الذهنية _ وهي علوم الله سبحانه قائمة بذاته قديمة بقدمها _ التي يدل عليها الكلام اللفظي الحادث بالضرورة ، فاستسلموا للمعتزلة _ بأحد الإطلاقين على كلام الله تعالى _ حين قال أبو الحسن الأشعري(ت ٣٣٠هـــ) أمَّا القرآن بمعنى المقروء المكتوب ، فهو بلا شك كما يقول المعتزلة حادث مخلوق ، فإنَّ كل كلمة تقرأ تنقضي بالنطق بما بعدها، فكل كلمة حادثة ، فكـــذا المجمـــو ع المركب منها ويطلق على هذا المقروء المكتوب (كلام الله) مجازًا [2].

لكنَّ الأشعري أثار مسألة أخرى ، وهي الإطلاق الثاني لكلام الله سبحانه _ على ما يقول _ بأنَّ هناك كلامًا نفسيًّا قائمًا بالنفس الإنسانية وبذات المتكلم ليس بحـــروف ولا أصوات ، يجده العاقل في نفسه ، ثم أحيانًا يتحول هذا الكلام النفسي الى كـــلام لفظي ، وأحيانًا لا يتحول ، وهذا هو ما يُسمَّى بالنجوى [3] .

وقد قال الإمامية من قبل : بأنَّ القرآن مخلـــوق محـــدث لـــم يكـــن ثـــم كـــان [4] ومقصودهم من ذلك ما يدل على تلك الألفاظ والحروف المقروءة ، وهكذا جـــاءت الأحاديث والشروح التي تقول بحدوث القرآن على هذا المعنى دون غيـــره . أمـــا القرآن باعتباره كلاماً يدلُّ على معنى العلم الإلهي الذي هو عين الذات ، فإنَّهُ قديم

١ـ المصدر السابق نفسه : ٤٠/٣.

٢ـ المصدر السابق نفسه : ٤١/٣.

٣ـ الشهرستاني : نهاية الإقدام في علم الكلام ، بغداد ، ص ٣١٣ _ ٣١٤ ، انظر : ضحى الإسلام : ٤٠/٣ _ ٤١.

٤ـ انظر مقالات الإسلاميين للأشعري : ١١٤/١ وانظر دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر : ٢٢٦/١.

من هذه الجهة ، وعليه فلا يمكن أن يوصف بوصف زماني . فهو ليس بقديم ولا مخلوق ولكنَّهُ كلام الله (١) .

ونصادف ما يشبه هذا الوقف بالضبط لدى الأشاعرة الذين عبروا عن الكلام الإلهي الدال على العلم بالكلام النفسي الذي مر ذكره .

وقد تعرض الطباطبائي لهذين الموقفين ، أقصد القرآن باعتباره مخلوقًا من حيث حروفه ومقاطعه وألفاظه . وقديمًا باعتباره دالاًّ على العلم الذي هو عين الذات ، فذكر : إنْ أريد بالقرآن هذه الآيات التي نتلوها بما أنَّها كلام دال على معان ذهنية فهو ليس بحسب الحقيقة ، حادثًا ولا قديمًا وإنَّما هو متصف بالحدوث بحدوث الأصوات التي هي معنونة بعنوان الكلام والقرآن ، وإنْ أريد به ما في علم الله من معانيها الحقة كان كعلمه تعالى بكل شيء حق قديمًا بقدمه ، فالقرآن قديم أي علمه تعالى به قديم .

وعن الكلام النفسي الذي قال به الأشعري ، قال المفسر : (إنْ أُريدَ بالكلامَ النفسي معنى الكلام اللفظي أو صورته العلمية التي تنطبق على لفظه عاد معناه إلى العلم ، ولم يكن أمرًا يزيد عليه وصفة مغايرة له ، وإنْ أُريدَ به معنى وراء ذلك فلسنا نعرفه في نفوسنا) (٢) .

٢ _ العدل :

وهو الأصل الثاني عند الإمامية ، وقد اتفق المسلمون على الاعتقاد بعدل الله سبحانه ، إلاَّ أنَّ الإمامية توسعوا في هذا الأصل كالمعتزلة الذين أثاروا جملة مسائل تحت هذا الأصل وهي : أن الله تعالى يسير بخلقه إلى غاية ، وأنه سبحانه يريد خير ما يكون لهم ، وتفرعت على ذلك نظريتان ، الأُولى : نظرية الصلاح والأصلح ، أي أن الله سبحانه يجب عليه رعاية ما هو الأصلح لعباده ، والثانية :

١ ـ انظر مقالات الإسلاميين : ١/١١٤.
٢ ـ انظر الميزان : ١٤/٢٤٧ _ ٢٥٠.



نظرية الحسن والقبح العقليين ، أي أنَّ الحسن والقبح في الأشياء ذاتيان ، والشرع في تحسينه وتقبيحه للأشياء مخبر عنها لا مثبت لها . ومن عدله سبحانه أنه لا يريد الشر ولا يأمر به ، فقد أراد ما كان من الأعمال خيرًا أن يكون ، وما كان شرًّا ألاَّ يكون ، وما لم يكن خيرًا ولا شرًّا فهو تعالى لا يريده ولا يكرهه ، وآمن المعتزلة كذلك بالتفويض ، أي أنَّ الله لم يخلق أفعال العباد لا خيرًا ولا شرًّا ، وأنَّ إرادة الإنسان حرة ، والإنسان خالق أفعاله ، ومن أجله كان مثابًا على الخير معاقبًا على الشر [1] .

ويتفق المعتزلة مع الإمامية في أغلب موارد هذا الأصل ، إلاَّ أنهم لم يوجبوا على الله سبحانه فعل الأصلح بمعنى أنه محكوم به ، وإنَّما ذلك من شأنه سبحانه ، وكذلك لم يتفقوا مع المعتزلة في أفعال العباد ، فالإمامية لا تقول بالجبر ولا بالتفويض، وإنَّما منزلة بينهما [2] وهو ما سيأتي بيانه فيما بعد .

وقد تعرض الطباطبائي في مواضع مختلفة من تفسيره هذا الأصل فذكر :

أنَّ الله سبحانه أنبأ في كتابه العزيز أنَّ تشريعاته منظور فيها إلى مصالح الإنسان ومفاسده ، مرعيٌّ فيها أصلح ما يعالج به نقص الإنسان ، قال تعالى : ﴿ إذا دعاكم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ، و ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، و ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ ، و ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء ﴾ وهذه الآيات وأمثالها إمضاء لطريقة العقلاء في المجتمع ، وعليه فالأحكام الشرعية التي شرعها الله تعالى مرعيٌّ فيها ذلك [3] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ذكر المفسر أنَّ خلقه تعالى الأشياء وإيجاده لها يستلزم ملكه لوجوداتها وملك تدبير

---

١ ـ ضحى الإسلام : ٣/٤٤ _ ٦١ وانظر منهج الزمخشري في تفسير القرآن ، للصاوي الجويني : ص ١١٤ _ ١٢٦.

٢ ـ عقائد الإمامية للشيخ المظفر : ص ٦٤ _ ٦٩.

٣ ـ الميزان : ١/٩٥ ، الأنفال : ٢٤ ، الصف : ١١ ، النحل : ٩٠ ، الأعراف : ٢٨.

أمرها [1] وعليه فإنَّ من نعمه سبحانه التي منَّ بها على عباده أنه أوجب على نفسه سبيلاً قاصدًا يوصل الناس الى سعادة حياتهم ، فجعله لهم وهداهم إليه . قال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . وفي الآية نفسها كما يقول المفسر : إنَّ الله سبحانه نسب قصد السبيل إلى نفسه دون السبيل الجائر ، لأنَّ سبيل الضلال ليس مجعولاً له [2] .

وعن جهات الحسن والمصلحة وما يناظرها بالنسبة إلى أفعاله وأحكامه سبحانه يضيف المفسر : بأنها لازمة غير منفكة ، وإن شئت قلت مطردة ، وهو تعالى يفعل ما يفعل ويحكم ما يحكم ؛ لأنه الله [3] ، وأنَّهُ سبحانه لا يختار لعباده من الوظائف والتكاليف إلاَّ ما فيه المصلحة التي تصلح شأنهم في دنياهم وآخرتهم ، ولا يأمر إلاَّ بالحسن الجميل ، ولا ينهى إلاَّ عن القبيح الشائه الذي فيه فسادُ دينٍ أو دنيا ، ولا يفعل إلاَّ ما يؤثره العقل ولا يترك إلاَّ ما ينبغي أن يترك [4] ، على أن لا يكون ذلك حاكمًا على الله سبحانه كما عليه المعتزلة [5] ، وإنَّما يفعل ما يفعل ويحكم ما يحكم لأنه الله ، وأفعاله غير مسؤول عنها ولا معللة بغاية لا يملكها بل مكشوفة بلوازمها ونعوتها اللازمة ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون . قال تعالى : ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ . ومن الآيات التي تعلل الأحكام بوجوه الحسن والمصلحة ، ذكر المفسر قوله

---

١ ـ الميزان : ١٦٧/١٤ ، طه : ٥٠ ، وانظر الميزان : ٩٦/١٨.

٢ ـ الميزان : ٢١٢/١٢ والنحل : ٩.

٣ ـ الميزان : ١٢٣/٧.

٤ ـ الميزان : ١٢١/٧.

٥ ـ ضحى الإسلام : ٤٥/٣ _ ٤٦.



تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء ﴾ ، و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [١] .

وأمَّا أفعال العباد فهي القضية البالغة الأهمية التي بقيت مسرحًا للكلام والمناظرة بين الفرق الإسلامية ، فبينما نجد المعتزلة يقولون بالتفويض وأنَّ الإنسان خالق أفعاله وأنَّ إرادته حرة ، كان جهم بن صفوان يقول بالجبرية الخالصة وأن أفعال الناس واقعة بقدرة الله تعالى وحدها وليس لقدرة الناس تأثير فيها . كما قال الأشاعرة بخلق الله تعالى لأفعال الناس ، لكنما اخترع الأشعري ما سماه (الكسب) وهو الاقتران العادي بين القدرة المحدثة (أي قدرة الإنسان) والفعل ، فالله تعالى أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته لا بقدرة العبد وإرادته ، فهذا الاقتران هو الكسب [٢] .

مما تقدم لا مفر من طرفي المسألة وهما : الجبر ، والتفويض . ولكن الإمامية بنوا على الوسطية في القول ، فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام) : (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين) [٣] ،كما سُئِلَ الإمام الصادق أيضًا عن الجبر والقدر فقال : (لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما ، فيها الحق ... لا يعلمُها إلاَّ العالمُ أو مَنْ علَّمَها إيَّاهُ العالمُ) [٤] .

بعد ذلك ، ما هو موقف الطباطبائي من مسألة افعال العباد ؟

دافع المفسر عن موقف الإمامية من هذه المسألة وحاول ذلك في أكثر من موضع في تفسيره ، فقد جاء بمثال يوضح فيه فكرة الوسطية بين الجبر والتفويض فقال ما معناه : لو أنَّ مولًى من الموالي العرفية اختار عبداً من عبيده وزوجه إحدى فتياته

---

١ ـ الميزان : ١٢٣/٧ ، الأنبياء : ٢٣ ، القصص : ٧٠ ، إبراهيم : ٢٧ ، الرعد : ٤١ ، الأعراف : ٢٨ ، الأنفال : ٢٤.

٢ ـ انظر ضحى الإسلام : ٥٧/٣.

٣ ـ انظر أصول الكافي للكليني ، كتاب التوحيد ، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين.

٤ ـ المصدر السابق نفسه . وانظر شرح عقائد الصدوق ، للشيخ المفيد ، مطبوع مع أوائل المقالات للشيخ المفيد ، النجف ، ١٣٨١هـ ، ص : ٢٠١.

ثم قطع له قطيعة وخصَّهُ بدارٍ وأثاثٍ وغير ذلك مما يحتاج إليه الإنسان في حياته إلى حينٍ محدودٍ وأجلٍ مسمًّى :

١ _ فإنْ قلنا إنَّ المولى وإنْ أعطى لعبده ما أعطى وملَّكَهُ ما ملك ، فإنَّه لا يملك ، وأين العبد من الملك ، كان ذلك قول المجبرة .

٢ _ وإن قلنا إنَّ للمولى بإعطائه المال لعبده وتمليكه جعله مالكاً وانعزل هو عن المالكية وكان المالك هو العبد كان ذلك قول المعتزلة .

٣ _ ولو جمعنا بين الملكين بحفظ المرتبتين وقلنا : إنَّ مقام المالك في كونه مولى والعبد مقامه في الرقية وإنَّ العبد إنما يملك في ملك المولى فالمولى مالك في حين أنَّ العبد مالك ، فهنا ملك على ملك ، كان ذلك القول الحق [1] .

وقد دافع المفسر عن هذه الوسطية بين الجبر والتفويض وتعرض للرد على المجبرة والمفوضة ، ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ يقول : (الفاء في ((فمنكم)) تدل على مجرد ترتب الكفر والإيمان على الخلق فلا دلالة في التفريع على كون الكفر والإيمان مخلوقين لله تعالى أو غير مخلوقين . وإنما المراد إنشعابهم فرقتين : بعضهم كافر وبعضهم مؤمن ، وقَدَّمَ ذكر الكافر لكثرة الكفار وغلبتهم) [2].

ومن ذلك أيضا في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾ ذكر المفسر : أنَّ في الآية مشاجرة بين أصحاب الجبر والتفويض فاستدل بها أصحاب الجبر على أنَّ أفعال العبد مخلوقة لله ، لأن أعمالهم من جملة ما بينهما ، فهي مخلوقة له . واستدل بها أصحاب التفويض على أن أفعال العباد ليست مخلوقة له بل لأنفسهم فإن المعاصي وقبائح الأعمال من الباطل فلو

١ـ انظر الميزان : ١/١٠٠.

٢ـ انظر الميزان : ١٩/٢٩٥ ، التغابن : ٢.



كانت مخلوقة له لكانت مخلوقة بالحق . والباطل لا يكون مخلوقًا بالحق . ثم علق المفسر على ذلك فقال ما معناه :

إنَّ الحجتين باطلتان ؛ لأنَّ جهات القبح والمعصية في الأفعال حيثيات عدمية ، إذ الطاعة والمعصيةُ كالنكاح والزنا ، وأكل المال من حله وبالباطل ، وأمثالُ ذلك مشتركةٌ في أصل الفعل ، وإنما تختلف طاعة ومعصية بموافقة الأمر ومخالفته ، والمخالفة جهة عدمية ، وإذا كان كذلك فاستناد الفعل الى الخلقة من جهة الوجود لا يستلزم استناد القبيح أو المعصية إليها ، فإن ذلك من جهاته العدمية فليس الفعل بجهته العدمية مما بين السموات والأرض حتى تشمله الآية ، ولا بجهته الوجودية من الباطل حتى يكون خلقه خلقًا للباطل بالحق [1] .

وقد دافع المفسر مرارًا عن عدم المزاحمة بين نسبة الفعل الى الله سبحانه وبين نسبته الى الإنسان ، ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وأَنَّهُ هُو أَضْحك وأَبْكى ﴾ يقول ما معناه : ولا منافاة بين انتهاء الضحك والبكاء في وجودها إلى الله سبحانه وبين انتسابهما إلى الإنسان وتلبسه بهما ، ولا أن تعلق الإرادة الإلهية بضحك الإنسان مثلاً يوجب بطلان إرادة الإنسان للضحك وسقوطها عن التأثير ؛ لأن الإرادة الإلهية لم تتعلق بمطلق الضحك كيفما كان ، وإنما تعلقت بالضحك الإرادي الاختياري من حيث إنه صادر عن إرادة الإنسان واختياره ، فإرادة الإنسان سبب لضحكه في طول إرادة الله سبحانه لا في عرضها حتى تتزاحما ولا تجتمعا معًا فنضطر إلى القول بأنَّ أفعال الإنسان الاختيارية مخلوقة لله ولا صنع للإنسان فيها كما يقول الجبري ، أو أنها مخلوقة للإنسان ولا صنع لله سبحانه فيها كما يقول المعتزلي [2].

---

١ ـ انظر الميزان : ١٨٩/١٢ ، والآية : الحجر : ٨٥ ، وللاطلاع انظر الميزان : ٩٩/١ ـ ١٠٠ ، ٢٣٨/٢ ـ ٢٤٦ . ١٨٨/١٣ ، ٣٠٣ ، ٢٥٢/١٥ ـ ٢٥٤.

٢ ـ انظر الميزان : ٤٨/١٩ ، والآية : النجم : ٤٣ ، وللاطلاع انظر الميزان : ٣٥٢/٧.

٣ _ النبوة :

يعتقد الإمامية كغيرهم من المسلمين أنَّ النبوة وظيفة إلهية وسفارة ربانية يجعلها الله تعالى لمن ينتخبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيتهم فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة . ويرى الإمامية أنَّ النبوة لطف منه تعالى باعتبار أنَّ الاجتماع الإنساني سائر إلى الاختلاف بما فطر عليه من حب التغلب والاستطالة والاستيلاء على ما سواه ، وأنَّ ما لديه من عقل وفطرة قاصران عن البلوغ بالإنسان درجات السعادة والكمال الإنساني وعليه فالإنسان في أشد الحاجة إلى من ينصب له الطريق اللاحب والنهج الواضح إلى الرشاد وإتباع الهدى ، فوجب أن يبعث الله تعالى في الناس رحمة لهم ولطفاً بهم ، وليس معنى الوجوب هنا أنَّ أحداً يأمره بذلك فيجب عليه أن يطيع ، تعالى عن ذلك ، بل معنى الوجوب في ذلك هو كمعنى الوجوب في قولك : (إنه واجب الوجود ، أي اللزوم واستحالة الانفكاك) [١] .

وكذلك اعتبر المعتزلة النبوة لطفاً حين بعث الأنبياء ، لأن المؤمنين ما كانوا بغير بعثتهم يؤمنون [٢] ، بينما يرى الأشاعرة أنَّ انبعاث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة [٣].

وأيد المفسر ما ذهب إليه الإمامية فذكر : أنَّ الإنسان بحسب طبعه وفطرته سائر نحو الاختلاف ، كما أنَّه سالك نحو الاجتماع المدني ، وإذا كانت الفطرة لم تتمكن من رفع الاختلاف رفع الله تعالى هذا الاختلاف بالنبوة والتشريع بهداية النوع الإنساني إلى كماله اللائق بحاله المصلح لشأنه . وأنَّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَعْطَى

---

١ ـ انظر عقائد الإمامية للشيخ المظفر : ص ٧٣ _ ٧٧.

٢ ـ انظر القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، تحقيق : د. أبو العلا عفيفي ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٢م ، ٩٧/١٤ وما بعدها.

٣ ـ انظر الملل والنحل للشهرستاني : ١٠٢/١.



كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ يبين أنَّ من شأنه وأمره تعالى أن يهدي كلَّ شيء إلى ما يتم به خلقه ، ومن تمام خلقة الإنسان أن يهتدي إلى كمال وجوده في الدنيا والآخرة ، وأفاد المفسر من قوله تعالى : ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وهـؤُلاء مِنْ عطاء ربِّك وما كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ . إن الله تعالى شأنه الإمداد بالعطاء يمد كل من يحتاج إلى إمداده في طريق حياته ووجوده ويعطيه ما يستحقه ، ولمَّا كانت الطبيعة الإنسانية هي المؤدية إلى هذا الاختلاف العائق للإنسان عن الوصول إلى كماله المطلوب لو وجب أن يكون الإصلاح من جهة غير جهة الطبيعة الإنسانية وهي الجهة الإلهية التي هي النبوة بالوحي [١] .

عصمة الأنبياء :

عقد المفسر بحثا قرآنيًّا واسعًا في الاستدلال على عصمة الأنبياء التي قال فيها الإمامية : إنَّ الأنبياء معصومون قاطبة ويعني ذلك تنزههم عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها وعن الخطأ والنسيان قبل النبوة وبعدها [٢] .

وقد عرّف الطباطبائي العصمة بقوله : (وجود أمر في الإنسان المعصوم يصونه عن الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ أو المعصية) .

ثم قسم العصمة على ثلاثة أقسام :

١ _العصمة عن الخطأ في تلقي الوحى .

---

١ ـ انظر الميزان : ١٣٠/٢ _ ١٣١ ، طه : ٥٠ ، الإسراء : ٢٠.

٢ ـ انظر دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر : ٥٩٨/١ وانظر عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر ، ص :٧٩ . وقد أجمعت المعتزلة على أنه لا يجوز أن يبعث الله نبيا يكفر ويرتكب كبيرة ولا يجوز أن يبعث نبيا كان كافرا أو فاسقا ، وأجمعوا على أن معاصي الأنبياء لا تكون إلا صغارا واختلفوا في ذلك فمنهم من قال : إنه يجوز أن يعلم في حال ارتكابه المعاصي أن ما يأتيه معصية ، ويتعمد ذلك . ومنهم من قال بجوازها إلا أنها لا تكون إلا صغارا . (انظر مقالات الإسلاميين : ٢٩٦/١ _ ٢٩٧) . وقال عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) أحد أئمة الأشاعرة : الأنبياء معصومون بعد البعثة عن الذنوب كلها ما عدا السهو والخطأ وجائز عليهم الذنب قبل البعثة . (انظر أصول الدين للبغدادي ، استانبول ، مطبعة الدولة ، ١٩٢٨م ، ط١ ، ص : ١٦٧ _ ١٦٨) وانظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : ٢٢٢/٢.

٢ _ العصمة عن الخطأ في التبليغ والرسالة .

٣ _ العصمة عن المعصية وهي ما فيه هتك حرمة العبودية ومخالفة المولى ، ويرجع بالنتيجة إلى قول أو فعل ينافي العبودية منافاة ما .

واستدل المفسر بالقرآن الكريم على هذه الجهات الثلاث :

فقوله تعالى:﴿ **فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ**﴾ ظاهر في أنه تعالى بعثهم بالتبشير والإنذار وإنزال الكتب لهداية الناس إلى حق الاعتقاد ، وحق العمل.وهذا هو غرضه سبحانه من بعثهم ، وقد قال تعالى:﴿ **لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى** ﴾ وقوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** ﴾ وقوله : ﴿ **وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ** ﴾ هذه الآيات تدل على أنَّ الله تعالى لا يضل في فعله ولا يخطئ في شأنه ، ومن شأن ما تقدم فإنه يدل على عصمتهم عن الخطأ في تلقي الوحي وتبليغ الرسالة .

ومما يدلُّ أيضًا على تحقق العصمة في الوجهين الأولين قوله تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً۞ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً** ﴾ فظاهره أنه سبحانه يختص رسله بالوحي فيظهرهم ويؤيدهم على الغيب بمراقبة ما بين أيديهم وأمثالها ليتحقق إبلاغهم رسالات ربهم . ونظيره قوله تعالى حكاية عن قول ملائكة الوحي : ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً** ﴾ .

دلت الآيات على أن الوحي من حين شروعه في النزول إلى بلوغه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى تبليغه الناس محفوظ مصون عن تغيير أيِّ مغيِّر يغيِّره .

وأمّا عن الوجه الثالث من العصمة فيقول المفسر :

ولو تحققت معصية من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يأمر بخلافها لكان



ذلك تناقضًا منه ، فيناقض فعله قوله ، فيكون مبلّغاً لكلا المتناقضين . وليس تبليغ المتناقضين بتبليغ للحق ؛ لأنَّ المخبر بالمتناقضين لم يخبر بالحق لكون كل منهما مبطلاً للآخر .

واستدل المفسر على مطلق عصمتهم بقوله تعالى : ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ . وقوله : ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ ومن يهد اللّهُ فما لَهُ من مُّضِلٍّ ﴾ وقوله : ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَد ﴾ .وقوله : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِين وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُل ﴾ ومن المعلوم _ على قول المفسر _ أنَّ قطع الرسل عذر الناس ورفعهم لحجتهم إنما يصح إذا لم يتحقق في ناحيتهم ما لا يوافق إرادة الله ورضاه [١] .

وساق المفسر آيات كثيرة أخرى بعنايات معينة ليؤكد ويدعم فيها عصمة الأنبياء في الجهات الثلاث [٢].

وقد دفع المفسر روايات وأقوالاً تمسُّ في عصمة الأنبياء ، وقد أسلفنا ذكر بعض منها [٣] .ومنها أيضًا تفسيره لما حكاه القرآن من قول إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ومِن ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلمةً لَك وأرنا مناسكنا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

قال المفسر : إن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ غير المعنى الشائع المتعارف ؛ لأن إبراهيم وإسماعيل كانا نبيَّيْنِ معصومين بعصمة الله تعالى ، لا يصدر عنهما ذنب حتى تصح توبتهما منه كتوبتنا من المعاصي الصادرة عنا [٤] .

---

١ ـ الميزان : ١٣٤/٢ _ ١٣٩ والبقرة : ٢١٣ ، طه : ٥٢ ، الطلاق : ٣ ، يوسف : ٢١ ، الجن : ٢٨ ، مريم : ٦٤ ، الأنعام : ٩٠ ، الزمر : ٣٧ ، الكهف : ١٧ ، النساء : ١٦٥.

٢ ـ المصدر السابق نفسه.

٣ ـ انظر ص ٢٠١ _ ٢٠٣ من هذه الرسالة.

٤ ـ الميزان : ٢٨٤/١ _ ٢٨٥ ، الآية : البقرة : ١٢٨ ، وللاطلاع انظر الميزان : ١٣٥/١ _ ١٣٨ ، ٢٨٤ ، ١٩٣/١٧ _ ١٩٤.



٤ _ الإمامة وعصمة الأئمة :

وهي الأصل الرابع من أصول المذهب عند الإمامية ، وتعد الإمامة أصلاً من أصول الدين لا يتم الإيمان إلاَّ بالاعتقاد بها ، وأنَّ الإمامة كالنبوة لطف منه تعالى ، ولابد أن يكون في كلِّ عصرٍ إمامٌ هادٍ يخلفُ النبيَّ في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين ، وعليه فالإمامة استمرار للنبوة ، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه الذي يوجب نصب الإمام بعد الرسول ، ولذلك فالإمامة لا تكون إلاَّ بالنص من الله تعالى على لسان النبي (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ، أو لسان الإمام الذي قبله ، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس ، فالإمامُ كالنبيِّ يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش ومن السهو والخطأ والنسيان ، والدليل الذي اقتضى عصمة الأنبياء هو نفسه يقتضي الاعتقاد بعصمة الأئمة [1] .

---

١ ـ انظر الشيخ الطوسي ، تلخيص الشافي في الإمامة ، تقديم وتعليق حسين بحر العلوم ، النجف ، ١٣٨٣هـ ، ط٢ ، ص : ٦٩ ، ١١٣ ، وانظر عقائد الإمامية للمظفر ، ص : ٩٣ _ ١٠٤ . ولم يدرج المعتزلة (الإمامة) كأصل من أصولهم الاعتقادية ، فقد قال أبو علي الجبائي (ت ٣٠٣هـ) أحد أئمة الاعتزال تنعقد الإمامة حسب رأي الأمة على اختيار من يكون لهم إمامًا في شؤون الدين والدنيا فإذا اتفق رأي أهل الحل والعقد على شخصين يصلحان للإمامة فإن الإمام هو من عقد له أولا (انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ، ص : ٧٦٧) .

كما أنكر القاضي عبد الجبار (ت ٤٠٥هـ) فكرة النص الإلهي ، وذهب إلى أنَّ الإمامة بالاختيار ، وأنها أمور مصلحية دينية ودنيوية ، لتنفيذ الأحكام وإقامة الحدود ، وحفظ البيضة ، والذود عن الإسلام ، والدعوة إلى الجهاد ، والدفاع عن البلاد ، ومراعاة مصالح العباد . وأنكر القاضي أيضًا أن تتعلق الإمامة بجوهر التكليف حتى يجب اللطف الإلهي بوجود الإمام ، هذا وحتى العصمة كذلك لا تجب في الإمام ، وإنما تقتضي الإمامة الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة الظاهرة ، والفضل في الدين والعلم وجودة الرأي . (انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ، ص : ٧٤٩ ـ ٧٦٩) .

وكذلك خالف الأشاعرة وأهل السنة الإمامية في ذلك ، فيذكر أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) أحد أئمة الأشاعرة ومذهب أهل السنة : أن الإمامة بالاختيار لا بالنص ، ولا يكون الإمام إماما إلا بعقد من أهل الحل والعقد المؤتمنين من أفاضل الأمة على هذا الشأن ولا يشترط في الإمام أن يكون معصوما . (انظر التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة للباقلاني ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٧ ، ص : ١٨١ _ ١٨٦) . والواقع

وقد استدل المفسر على الإمامة بقوله تعالى:﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١) وأفاد من هذه الآية ومن آيات أخرى جملة أمور :

١ _ إن قصة إعطاء إبراهيم (عليه السلام) الإمامة وحبائه بها إنما وقعت في أواخر عهده (عليه السلام) بعد كبره وتولد إسماعيل وإسحاق له ، وإسكانه إسماعيل وأمه ، وقد استفاد المفسر ذلك من القرآن الكريم نفسه لقول إبراهيم (عليه السلام) حكاية عنه ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ علما أن إبراهيم (عليه السلام) وزوجته كانت تلوح عليهما آثار اليأس والقنوط من بشارة الملائكة لهما بإسحاق ، وذلك لقول إبراهيم : ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ ﴾ وقول زوجته : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ فكيف يجوز لإبراهيم (عليه السلام) في خطاب يخاطب به ربه الجليل أن يتفوه بما لا علم له به ، ولو كان ذلك لكان من الواجب أن يقول : ومن ذريتي إن رزقتني ذرية ، أو ما يؤدي هذا المعنى ، فالقصة واقعة في أواخر عهد إبراهيم (عليه السلام) بعد البشارة ، وكذلك بعد الابتلاء الذي ابتلاه ربه فيه بكلمات . والقضية إنَّما وقعت في كبر إبراهيم كما حكى الله تعالى عنه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٢)

=أن المسلمين اتفقوا على وجوب الإمامة إلا (الأصم) من المعتزلة ذهب الى عدم وجوبها عقلا وسمعا . وقال : لو تكاف الناس عن التظالم لاستغنوا عن الإمام . انظر مقالات الإسلاميين ١٤٩/٢.

١ ـ البقرة ١٢٤.

٢ ـ الميزان : ٢٦٧/١ _ ٢٦٨ ، والبقرة ١٢٤ ، الحجر : ٢٤ ، هود : ٧٢ ، إبراهيم : ٣٩ ، وللإيضاح أنظر الميزان : ١٥/١٢_١٧.



٢ _ إن (كلمات) في الآية تعني القضايا التي ابتلي بها إبراهيم (عليه السلام) والعهود الإلهية التي أريدت منه كابتلائه بالكواكب والأصنام والنار والهجرة وتضحيته بابنه وغير ذلك . وقد ذكرنا سابقًا بيان المفسر لهذا المعنى [١] .

٣ _ قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾ أي مقتدًى يقتدي بك الناس في أقوالك وأفعالك . فالإمام هو الذي يُقتَدَى ويأتم به الناس ، ولذلك ذكر بعض المفسرين أنَّ المراد به النبوة ، لأنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو قدوة أمته في دينها . ورد المفسر ذلك من جهتين :

إحداهما : أنَّ (إمامًا) مفعولٌ ثانٍ لعامله الذي هو قوله : جاعلك ، واسم الفاعل لا يعمل إذا كان بمعنى الماضي وإنما يعمل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال ؛ فقوله﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ وعدٌ له (عليه السلام) بالإمامة .

ثانيتهما : أنَّ هذه القصة إنما وقعت في أواخر عهد إبراهيم كما اتضح سابقًا حين كان إبراهيم نبيًّا مرسلاً فقد كان نبيًّا قبل أن يكون إمامًا فإمامته غير نبوته [٢] .

٤ _ أنَّ القرآن الكريم كلَّما تعرَّضَ لمعنى الإمامة تعرَّضَ معها للهداية ؛ قال تعالى : وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاق وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ۞ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ فوصفها سبحانه بالهداية وصفَ تعريفٍ ، ثم قيَّدها بالأمر ، فبيَّن أنَّ الإمامة ليست مطلق الهداية ؛ بل هي الهداية التي تقع بأمر الله ، ومن ثَمَّ فالإمام هادٍ يهدي بأمرٍ ملكوتي يصاحبه ، وعليه فالإمامة بوجهٍ هي ولاية الناس في أعمالهم [٣].

١ـ انظر صفحة : ٢٤٦ من هذه الرسالة.

٢ـ الميزان : ٢٧٠/١ _ ٢٧١ : البقرة : ١٢٤.

٣ـ الميزان : ٢٦٧/١ _ ٢٧٢ ، الأنبياء : ٧٢ ، السجدة : ٢٤.



وبعد أن بيَّنَ المفسِّرُ معنى الإمامة بأنها _ بوجه _ ولاية الناس في أعمالهم نجده يؤكد هذا المعنى في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [1]، إذ أوضح : أنَّ الله سبحانه ذكر لنفسه من الولاية ، الولاية التكوينية كقوله تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾ وكذلك ولاية النصرة كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ .

وكذلك الولاية على المؤمنين فيما يرجع إلى أمر دينهم من تشريع وهداية كقوله تعالى :﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ كما ذكر الله سبحانه لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) من الولاية التي تخصه وهي الولاية التشريعية وهي القيام بالتشريع والدعوة وتربية الأمة والحكم فيهم والقضاء في أمرهم . قال تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ وإنَّ إطاعته (صلى الله عليه وآله وسلم) واجبة كإطاعة الله سبحانه . قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ . وهذا المعنى من الولاية أي الولاية التشريعية هو الذي تذكره آية المائدة للذين آمنوا بعطفه على الله ورسوله إذ السياق يفيد أن الولاية ولاية واحدة هي لله سبحانه بالأصالة ، ولرسوله والذين آمنوا بالتبع ، وبإذن منه حيث أسند (الله ورسوله والذين آمنوا) في الآية إلى قوله (وليكم) وظاهره كون الولاية في الجميع بمعنى واحد يؤيد ذلك أيضا قوله تعالى في الآية التالية لها : ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ حيث يشعر أو يدل على كون المتولين جميعًا حزبًا لله لكونهم تحت ولايته . فولاية الرسول والذين آمنوا إنما هي على غرار ولاية الله ولو كانت الولاية المنسوبة إلى الله تعالى في الآية غير المنسوبة إلى الذين آمنوا لكان الأنسب أن

١ـ المائدة : ٥٥.

تفرد ولاية أخرى للمؤمنين بالذكر رفعا للالتباس كما وقع في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يصدق بالله لدلائله ويصدق المؤمنين لخلوصهم ، ثم أورد في سبب نزولها أخبارًا تتضمن أنها نزلت في علي (عليه السلام) [1] .

وإن ضعَّف أهل السنة هذا المعنى من مناسبة نزول الآية إلاّ أن الذي نود تأكيده هنا : أن المفسِّر استدل بالآيات القرآنية مقلِّبًا إياها على شيءٍ من النظر والتدبر في إفادة معنى (الإمامة) من هذه الآيات .

وفي صدد بيان عصمة الإمام والاستدلال عليها تعرض المفسر لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ ، فقال إنَّ سبب موهبة الإمامة صبرهم في جنب الله وفي ابتلائهم وامتحانهم بدليل قوله تعالى : ﴿ لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ وكونهم أيضا قبل الصبر موقنين قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ فالآية بظاهرها تبيِّنُ أنَّ إراءة الملكوت لإبراهيم كانت مقدمة لإفاضة اليقين عليه ، كما أنَّ بعض الآيات تبين أن اليقين لا ينفك عن مشاهدة الملكوت كما هو ظاهر قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ۞ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ۞ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ۞ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ۞ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ۞ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ . فهذه الآيات تدل على أنَّ المقرَّبين هم الذين لا يحجبون عن ربهم بحجاب قلبي وهو المعصية والجهل والريب والشك ، فهم أهل اليقين بالله وهم يشهدون عليين كما يشهدون الجحيم . وبالجملة فالإمام يجب أن يكون إنسانًا ذا يقينٍ ، مكشوفًا له عالم

---

١ ـ الميزان : ٥/٦ ـ ٢٥ ، والآيات ، الشورى : ٩ ، محمد : ١١ ، البقرة : ٢٥٧ ، الجاثية : ١٩ ، الأحزاب : ٦ ، ٣٦ ، المائدة : ٥٦ ، التوبة : ٦١.

الملكوت ، ولابدَّ من أن يكون سعيد الذات بنفسه إذ الذي ربما تلبس ذاته بالظلم والشقاء فإنَّما سعادته بهداية من غيره . قال تعالى : ﴿ أَفَمن يَهْدِي إِلى الْحَقِّ أَحقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾ ومن ثَمَّ فإنَّ المراد بالظالمين في قوله تعالى : ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ جميع من صدر عنهم ظلم ما ، من شرك أو معصية ، وإن كان منه في برهة من عمره ثم تاب وصلح [1].

التقية :

وهي من مختصات الشيعة ومن جملة معتقداتهم ، وليست التقية من قبيل الارتداد أو نسخ عقيدة المرء،وإنَّما هي أسلوب تقضي به الفطرة لا سيما في ظروف المحنة وحالات الضيق[2]

واستدل المفسر على جواز التقية وأنها رخصة من الشارع المقدس بدليل قوله تعالى : ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ فقد بيَّنَ أنَّ الاستثناء في (إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً) منقطع بدليل أنَّ التقرب من الغير بإظهار آثار التولي _ المستثنى _ ظاهراً من غير عقد القلب على الحب ، والولاية _ المستثنى منه _ ليس من التولي في شيء لأنَّ الخوف والحب أمران قلبيَّان متباينان ومتنافيان أثرًا في القلب ، فكيف إذن يمكن اتحادهما . وأضاف أنَّه ربما يترتَّبُ على التقية والمجاراة مع أعداء الدين ومخالفي الحق من حفظ مصلحة الدين وحياة الحق مالا يترتب على تركها [3].

---

١ ـ الميزان : ٢٧٢/١ _ ٢٧٤ . الآيات السجدة : ٢٤ ، الأنعام : ٧٥ ، التكاثر : ٥ _ ٦ ، المطففين ١٨ _ ٢١ ، يونس : ٣٥ ، البقرة : ١٢٤.

٢ ـ عقائد الإمامية للشيخ المظفر : ص ١١٤ _ ١١٦ ، أصول الكافي كتاب الإيمان والكفر ، باب التقية.

٣ ـ الميزان : ١٥٣/٣ وآل عمران : ٢٨.



وأشار المفسر إلى أن قوله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللّه من بَعْد إيمَانه إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّه وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ تعرضت أيضا لحكم (التقية) فإنَّ قوله : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللّه من بَعْد إيمَانه ﴾ شرط ، جوابه : (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّه) وأمَّا قوله : ﴿ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ فهو المستثنى من عموم الشرط ، والمراد بالإكراه هنا الإجبار على كلمة الكفر والتظاهر به فإنَّ القلب لا يقبل الإكراه [١]. ثم ذكر عدة روايات سببًا لنزول الآية في عمار بن ياسر حين أجبروه ، إلاَّ أنَّ قلبه لم يكن منشرحًا بالذي قال [٢].

واستفاد المفسر التقية من قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ باعتبار الآية ضمن سياقها صريحة في إيمان هذا الرجل ودفاعه عن موسى (عليه السلام) إلاّ أنه كان يكتم إيمانه خشية أن يبطشوا به [٣].

٥ _ المعاد :

وهو الأصل الخامس من عقائد الإمامية ، وفي الواقع أنَّ المسلمين بل جميع أتباع الشرائع السماوية يعتقدون بأنَّ الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الذي وعد عباده فيثيب المطيعين ويعذب العاصين .

يقول الشيخ محمد رضا المظفر : إنَّ من يعتقد بالله اعتقادًا قاطعًا ويعتقد كذلك بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رسولاً منه أرسله بالهدى ودين الحق لابدَّ من أن يؤمن بما أخبر به القرآن الكريم من البعث والثواب والعقاب ، والجنة والنعيم ، والنار والجحيم ، وقد صرح القرآن بذلك ولمَّحَ إليه كثيرًا وأضاف : إنَّ عقيدة الإمامية بالمعاد الجسماني ضرورة من ضرورات الدين الإسلامي ، والمعاد

١ ـ الميزان : ١٢/٣٥٣ _ ٣٥٤ ، النحل : ١٠٦.
٢ ـ الميزان : ١٢/٣٥٧ _ ٣٥٨.
٣ ـ الميزان : ١٧/٣٢٨ _ ٣٢٩ . المؤمن : ٢٨.



الجسماني هو إعادة الإنسان في يوم البعث والنشور ببدنه بعد الخراب ، وإرجاعه إلى هيئته الأولى بعد أن يصبح رميمًا [1] .

وقد تعرض المفسر لهذا المعنى في جملة من الآيات منها قوله تعالى :﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ۝ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ إذ قال في تفسيرها : إنَّ جمع العظام كناية عن الإحياء بعد الموت ، والمعنى بل نجمعها والحال إنَّا قادرون على أن نصور بنانه على صورها التي هي عليها بحسب خلقنا الأول [2].

وقال في معنى قوله تعالى:﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ : إذا كنا خلقنا العالم بسمائه وأرضه وما فيهما ودبرناه أحسن تدبير لأول مرة بقدرتنا وعلمنا ولم نعجز عن ذلك علمًا وقدرةً فنحن غير عاجزين عن تجديد خلقه وهو تبديله خلقا جديدًا فلا ريب في قدرتنا ولا التباس بل هم في التباس لا سبيل لهم مع ذلك إلى الإيمان بخلق جديد [3] .

وعن شبهة النافين للمعاد الجسماني التي حكاها قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [4] ذكر المفسر أنَّ لها جهات مختلفة وقد أجاب الله سبحانه عن كل واحدة منها بما يناسبها ، منها :

استبعاد أن يستحيل التراب إنسانًا سويًّا . لكن الله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ .

١ـ عقائد الإمامية للشيخ المظفر : ص : ١٦٣ ـ ١٦٤.

٢ـ الميزان : ١٠٤/٢٠ ، القيامة : ٣ ـ ٤.

٣ـ الميزان : ٣٤٦/١٨ ، ق : ١٥.

٤ـ الرعد : ٥.

ومنها أيضًا : استبعاد إيجاد الشيء بعد عدمه . لكن الله تعالى يقول : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ۞ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ .

ومنها كذلك : أنَّ الإنسان تنتفي ذاته بالموت ، فلا ذات هناك حتى تتلبس بالخلق الجديد . وقد رد المفسر ذلك باعتبار أنَّ النفس الإنسانية لا تنعدم عند الموت . فالموت هو أن يأخذ الله تعالى هذه النفس أو الروح من البدن وتقطع علقتها به ثم البعث وهو أن يجدد الله خلق البدن وتعليقها به وهو القيام لله لفصل القضاء . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ وقد استفاد المفسر من هذه الآية أنَّ الله تعالى يقول : إنَّكم لا تضلون في الأرض ولا تنعدمون بل الملك الموكل بالموت يأخذ النفوس فتبقى في قبضته ولا تضل ، ثم إذا بعثتم ترجعون إلى الله بلحوق أبدانكم إلى نفوسكم وأنتم أنتم [١] .

الرجعة :

تعني الرجعة عند الإمامية أن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعزُّ فريقًا ويذلُّ فريقًا آخر . والرجعة من مختصات الشيعة إلاَّ أنَّها ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها ، وإنَّما الاعتقاد بها كان تبعًا للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت (عليهم السلام) ، وهي من الأمور الغيبية الخارقة للعادة التي أخبروا عنها ، والاعتقاد بها لا يخدش في عقيدة التوحيد والنبوة، وتعتبر من نوع المعاد الجسماني [٢].

وبقيت هذه المسألة ملتقى أنظار الباحثين منذ القديم ، فمنهم من ردها إلى جذور أجنبية عن الإسلام ، ومنهم من قال بأصل لها في الإسلام ؛ وهم طبعاً الإمامية وقد

---

١ ـ الميزان : ١١/٢٩٨ ـ ٣٠٠ ـ الحج : ٥٠ ، يس : ٧٨ ، السجدة : ١٠.

٢ ـ عقائد الإمامية للشيخ المظفر : ص ١٠٩ ـ ١١١.

استدلوا بجملة من الآيات القرآنية عليها واستعانوا بالروايات الواردة عن أئمة أهل البيت . وبملاحظة أنَّ العقل لا يمنع وقوعها . وقد تعرض المفسر للرجعة فأوضح: أَنَّ ثمة تواتراً بالمعنى في الروايات الواردة عن أهل البيت في شأن الرجعة [١] ، وأشار إلى أنَّ ثمة حوادث كثيرة واقعة قبلنا من قبيل إحياء الأموات كما قصه القرآن الكريم من قصص إبراهيم وموسى وعيسى وعزير وغيرهم . وأضاف : أنَّ الله تعالى ذكر من نعوت وأوصاف يوم القيامة أنَّه يوم لا يحجب فيه سبب من الأسباب ، ويظهر فيه آياته كمال الظهور وهو يوم لا يبطل وجوده وتحققه تحقق هذه النشأة الجسمانية ووجودها ، فلا شيء يدل على ذلك من كتاب وسنة ، بل الأمر على خلاف ذلك غير أن الظاهر من الكتاب والسنة أنَّ البشر الذي أنهاه الله سبحانه إلى آدم (عليه السلام) وزوجته سينقرض من الدنيا قبل طلوع هذا اليوم لهم _ يعني يوم القيامة _ ولا مزاحمة بين نشأة الدنيا ونشأة البعث ، حتى يدفع بعضها بعضًا ، كما أن النشأة البرزخية وهي ثابتة للأموات منا لا تدفع الدنيا ولا الدنيا تدفعها [٢] .

وبهذا يكون المفسر قد نفى أي مانع من وقوع نشأة الرجعة بما أنَّها نوع من المعاد الجسماني وذلك لعدم مزاحمتها لأيَّة نشأة أخرى . وقد استفاد المفسر الرجعة من قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُون فقال : إنَّ ظاهر الآية يفيد كون هذا الحشر في غير يوم القيامة لأنَّهُ حشرٌ للبعض من كلِّ أُمَّةٍ لا لجميعهم ، وقد قال تعالى في صفة الحشر يوم القيامة: ﴿ وحشرناهم فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾ ، ويؤيد ذلك أيضًا وقوع الآية والآيتين بعدها عقب نبأ دابة الأرض التي هي من أشراط الساعة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى وقوع الآية قبل قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ إلى آخر الآيات الواصفة لوقائع يوم

١ـ الكافي للكليني _ كتاب الرجعة.
٢ـ الميزان : ٢/١٠٧ _ ١٠٨.

القيامة . وعليه فلا معنى لتقديم ذكر واقعة من وقائع يوم القيامة على ذكر شروعه ووقوع عامة ما يقع فيه ، فإنَّ الترتيب الوقوعي يقتضي ذكر الحشر فوج من كلِّ أمَّةٍ _ لو كان من وقائع يوم القيامة _ بعد ذكر نفخ الصور وإتيانهم إليه داخرين [١]

يستفاد مما عرضناه في هذا الفصل أن الطباطبائي الإمامي لم يخالف الإمامية في شيء من عقائدهم ، كما وجدناه يختلف في أكثر من موضع مع المعتزلة ، لا سيما في عقيدتي التوحيد والعدل اللتين يتفق فيهما الإمامية والمعتزلة إلى حد كبير ، كما وجدناه في موارد كثيرة يعمق النظر والتدبُّر في الآيات لتدعيم هذه العقائد كمسألة الإمامة والعصمة والرجعة مثلاً . بينما نراه يستعين بظواهر آيات أخرى في تجلية ما غمض من معاني بعض الآيات التي تلحق ظواهرها التشبيه والتجسيم بالله سبحانه ، إلى آيات التنزيه ، كما وجدناه يستدل بآيات قرآنية في تحقيق ما تسالم عليه المسلمون دون أن يذهبوا فيه مذاهب متشعبة كالنبوة والمعاد . إلاّ أننا نجده في مسألة الجبر والتفويض يسلك مسلكًا عقليًّا واضحًا في نفي الجبر والتفويض لغرض إثبات الوسطية بينهما .

---

١ ـ الميزان : ٣٩٧/١٥ ، النمل : ٨٣ ، الكهف : ٤٧ ، النمل : ٨٧.

الخاتمة

نلخص هنا جملة أمور أفدناها من البحث :

١ _ المفسر هو السيد محمد حسين بن السيد محمد بن السيد محمد حسين بن الميرزا علي أصغر الطباطبائي التبريزي القاضي، وهو على مذهب الإمامية الاثني عشرية وأحد علمائهم المبرزين في العصر الحاضر، له قابلية استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية لبلوغه مرتبة الاجتهاد في الفقه، ويُعَدُّ من فلاسفة ومفسري هذا القرن، وله من الآثار العلمية ما يدل على ذلك، وقد نشط في مجالات علمية أخرى تدل على روحه المؤمن ووعيه الكبير لواقعه الذي يعيشه.

٢ _ من خلال كلامنا حول عصر المفسر ، والظروف التي أحاطت بنشأته وطبيعة بيئاته التي نشأ فيها ، وجدناها حافلة بالمؤثرات السياسية والنشاط العلمي الدؤوب وزاخرة بالتطورات الحضارية الهائلة فأثر ذلك في تفسيره ، وعني الطباطبائي بالجانب الإصلاحي وكان متصديًا بين فترة وأخرى لكلِّ ألوان التحريف والتزييف التي يتعرض لها الإسلام من قبل أعدائه ، وعقد لأجل ذلك أبحاثا متعددة عالج فيها جملة من قضايا العصر في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

٣ _ اعتمد المفسر على مصادر كثيرة في التفسير والحديث والتاريخ وغيرها لم تكن وقفًا على كتب الإمامية ، بل ضمت إلى جانب ذلك كثيراً من كتب أهل السنة . وهذا يكشف عن أحد جوانب موضوعيته ونظرته المعتدلة ، وعن رغبته في استيفاء البحث مادته دون إهمال لآراء الآخرين . وتبين أيضًا أنه لم يستسلم للمنقولات بل كان يقبل ويرفض ويرجح بينها .

٤ _ وزع الآيات على مقاطع ينتظمها سياق واحد ، ولأنها _ مجتمعة _ تؤدي غرضًا معيَّنًا ، كما دأب المفسر على تقديم غرض السورة الأساس في مفتتح تفسيره لها ، والتنبيه إلى ما تعالجه هذه المقاطع القرآنية من أغراض في بداية تفسيره لكل مقطع .

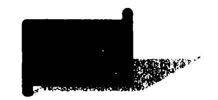
٥ _ وأمَّا بالنسبة إلى منهجه في التفسير ، فأول ما يلفت القارئ اعتماد المفسر

بشكل أساس على القرآن نفسه في استنطاق آية والوقوف على معانيها . وفي ضوء ذلك نهج منهجاً موضوعيًّا وقام بتحديد جملة من المفاهيم القرآنية بمعارضة الآيات الناظرة لها والإفادة منها . ومن ذلك أيضًا ما نهجه المفسر في عرض القصص القرآني منهجًا قرآنيًّا ولم يعول على الروايات المتناقضة كما لم يحمل هذه القصص على التخييل ، ولم يذهب إلى تأويلها ، فهو يجهد نفسه في ترتيب الآيات الحاكية لقصةٍ ما ترتيبًا زمنيًّا فيؤلف منها قصة قرآنية يعرض عليها الروايات الواردة بشأنها لاستيضاح الجوانب التي أغفلها القرآن من القصة بوصفه كتاب هداية وليس كتابًا قصصيًّا على أن تكون هذه القصة الروائية تابعة لمضمون القصة القرآنية وغير معارضة لها .

٦ _ للسياق أثر واضح في الميزان بوصفه أحد القرائن الحالية على فهم الكلام ، فقد اعتمده المفسر أساسًا في الكشف عن معاني الآيات ، وفي رد جملة من آراء المفسرين أو ارتضائها ، وكذلك عدَّ السياق دليلاً للفصل بين مكيِّ القرآن ومدنيِّه ، وفي تحديد بعض الألفاظ القرآنية المبهمة ، كما استخدمه دليلاً في قبول بعض الروايات ورفض البعض الآخر ، كما استعان بالسياق في الترجيح بين القراءات ، كما عني المفسر بمسألة الترابط والمناسبة بين الآيات ، وكان حريصًا على بيان وجه المناسبة بينها في أكثر الأحيان .

٧ _ وفي ضوء قاعدته الأساس (تفسير القرآن بالقرآن) وإفادته من سياق الآيات كان المفسر يقبل ويرفض ما روي من مظنون السنة التي تعني لديه : قول المعصوم وفعله وتقريره سواء أكانت من النبيِّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أم من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، هذا في حالة كونها غير متواترة أو غير محفوفة بقرائن قطعية مفيدة للعلم . أمَّا المتواترة فلا خلاف في حجيتها . وأمَّا موقفه من الخبر الواحد فهو حجة لديه في الأحكام الشرعية دون غيرها .

٨ _ استعان المفسر بالسنة في تأييد ودعم النتائج القرآنية التي يقف عليها من خلال



(البيانات) التي يخصصها المفسر لبيان معاني الآيات في ضوء اللغة والإعراب والسياق وقوة الظهور ، والقرآن الكريم باعتباره يفسر بعضه بعضا ، ولأجل أن يتضح ذلك في تفسيره عمد إلى استقلالية الأبحاث الروائية وإيراد ما روي حول الآيات من تفسير أثري أو أسباب النزول وغيرها في هذه الأبحاث معلقا عليها بعد كلمة (أقول) فإن وافقت نتائجه التفسيرية نبَّه عليها بالتأييد ، وإلاّ ضعَّفها . وقد ينبه أحيانا على أسانيد بعض الروايات إن كان في رجالها من يضعفها ، كما عني برفع التعارض بين الروايات مستعينا بنتائجه التفسيرية في (البيانات) .

٩ _ استعان الطباطبائي بأسباب النزول بوصفها قرائن يمكن أن توضح النص القرآني وتوجهه وجهة معينة ، وتصدّى لأكثر هذه الروايات للتناقض الحاصل بينها فأسقط قسماً كبيراً منها . ويرى أن الأحكام لا تتوقف عند مناسبات نزولها وإنّما العبرة بعموم اللفظ ، فالقرآن الكريم تجري أحكامه حتى قيام الساعة ، وقد يعبر عن هذه القاعدة أحيانا بـ (الجري وعدّ المصاديق) .

١٠ _ اهتم المفسر بترك ما لا طائل تحته ونزع نحو الاختصار فلم يذكر الأسانيد كاملة بل كان يكتفي بذكر المصدر غالبًا وأن أخذته أحيانا بعض الاستطرادات الروائية كما أنَّه لم يعن بأخبار فضائل السور كثيراً .

١١ _ استعان الطباطبائي بأقوال الصحابة والتابعين في تفسير بعض الآيات غير أنه يعتقد بأنها فاقدة للحجية بذاتها وتبقى خاضعة للرأي والمناقشة كأيِّ نص آخر ولربما يعدها ويقدمها على غيرها من أقوال المفسرين وغيرهم لما أفادوه من عصر النزول.

١٢ _ وقف المفسر من الإسرائيليات موقفًا متشدِّدًا للغاية ونبّهَ على أن أكثر المفسرين تورطوا بمثل هذا الإقحام في تفاسيرهم وقد أرجع علة ذلك إلى الطبيعة القصصية وأثرها في التفسير والى الإفراط في الركون إلى الآثار وقبولها كيفما اتَّفق وإن خالف صريح العقل ومحكم الكتاب.وكان الطباطبائي يتتبع جذور



الإسرائيليات ومصدر إقحامها في روايات الإسلاميين وذلك بمقارنته لمضامين هذه الروايات مع ما ورد في التوراة والإنجيل منها والتنبيه على أوجه التشابه بينها وبيان حجم التزييف الإسرائيلي الذي تعرض له الأنبياء(عليهم السلام) والمبادئ السماوية.

١٣ _ أمَّا بالنسبة إلى اللغة والإعراب والبلاغة في الآيات فإنه يقدم منها القدر الذي يعين على فهم الآية ويكشف عن مدلولها.كما أنَّه لم يعقد اهتمامًا كبيرًا على القراءات ولم يكن له منهج واضح فيها فبينما نجده يعتمد قراءة المصحف الشريف نراه في أحيان أخرى يرجح عليها من القراءات ما يلائم السياق منها وصفوة القول هنا أنه يعتمد السياق أساسًا في الترجيح بين القراءات.

١٤_ تعرض المفسر لمناقشة آراء المفسرين والترجيح بينها على أسس كالسياق والنصوص القرآنية وما تؤديه هذه الآيات في تفسير بعضها البعض الآخر والأسس الاعتقادية كالتوحيد والعدل والإلهيين وعصمة الأنبياء وغيرها ومنها أيضًا عقائد الإمامية.

١٥ _ أخذ المفسر بالباطن الذي يوافق الظاهر من الآيات وحقائق الشريعة وأكد أن المقصود هو الظاهر بعكس ما ذهب إليه البعض من أن المقصود هو الباطن الذي لا يناله فهم أهل الظاهر ، وقد نعت المفسر هؤلاء بمناقضة ظواهر الدين وحكم العقل ومنهم بعض المتصوفة والباطنية .

وعن موقفه من الباطن الذي روي عن أئمة مذهبه فقد صنف جملة من هذه الروايات بأنها من قبيل (الجري وعدِّ المصاديق) باعتبار أنَّ الآيات تتحمل أكثر من مصداق ، وهذه المصاديق مترتبة طولاً لا عرضًا ، فهي لا تتزاحم إذن . وأحيانا يكتفي بإيراد بعضها في أبحاثه الروائية دونما تعليق عليها ، وإنما غرضه منها عرض ما ورد عن أئمة أهل البيت في هذا الحقل من التأويل ولربما لا يشير بالمرة إلى قسم آخر من هذه الروايات التي ذكرت في كتب الإمامية .

١٦_ ما أخبر به القرآن الكريم من الغيبيات كالعرش والقلم واللوح وغيرها سلك المفسر فيه على غير ما سلكه السلف حين قالوا : إنَّه ليس في مقدور أحد أن يتأولها ، وعلى رأي قسم منهم أنَّها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلاّ الله سبحانه ، كما جانب مسلك الفلاسفة حين اعتمدوا ما فرضه علم الهيئة على مسلك بطليموس لتنظيم الحركات العلوية الظاهرة للحس ، وطبقوا عليه ما ذكره القرآن من هذه الحقائق الغيبية ، ورفض أيضًا أن تحمل هذه الغيبيات على التمثيل والتخييل . وذهب إلى أن تفسر هذه الحقائق في ضوء ما يعطيه اللفظ في العرف واللغة ثم يعتمد في أمر مصداقها على ما يفسر به بعض الكلام بعضًا وأنَّ لها مصاديق حقيقية خارجية هناك على ما يليق بساحة قدسه تعالى .وأمَّا المبهمات التي سكت عنها القرآن الكريم فقد سكت عنها المفسر وعلّق عليها بمقدار ماعلق عليها القرآن الكريم وعدَّ كلَّ بحثٍ فيها صارفًا من صوارف التفسير.

١٧ _ على الرغم من وجود أبحاث فلسفية عديدة عقدها الطباطبائي في الميزان فإنه لم يسلك مسلك الفلاسفة في التفسير ، ولم ينضد الآيات في نظريات فلسفية كما فعلوه . وإنَّما كان يروم من بعضها دعم وتأييد معاني الآيات وموضوعاتها القرآنية ، وقد يزيف أحيانًا بعض النظرات الفلسفية التي لا توافق القرآن الكريم .

١٨ _ والتأويل عنده يعني تلك الحقائق الواقعية التي تستند إليها الآيات القرآنية ، وأنها تنبعث من مضامين هذه الآيات . وهذا عين موقف ابن تيمية من التأويل .

١٩ _ تصدى الطباطبائي لدعاوى النسخ المتكاثرة التي نشأت من التساهل في إطلاق النسخ على التقييد والتخصيص والاستثناء والتبيين وغيرها، وكان الطباطبائي أصوليًّا في موقفه من النسخ فميز بين هذه الإطلاقات واختار من النسخ ما كان بفرض الظاهر بين الناسخ والمنسوخ فحسب،وبذلك قَلَّتْ لديه دعاوى النسخ.

٢٠ _ أوجز المفسر البيان في آيات الأحكام بوصفها من خصوص المطالب الفقهية التي تبحث في كتب الفقه لا التفسير ، ولربما عدَّها صارفًا من صوارف التفسير.

غير أنه حين يستحكم الخلاف في بعض المسائل الفقهية نجده يذكر فيها آراء للفقهاء والمفسرين ويناقشها ويبين رأيه فيها .

٢١ _ تبين لنا من مسلكه العقائدي أنَّ المفسر لم يخالف الإمامية في شيء من عقائدهم ، بينما وجدناه يختلف مع الأشاعرة والمعتزلة في أكثر من موضع لا سيما في عقيدتي التوحيد والعدل الإلهيين . وفي موارد أخرى عمق النظر والتدبر في الآيات لتدعيم بعض العقائد الإمامية كمسألة الإمامة والعصمة والرجعة وكذلك وجدناه يستعين بظواهر بعض الآيات في تجلية ما غمض من معاني البعض الآخر مثل إرجاعه الآيات التي تلحق ظواهرها التشبيه والتجسيم بالله سبحانه إلى آيات التنزيه ، كما وجدناه يستدل بآيات قرآنية في تحقيق ما تسالم عليه المسلمون كالنبوة والمعاد ، بينما وجدناه في مسألة الجبر والتفويض يسلك مسلكًا عقليًّا محضًا في إثبات الوسطية بينهما .

بعد عرض منهج المفسر من خلال هذه الفقرات ننظر إليه والى مناهج المفسرين لنرى مدى التقارب والتباعد بينها منبِّهين على أهم ما يميز منهج الطباطبائي التفسيري في ضوء تلك المناهج . وقد سبق أن عرضنا لمناهج المفسرين وبيّنّا ما يمتاز به كل منهج [١] ، وسنكتفي هنا بالإشارة إلى موضع الحاجة منها .

ففي المأثور إذ عدَّ العلماء (التفسير بالقرآن الكريم) أول الطرق في التفسير باعتبار القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا . ولم تكن هذه الطريقة وقفا على أهل الأثر بل كان أهل الرأي يفيدون منها كذلك ، وقد أفاد المفسرون عموما من هذه الطريقة على تفاوت بينهم في تعميق النظر في القرآن الكريم ، فكثير منهم مسَّ نصوص القرآن مسّاً ظاهريا فضلاً على ما نقلوه مما روي من التفسير بالقرآن الكريم عن الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) والصحابة والتابعين وعن أئمة أهل البيت بالنسبة إلى الإمامية . وأن من أروع ألوان التفسير بالقرآن الكريم (النزعة

---

١ ـ انظر صفحة ١٠٥ _ ١٠٨ من هذه الرسالة.

الموضوعية في التفسير) التي بها يجمع المفسر الآيات التي تعالج موضوعًا ما ويناظر بينها حتى يقف على معنًى قرآنيّ لهذا المفهوم أو ذاك ، وقد وضح هذا المنهج واتسعت أطرافه حديثا [١] . وقد أفاد الطباطبائي كثيراً من (تفسير القرآن بالقرآن) وكانت قاعدته الأساس في (الميزان) فكان يستعين بالآيات ضمن سياقها على بيان معاني الآيات ويرد ما خالف هذه المعاني القرآنية من الروايات وأقوال المفسرين ، كما عني كثيرًا بالنزعة الموضوعية في التفسير ووقف من خلالها على معان قرآنية لمفاهيم كثيرة وردت في القرآن الكريم ، ومنها أيضًا القصص القرآني الذي ورد في القرآن الكريم فكان الطباطبائي يجمع آيات القصة الواحدة ويرتبها زمنيا فيحصل بذلك على قصة قرآنية من خلال نزعته الموضوعية هذه .

وفي المأثور أيضًا حيث نجد ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في طليعة التفسير الأثري نقل الكثير مما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة والتابعين في استيضاح النصوص القرآنية [٢] . وكان يلخص الفكرة العامة التي يستنبطها من هذه الروايات ويصوغها بقلمه ثم يعقب عليها بذكر الروايات [٣] ، كما شدد الطبري على (ضرورة الرجوع إلى العلم الراجع إلى الصحابة أو التابعين المنقول عنهم نقلاً صحيحًا مستفيضًا) [٤] وكان الطبري في أحيان كثيرة يرجح بين هذه الأقوال ويرتضي منها [٥]. وعلى الرغم من هذا كله نجد الرواية الإسرائيلية قامت بدورٍ لا يستهان به في هذا التفسير [٦]. وعليه فبينما ينطلق الطبري _ على العموم _ في تفسيره من الأثر الوارد عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن

١ـ انظر صفحة ١٢٨ _ ١٢٩ من هذه الرسالة.

٢ـ تفسير الطبري : ٣٦٨/١ ، ٤٨٠ ، ٣٤/٢ على سبيل المثال . والتفسير والمفسرون : ٢١٠/١.

٣ـ د. أحمد محمد الحوفي : الطبري ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ ، ص : ١٠٣.

٤ـ التفسير والمفسرون : ٢١٠/١.

٥ـ تفسير الطبري : ٢٥٤/٣ على سبيل المثال.

٦ـ تفسير الطبري : ١٥/١٣_١٧ ، ٣٤/١٦ _ ٣٧ على سبيل المثال.

الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) لتقرير معنى الآية يرى الطباطبائي أنَّ من المأثور في الآية ما هو مؤيد لمعاني الآيات التي وقف عليها من خلال سياقها ولغة ألفاظها وما تفيده الآيات في تفسير بعضها للبعض الآخر، وتبقى السنة المتواترة وآحادها المحفوف بالقرائن القطعية المفيدة للعلم حجة لديه . وأمَّا خبر الواحد المجرد من هذه القرائن فهو حجة لديه في الأحكام العملية دون غيرها .

وأمّا أقوال الصحابة والتابعين فهي ليست بحجة في ذاتها وإنَّما هي اجتهاد منهم ، وأمَّا ما روي من أسباب النزول فقد استعان بها المفسر على بيان معاني الآيات ومقاصدها على ألاَّ يعارضها نص قرآني أو سياق الآية نفسها . كما شهد الميزان كثيرا من تصديات المفسر للروايات الإسرائيلية بل كان يذهب أحيانا إلى فضح وجه المشابهة بين هذه الروايات وبين نصوص التوراة والإنجيل من خلال عرضه نصوصًا منهما .

كما عرف عن أهل الأثر نقلهم المستفيض لأقوال الصحابة والتابعين كالطبري والسيوطي وآخرين . بينما نجد الطباطبائي فضلاً عن ما توفر عليه تفسيره من هذه الروايات قد ذكر الكثير من أقوال أئمة أهل البيت معتمداً في ذلك على تفاسير الإمامية وكتبهم الحديثية .

وعن مسألة الأسانيد وإن تفاوت مقدار اهتمام أهل الأثر بها لكن الطبري كان أمينًا دقيقًا في ذكر السند وفي تسجيل أسماء الرواة [1] .

وتعبِّر هذه الظاهرة لدى الطبري عن حاجة عصرية ملحة آنذاك ، وأسدى بذلك خدمة جليلة في حفظ الأسانيد وتهيئة رجالها للمحققين فيما بعد ، بينما لم تشكل مسألة الأسانيد في الوقت الحاضر أية جدوى إذا ما أسندت هذه الأحاديث والروايات إلى مصادرها التي نقلت عنها ، وعلى هذا سار الطباطبائي ؛ فكان ملتزمًا بذكر مصدر الرواية أو الحديث إلى حد كبير .

١ـ الطبري للدكتور الحوفي :ص١١٠ _ ١١١.



وفي المنهج اللغوي : الذي بينا فيه كيف أن أصحابه أحكموا اللغة وعمقوا نظـرهم فيها لبيان معاني الآيات فكان الفراء (ت ٢٠٧هـ) وأبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) ، وآخرون [١] إلى جانب هؤلاء اللغويين ظهرت اهتمامات لغوية ونحوية أثرت أثرها في التفسير لدى جملة من المفسرين كالطبرسي (ت ٥٤٨هـ) وأبي البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) وأبي حيان (ت ٧٤٥هـ) وغيرهم .

ومن يطالع مجمع البيان للطبرسي يقف على أبحاث كثيرة في اللغة والإعراب ، فقد اهتم الطبرسي كغيره من المفسرين اللغويين اهتمامًا كبيرًا بمدلولات الألفاظ ومفرداتها وفي سرد آراء اللغويين ، كما عني بذكر أضداد الألفاظ ونظائرها واشتقاقاتها [٢] . ولو تتبعنا شواهده الشعرية لوجدناها كثيرة جدا _ كما هي عند أبي عبيدة وغيره _ استعان بها الطبرسي لتقريب لفظة قرآنية مستغفلة على الذهن أو لترجيح رأي من آراء اللغويين ولربما لإيضاح معاني الآيات [٣]. وممن برز في الجانب الإعرابي ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) كما عني الطبرسي بذكر الوجوه الإعرابية في الآية ، وآراء النحويين البصريين منهم والكوفيين ، ولم يكتف بذكرها بل يرجح ما يرتضيه منها [٤] بينما لم نجد في الميزان ما يماثل هذه الاستطرادات اللغوية والنحوية ، ويكتفي الطباطبائي بتقديم القدر الذي يساعد في بيان الآية ويزيل غموضها . وينبغي الإشارة هنا إلى أن الطباطبائي نقل عن مجمع البيان قدراً كبيرًا من معاني المفردات والوجوه النحوية في الآيات . ويُعَدُّ من المصادر اللغوية والنحوية البارزة في ميزان الطباطبائي .

---

١ ـ انظر صفحة ١٢٥ وما بعدها من هذه الرسالة.

٢ ـ الطبرسي مفسرا ، محمود بسيوني ، جامعة الأزهر ، ١٩٧٤م ، رسالة دكتوراه ، مخطوط ، ص : ١٦٥ . وانظر مجمع البيان : ١٩٩/١ ، ٢٠٩/٣ ، ٥١٨/٤.

٣ ـ الطبرسي مفسرا : ص ١٧١ ومجمع البيان : ١٣٩/٧ ، ١٧٨/٩ ، ٤٢٤/١٠.

٤ ـ الطبرسي مفسرا ، ص ١٧٥ _ ١٨٥ وانظر مجمع البيان : ٧٨/١ ، ٣٣٠/٢ ، ١٧٧/٣ ، ٢١٩/٥.

وفي الجانب البلاغي يكتفي الطباطبائي بإيراد الصور البلاغية في الآيات لبيان نكتة علمية تسهم في إيضاح المعنى . وكثيرًا ما نقل ذلك عن الزمخشري في الكشاف إذ يعد الثاني إمامًا لا يبارى في البلاغة آنذاك [1] ، فكان يعنى بإظهار أسرار البلاغة القرآنية كاشفًا عن جمال العبارة وإيحاءات اللفظ وروعة النظم [2] ، وبعبارة أخرى بينما يعتمد الطباطبائي في نقوله واهتماماته البلاغية جانب المعنى والقدر الذي يسهم في تجلية المراد وبيان معنى الآية كان الزمخشري يؤكد جانب الأسلوب وإبراز خصائصه اللفظية والتعبيرية في منهجه البلاغي فضلاً عما أثار في علم البيان من مسائل دقيقة كاستخدامه الواسع للمجاز والكناية والتمثيل والتخييل في تعبيد الآيات التي ظاهرها ينافي عقائد المعتزلة [3] . وكما عرف الزمخشري [4] والرازي [5] وغيرهما ببيان المناسبات والنظم بين الآيات نجد الطباطبائي اهتم بالمناسبة بين الآيات وبيان أوجهها من خلال السياق .

وفي المنهج الفلسفي : الذي سبق أن بينا المقصود منه وكيف أن الفلاسفة حملوا ما لديهم من أفكار وقبليات فلسفية على الآيات وكان منهم الفارابي (ت ٢٣٩هـ) وابن سينا (ت ٤٤٨هـ) إلاّ أن الطباطبائي كان يعقد بعض الأبحاث الفلسفية زيادة منه في بيان الآية أو ردًا على نظرات فلسفية تخالف معطيات القرآن الكريم .

وأما تفسيره لآيات الأحكام : فلم يتميز منهجًا فقهيًا عرف به غيره من المفسرين كالجصاص (ت ٣٧٠هـ) والقرطبي (ت ٦٧١هـ) [6] وإنَّما أجاز الطباطبائي

---

١ ـ مرتضى زاده الشيرازي : الزمخشري لغويا ومفسرًا ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠٥.

٢ ـ الجويني : منهج الزمخشري في تفسير القرآن : ص ٢١٩.

٣ ـ الجويني : منهج الزمخشري في تفسير القرآن : ص ١٤٢ ، انظر الكشاف : ١٥٥/١ ، ٢٩٨/٢ ، ٥٣٠ ، ٤١٦/٣ ، ٥/٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، على سبيل المثال.

٤ ـ الكشاف : ١٨٧/٢ ، ٣٣٨ ، ١٢٩/٣ على سبيل المثال.

٥ ـ مفاتيح الغيب : ١٨٧/٨ ، ١٤٠/١٠ ، ١٧٦/٢٤ على سبيل المثال.

٦ ـ صفحة ١١٠ من هذه الرسالة.



البيان في هذه الآيات بمقدار إفادتها الحكم الفقهي دونما سردٍ لآراء الفقهاء ومناقشاتهم لاعتقاده أن ذلك يعد من صوارف التفسير ، وأن محله كتب الفقه .

وعن التفسير بالباطن : فإن المفسر لم يجمع في أذواق وجدانية الاستبطان معاني الآيات كما فعل ذلك الصوفية من قبل ، وإنّما كان يفيد أحيانًا معاني معينة للآية لم تدرك بظاهرها على أنها ليست هي المقصود الأول على خلاف ما ذهب إليه الباطنية بأنها المقصودة دون الظاهر[١] ، كما عد المفسر ما روي من الباطن عن أئمة أهل البيت أنه من قبيل (الجري وعدٍّ المصاديق) ، ويعني أن هذه المعاني الباطنة من المصاديق غير الظاهرة هي غير المقصودة بظواهر الآيات .

وفي بيان المسلك العقائدي لدى الطباطبائي : تبيَّنَ لنا تمسكه بعقائد الإمامية وعدم خروجه على شيء منها حتى وإن دعاه المقام أحيانًا إلى تعميق النظر وإعمال العقل في النصوص القرآنية ، أو تأويل بعض النصوص وحملها على نوع من المجاز لنفي التشبيه والجسمية مثلاً عن الله سبحانه . كما أنَّ هناك من المفسرين من وقفوا إلى جانب عقائدهم مدافعين عنها بأساليب قد تقترب أحيانًا مما عليه الطباطبائي في إفادة عقائده من النصوص كالرازي الأشعري الذي تأول بعض النصوص القرآنية التي تلحق ظواهرها التشبيه والتجسيم بالله سبحانه بأنواع من المجاز [٢] ، كما أنَّ الرازي دافع عن مذهبه الجبري وعرض ما سمَّاه الأشعري بالكسب من خلال ذلك ، فكان الرازي وفيًّا لمذهبه الأشعري ، ومن ذلك أيضا جواز رؤيته سبحانه [٣] ، وقدم القرآن [٤] وغيرها من عقائد الأشاعرة . كما أنَّ الزمخشري من قبل أعمل العقل _ كغيره من المعتزلة _ في النصوص وطوع اللغة والبلاغة في تقرير عقائد

---

١ ـ انظر صفحة ١١٨ وما بعدها من هذه الرسالة.

٢ ـ مفاتيح الغيب ١٣٢/٢ ، ١٥٢ ، ٤٣/١٢ ، ٧٧/١٩ ، ٢٤/٢٥ ، ١٦٢/٢٨ ، على سبيل المثال.

٣ ـ مفاتيح الغيب : ٨٥/٣ ، ١٢٤/١٣_ ١٢٨ ، ٢٢٦/٣٠ على سبيل المثال.

٤ ـ مفاتيح الغيب : ١٤٠/٢٢ ، ١٨٧/٢٧ على سبيل المثال.

المعتزلة في نفي الصفات [١] وخلق القرآن [٢] ونفي الرؤية [٣] واختيارية الأفعال [٤] وغيرها من عقائد المعتزلة .

وعن أثر النهضة الحديثة في التفسير على (الميزان) نجد الطباطبائي يقترب بشكل واضح من جملة معطيات مدرسة الإمام محمد عبده في التفسير ، ومن أوجه هذه المشابهة المتوفرة في (الميزان) التي عرضناها فيما سبق :

التخلص من الاستطرادات والاستغراقات المملة وصوارف التفسير ، وأن ما يستعين به المفسر _ في هذه المدرسة _ من اللغة والإعراب والبلاغة وغيرها إنَّما هو بقدر ما يحتاجه ليهجم مباشرة على الآيات للكشف عن مداليلها دونما إسهاب فيما يشغله عن وظيفته الأساس كمفسر ، وكذلك الإعراض عن التفصيل فيما أبهمه القرآن الكريم والإكتفاء بذكر ما تعسف عليه النصوص القرآنية وصحيح السنة ، ومن ذلك أيضًا التثبت من الضعيف والموضوع في الحديث والإسرائيليات [٥] ، ومنها أيضًا تقديم أغراض السورة ومقاصدها ، ومحاولة وضع مجمل لأغراض كل سورة من السور القرآنية [٦]، كما عرفت هذه المدرسة برعاية الجانب الإصلاحي في التفسير ، وقد تعرضت لمعالجة جملة الأفكار وقضايا العصر [٧] .

---

١ ـ الكشاف : ٦٢٧/١ ، ٥٣٠/٢ ، ١٩٤/٣ ، ٤١٦ ، ٢٥٣/٤ على سبيل المثال.

٢ ـ الكشاف : ٤٦٥/٢ ، ٤٧٥/٣ _ ٤٧٦ على سبيل المثال.

٣ ـ الكشاف ٢٨٢/١ ، ٤١/٢ على سبيل المثال.

٤ ـ الكشاف :١٥٥/١ ، ٢٩٨/٢ ، ٢٥٨/٤ ، على سبيل المثال.

٥ ـ تفسير جزء (عم) لمحمد عبده ، القاهرة ص : ٢٣ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٣٣ ، انظر التفسير والمفسرون : ٥٤٨/٢ _ ٥٤٩.

٦ ـ د. عبد الله محمود شحاته : منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ ، ص : ٣٦ ، وانظر تفسير المنار : ١٠٥/١ _ ١٢١ . ولو تتبعنا الشيخ مصطفى المراغي لوجدناه يلحق في تفسير كل سورة أغراضها الأساسية . (تفسير المراغي ، مصر ، ١٣٨٥هـ ، ط٣ ، ٥٩/٢٨) . وكذلك الشيخ شلتوت في تفسيره (٤٥٨/١ _ ٤٦٣) . وكذلك محمد عبد الله دراز ، في كتابه (نظرات جديدة في القرآن الكريم ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ص ١٨٥) . وكذلك الشيخ محمد محمد المدني في كتابه (المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ، ص : ١٧).

٧ ـ انظر ص : ٢٢٥ _ ٢٢٦ وما بعدها من هذه الرسالة.

وأمّا عن موقف الطباطبائي من النظريات العلمية الحديثة في التفسير فهو يستأنس أحياناً بقسم منها لتأييد الإشارات العلمية في القرآن الكريم لها دون أن يقحم الآيات في تفسيرات علمية مادية كما حصل لبعض أصحاب هذه النزعة ومنهم الشيخ طنطاوي جوهري [1] .

وأخيرا اقترح :

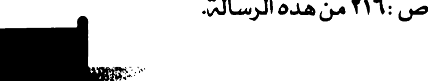
أن تتضافر الجهود بإذن الله تعالى للقيام باختصار الميزان وذلك بعزل بعض الاستطرادات الروائية وأغلب الأبحاث المتنوعة الأخرى والإبقاء على (البيانات) والأبحاث القرآنية الملحقة فيها وعرض ما يناسب من الأبحاث الروائية كروايات أسباب النزول وما يوضح النص القرآني منها وذلك لتسهيل تداوله واقتنائه .

كما اقترح رفع عبارة (كتاب علمي ، فني ، فلسفي ، أدبي ، تاريخي ، روائي ، اجتماعي ، حديث ، يفسر القرآن بالقرآن) الموضوعة على الصفحة الأولى لكل جزء من أجزاء (الميزان) العشرين ، لأنها لا تتناسب مع حقيقة منهج المفسر فيه ويعوض عنها بـ (الميزان تفسير للقرآن بالقرآن ، عصري ، ذو أبحاث قرآنية متنوعة ، يعقدها المفسر للفائدة والإيضاح).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

١ ـ انظر ص :٢١٦ من هذه الرسالة.



ثبت المصادر والمراجع

(أ) المصادر المخطوطة

١ _ اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين : محمد إبراهيم شريف ، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، ١٩٧٨م ، رسالة دكتوراه .

٢ _ البغوي الفراء وتفسيره للقرآن الكريم : محمد إبراهيم شريف ، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، ١٩٧٣م ، رسالة ماجستير .

٣ _ حلية الزمن في أنساب بني الحسن : السيد مهدي الوردي الكاظمي ، في مكتبته في الكاظمية – بغداد .

٤ _ زهر الربى في أعقاب طباطبا : السيد مهدي الوردي الكاظمي ، في مكتبته في الكاظمية – بغداد .

٥ _ الطبرسي مفسرا : محمود بسيوني فوده ، جامعة الأزهر ، ١٩٧٤م ، رسالة دكتوراه .

٦ _ معجم الألقاب في معرفة الأسر والأنساب : السيد مهدي الوردي الكاظمي ، في مكتبته في الكاظمية – بغداد .

٧ _ منهج الاستقراء في الفكر الإسلامي أصوله وتطوره : عبد الزهرة محمد بندر ، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، ١٩٧٨م . رسالة دكتوراه .

٨ _ منهج الطوسي في تفسير القرآن : كاصد الزيدي ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٧٤م ، رسالة دكتوراه .

(ب) المصادر المطبوعة

١ _ ابن حنبل حياته وعصره ، آراؤه وفقهه : محمد أبو زهرة ، مصر ، دار الفكر العربي ، ١٣٦٧ هـ .

٢ _ اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث : عفت محمد الشرقاوي ،



القاهرة ، مطبعة الكيلاني ، ١٩٧٢م .
٣ _ الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري : د . عبد المجيد محمود عبد المجيد ، القاهرة ، دار الوفاء للطباعة ،١٣٩٩هـ .
٤ _ الاتجاهات الفكرية في التفسير : الشحات السيد زغلول ، الإسكندرية ، ١٣٩٧هـ ، ط٢
٥ _ اتجاه التفسير في العصر الحديث منذ عهد الإمام محمد عبده إلى مشروع التفسير الوسيط : مصطفى محمد الحديدي الطير ، المطابع الأميرية ، ١٩٧٥م .
٦ _ الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين ، عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، طبع الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٧٥م - ١٣٥٤هـ .
٧ _ أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة : محمد مهدي الأصفهاني ، طهران ، مطبعة حيدري ، ١٣٨٨هـ ، ط٢ .
٨ _ الإحكام في أصول الأحكام : أبو محمد علي بن حزم . تحقيق محمد أحمد عبد العزيز . القاهرة . مطبعة الامتياز ، ١٣٩٨هـ ، ط١ .
٩ _ الإحكام في أصول الأحكام : سيف الدين علي بن أبي علي الآمدي ، حققه أحد الأفاضل ولم يذكر اسمه ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ .
١٠ _ إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي : القاهرة . مطبعة دار الكتب العربية الكبرى ، لا . ت .
١١ _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ط١ ، لا . ت .
١٢ _ أساس التأويل : النعمان بن حيوان التميمي ، تحقيق عارف تامر ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٠ .
١٣ _ أساليب الغزو الفكري : علي جريشة ومحمد الزيبق ، القاهرة ، مطبعة

الاعتصام ، ١٩٧٧م .
١٤ _ أسباب النزول : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي . القاهرة . مطبعة العلوم . ١٣٧٩هـ ، ط١ .
١٥ _ الاستعمار والتبشير :مصطفى الخالدي وعمر فروخ ، بيروت ، شركة علاء الدين للطباعة ، ١٣٩٠هـ ، ط٤ .
١٦ _ الاستقراء والمنهج العلمي : محمود فهمي زيدان ، بيروت،١٩٦٦م .
١٧ _ الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني : أنور الجندي ، القاهرة ، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٣٨٤هـ .
١٨ _ الإسلام في وجه التغريب : أنور الجندي ، القاهرة ، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٩٦٥م .
١٩ _ الإسلام والتجديد في مصر : تشارلز آدمس . ترجمة عباس محمود العقاد ، القاهرة ، مطبعة الاعتماد ١٣٥٣هـ .
٢٠ _ أصول التشريع الإسلامي:علي حسب الله ، مصر ،١٣٧١هـ، ط١ .
٢١ _ أصول التفسير : خالد عبد الرحمن العك . دمشق ، ١٣٨٨هـ .
٢٢ _ أصول الدين : عبد القاهر بن طاهر البغدادي،استانبول ، مطبعة الدولة ، ١٩٢٨م ،ط١.
٢٣ _ الأصول العامة للفقه المقارن : محمد تقي الحكيم ، بيروت ،١٩٦٣م ، ط١ .
٢٤ _ أصول الفلسفة : محمد حسين الطباطبائي ، النجف ، مطبعة الآداب ، ١٩٨٥م .
٢٥ _ أصول الكافي : محمد بن يعقوب الكليني ، طهران ، مطبعة الحيدري ، ١٣٨١هـ - ١٣٨٨هـ .
٢٦ _ أصول الفقه : بدران أبو العينين بدران ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٥م ، ط٢ .



٢٧ _ أصول الفقه :زكي الدين شعبان ، مصر ، مطبعة دار التـأليف ، ١٩٦٥م ، ط٣ .

٢٨ _ أصول الفقه لغير الحنفية :جماعة من أساتذة جامعة الأزهر ، كلية الشريعة . مقرر السنة الثانية ، القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ،١٩٦٣م .

٢٩ _ أصول الفقه :محمد أبو زهرة ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، ١٣٧٧هـ .

٣٠ _ أصول الفقه : محمد الخضري بك ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٥هـ ، ط٥ .

٣١ _ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ١٩٤٠م ، ط٤ .

٣٢ _ الأعلام : خير الدين الزركلي . القاهرة . ١٣٧٣هـ.

٣٣ _ أعلام المحدثين : محمد بن محمد أبو شهبة،مصر،مطابع دار الكتاب العربي ، لا . ت.

٣٤ _ أعيان الشيعة :محسن الأمين العاملي ، بيروت ، ١٣٧٠هـ .

٣٥ _ الإمام أبو الحسن الأصفهاني : صالح الجعفري ، النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٣٦٦هـ.

٣٦ _ الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد :عبد الرحيم محمد الخياط المعتزلي ، تحقيق الدكتور نيبرج ، بيروت ، ١٩٧٥ .

٣٧ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ، المطبعة العثمانية ، ١٣١٤هـ ، ومطبعة الحرية في البلاد العثمانية ، ١٣٢٥هـ .

٣٨ _ أوائل المقالات :الشيخ المفيد ، شرح فضل الله الزنجاني ، النجف ، ١٣٨١هـ ، ط٣ .

٣٩ _ إيران ماضيها وحاضرها : دونالد ولبر . ترجمة د. عبد النعيم محمد حسنين ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٣٧٧هـ .



٤٠ _ إيران وحتمية التاريخ : جاد طه . القاهرة ، لا . ت .
٤١ _ بحار الأنوار : محمد باقر المجلسي ، النجف ، لا . ت .
٤٢ _ البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٩٧٢م .
٤٣ _ البيان في تفسير القرآن : السيد أبو القاسم الخوئي ، بيروت ، ١٣٩٤هـ ، ط٣ .
٤٤ _ تاج العروس : الزبيدي ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٦هـ .
٤٥ _ تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده :رشيد رضا ، مصر ، مطبعة المنار ، ١٣٥٠هـ .
٤٦ _ تاريخ الجهمية والمعتزلة:الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي ، القاهرة،١٣٣١هـ ط١.
٤٧ _ تاريخ الشعوب الإسلامية : كارل بروكلمان ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٨م ، ط٥ .
٤٨ _ تاريخ إيران : شاهين مكاريوس ، مصر ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٨م .
٤٩ _ تاريخ إيران السياسي : د . عبد السلام عبد العزيز فهمي ، الجيزة ، مطبعة المركز النموذجي . لا .ت .
٥٠ _ التبيان في تفسير القرآن : الشيخ أبو جعفر الطوسي ، تحقيق أحمد حبيب العاملي ، النجف ، ١٣٦٤هـ / ١٣٨٣هـ .
٥١ _ تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات :ابن سينا ، بمباي ، ١٣١٨هـ.
٥٢ _ تطور الحركة الوطنية في إيران من سنة ١٨٩٠م حتى سنة ١٩٥٣م : حربي محمد ، بغداد ، ١٩٧٢م ، ط١ .
٥٣ _ تفسير البرهان :السيد هاشم البحراني ، النجف ، لا . ت .
٥٤ _ تفسير التحرير والتنوير : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، تونس ، الشركة



التونسية لفنون الرسم ، ١٣٧٦هـ .

٥٥ _ تفسير جزء عم : محمد عبده ، القاهرة ، لا . ت .

٥٦ _ تفسير سورة الإخلاص : ابن تيمية ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ .

٥٧ _ تفسير العياشي ، محمد بن مسعود العياشي . قم ، المطبعة العلمية ، ١٣٨٠هـ .

٥٨ _ تفسير القرآن العظيم :الحافظ ابن كثير ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ١٣٧٣هـ ، ط٣

٥٩ _ تفسير القرآن الكريم :محمود شلتوت ، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٥م ، ط٣ .

٦٠ _ تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ ، ط٣.

٦١ _ التفسير ورجاله : الشيخ محمد الفاضل بن عاشور ، تونس ، ١٩٧٢م ، ط٢ .

٦٢ _ التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ، القاهرة ،١٣٩٦هـ ، ط٢ .

٦٣ _ التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية : محمود بسيوني فوده ، مصر ، مطبعة الأمانة ، ١٣٩٧هـ .

٦٤ _ تلخيص الشافي في الإمامة : أبو جعفر الطوسي ، النجف ، ١٣٨٣هـ ، ط٢ .

٦٥ _ التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة : الباقلاني ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٧م .

٦٦ _ التمهيد في علوم القرآن : محمد هادي معرفة ، قم ، مطبعة مهر ، ١٣٩٦هـ .

٦٧ _ ثورات العرب في القرن العشرين :أمين سعيد ، القاهرة ، دار الهلال ، لا . ت .

٦٨ _ الثورة العراقية الكبرى:عبد الرزاق الحسني ، صيدا،مطبعة العرفان ،

١٣٨٥هـ، ط٢.
٦٩ _ الثورة العراقية الكبرى :عبد الله فياض . بغداد . مطبعة الإرشاد . ١٩٦٣م .
٧٠ _ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ابن جرير الطبري تحقيق ، محمود شاكر ، القاهرة ، مطبعة دار النشر للجامعات المصرية ، ١٩٥٨م .
٧١ _ الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ،١٣٥٣هـ ، ط٢ .
٧٢ _ الجامع الصغير من حديث البشير والنذير : جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مطبعة حجازي ، ١٣٥٢هـ ، ط١ .
٧٣ _ جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني : ميرزا لطف الله خان ، ترجمة صادق نشأت وعبد النعيم محمد حسنين ، القاهرة ، المطبعة العربية . ١٣٧٦هـ .
٧٤ _ جمال الدين الأفغاني تاريخه ورسالته ومبادئه :محمود أبو ريَّه ، القاهرة ، منشوارت المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٣٨٦هـ .
٧٥ _ جمال الدين الأفغاني حياته وفلسفته :محمود قاسم ، القاهرة ، مخيمر ، لا . ت .
٧٦ _ جمل العلم والعمل :السيد المرتضى ، تحقيق رشيد الصفار ، النجف ، ١٣٧٨هـ .
٧٧ _ الجواهر في تفسير القرآن : طنطاوي جوهري ، مصر ، مطبعة البابي الحلبي ،١٣٤٦هـ.
٧٨ _ جواهر القرآن : أبو حامد الغزالي ، مصر ، مطبعة كردستان العلمية ، ١٣٢٩هـ ، ط١.
٧٩ _ جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي : خالد العلي ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٦٥م .



٨٠ _ حاشية العطار على جمع الجوامع للإمام ابن السبكي ، مصر ،١٩٣٩م .
٨١ _ الخصائص :ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، بيروت ، دار الهدى ، ط٢ .
٨٢ _ الخلاصة في أصول الحديث : الحسين بن عبد الله الطبي ، تحقيق صبحي السامرائي ، بغداد ، ١٣٩١هـ .
٨٣ _ دائرة المعارف الإسلامية : القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٧١م .
٨٤ _ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية : حسن الأمين ، بيروت ،١٣٩٥هـ .
٨٥ _ دائرة المعارف الحديثة :أحمد عطية الله ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ط٢ .
٨٦ _ دراسات في التفسير : مصطفى زيد ، القاهرة ، ١٩٧١م .
٨٧ _ دراسات في القرآن : أحمد خليل ، مصر ، دار المعارف ،١٩٧٢م .
٨٨ _ الدراية في علم مصطلح الحديث : الشهيد الثاني زين الدين العاملي ، النجف ، مطبعة النعمان ، لا . ت .
٨٩ _ الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي ، طنجة ، ١٨٦٩م .
٩٠ _ دروس في علم الأصول : الشهيد السيد محمد باقر الصدر ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ط١ .
٩١ _ دلائل الصدق : محمد الحسن المظفر ، القاهرة ، دار المعلم ، ١٣٩٦هـ ، ط١ .
٩٢ _ الذريعة إلى تصانيف الشيعة :أغا بزرك الطهراني . النجف.مطبعة القضاء . لا . ت .
٩٣ _ ذكرى الأفغاني في العراق :المحامي عبد المحسن القصاب ، بغداد ، مطبعة الرشيد ، ١٣٦٤هـ .
٩٤ _ الرازي مفسرًا : محسن عبد الحميد ، بغداد ، ١٣٩٤هـ .



٩٥ _ الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد :(تقريرات السيد الخوئي) بقلم : غـلام رضا عرفانيان ، النجف ، ١٣٨٦هـ .

٩٦ _ رحلات السيد محسن الأمين :الناشر أحمد رضـا ، بيـروت،دار التـراث الإسلامي،لا . ت

٩٧ _ الرد على سير الأوزاعي : أبو يوسف الأنصاري . مصر .لا . ت .

٩٨ _ الرسالة: الإمام الشافعي: تحقيق وشـرح أحمـد محمـود شـاكر،القاهرة ، ١٣٥٨هـ ، ط١.

٩٩ _ الرسالة التدمرية : ابن تيمية ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ .

١٠٠ _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شـهاب الـدين محمود الآلوسي ، مصر ، المطبعة المنيرية ، لا . ت .

١٠١ _ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات : محمد باقر الخوانساري ، طهران ، ١٣٩٠هـ .

١٠٢ _ روضة الكافي : محمد بن يعقوب الكليني ، طهران ، ١٣٨٩هـ ، ط٢ .

١٠٣ _ زعماء الإصلاح في العصر الحديث : أحمد أمين ، القاهرة ،١٩٦٥م .

١٠٤ _ الزمخشري لغويًا ومفسرًا : مرتضى آية الله زاده الـشرازي ، القـاهرة ، ١٩٧٧م .

١٠٥ _ سعد السعود : ابن طاووس علي بن موسى بن جعفر ، النجف ، ١٣٦٩هـ ، ط١ .

١٠٦ _ سنن ابن ماجة : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،١٣٧٣هـ .

١٠٧ _ سنن الترمذي : القاهرة ، ١٣٨٤هـ .

١٠٨ _ سنن الدارمي . القاهرة . لا . ت .

١٠٩ _ سنن النسائي : القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ١٣٨٣هـ .

١١٠ _ سيكولوجية القصة في القرآن : التهامي نفرة ، تونس ، الشركة التونـسية



لفنون الرسم ، ١٩٧٤م .

١١١ _شرح الأصول الخمسة : القاضي عبد الجبار احمد الهمداني ، تحقيق عبد الكريم عثمان ، القاهرة ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، ١٩٦٥م ، ط١ .

١١٢ _ شرح عقائد الصدوق : الشيخ المفيد ، النجف ، ١٣٨١هـ ، ط١ .

١١٣ _ شرح نهج البلاغة،للإمام علي بن أبي طالب (ع) : محمد عبده ، بيروت ، لا.ت .

١١٤ _ الشرق الإسلامي والعصر الحديث : حسين مؤنس ، القاهرة ، لا . ت ، ط١ .

١١٥ _ الشرق الجديد : محمد حسين هيكل ، القاهرة ، مطبعة مخيمر ، ١٩٥٦ .

١١٦ _ الشيعة : السيد محمد حسين الطباطبائي ، قم ، مؤسسة انتشارات رسالت،١٣٩٧هـ .

١١٧ _ الشيعة في الإسلام : السيد محمد حسين الطباطبائي طهران ، لا . ت .

١١٨ _ الشيعة وفنون الإسلام : حسن الصدر ، صيدا ، مطبعة العرفان ، ١٣٣١هـ .

١١٩ _ الصافي في تفسير القرآن : ملا محسن الكاشاني ، طهران ، ١٣٨٧هـ .

١٢٠ _ الصحاح : إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ١٣٧٦هـ .

١٢١ _ صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، مصر ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣١٢هـ .

١٢٢ _ صحيح مسلم بن الحجاج : القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٧٤هـ ، ط١ .

١٢٣ _ صفحات عن إيران : صادق نشأت ومصطفى حجازي . القاهرة .مخيمر، ١٩٦٠م .



١٢٤ _ ضحى الإسلام : أحمد أمين ، بيروت ، لا . ت . ط١٠ .
١٢٥ _ الطبري : د. أحمد محمد الحوفي ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ .
١٢٦ _ طبقات أعلام الشيعة : أغا بزرك الطهراني، النجف، المطبعة العلمية ، ١٣٧٥هـ .
١٢٧ _ طبقات المفسرين : الداوودي، تحقيق علي محمدعمر ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ ، ط١ .
١٢٨ _ ظهر الإسلام : أحمد أمين ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤م ، ط٣ .
١٢٩ _ عبقري الإصلاح والتعليم الأستاذ الإمام محمد عبده : عباس محمود العقاد ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
١٣٠ _ العراق بين انقلابين : محمد عبد الفتاح اليافي ، بيروت ، ١٩٣٨م.
١٣١ _ العراق في دوري الاحتلال والانتداب : عبد الرزاق الحسني ، صيدا ، مطبعة العرفان ، ١٣٥٤هـ .
١٣٢ _ عقائد الإمامية : محمد رضا المظفر ، بيروت ، دار الغدير ، لا. ت .
١٣٣ _ عقائد الإمامية الاثني عشرية : إبراهيم الموسوي الزنجاني ، بيروت ، ١٣٩٣هـ .
١٣٤ _ علوم الحديث ومصطلحه : صبحي الصالح ، دمشق ، ١٣٧٩هـ .
١٣٥ _ علوم القرآن المنتقى : فرج توفيق وفاضل شاكر ، بغداد ، دار الحرية ، ١٩٧٨م .
١٣٦ _ عمدة التفسير : الحافظ ابن كثير ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ .
١٣٧ _ غرائب القرآن ورغائب الفرقان : نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، مصر ، مطبعة الحلبي١٩٦٢م .



١٣٨ _ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ - ١٩١٠م .

١٣٩ _ الفصل في الملل والأهواء والنحل : ابن حزم.القاهرة ، المطبعة الأدبية ، ١٣١٧هـ .

١٤٠ _ فضائح الباطنية : أبو حامد الغزالي ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، الدار القومية ، ١٣٨٣هـ .

١٤١ _ فقه اللغة : علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، لا . ت . ط٧ .

١٤٢ _ الفقيه والمتفقه : أبو بكر بن علي الخطيب البغدادي ، بيروت . دار إحياء السنة النبوية . ١٩٧٥م .

١٤٣ _ فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم : عبد الله نعمة ، بيروت ، مطبعة دار مكتبة الحياة ، لا . ت .

١٤٤ _ في علم الكلام: أحمد محمود صبحي ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الإسلامية ، ١٩٧٨م.

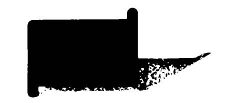
١٤٥ _ القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، مصر ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٠١هـ ، ط١، ١٣٣٠هـ ، ط٣ .

١٤٦ _ القرآن في الإسلام : السيد محمد حسين الطباطبائي ، تعريب أحمد الحسيني بيروت ١٣٩٣هـ ، ط١ .

١٤٧ _ القرآن المجيد : محمد عزة دروزة ، بيروت ، لا . ت .

١٤٨ _ قصة التفسير : أحمد الشرباصي ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٨م ، ط٢ .

١٤٩ _ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث : محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٠هـ ، ط٢ .



١٥٠ _ قواعد المنهج السلفي والنسق الإسلامي في مسائل الإلوهية والعالم والإنسان عند ابن تيمية : د . مصطفى حلمي ، القاهرة ،١٣٩٦هـ ، ط١.

١٥١ _ الكشاف في تفسير القرآن : جار الله الزمخشري ، القاهرة ، المطبعة العامرة الشريفة ، ١٣٠٧هـ - بيروت ، دار المعرفة ، لا . ت .

١٥٢ _ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة ، استانبول ، المطبعة البهية ، ١٩٤١م .

١٥٣ _ لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن البغدادي ، القاهرة ، مطبعة التقدم ، ١٣٣١هـ .

١٥٤ _ لسان العرب : ابن منظور ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٠٠هـ ، ط١.

١٥٥ _ لسان الميزان :ابن حجر العسقلاني ، الهند ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، ١٣٣١هـ ، ط١ .

١٥٦ _ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث : د . علي الوردي ، بغداد ، ١٩٧٢م .

١٥٧ _ ماضي النجف وحاضرها :جعفر باقر آل محبوبة ، صيدا ، مطبعة العرفان ، ١٣٥٣هـ .

١٥٨ _ مجاز القرآن : أبو عبيدة : تحقيق محمد فؤاد سزكين ، القاهرة دار الفكر العربي ، ١٩٧٠م .

١٥٩ _ المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء : الشيخ محمد محمد المدني ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ .

١٦٠ _ مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الطبرسي ، بيروت ، ١٩٥٥م / القاهرة ١٣٧٩هـ - شركة المعارف الإسلامية ، لا . ت .

١٦١ _ مجموعة الرسائل الكبرى : ابن تيمية ، بيروت ، ١٣٩٢هـ ، ط٢ .

١٦٢ _ محاضرات في تفسير القرآن الكريم : إسماعيل الصدر،النجف،لا. ت .



١٦٣ _ محاضرات في علوم القرآن : محمد باقر الحكيم ، بغداد ، كلية أصول الدين ، لا . ت .

١٦٤ _ محاكمة مصدق : علي البصري ، بغداد ، مطبعة أسعد ، ١٩٥٤م ، ط٣ .

١٦٥ _ محمد عبده : أحمد أمين ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

١٦٦ _ المدخل إلى التفسير الموضوعي : محمد باقر الموحد الأبطحي ، النجف ، ١٣٨٩هـ .

١٦٧ _ مدخل جديد إلى الفلسفة : عبد الرحمن بدوي ، بيروت ، ١٩٧٥م .

١٦٨ _ مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها : محمد مهدي الآصفي ، النجف ، مطبعة النعمان ، ١٣٨٤هـ .

١٦٩ _ المذاهب الإسلامية في التفسير : جولد زيهر ، تحقيق الدكتور عبد الحليم النجار ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ .

١٧٠ _ المرأة في الإسلام : محمد حسين الطباطبائي ، بيروت دار الغدير ، ١٩٧٣م .

١٧١ _ المراجعات : عبد الحسين شرف الدين ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ ،ط١٩ .

١٧٢ _ مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، مصر ، دار الرجاء للطباعة ، لا . ت .

١٧٣ _ المسائل والأجوبة في الحديث واللغة : ابن قتيبة ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٩هـ.

١٧٤ _ المستدرك على الصحيحين في الحديث : الحاكم النيسابوري ، الرياض ، مطبعة النصر الحديثة ، لا . ت .

١٧٥ _ مسند أحمد بن حنبل : مصر ، المطبعة الميمنية ، ١٣١٣هـ.

١٧٦ _ مشاهداتي في إيران :عبد الله فياض ، بغداد ، مطبعة الإيمان ، ١٩٦٧م .

١٧٧ _ مصابيح السنة : البغوي الفراء ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣١٨ هـ



.

١٧٨ _ مصادر الحديث عند الإمامية : محمد حسين الجلالي ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ .

١٧٩ _ المصباح المنير : أحمد بن محمد الفيومي، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ .

١٨٠ _ معالم التنزيل : البغوي الفراء على هامش تفسير الخازن ، مصر ، مطبعة التقدم العلمية ، ١٣٣١هـ، ط١ .

١٨١ _ المعالم الجديدة للأصول : الشهيد السيد محمد باقر الصدر ، النجف ، مطبعة النعمان ، ١٣٨٥هـ .

١٨٢ _ معجم البلدان : ياقوت الحموي ، بيروت ، دار صادر ، لا . ت .

١٨٣ _ معجم رجال الحديث :أبو القاسم الموسوي الخوئي ، النجف ، ١٣٩٠هـ ، ط١ .

١٨٤ _ معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ، دمشق ، مطبعة الترقي،١٩٥٧م .

١٨٥ _ معجم المطبوعات العربية والمعربة : مصر ، ١٣٤٦هـ .

١٨٦ _ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. مجموعة من المستشرقين . لندن . ١٩٦٧م .

١٨٧ _ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، مطابع دار الشعب ١٣٧٨هـ .

١٨٨ _ معلقتان لعمرو بن كلثوم : دراسة فؤاد أفرام البستاني ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٩م .

١٨٩ _ المغني في أبواب التوحيد والعدل : القاضي عبد الجبار ، تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفي ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ،١٩٢٦م .

١٩٠ _ مفاتيح الغيب : فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، القاهرة ، المطبعة



البهية ، ١٣٥٧هـ ، ط١ .

١٩١ _ المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب . تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت ، دار المعرفة لا . ت . ، القاهرة ، مطبعة الأنجلو المصرية لا . ت .

١٩٢ _ مقالات الإسلاميين : أبو الحسن الأشعري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ ، ط٢ .

١٩٣ _ المقدمة : ابن خلدون ، بيروت ، ١٩٥٦م .

١٩٤ _ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث : مصر ، ١٣٢٦هـ ، ط١ .

١٩٥ _ مقدمة في أصول التفسير : ابن تيمية ، تحقيق عدنان زرزور ، بيروت ، ١٣٩٢هـ ، ط٢ .

١٩٦ _ مقدمة في دراسة العراق المعاصر: د . زكي صالح ، بغداد ، مطبعة الرابطة ،١٩٥٣م .

١٩٧ _ الملل والنحل : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي ، ١٣٨٧هـ .

١٩٨ _ المنار : رشيد رضا ، مصر ، مطبعة المنار ، ١٣٤٧هـ .

١٩٩ _ مناهج في التفسير: مصطفى الصاوي الجويني ، الإسكندرية ، لا. ت .

٢٠٠ _ مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني ، القاهرة ، المطبعة الفنية ، لا . ت .

٢٠١ _ من لا يحضره الفقيه : أبو جعفر القمي ، تحقيق حسن الخراساني ، مطبعة النجف ، ١٣٧٧هـ ، ط٤ .

٢٠٢ _ منهج ابن القيم في التفسير : محمد أحمد السنباطي ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٣٩٣هـ .

٢٠٣ _ منهج الإمام محمد عبده : عبد الله شحاته ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ .

٢٠٤ _ منهج الزمخشري في تفسير القرآن : مصطفى الصاوي الجويني ، مصر ، ١٩٥٩م .

٢٠٥ _ الموافقات في أصول الشريعة : أبو إسحاق الشاطبي ، شرح الشيخ عبد الله دراز ، مصر ، ١٣٨٨هـ .

٢٠٦ _ موسوعة العتبات المقدسة : جعفر الخليلي ، النجف ، لا . ت .

٢٠٧ _ ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، مطبعة عيس الحلبي ، ١٩٦٣م .

٢٠٨ _ الناسخ والمنسوخ : أبو القاسم هبة الله بن سلامة على هامش أسباب النزول للواحدي ، بيروت ، عالم الكتب . لا . ت .

٢٠٩ _ الناسخ والمنسوخ : كمال الدين عبد الرحمن بن محمد العتائقي الحلي ، تحقيق عبد الهادي الفضلي ، النجف ، لا . ت .

٢١٠ _ النسخ في القرآن الكريم : مصطفى زيد ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٣م .

٢١١ _ نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن : د . أحمد خليل ، الإسكندرية ، ١٣٧٣هـ ، ط١ .

٢١٢ _ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : د . علي سامي النشار ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧م ، ط٧ .

٢١٣ _ النص والاجتهاد : السيد عبد الحسين شرف الدين ، مطبعة النجف ، ١٣٧٥هـ .

٢١٤ _ نظرات جديدة في القرآن الكريم : محمد عبد الله دراز ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

٢١٥ _ نظرية البداء عند صدر الدين الشيرازي : عبد الزهرة محمد بندر ، النجف ، ١٣٩٥هـ.



٢١٦ _ نظرية السياسة والحكم في الإسلام : محمد حسين الطباطبائي ، ترجمة الشيخ محمد مهدي الآصفي ، بيروت ، دار الغدير ، لا . ت .

٢١٧ _ نهاية الإقدام في علم الكلام : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، بغداد ، لا . ت .

٢١٨ _ الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم : محمد محمود حجازي، مصر ، ١٣٩٠هـ .

٢١٩ _ وسائل الشيعة : الحر العاملي ، القاهرة ، ١٣٨١هـ .

٢٢٠ _ وعاظ السلاطين : د . علي الوردي ، بغداد ، ١٩٥٤م ، ط١ .

٢٢١ _ وفيات الأعيان : ابن خلكان ، د . إحسان عباس . بيروت . مطبعة غريب ، ١٩٦٨م .

٢٢٢ _ هبة الدين الشهرستاني : محمد مهدي العلوي ، بغداد ، مطبعة الآداب ، ١٣٤٨هـ .

٢٢٣ _ الهدى إلى دين المصطفى : محمد جواد البلاغي ، صيدا ،١٣٣٠هـ .

(جـ) الجرائد والمجلات

١ _ جريدة الأخبار المصرية الصادرة في ٤ يونيو (حزيران) ١٩٧٩م .

٢ _ جريدة الأهرام المصرية الصادرة في ٤ يونيو (حزيران) ١٩٧٩م .

٣ _ مجلة دراسات إسلامية : جامعة النجف الدينية ، ١٣٨٤هـ .

٤ _ مجلة رسالة الإسلام : الأزهر ، السنة الحادية عشرة ، العدد الرابع .

٥ _ مجلة السياسة الدولية : السنة الثانية ، العدد الرابع .

٦ _ مجلة الهادي : قم ، دار التبليغ الإسلامي ، السنة الثانية العددان الثاني والرابع

(د) مراسلات ومقابلات

١ _ رسالة بريدية من المفسر بعثها لي أواخر جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ .

٢ _ رسالة بعثها لي أحد الأخوة إملاءً عليه من قبل المفسر في كتاب (الشيعة في الإسلام) للطباطبائي ، وذلك في غرة صفر ١٣٩٨هـ.

٣ _ لقاء مع الدكتور حسين محفوظ ، أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة بغداد في نيسان ١٩٧٨م .



(١) فهرست الآيات



سورة آل عمران (٣)

_ ان الذين توفاهم الملائكة ... الم تكن أرض الله واسعة .	٩٧	١٨١
_ وكان الله عفوا غفورا .	٩٩	١٥٩
_ واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة	١٠١	١٧٣، ٦٩
_ ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك .	١١٦	٢١٢هامش
_ وإنْ يدعون الا شيطانا مريدا .	١١٧	٦٩
_ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا .	١١٩	١٥٨
_ من يعمل سوءاً يجز به .	١٢٣	١٠٧
_ فبظلم من الذين هادوا حرَّمنا عليهم طيبات أحلت لهم .	١٦٠	٢٦٩
_ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده .	١٦٣	١٨٥،٢٢٥
_ وكلم الله موسى تكليما .	١٦٤	٢٢٥
_ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .	١٦٥	٣٠٥
_ يبين الله لكم أن تضلوا	١٧٦	١٣١
_ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة	١٧٦	٢٤٨



الآية	رقمها	الصفحة
_ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو .	٥٩	٢٧٨
_ وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض	٧٥	٢٩٤،٣١٠
_ ولم يلبسوا ايمانهم بظلم .	٨٢	١٤٠
_ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .	٩٠	٣٠٥
_ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا .	١١٥	٢٤٦
_ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس .	١٢٢	١٥٨
_ وربك الغني ذو الرحمة .	١٣٣	١٨٨
_ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ... ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن .. وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه	١٥١ _ ١٥٣	١٥٠،١٨٤،٢٥٩
_ ولا تزر وازرة وزر أخرى .	١٦٤	١٤٦ هامش

سورة الأعراف (٧)

الآية	رقمها	الصفحة
_ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين	٢٣	١٣٤،١٥٩
_ يا بني آدم لا يفتتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة .	٢٧	١٥٢
_ إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون	٢٧	١٥٧
_ ان الله لا يأمر بالفحشاء	٢٨	٢٩٩
_ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم .	٢٩	٦٨
_ ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ تجري من تحتهم الانهار .	٤٣	١٦٩
_ وعلى الأعراف رجال ... لم يدخلوها وهم يطمعون .	٤٦	١٥٣

_ واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل .	١٠١	٢٦٩
_ من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان .	١٠٦	٣١٢
_ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة .	١١٢	١٩٦
_ ان كنتم اياه تعبدون .	١١٤	١٣٣
_ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام .	١١٦	١٣٣
سورة الاسراء (١٧)		
_ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها .	١٦	٢٧٧
_ وما كان عطاء ربك محظورا .	٢٠	١٨٩،٣٠٣
_ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم .	٣٥	٢٤٥
_ ولا تقف ما ليس لك به علم .	٣٦	٢٠٦
_ وان من شيء الا يسبح بحمده .	٤٤	٢٢٢
_ لئن أخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا .	٦٢	١٥٢
_ قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين .	٩٥	٢١٩
_ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل .	١٠٥	٢٧٠
سورة الكهف (١٨)		
_ اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة	١٠	٦٨
_ وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم .	١٧	١٨٧-١٨٦
_ من يهد الله فهو المهتد	١٧	٣٠٥

سورة القيامة (٧٥)		
_ أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ...	٣ _ ٤	٣١٣
_ إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه .	١٧ _ ١٩	١٠٥
_ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة .	٢٢ _ ٢٣	٢٩٤
سورة المرسلات (٧٧)		
_ فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت .	٨ _ ٩	١٨٢
_ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون .	٣٥ _ ٣٦	٢١٥
سورة النبأ (٧٨)		
_ عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون .	١ _ ٣	١٥٠
سورة النازعات (٧٩)		
_ أنا ربكم الاعلى .	٢٤	٦٦
_ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ...	٤٢ _ ٤٦	٢٥٧
سورة عبس (٨٠)		
_ وفاكهة وأبا .	٣١	١٠٦
سورة التكوير (٨١)		
_ واذا النجوم انكدرت .	٢	١٨٢
_ والصبح اذا تنفس .	١٨	٥٩

سورة الانفطار (٨٢)		
_ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله .	١٩	١٥٣،٢١٦
سورة المطففين (٨٣)		
_ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون .	١٤	٢٩٣،٣١٠
كلا إن كتاب الابرار لفي عليين ... يشهده المقربون .	١٨ _ ٢١	٣١٠
سورة الانشقاق (٨٤)		
_ اذا السماء انشقت .	١	١٨٢
_ يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه .	٦	١٥٢
سورة البروج (٨٥)		
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق .	١٠	٦١
سورة الاعلى (٨٧)		
_ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله .	٦	١٨٦
سورة الغاشية (٨٨)		
_ هل أتاك حديث الغاشية .	١	١٤١
سورة الليل (٩٢)		
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل ...	٥ _ ١٠	١٠٥

سورة العلق (٩٦)		
_ إن إلى ربك الرجعى .	٨	١٥٢
سورة البينة (٩٨)		
_ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين .	١	١٩١
سورة الزلزلة (٩٩)		
_ يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها .	٤ _ ٥	٢٢٢
سورة التكاثر (١٠٢)		
_ كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين .	٥ _ ٧	٢٩٤،٣١٠

فهرست الأحاديث النبوية



المحتويات







